



# مجلة كلية الآداب

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن كلية الآداب بجامعة الزاوية

الجزء الثاني

- المواقيت المختارة للصلاة المفروضة بين إجمال القرآن 
- وبيان السنة لجميع المناطق.
- الشعر الليبي الحديث في الميزان. 
- جوانب من الإعجاز العلمي في القرآن. 
- المشاريع الإستعمارية لتقسيم ليبيا. 
- الدور الاقتصادي للنخيل في واحات الجنوب الليبي. 
- اثر المناخ على زراعة أشجار الزيتون بإقليم الساحل الليبي. 
- المرأة الليبية نحو مشاركة مثمرة في عملية التنمية. 
- التصوير الرقمي الأبيض والأسود. 
- مفهوم التباين في علم اللغة. 

العدد السابع عشر - يونيو 2014م

**مجلة كلية الآداب**  
**مجلة علمية محكمة نصف سنوية**  
**تصدر عن كليات الآداب**  
**بجامعة الزاوية**

العدد السابع عشر

الجزء الثاني

يونيه 2014 م

رئيس التحرير : د. المختار العفيف

مراجعة لغوية : د. قدرى القنوني

اللجنة الإستشارية

د. مسعود التائب

د. سالم القريض

د. عبد الكريم القنوني

د. الهادي المغربي

المراسلات :

ترسل المراسلات باسم رئيس التحرير – جامعة الزاوية

هـ وفاكس : 023-626881

[www.aladab.zu.edu.ly](http://www.aladab.zu.edu.ly)

السعر : ديناران أو ما يعادلها خارج ليبيا

تمت عمليات الجمع والإخراج المرني والطباعة  
رؤية للطباعة والدعاية والإعلان  
ليبيا – الزاوية – شارع عبدالمنعم رياض – هـ 0925031603

## قواعد النشر

- 1- تنشر مجلة " كلية الآداب " الأبحاث الأصلية والمبتكرة التي تتسم بالجدة والدقة والمنهجية، ولم يسبق نشرها في أي مطبوعة أخرى، وليست جزء من رسالة الماجستير أو الدكتوراه للباحث.
- 2- تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر إلى الفحص العلمي بشكل سري من قبل متخصصين، وتحدد صلاحيتها للنشر بناء على رأي لجنة التحكيم.
- 3- يجب أن يتقيد الباحث بالمنهجية، وأصول البحث العلمي، وأن يُشير إلى الهوامش والمراجع في المتن بأرقام، وترد قائمتها في نهاية البحث لافي أسفل الصفحة.
- 4- يجب أن يُقدم البحث مطبوعاً بالحاسوب من نسختين، مرفقاً معهما قرص "CD" يتضمن البحث المطلوب نشره.
- 5- يجب أن يكتب الباحث اسمه، وعنوان البحث، ومكان عمله، ودرجته العلمية في ورقة مستقلة، ويعاد كتابة عنوان البحث فقط على الصفحة الأولى من البحث.
- 6- اللغة العربية هي اللغة الرسمية للمجلة، ونرحب بالبحوث المكتوبة باللغة الأجنبية، على أن ترفق بملخص واف باللغة العربية.
- 7- ترحب المجلة بنشر ملخصات الرسائل الجامعية "الماجستير" و" الدكتوراه " التي تمت مناقشتها وإجازتها، كما ترحب بإسهام الباحثين بعرض الكتب والدراسات والتقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية.
- 8- تقبل المجلة نشر الإعلانات، خاصة تلك المتعلقة بالأنشطة العلمية.
- 9- تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها إلى المجلة، على أن تكون مستوفية الشروط السالفة الذكر.

# المحتويات

الصفحة	الباحث	عنوان البحث
		المواقف المختارة للصلوات المفروضة بين إجمال القرآن وبيان السنة لجميع المناطق
7	د. مصطفى سالم الطوير	
		حرمة المال العام
30	د. نصر عمر عطية	
		القيمة التاريخية لكتب الحديث الستة
47	د. عبد الباسط إسماعيل يربوع	
		الشعر الليبي الحديث في الميزان (رؤية نقدية إسلامية)
60	د. محمود عبد المولى علي	
		الجمال الأدبي في التكرار اللفظي - دراسة فنية لنماذج من الشعر الليبي المعاصر
84	د. مسعود محمد الصيد	
		مساهمة علماء العربية في وضع أسس نظرية النصّ
103	د. إبراهيم محمد عبد الله	
		جوانب من الإعجاز العلمي في القرآن
122	د. سمية الطيب الطاهر عمران	
		المضمون الأخلاقي للأسطورة الدينية القديمة
140	د. نجاح أبو القاسم زاند	
		المشاريع الاستعمارية لتقسيم ليبيا مشروع التسوية البريطاني الإيطالي (بيفن-سفورزا)
158	د. محمد محمد خلف	
		التاريخ والمؤرخون في الأندلس خلال الفترة من القرن (3 - 5 هـ / 9 - 11 م)
185	د. جميلة محمد صالح أبو القاسم	
		فنون الإنشاء وأساليب الترسل الإداري العثماني في ليبيا 1911 - 1935 م
215	د. فاتح رجب قدراة	
		أثر المناخ على زراعة أشجار الزيتون بإقليم الساحل الليبي
258	د. مفيدة أبو عجيلة محمد بلق	
		دور شبكات النقل البري في التنمية السياحية بإقليم سهل الجفارة
282	د. مصطفى أحمد الفرجاني	
		المرأة الليبية نحو مشاركة مثمرة في عملية التنمية
301	د. محمد عبد السلام همومه	

	التصوير الرقمي الأبيض والأسود : أهميته الاتصالية والجمالية
320	أ. عبد الناصر سالم الشريدي
	الكشف والتعرف على الموهبين ودور الأسرة في رعايتهم
340	د. سعاد مصطفى فرحات
	الدور الاقتصادي للنخيل في واحات الجنوب الليبي خلال القرن التاسع عشر
366	د. المختار عثمان العفيف
	دور أفعال الصيغة في تعليم اللغة الفرنسية
392	أ. مريم عبد الحميد البشت
	مفهوم التباين في علم اللغة
424	د. مختار شفتري
	<b>The Challenges that English Writing Teachers Face in Teaching Writing at the University Level in Libya</b>
437	حميدة حسين المرابط سويد

## تنويه

- إن تقديم البحوث المنشورة أو تأخيرها في ترتيب الصفحات لا يعني المفاضلة، لكن متطلبات التنسيق الفني هي التي تتحكم في هذا الترتيب
- الآراء الواردة بالمجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها فقط.

العدد السابع عشر جاء مقسماً على جزأين ( الأول والثاني ) لسنة 2014م وذلك نظراً لتراكم البحوث المقدمة للمجلة، ومن ناحية أخرى سيصدر هذا العدد على الموقع الإلكتروني للجامعة.

أحتوى هذا العدد على مواضيع كثيرة ومتنوعة من البحوث في مجال العلوم الإنسانية التي تسعى كلية الآداب من خلال ما ينشر في المجلة معالجة كثير من القضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية وفي مجال الفنون والإعلام والمكتبات واللغات ونأمل من السادة الباحثين أن تكون أبحاثهم بما يخدم المعرفة، كذلك سنتقبل المجلة كافة الأبحاث والأعمال المترجمة وعرض الكتب والرسائل العلمية في مجال أهتمامها من داخل ليبيا وخارجها، وذلك على الموقع الإلكتروني المشار إليه.

وأخيراً أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور : مسعود التائب رئيس المجلة السابق الذي أعطى من وقته وجهده في سبيل النهوض بهذه المجلة واستمرارها، كذلك الشكر الموصول إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب بالزاوية لتكرمه بمراجعة هذا العدد الذي بين أيديكم، ويعتذر القسم على أي خطأ يظهر في هذا العدد نظراً لكثرة البحوث، وضيق وقت المراجعة، وإلى أن نلتقي في العدد القادم.

د. المختار عثمان العفيف  
رئيس تحرير المجلة

## المواقيت المختارة للصلوات المفروضة بين إجمال القرآن وبيان السنة لجميع المناطق

د. مصطفى سالم الطوير  
قسم الدراسات الإسلامية  
كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين.

أما بعد

فإن هذا البحث يقوم على بيان الأوقات المختارة للصلوات المفروضة كما أنه يستعرض الوسيلة التي اعتمدها الشارع في تحديدها، وهي تتمثل في علامات معينة مستفادة من مظاهر الطبيعة، وبالتالي فإلى أي مدى كان الاعتماد على شروق الشمس، واستوائها، وغروبها، ودخول الليل، وطلوع الفجر، وغيرها من المظاهر الطبيعية الأخرى، في تحديد أوقات الصلوات لاسيما أنها وردت مجملة في القرآن الكريم، ثم ما الحل عند عدم وضوحها في بعض البلدان كما في القطبين، وحتى يفك هذا الإشكال، وهو ما يهدف إليه هذا البحث، سلك المنهج الوصفي، والاستنباطي، والتحليلي، من هنا جاءت خطة هذا البحث مقامة على مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة:

المطلب الأول: ورود مواقيت الصلوات المفروضة مجملة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: بيان السنة للمواقيت المختارة للصلوات المفروضة.

المطلب الثالث: بيان السنة لمواقيت الصلوات المفروضة في المناطق القطبية.

الخاتمة وفيها نتائج.

### المطلب الأول

#### ورود مواقيت الصلوات المفروضة مجملة في القرآن الكريم

إن الأصل في تحديد أوقات الصلاة، يقوم على وجود علامات معينة مستفادة من مظاهر الطبيعة، جعلها الشارع سبباً في دخول الوقت، ونهايته وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه العلامات، في أكثر من آية، وهي - بلا شك - وسائل نصبها الشارع في الطبيعة، لمعرفة الزمن المحدد لأداء العبادة المخاطب بها المكلف، وهو ما يعرف بالحكم الشرعي، وهو: "خطاب الله

تعالى المتعلق، بأفعال المكلفين اقتضاءً، أو تخييراً، أو وضعاً" (1) وهذا الحكم يتنوع إلى نوعين: الحكم التكليفي، والحكم الوضعي (2) أما الأول فهو: " هو طلب الشارع من المكلف فعل شيء أو تركه، أو تخييره بين الفعل، والترك" (3) وأما الثاني فهو: " جعل الشارع شيئاً سبباً لشيء آخر، أو شرطاً له، أو مانعاً منه (4) وهذان الحكمان: التكليفي، والوضعي مرتبطان ببعضهما، حيث إن الحكم الوضعي وسيلة، بينما الحكم التكليفي غاية، وحتى تدرك الغاية إدراكاً صحيحاً، وجب معرفة الوسيلة التي تؤدي إلى هذا الإدراك الصحيح.

من هنا فإن التكليف المتعلق بالعبادات، يتمثل في الصلوات الواجبة وهي: الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والصبح. الثابت وجوبها بنص القرآن الكريم، وهو خطاب الله لنا في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ﴾ سورة البقرة الآية 43، فيتعلق بهذا الخطاب الحكم التكليفي. وهو وجوب إقامة الصلاة على المكلفين، ثم إن القرآن الكريم وضع لتحديد أوقاتها علامات، مستمدة من مظاهر الطبيعة، جعلها الشارع دليلاً على دخول الوقت المعين للصلاة، وهو الحكم الوضعي، كما هو واضح في الآيات التالية التي لم يرد النص فيها بإسلوب واحد، في بيان المواقف الطبيعية لدخول أوقات الصلاة، وإنما يتنوع لأجل زيادة الشوق لدى المكلفين كما هو واضح في هذه الآيات، التي تدل على وجوب الصلوات، وتبين أوقاتها معتمدة على مظاهر الطبيعة.

أولاً: قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُلًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ سورة هود من الآية 114 ابتدأت الآية بقوله تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ وهو حكم تكليفي يفيد وجوب إقامة الصلاة على المكلف، الذي تتوفر فيه شروطها، إلا أن إقامة الصلاة تتطلب وقتاً محدداً، ومعلوماً لدى المكلف، من هنا نصب الشارع علامة من الطبيعة، للدلالة على دخول وقت الصلاة، وقد جاء هذا في قوله تعالى: ﴿طَرَفِي النَّهَارِ﴾ وبالرجوع إلى لسان العرب تبين أن معنى الطرف هو: " الناحية من النواحي، والطائفة من الشيء، والجمع أطراف" (5) وبالتالي فإن تفسير قوله تعالى: ﴿طَرَفِي النَّهَارِ﴾ وهو مثني، أي: أن النهار له طرفان " الطرف الأول: صلاة الصبح، والطرف الثاني: صلاة الظهر، والعصر" (6)

قال ابن عاشور: " فالطرفان طرفان لإقامة الصلاة المفروضة، فعلم أن المأمور بإيقاع صلاة في أول النهار وهي الصبح، وصلاة في آخره وهي العصر " (7)  
أما وقتي صلاة المغرب، والعشاء، فقد جاء تحديدهما في هذه الآية في قوله تعالى: ﴿ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ باعتبار أن الزلفة: هي الطائفة من أول الليل (8) والزلف: جمع زلفة، وهي الساعة القريبة من أختها، فعلم أن المأمور بإيقاع الصلاة في زلف من الليل " (9).

ومن الصلوات المفروضة المأمور بهما في الليل صلاتان، هما: المغرب، والعشاء، لوقوعهما في الليل، وهذا ما ذهب إليه النسفي في تفسير قوله تعالى ﴿ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ حيث ذكر: أن المراد من صلاة الزلف هما: صلاة المغرب، وصلاة العشاء (10) وعند التأمل في الآية الكريمة ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ نجد أنها اعتمدت في بيان مواقيت الصلوات الخمسة على المظاهر الطبيعية، ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ طَرَفَيِ النَّهَارِ ﴾ حيث إن النهار له طرفان، وهما: الغدو، والعشي، وهذان الطرفان يدخل فيهما: الفجر، والظهر، والعصر.

وأما الزلفى، وهي بداية الليل المتمثلة في الظلمة، التي تبدأ بالغروب فهي مظهر طبيعي لتحديد دخول وقت صلاة المغرب عند غروب الشمس وصلاة العشاء عند غيبوبة الشفق، وكلا الوقتين داخل في الزلفى. أي في الطائفة الأولى من الليل وهي من مظاهر الطبيعة.

ثانياً: قال الله تعالى ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ سورة الإسراء الآية 78 اللام في ﴿ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ لام التوقيت، وهي بمعنى عند (11) والدلوك: الزوال ولذلك قيل: إذا زالت نصف النهار ذلك، وقيل لها: إذا أفلت دالكة، لأنها في الحالتين زائلة " (12) فالدلوك حركة غير مستقرة، ومنه دلوك الشمس، أي استقرارها، وثباتها لمدة في كبد السماء وقت الظهر، ثم تبدأ تتحرك (13) وهذه الحركة هي زوالها، أي ميلها، إذن حركة الشمس بعد ثبوتها في وسط السماء يسمى بدلوك الشمس، أي زوالها، أو ميلها، وقد جعل الشارع هذا الدلوك سبباً في وجوب الصلاة، قال تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾ " فالسببية

التي هي حكم وضعي، ليست متعلقة بفعل المكلف، وإنما تعلقت بما ارتبط به وهو الدلوك، إذ الدلوك سبب لوجوب الصلاة، التي هي فعل المكلف " (14) بمعنى أن دلوك الشمس جعله الشارع سبباً لدخول وقت الصلاة، المترتب عليه وجوب أدائها.

ثم يبين الله - سبحانه وتعالى - مظهراً طبيعياً آخر جعله علامة لدخول الوقت، وهو قوله تعالى: ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ " فالمراد بالغسق: الظلمة، وهي انقطاع شعاع الشمس، حتى يماثل سواد أفق الغروب، سواد بقية الأفق، وهو وقت غيبوبة الشفق، وذلك وقت العشاء، ويسمى العتمة، أي الظلمة " (15) أما قوله تعالى ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ وهو معطوف على الصلاة بمعنى أقم قرآن الفجر، أي صلاة الصبح (16) وقد سميت صلاة الفجر قرآناً - وهو القراءة - لأنها ركن (17) وقد أشارت " هذه الآية بإجماع المفسرين إلى الصلوات المفروضة (18) من هنا فإن الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ هو الأمر بإقامة صلاة الظهر، والعصر والمغرب، والعشاء. أما الخطاب بإقامة صلاة الفجر، فقد جاء واضحاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ وبالتالي فإن هذه الآية حددت مواقيت الصلوات الخمس، وإن المتأمل في الوسيلة التي سلكها القرآن الكريم في تحديدها، يرى أنها مستمدة من مظاهر الطبيعة: كالشمس، والدلوك، والغسق والليل، والفجر، التي جعل منها الله علامات لدخول مواقيت الصلوات الخمس كما سبق البيان.

وتتعدد الآيات القرآنية في تحديد مواقيت الصلوات بالمظاهر الطبيعية بأساليب بليغة متنوعة، تميل إليها نفوس المكلفين إعجاباً، واستجابة، كما هو واضح في هذه الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ سورة طه الآية 128 المراد بالتسبيح: الصلاة (19) فيقال سَبَّحَ: صلى، وصلى المكتوبة (20) فالتسبيح مستعمل في الصلاة، لاشتغالها على تسبيح الله، وتنزيهه. (21) من هنا كان التسبيح بمعنى الصلاة، وهذا ما تضمنته هذه الآية في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فقوله تعالى: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ "

في موضع الحال، أي وأنت حامد " (22) أي وصلَّ ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي وأنت حامد لربك على هدايته، وتوفيقه، معترفا بأنه المولى للنعم كلها، بأن تقول في صلواتك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة الفاتحة الآية 2 الخ " (23) وقد ذهب أكثر المفسرين والمتأولين لهذه الآية، بأنها إشارة إلى الصلوات الخمس ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ صلاة الصبح، ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ صلاة العصر، ﴿وَمِنْ أَنَاءِ اللَّيْلِ﴾ العشاء، ﴿وَأَطْرَافِ النَّهَارِ﴾ المغرب، والظهر. (24)

وقد ورد أطراف هنا في صورة الجمع، والمفرد طرف " وطرف الشيء منتهاه. قيل: المراد أول النهار، وآخره (25) كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ سورة هود من الآية 114 وعلى هذا فللنهار طرفان لا أطراف ... فالجمع في قوله ﴿وَأَطْرَافِ النَّهَارِ﴾ من اطلاق اسم الجمع على المثني، وهو متبع فيه في العربية عند أمن اللبس، كقوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَعَتُ فُلُوبُكُمْ﴾ سورة التحريم من الآية 4" (26) وبالتالي فإن الأوقات الواردة في هذه الآية، هي أوقات الصلوات الخمس المفروضة، وليست النوافل حيث إن " قوله - تعالى- ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ إذ ليس ذلك الوقت وقت نفل، على ما علم، إلا أن يتأول ما قبل الغروب، بما قبل صلاة العصر، وفيه بعد " (27). قال ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: " والأوقات المذكورة هي أوقات الصلوات " (28).

والتأمل في هذه الآية، يراها قد أشارت إشارة واضحة، إلى تحديد مواقيت الصلوات بالمظاهر الطبيعية، التي جعلها الشارع علامة على دخول وقت الصلاة، كما هو وارد في الآية الكريمة، حيث إن قوله تعالى: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ هو علامة وقت الصبح، وقوله تعالى ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ هو علامة وقت العصر، وقوله تعالى: - ﴿وَمِنْ أَنَاءِ اللَّيْلِ﴾ هو علامة وقت العشاء، وقوله تعالى: ﴿وَأَطْرَافِ النَّهَارِ﴾ هناك طرف النهار عند الزوال وهو علامة وقت الظهر، وأما طرف النهار الآخر فهو عند الغروب، وهو علامة وقت المغرب ومن هنا يتبين أن الله - تعالى- ذكر في هذه الآية مظاهراً طبيعية متنوعة، جعل كل واحد منها علامة لدخول وقت الصلاة، بحيث شملت الصلوات الخمس.

ومما سبق بيانه من الآيات القرآنية، التي تم الاستدلال بها في تحديد مواقيت الصلوات الخمس، يتبين بوضوح: أن الشارع الحكيم، جعل المظاهر الطبيعية علامة لدخول وقت الصلاة، وهي تتمثل: في دلوك الشمس، وقبل طلوعها، وقبل غروبها، وطرفي النهار، وغسق الليل، والفجر إلى غير ذلك من المظاهر الطبيعية التي وردت في الآيات القرآنية مجملة، وأن هذا الإجمال يحتاج إلى بيان السنة.

### المطلب الثاني

#### بيان السنة للمواقيت المختارة للصلوات المفروضة

حث النبي - صلى الله عليه وسلم - على أداء الصلوات المفروضة في مواقيتها المحددة، وقد جاء هذا الحث فيما رواه عبدالله بن مسعود، قال: سألت الرسول - صلى الله عليه وسلم - أي العمل أفضل؟ قال: " الصلاة لوقتها " قال: قلت ثم أي؟ قال: " بر الوالدين " قال: قلت ثم أي؟ قال: " الجهاد في سبيل الله " فما تركت أستزيده إلا إرعاء عليه (29) وعن عبدالله بن مسعود، قال: قلت يا نبي الله، أي الأعمال أقرب إلى الجنة؟ قال: " الصلاة على مواقيتها، قلت: وماذا يا نبي الله؟ قال: " بر الوالدين " قلت: وماذا يا نبي الله؟ قال: " الجهاد في سبيل الله " (30).

ورد في الرواية الأولى، أي العمل أفضل " وفي الثانية " أي الأعمال أقرب إلى الجنة " والظاهر أن السؤال كان بالصيغة الأولى والصيغة الثانية من تصرف الرواة، والرواية بالمعنى، والتعبير بالملزوم بدل اللازم (31) والمتأمل في الحديثين يجد جواب الرسول واضحاً، بأن " أحب الأعمال إلى الله، المحافظة على أداء الصلوات في مواقيتها " (32).

ولما كانت المواقيت المختارة للصلوات الخمس، قد وردت مجملة في القرآن الكريم، والمجمل يحتاج إلى بيان، فقد ورد في السنة بيان لما أجمل في القرآن الكريم، وقد جاء هذا البيان في حديث جبريل - عليه السلام - أنه أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - يعلمه مواقيت الصلاة، فتقدم جبريل، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلفه، والناس خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فصلى الظهر حين زالت الشمس، وأتاه حين كان الظل مثل شخصه

فصنع كما صنع، فتقدم جبريل، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلفه والناس خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصلى العصر، ثم أتاه حين وجبت الشمس، فتقدم جبريل، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلفه والناس خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصلى المغرب، ثم أتاه حين غاب الشفق، فتقدم جبريل، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلفه والناس خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصلى العشاء، ثم أتاه حين انشق الفجر، فتقدم جبريل ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلفه والناس خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصلى الغداة، ثم أتاه اليوم الثاني حين كان ظل الرجل مثل شخصه، فصنع مثل ما صنع بالأمس، فصلى الظهر، ثم أتاه حين كان ظل الرجل مثل شخصيه، فصنع كما صنع بالأمس فصلى العصر، ثم أتاه حين وجبت الشمس، فصنع كما صنع بالأمس، فصلى المغرب، فمنا ثم قمنا، ثم نمنا ثم قمنا، فأتاه فصنع كما صنع بالأمس، فصلى العشاء، ثم أتاه حين امتد الفجر وأصبح، والنجوم بادية مشتبكة، فصنع كما صنع بالأمس، فصلى الغداة، ثم قال: ما بين هاتين الصلاتين وقت " (33) . هذا بيان واضح من السنة لما ورد مجملاً في القرآن الكريم، بشأن مواقيت الصلوات المفروضة، فكان هذا البيان العملي من جبريل للرسول - صلى الله عليه وسلم - وللصحابية الذين كانوا يصلون خلف الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما هو واضح في هذا الحديث، هو بمثابة التعليم بالحس والمشاهدة، فكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - خلف جبريل يفعل مثل ما يفعل جبريل، والصحابية خلف الرسول - صلى الله عليه وسلم - يفعلون مثل ما يفعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - إنه تعليم عملي يعتمد على الحس والمشاهدة، وهو مبدأ تعليمي من أرقى أنواع التعليم، يقول علماء التربية: " من أفضل طرق التعليم، هي ما يتم فيها التعليم عن طريق الحس، ولذلك يذكرون الوسائل التعليمية، ويقولون: تريد أن تعلم الطالب الجهاز الهضمي، احضر صورة الجهاز الهضمي. وقل له: هذا المرئ، وهذه المعدة، وهذا القولون ... بالتعليم الحسي، وهذه الطريقة، هي التي علمنا الله - سبحانه وتعالى - بها أوقات الصلاة، بأن أرسل جبريل أول يوم، صلى الصلوات في أول وقتها

وثاني يوم صلى الصلوات في آخر وقتها " (34) وكثيراً ما كان يقول - صلى الله عليه وسلم -: " هذا جبريل - عليه السلام - جاءكم يعلمكم دينكم ... " (35) وزيادة في البيان لما ورد في القرآن من إجمال في مواقيت الصلوات المفروضة، فقد بيّن الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذا الإجمال في هذين الحديثين، وهما مترتبان على حديث جبريل السابق، الذي رواه جابر فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن للصلاة أولاً وآخرأ وإن أول وقت صلاة الظهر حين تزول الشمس، وآخر وقتها حين يدخل وقت العصر، وإن أول وقت صلاة العصر حين يدخل وقتها، وإن آخر وقتها حين تصفر الشمس، وإن أول وقت صلاة المغرب حين تغرب الشمس، وإن آخر وقتها حين يغيب الأفق، وإن أول وقت العشاء الآخر حين يغيب الأفق، وإن آخر وقتها حين ينتصف الليل، وإن أول وقت الفجر حين يطلع الفجر، وإن آخر وقتها حين تطلع الشمس (36). وعن عبدالله بن عمرو أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: " وقت الظهر إذا زالت الشمس، وكان ظل الرجل كطوله، ما لم يحضر العصر، ووقت العصر، ما لم تصفر الشمس، ووقت صلاة المغرب، ما لم يغب الشفق، ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل الأوسط، ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر، ما لم تطلع الشمس، فإذا طلعت الشمس، فامسك عن الصلاة، فإنها تطلع بين قرني شيطان " (37).

والمتمأل في هذه الأحاديث الثلاثة: الحديث الأول الذي رواه جابر بن عبدالله، وهو حديث جبريل، الذي بيّن فيه في اليوم الأول، بداية الوقت المختار لكل صلاة، من الصلوات الخمس، وفي اليوم الثاني: بيّن فيه نهاية الوقت المختار للصلوات الخمس.

وفي الحديثين: الثاني والثالث بيّن فيهما الرسول - صلى الله عليه وسلم - لصحابته، بداية الوقت المختار، ونهايته لكل صلاة من الصلوات الخمس، وأن ما جاء في هذه الأحاديث بياناً واضحاً لشيين هما: أولاً بيان ما أجمل في القرآن بخصوص تحديد الوقت المختار للصلوات الخمس. وثانياً: بيان بداية ونهاية الوقت المختار لكل صلاة من الصلوات الخمس. وهي:

الظهر والعصر والمغرب، والعشاء، والصبح، وفي هذا البيان، تعليمه لأصحابه مواقيت الصلاة بالطريق العملي.

من هنا يبدأ الوقت الاختياري لصلاة الظهر، كما هو مبين في الأحاديث السابقة، عند زوال الشمس عن كبد السماء، وإن آخر الوقت المختار لها، عندما يصير ظل الشخص مثله، وهو دخول وقت العصر، وقد جاء هذا التحديد في حديث ابن عمر السابق، الذي ذكر فيه، أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - " وقت لصلاة الظهر إذا زالت الشمس، وكان ظل الرجل كطوله، ما لم يحضر العصر ... (38) وأيضاً جاء هذا في حديث أبي هريرة السابق " إن للصلاة أولاً وآخراً، وإن أول وقت صلاة الظهر حين تزول الشمس، وآخر وقتها حين يدخل وقت العصر ..... (39) .

وأول وقت العصر يبدأ، عندما يصير ظل الشيء مثله، وهو آخر وقت الظهر، وبداية وقت العصر - كما سبق البيان - وإن آخر وقت العصر هو عندما يصير ظل الشخص مثليه، أو حين تصفر الشمس كما هو واضح في حديث جبريل، وحديث أبي هريرة، وحديث ابن عمر، (40) أما وقت صلاة المغرب، فيبدأ وقتها المختار بمغيب الشمس، فقد ورد في حديث أبي هريرة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم -: "... وإن أول وقت المغرب حين تغرب الشمس.. (41) وأن آخر وقتها المختار فيه قولان: الأول وهو وقت مضيق وقصير، والدليل عليه حديث جبريل في تحديد بداية الوقت ونهايته المختار لصلاة المغرب، فقد صلى جبريل - عليه السلام- بالنبى - صلى الله عليه وسلم - في اليومين في نفس الوقت، فقد جاء في الحديث عن بداية الوقت المختار في اليوم الأول: "... ثم أتاه حين وجبت الشمس، فتقدم جبريل ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلفه والناس خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصلى المغرب ... (42) ثم أتاه في اليوم الثاني، لتحديد نهاية الوقت المختار لصلاة المغرب: "... ثم أتاه حين وجبت الشمس، فصنع كما صنع بالأمس، فصلى المغرب ... (43) "

أما القول الثاني للوقت المختار لصلاة المغرب، فهو وقت موسع يمتد إلى ما لم يغيب الشفق، والدليل على هذا حديث ابن عمر السابق، عن النبى -

صلى الله عليه وسلم - الذي جاء فيه: "... ووقت صلاة المغرب، ما لم يغيب الشفق ... (44) فإذا غاب الشفق انتهى الوقت المختار لصلاة المغرب، وفي هذا دليل على اتساع وقت الغروب (45).

والمأمل في القولين السابقين، يجد فيهما تعارضاً، " والجمع بينهما أنه ليس في حديث جبريل حصر لوقتتهما في ذلك، ولأن أحاديث تأخير المغرب إلى مغيب الشفق متأخرة، فإنها في المدينة، وإمامة جبريل في مكة، فهي زيادة تفضل الله بها " (46) من باب رفع الحرج والضيق عن العباد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ سورة الحج من الآية 78 وبالتالي يستمر الوقت المختار لصلاة المغرب إلى ما لم يغيب الشفق، فإذا غاب انتهى الوقت المختار لصلاة المغرب، وبدأ الوقت المختار لصلاة العشاء، الذي يبدأ بمغيب الشفق الأحمر، كما جاء في حديث جبريل - عليه السلام- وحديثي أبي هريرة وابن عمر السابقين (47) ويمتد الوقت المختار لصلاة العشاء إلى نصف الليل كما هو ثابت في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - الذي رواه عن الرسول - صلى الله عليه وسلم -: "... وإن آخر وقتها حين ينتصف الليل ... " (48) وقيل يمتد وقتها المختار إلى ثلث الليل، فقد ورد عن عائشة - رضي الله عنها- " أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " صلوا فيما بين أن يغيب الشفق إلى ثلث الليل " (49)

والليل ينتهي بطلوع الفجر، وهو بداية الوقت المختار لصلاة الصبح كما هو ثابت في الأحاديث الثلاثة السابقة: حديث جبريل، وحديث أبي هريرة وحديث ابن عمر.

ويمتد الوقت المختار لصلاة الصبح من طلوع الفجر إلى الإسفار، كما هو ثابت في حديث جبريل السابق: "... ثم أتا حين أمتد الفجر، والنجوم بادية مشتبكة، فصنع كما صنع بالأمس، فصلى الغداة ... " وقيل يمتد الوقت المختار لصلاة الصبح إلى طلوع الشمس، وهذا القول ثابت في حديث أبي هريرة وحديث ابن عمر السابقين.

ومما سبق بيانه من الأحاديث النبوية، التي وردت لبيان ما أجمل في القرآن، يتضح بما لا شك فيه أن السنة النبوية مبينة لما جاء مجملاً في القرآن

الكريم، ومن بين ما جاء مجملاً في القرآن مواقيت الصلوات الخمس، فجاءت السنة النبوية فبينت هذا الإجمال، بالطريق العملي القائم على الحس، والمشاهدة كما سبق البيان.

### المطلب الثالث

#### بيان السنة لمواقيت الصلوات المفروضة في المناطق القطبية

إن معرفة مواقيت الصلاة، كما تبين من القرآن الكريم، تعتمد على المظاهر الطبيعية، كدلك الشمس، وإصفرارها، وغروبها، وظهور الشفق الأحمر، ومغيبه، وظهور الفجر، وطلوع الشمس، إلى غير ذلك من المظاهر الطبيعية التي وردت في القرآن الكريم، وأعدّها الشارع مواقيتاً للصلوات الخمس، ولكن هذه المظاهر الطبيعية ليست ثابتة، ومستقرة في جميع أنحاء العالم " وهو النتيجة المباشرة لكروية الأرض، ودورانها حول محورها أمام الشمس مرة واحدة في اليوم، كما أن ثبات ميل المحور بنفس الاتجاه، وبزاوية قدرها (23.5°) هو ناتج عن التباين الذي نلمسه في طول الليل، والنهار في جميع مناطق الكرة الأرضية، ماعدا المنطقة الاستوائية التي تتساوى فيها ساعات الليل، والنهار طول العام فترة كل منها (12 ساعة) " (50) فالسنة نصفها ليل، ونصفها نهار " (51).

وبما أن أحكام الشريعة من صلوات وغيرها، تعتمد على معرفة الليل والنهار الشرعيين، وهما يختلفان عن الليل والنهار الطبيعيين، " فالليل من لدن غروب الشمس، واستتارها بحدبة الأرض إلى طلوعها، وظهورها من الأفق والنهار من طلوع نصف قرص الشمس من المشرق إلى غيبوبة نصفها في الأفق في المغرب ... وأما الشرعي: فالليل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثاني، والنهار من الفجر الثاني إلى غروب الشمس، وبذلك تتعلق الأحكام الشرعية من الصوم، والصلاة، وغيرها. " (52)

إذن فإن تحديد بداية، ونهاية النهار الشرعي، كما هو ظاهر في هذا الاقتباس، إنما يعتمد على المظاهر الطبيعية، كطلوع الشمس، وغروبها، وهي التي تغيّر ظلمة الكون، فقد ورد في تفسير روح المعاني. " أن الأصل الظلمة والنور طارئٌ عليها تسترّها بضوئه " (53) وفي الحديث ما يؤيد هذا، فعن عبد

الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول:- " إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من نوره اهتدى، ومن أخطأ ضل " (54) وواضح من هذا الحديث أن الظلمة هي الأصل، والنور شي عرضي، يغير هذه الظلمة، ولما كان النور يعتمد على المظهر الطبيعي المتمثل في الشمس، التي تعد سبباً طبيعياً في تحديد دخول وقت الصلاة، التي بينها الله في قوله تعالى:- ﴿ أقم الصلاة لِذُلُوكِ الشَّمْسِ.....﴾

فقد بينت هذه الآية مواقيت الصلوات الخمس، معتمدة على المظاهر الطبيعية، وهو دلوك الشمس، وغسق الليل ومغيب الشفق، وطلوع الفجر، إلا أن هذه المظاهر لا تظهر في جميع أنحاء الكرة الأرضية، وهو ما يترتب عليه ظهور الاختلاف، والتفاوت في المظاهر الطبيعية. " والظاهر أن الشارع أشار إلى أن الأيام، تختلف في الطول والقصر، وأنها لا تتساوى في سائر الأقطار بل يكون اليوم في بعضها كأسبوع، وبعضها كشهر، وبعضها كسنة " (55). وذلك بسبب كروية الأرض، كما سبق البيان، حيث يختلف الليل، والنهار طولاً أو قصراً، أو اعتدالاً، ويؤثر على حسب البعد، أو القرب من خط الاستواء، أو المنطقة القطبية، فإنه " لا خلاف في أن الشمس تغرب عند قوم، وتطلع على آخرين، والليل يطول عند قوم، ويقصر عند آخرين، وبين الليل والنهار اختلاف في الطول، والقصر عند خط الاستواء، وفي بعض البلاد قد يطلع الفجر قبل أن يغيب شفق الغروب، وفي عرض تسعين لا تزال طالعة، مادامت في البروج الشمالية، وغاربة مادامت في البروج الجنوبية، فالسنة نصفها ليل ونصفها نهار " (56).

وبالتالي فإن " فالاعتدال في الأيام عند خط الاستواء، وأطول الأيام في المنطقتين القطبيتين، فالليل عند هؤلاء ستة أشهر، والنهار ستة أشهر وبعبارة أخرى السنة يوم وليلة، فهي ستة أشهر مظلمة، وستة أشهر مضيئة. وأما الأيام فيما بين خط الاستواء، وما بين الدائرتين القطبيتين، فإنها تختلف من 12 ساعة إلى 24 ساعة، فتكون 12 ساعة عند خط الاستواء و24 ساعة عند الدائرة القطبية، ثم تأخذ الزيادة في الدائرة القطبية من 24 ساعة إلى

شهر، فشهرين، إلى ستة أشهر عند القطبين نفسيهما " (57) ويترتب على هذا بالنسبة للمسلمين الذين يقطنون في هذه المناطق، التي تختفي الشمس فيها، مدة طويلة، كما هو واضح في القطبين، عدم معرفتهم مواقيت الصلوات الخمس خصوصاً أن أهل هذه المناطق مخاطبون كغيرهم، سواء بسواء، " وهو ما تواطأت أخبار الإسراء من فرض الله تعالى الصلاة خمساً، بعد ما أمروا أولاً بخمسين، ثم استقر الأمر على الخمس شرعاً عاماً، لأهل الآفاق، لا فضل فيه بين أهل قطر، وقطر " (58) حيث إن " حكم العبادات لا يختلف بسبب ذلك الاختلاف، ومما يرشد إلى ذلك اقتصاره في غاية الطول على سنة، ولا يكون اليوم في الواقع، ونفس الأمر أكثر من ذلك، فإن غاية ما يكون ظهور الشمس ستة أشهر، واختلافها كذلك، فلا يتجاوز اليوم بنهاره، وليله سنة، أي دورة كاملة " (59). من هنا كان لا بد من الحل الشرعي، لبيان الطريقة التي يسلكها هؤلاء المسلمون، لمعرفة أوقات الصلوات الخمس اليومية، وبداية الهلال، وقد جاء هذا الحل على السنة العلماء في أقوالهم، وفتاويهم، وهي تستند بالقياس على حديث الدجال، فإن النبي- صلى الله عليه وسلم- لما حدث أصحابه عن المسيح الدجال، قلنا يا رسول الله:- مالئته في الأرض؟ قال:- " أربعون يوماً يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم " قلنا يا رسول الله: فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفيها فيه صلاة يوم؟ قال:- " لا قدروا له قدره " (60) والمتأمل في الحديث، يجد قوله - صلى الله عليه وسلم- " يوم كسنة " الذي ترتب عليه سؤال الصحابة، " أيكفيها فيه صلاة يوم؟ " فأجاب- صلى الله عليه وسلم-: " فا قدروا له قدره ". وقد ابنتت على هذا الجواب أقوال، وفتاوى العلماء، والفقهاء " ولاشك إن حديث الدجال، وإن كان مسبوفاً لبيان حكم الصلاة في أيامه، ولكن علم أن مدار العبادات على الدورة اليومية، والدورة الشهرية والسنوية، وبيان حكم الصلاة في أيامه، بيان لحكمها فيما يماثل أيامه" (61).

وقد ورد في حاشية الدسوقي ما نصه:- " إن بعض البلاد السنة فيها يوم وليلة وحينئذ يقدرون لكل صلاة كزمن الدجال " (62).

وقد أورد صاحب شرح فتح القدير هذا الحديث، ويرى أنه " قد أوجب أكثر من ثلاثمائة عصر، قبل صيرورة الظل مثلاً، أو مثلين، وقس عليه فاستقدنا أن الواجب في نفس الأمر خمس على العموم، غير أن توزيعها على تلك الأوقات عند وجودها، ولا يسقط بعدمها الوجوب " (63) فلا تسقط العبادات، إذ لم توجد تلك العلامات، لأن الشارع لا يمنع الاعتماد على العلامات الأخرى، التي تدل على تلك الأوقات أيضاً، من آلات الرصد والحساب، والساعات (64). كما هو واضح في حديث الدجال في قوله:- صلى الله عليه وسلم:- " قدروا له قدره " فلا مانع أن يكون التقدير بالحساب والساعات فتحسب السنة، أو الشهر، أو الأسبوع إلى أيام كل يوم مقداره أربع وعشرون ساعة، يحدد فيها لكل يوم الصلوات الخمس المفروضة، ويكون هذا بالتقدير، كما نص عليه حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم- ولا يمنع في هذا التقدير من الاستعانة بأقرب بلد إسلامي، تظهر فيه المظاهر الطبيعية التي نصبها الشارع علامة لدخول الوقت، فقد جاء في كتاب الفقه الإسلامي ما نصه:- " وفي المناطق القطبية، ونحوها، يقدرون الأوقات، بحسب أقرب البلاد إليهم، أو بميقات مكة المكرمة " (65).

وزيادة على ما سبق بيانه من أقوال، بخصوص هذا الموضوع، هناك فتاوى صادرة عن فقهاء، ومراكز فقهية نذكر منها: الفتوى الصادرة عن المجمع الفقهي الإسلامي بخصوص منطقتين الأولى: تقع ما بين خطي عرض (48) درجة و(66) درجة شمالاً وجنوباً، وتنعدم فيها بعض العلامات الفلكية للأوقات في عدد من أيام السنة، كأن لا يغيب الشفق الذي به يبتدئ العشاء وتمتد نهاية وقت المغرب حتى يتداخل مع الفجر. والثانية: تقع فوق خط عرض (66) درجة شمالاً وجنوباً إلى القطبين، وتنعدم فيها العلامات الظاهرية للأوقات في فترة طويلة من السنة نهائياً، أو ليلاً (66) وقد جاء الحكم في هذه الفتوى بخصوص هاتين المنطقتين على النحو التالي:

في المنطقة الأولى: " أن يعين وقت صلاة العشاء، والفجر بالقياس النسبي على نظريهما، في ليل أقرب مكان، تتميز فيه علامات وقتي العشاء والفجر، ويقترح مجلس المجمع خط (45) درجة باعتباره أقرب الأماكن، التي

تتيسر فيها العبادة، أو التمييز، فإذا كان العشاء يبدأ مثلاً بعد ثلث الليل في خط عرض (45) درجة، يبدأ كذلك بالنسبة إلى ليل خط عرض المكان المراد تعيين الوقت فيه، ومثل هذا يقال في الفجر<sup>(67)</sup>. وفي المنطقة الأخرى " أن تقدر جميع الأوقات، بالقياس الزمني على نظائرها في خط عرض (45) درجة، وذلك بأن تقسم الأربعة والعشرون ساعة في المنطقة من (66) درجة إلى القطبين، كما تقسم الأوقات الموجودة في خط عرض (45) درجة يساوي (8) ساعات، فإذا كانت الشمس تغرب في الساعة الثامنة، وكان العشاء في الحادية عشرة، جعل نظير ذلك في البلد المراد تعيين الوقت فيه، وإذا كان وقت الفجر في خط عرض (45) درجة في الساعة الثانية صباحاً، كان الفجر كذلك في البلد المراد تعيين الوقت فيه<sup>(68)</sup> واستناد هذا التقدير على حديث الدجال السابق الذكر، وتويد الفتوى السابقة فتوى أخرى، صادرة عن مركز الفتوى، وقد جاء فيها ما نصه: " من كان يقيم في بلاد لا تغيب عنها الشمس صيفاً، ولا تطلع فيها الشمس شتاء، أو في بعض بلاد يستمر نهارها ستة أشهر، ويستمر ليلها ستة أشهر مثلاً، فهؤلاء عليهم أن يصلوا الصلوات الخمس في كل أربع وعشرين ساعة، وأن يقدروا لها أوقاتها، وحدودها معتمدين في ذلك على أقرب بلاد إليهم، تتمايز فيها أوقات الصلوات المفروضة بعضها من بعض " <sup>(69)</sup> واستند هذا الحكم على الحديث الذي رواه طلحة بن عبيدالله<sup>(70)</sup> قال: جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسأل عن الإسلام فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " خمس صلوات في اليوم والليلة " قال: هل عليّ غيرهن؟ قال: " لا إلا أن تطوع " <sup>(71)</sup> كما استند أيضاً على حديث المسيح الدجال السابق فلم يعتبر اليوم الذي كسنة، أو اليوم الذي كشهر ... يوماً واحداً يكفي فيه خمس صلوات، بل أوجب فيه خمس صلوات في كل أربع وعشرين ساعة، وأمرهم أن يوزعوها على أوقاتها اعتباراً بالأبعاد الزمنية، التي بين أوقاتها في اليوم العادي في بلادهم، فيجب على المسلمين في البلاد، والمسؤول عن تحديد أوقات الصلوات فيها، أن يحددوا صلواتهم معتمدين في ذلك على أقرب بلاد إليهم، يتمايز فيها الليل من

النهار، وتعرف فيها أوقات الصلوات الخمس، بعلاماتها الشرعية في كل أربع وعشرين ساعة (72).

وبالتأمل إلى ما ورد في هذه الفتوى، يلاحظ أنها استندت على التقدير الوارد في حديث المسيح الدجال، وبالتالي لا تختلف عن الفتوى السابقة الصادرة من مجمع الفقه الإسلامي.

من هنا فإن المسلمين في منطقة القطبين، أو في مناطق أخرى، لا تظهر فيها المظاهر الطبيعية، التي نصبها الشارع علامات لتحديد المواقيت عليهم أن يعتمدوا على مواقيت أقرب دولة إليهم، وأن يقدروا بحساب الزمن وتقديره كما هو واضح في حديث المسيح الدجال، الذي استندت عليه أقوال وفتاوى العلماء، والفقهاء.

وفي خاتمة البحث يتبين أن مواقيت الصلوات وردت في القرآن الكريم مجملة، غير مبينة، ومبهمة غير واضحة، فكانت معتمدة على مظاهر الطبيعة فلم يبين فيها بداية الوقت المختار ونهايته بتمامه، وكماله، فجاءت السنة فبينت ما أجمل في القرآن، فأوضحت بداية كل وقت ونهايته، وبينت أن لكل صلاة وقتاً اختيارياً موسعاً، كما في الصلوات الرباعية، وأما صلاة المغرب والصبح، فالأولى يمتد وقتها المختار إلى ما لم يغيب الشفق على أحد القولين والثانية يمتد وقتها المختار إلى طلوع الشمس، على أحد القولين أيضاً، وقد جاءت هذه التوسعة، من أجل التيسير، والتسهيل، ورفع الحرج عن العباد حتى لا يفوت عليهم ثواب أداء الصلوات في وقتها الاختياري. ثم كان الحل عند عدم ظهور الشمس شهوراً، كما في المناطق القطبية، وذلك بالاعتماد على حديث الدجال، وتقدير الوقت بالقياس على أقرب المناطق، التي تظهر فيها المظاهر الطبيعية.

أولاً: هوامش البحث

1. محمد زكريا البرديسي، أصول الفقه، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع ص 45-46.
2. ينظر المرجع السابق ص 52.
3. زكي الدين شعبان، أصول الفقه، ط: 3 بيروت: مطابع دار القلم 1974 ص 218.
4. المرجع نفسه نفس الصفحة.
5. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبدالله الكبير وآخرون، دار المعارف، ج 4 ص 2659.
6. النسفي، تفسير النسفي، تحقيق: مروان الشفار، بيروت: دار النفائس 1996 ج 2 ص 298.
7. تفسير التحرير والتنوير، تونس: دار سحنون مجلد 6 ج 12 ص 179.
8. ينظر أساس البلاغة للزمخشري بيروت: دار الفكر ص 274.
9. تفسير التحرير والتنوير، ج 12 ص 179.
10. ينظر تفسير النسفي ج 2 ص 298.
11. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير مجلد 7 ج 5 ص 182.
12. ابن منظور، لسان العرب، ج 2 ص 1412.
13. ينظر شرح كتاب وقوت الصلاة، لمحمد بن عمر بازمول، القاهرة: دار الاستقامة 2008 ص 91.
14. محمد زكريا البرديسي، أصول الفقه ص 57.
15. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير مجلد 7 ج 15 ص 182.
16. ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، القاهرة: دار الكاتب العربي 1967 مجلد 5 ج 10 ص 305.
17. ينظر تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي ج 2 ص 686.

18. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن مجلد 5 جـ 10 ص303.
19. ينظر لسان العرب لابن منظور جـ 3 ص1916.
20. ينظر أساس البلاغة للزمخشري ص282.
21. ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير مجلد 8 جـ 16 ص337.
22. عبدالرحمن الثعالبي، جواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد الفاضلي، بيروت: المكتبة العصرية 1997 جـ 2 ص404.
23. طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم المكتبة الإسلامية 1974 مجلد 5 جـ 10 ص148.
24. ينظر تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي مجلد 6 جـ 11 ص261- وينظر تفسير الجواهر الحسان للثعالبي جـ 2 ص403.
25. ينظر تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور مجلد 8 جـ 6 ص338.
26. ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير مجلد 8 جـ 16 ص339.
27. الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن جـ 2 ص404.
28. تفسير التحرير والتنوير مجلد 8 جـ 16 ص338.
29. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب رقم 36 باب بيان كون الإيمان بالله أفضل الأعمال، ص44.
30. المصدر نفسه نفس الكتاب والباب، ص44.
31. موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، القاهرة: مكتبة الجامعة الأزهرية جـ 2 ص11.
32. المرجع نفسه نفس الصفحة.
33. أخرجه النسائي في سننه، كتاب المواقيت باب: آخر وقت العصر جـ 1 ص255-256.
34. بازمول، شرح كتاب وقوت الصلاة ص43.
35. أخرجه النسائي في سننه، كتاب المواقيت باب: آخر وقت الظهر جـ 1 ص250-249.
36. أخرجه الترمذي في سننه، كتاب مواقيت الصلاة باب رقم 2، حديث رقم 151، ص48.

37. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب أوقات الصلوات، باب رقم 32، باب أوقات الصلوات الخمس، ص 198.
38. ينظر ص 10 من هذا البحث.
39. ينظر ص 10 من هذا البحث.
40. ينظر ص 10 من هذا البحث.
41. ينظر ص 10 من هذا البحث.
42. ينظر ص 10 من هذا البحث.
43. ينظر ص 10 من هذا البحث.
44. ينظر ص 10 من هذا البحث.
45. محمد إسماعيل الكحلاني، سيل السلام شرح بلوغ المرام بيروت: دار الفكر ج 1 ص 106.
46. المصدر نفسه ج 1 ص 106.
47. ينظر ص 8 من هذا البحث.
48. ينظر ص 8 من هذا البحث.
49. أخرجه النسائي في سننه، كتاب المواقيت باب: آخر وقت العشاء ج 1 ص 267.
50. يحيى عباس حسني، مبادئ الجغرافيا الطبيعية، طرابلس: الجامعة المفتوحة 2000 ص 43.
51. نقلاً من كتاب العذب الزلال في مباحث رؤية الهلال لمحمد الأندلسي تحقيق عبدالله الأنصاري 1977 ص 333.
52. القلقشندي، من كتاب صبح الأعشى، تعليق وتقديم عبد القادر الزكار، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي 1982. ج 3 ص 55.
53. الألوسي، روح المعاني ج 23 ص 11.
54. أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الايمان، باب رقم 18، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، حديث رقم 2642 ح 5، ص 26.
55. محمد بخيث المطيعي، إرشاد أهل الملة إلى إثبات الأهلة، تحقيق: حسن أحمد بيروت: دار ابن حزم 2000 ص 189.

56. نقلاً من كتاب العذب الزلال في مباحث الهلال لمحمد الأندلسي ص333.
57. طنطاوي جوهرى، الجواهر في تفسير القرآن مجلد 1 ج 1 ص140-141.
58. كمال الدين محمد بن الهمام، شرح فتح القدير، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية بولاق مصر 1315 هـ ج 1 ص156.
59. محمد بخيث المطيعي، إرشاد أهل الملة إلى إثبات الأهله ص189.
60. أخرجه ابن ماجة في سننه، باب رقم 32، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال، حديث رقم 4075، ص 675.
61. محمد بخيث المطيعي، إرشاد أهل الملة إلى إثبات الأهله ص189.
62. محمد عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير دار احياء الكتب العربية ج 1 ص179.
63. ابن الهمام، شرح فتح القدير ج 1 ص156.
64. محمد بخيث المطيعي، إرشاد أهل الملة إلى إثبات الأهله 190.
65. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، طبعة 4 دمشق: دار الفكر 1997 ج 1 ص664.
66. قرار المجمع الفقهي الإسلامي في دورته التاسعة المنعقد بمبنى رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة في الفترة من يوم السبت 12 رجب 1406 إلى يوم السبت 19 رجب 1406 ص1-2.
67. المرجع السابق ص2.
68. ينظر المرجع السابق نفس الصفحة.
69. مركز الفتوى التابع لإدارة الدعوة والإرشاد الديني بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، تصنيف الفتوى: دخول الوقت، رقم الفتوى 13228 ص:2.
70. طلحة بن عبدالله بن عثمان بن عمرو القرشي أبو محمد، من الصحابة ومن رواة الحديث ينظر الإصابة في علوم الصحابة، لابن حجر العسقلاني، بيروت: دار الفكر، ح2، ص 229-230.

د. مصطفى سالم الطوير

71. أخرجه النسائي في سننه، كتاب الصلاة، باب كم فرضت في اليوم والليلة،  
ح1، ص 226-227.

72. ينظر الفتوى الصادرة عن مركز الفتوى التابع لإدارة الدعوة والإرشاد  
الديني بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، تصنيف الفتوى:  
دخول الوقت، رقم الفتوى 13228 ص:2.

ثانياً: مصادر البحث ومراجعته

1. الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
2. الأندلسي، محمد، العذب الزلال في مباحث رؤية الهلال، تحقيق عبد الله الأنصاري 1977.
3. بازمول، محمد بن عمر، شرح كتاب وقوت الصلاة، القاهرة: دار الاستقامة 2008.
4. البرديسي، محمد زكريا، أصول الفقه، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
5. الترمذي، " محمد بن عيسى " تحقيق: محمد ناصر الدين، طبعة 2 الرياض: مكتبة المعارف 2008.
6. الثعالبي، عبد الرحمن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد الفاضلي، بيروت: المكتبة العصرية 1997.
7. جواهري، " طنطاوي " الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طبعة 2، مصر: المكتبة الإسلامية 350/هـ.
8. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في علوم الصحابة، بيروت: دار الفكر.
9. حسني، يحيى عباس، مبادئ الجغرافيا الطبيعية، طرابلس: الجامعة المفتوحة، 2000.
10. ابوداود، "سليمان الأشعث " تحقيق محمد ناصر الدين، طبعة ثانية، الرياض: مكتبة المعارف، 2007.
11. الدسوقي، محمد عرفة، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار إحياء الكتب العربية.
12. الرازي، المختار الصحاح، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.
13. الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، طبعة 4، دمشق: دار الفكر 1997.
14. الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، بيروت: دار الفكر 2000.

15. الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تحقيق: مصطفى حسين، دار الكتاب العربي.
  16. شعبان، زكي الدين، أصول الفقه، طبعة 3، بيروت: مطابع دار القلم.
  17. ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، تونس: دار سحنون.
  18. القرطبي، محمد بن أحمد، القاهرة: دار الكاتب العربي، 1967.
  19. الكحلاني، محمد إسماعيل، سبل السلام شرح بلوغ المرام، بيروت: دار الفكر.
  20. لاشين، " موسى شاهين "، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، القاهرة: مكتبة الجامعة الأزهرية.
  21. مسلم، " أبو الحسن مسلم بن الحجاج "، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار الفجر، 2010.
  22. المطيعي، " محمد بختيار "، إرشاد أهل الملة إلى إثبات الأهله، تحقيق: حسن أحمد، بيروت: دار ابن جزم، 2000.
  23. النسائي "أحمد بن شعيب" سنن النسائي، بيروت: دار الكتاب العربي.
  24. النسفي "عبدالله بن أحمد" تفسير النسفي، تحقيق: مروان الشفار، بيروت: دار النفائس 1969.
  25. ابن ماجه " محمد بن يزيد" سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد ناصرالدين، طبعة 2. الرياض: مكتبة المعارف 2008.
  26. ابن الهمام "كمال الدين محمد" شرح فتح القدير، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية بولاق مصر 1315.
- بحث للدكتور مصطفى سالم الطوير. جامعة الزاوية

## حرمة المال العام

د. نصر عمر عطية  
قسم الدراسات الاسلامية  
كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

### مقدمة:

الحمد لله الذي وهبنا ديناً قيماً، هو خاتم الرسالات، أتم الله بكماله النعمة على عباده ولما كان الأمر كذلك، فإنه دون شك صالح لأن يُعمل به في كل زمان ومكان، ومما يجعله كذلك اتسام تشريعاته باليسر والسهولة، ودروءه للمفاسد ومراعاة المصالح وتقديم العامة منها على الخاصة، وجمعه في وقتٍ واحدٍ بين التمسك بالمبادئ والقيم وبين الواقعية، والمراد بالواقعية هنا أنه يمكن تطبيقه على أرض الواقع بلا حرج ولا مشقة، والمسلم يؤمن بذلك على كل حال ؛ لقوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا

السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:153) ونظراً لما تحتاجه الأمة اليوم من التمسك بالدين والمحافظة على الأخلاق والآداب وبعد أن نجح الغواة في كثير من البلدان الإسلامية إلى تحويل المعروف منكراً والمنكر معروفاً، مع تقننهم في إيجاد، وسائل جديدة للانحلال الخلقي - وقصدهم كله إفساد الدين، ومزاحمة المشروع بالمتدع، حتى تكون الطيبات مستغربة والخباثت تقوم مقامها، وصار عامة الناس يعدونها مشروعاً، كل هذه الأمور ترشدنا إلى التمسك بديننا الحنيف والذود عن حماه بكل ما نملك، فلزوم الكتاب والسنة، ومحاربة المنكرات من الأمور التي تجب على عامة المسلمين وعلى العلماء وطلاب العلم خاصة ؛ لأن الناس في حاجة ماسة إلى من يعينهم على ذلك ويسهل لهم السبيل إلى معرفة الحكم الشرعي في المسائل، وبخاصة رعاية المال العام وصونه وما جدَّ فيه من نوازل، في وقت انتشر فيه الفساد، والظلم كل ذلك سببه هوان الدين عند الكثيرين.

### أهمية الموضوع ودواعي اختياره:

نظراً لما يجري في عصرنا المعيش من تصرفات خاطئة وأعمال مشينة لا تليق بالمسلم ، وأخص بالذكر ما يلاحظ من تهور في التعامل مع المال العام. من ذلك رأيت أن تقدم بهذه التذكرة اللطيفة ؛ لمعالجة تلك الظاهرة الخطيرة، ودرء مفسدة الانحراف وصون المال العام وعدم العبث به. وأما الهدف من الدراسة فكان تعريف الناس بالمال العام وبخاصة القائمين على إدارة أموال الدولة، وبعض الشباب الغافلين ومن غرتهم الأمانى وحادوا عن الصواب وتذكيرهم بأحكام الشريعة في كيفية التعامل مع المال العام. وقد حُصرت الدراسة في بيان مفهوم المال، وكيفية التعامل مع أموال الدولة وعاقبة التعدي عليها .

أما عن الدراسات السابقة فحسب ما تمّ الاطلاع عليه فإن مفرداته مبنوثة في كتب الفقه والتفسير وشروح الحديث وغيرها ونظراً لما يلاحظ من تغافل الكثيرين عن معرفة أحكام التعامل مع المال العام رأيت أن أتقدم بهذه التذكرة اللطيفة ؛ لذلك حاولت بجهد المتواضع أن أنبه عن حرمة التعدي عليه، وقد حرصت عند جمع مادته على الاستشهاد بكلام الله - تعالى - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - والآثار الواردة عن السلف الصالح، مع الإيجاز وعدم الإطالة. ولعل طبيعة البحث تتطلب ربط الواقع المعاش بما قدمه علماءنا الأفاضل من اجتهادات فقهية في هذا الموضوع، وقد استخدم في هذا العمل العلمي المنهج التكاملي، ونظّم على النحو الآتي:

1 - بيان مفهوم المال العام وأصول بيت المال وعواقب خيانتة.

3 - تخريج الآيات القرآنية وذكر اسم السورة ورقم الآية المستشهد بها.

4 - تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها.

وقد قسم البحث إلى: مقدمة ومبحثين وخاتمة وفهارس، فالمبحث الأول خصّص لبيان مفهوم بيت المال والتعريف بالمال العام، أما المبحث الثاني فتم عقده لتوضيح كيفية التصرف مع أموال المسلمين العامة والحاجة إلى رعايتها والإشارة إلى عواقب خيانتها. ومن جملة المصادر والمراجع التي سيستعان بها في تطوير البحث وتكوينه: الدليل الأول والثاني من مصادر التشريع الإسلامي وكتب الفقه والتفسير وبعض الكتب الأخرى، والله المستعان.

### المبحث الأول: بيت المال وموارد محتوياته

#### المسألة الأولى: تعريفه بيت المال لغة واصطلاحاً:

الاسم مركب من كلمتين (بيت - المال) أضيفت إحداهما إلى الأخرى فصارتا تدلان على شيء واحد، وللتعريف به يمكن تناولهما منفصلتين، حتى يتضح معناه الإجمالي:

أولاً - ( بيت )، البيت عند أهل اللغة: من بات ببيت، جمع: بيوت وأبيات وبيوتات: المسكن مطلقاً للإنسان والحيوان والأشياء، وهو الغرفة المسقفة التي لها دهليز وبيت المال: هو المكان المعدّ لحفظ المال، خاصاً كان أو عاماً<sup>(1)</sup>. وإذا أطلق اليوم فإنه ينصرف إلى خزانة الدولة، ومع تطور الزمان صار يطلق على الجهة التي تملك المال العام للمسلمين، من النفود والعروض والأراضي الإسلامية وغيرها.

أما المال العام هنا: فهو كل مال تبنت عليه اليد في بلاد المسلمين، ولم يتعين مالكه بل هو لهم جميعاً، فكل مال استحققه المسلمون، ولم يتعين مالكه منهم، هو من حقوق

## حرمة المال العام

بَيَّتَ الْمَالُ، أَي أَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنِ الْجِهَةِ لَا الْمَكَانَ<sup>(2)</sup>. وَهُوَ مَا يَعْرِفُ الْيَوْمَ عَمُومًا بِأَمْلَاكِ الدَّوْلَةِ، الَّتِي تَعُودُ مَصَالِحُهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا.

### ثانيًا: تعريفه في الاصطلاح:

اسْتَعْمَلَ لَفْظُ " بَيَّتَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ بَيَّتَ مَالِ اللَّهِ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمَبْنَى وَالْمَكَانِ الَّذِي تُحْفَظُ فِيهِ الْأَمْوَالُ الْعَامَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الْمَنْفُورَاتِ<sup>(3)</sup>.  
المسألة الثانية - مواردُه: محتويات بيت المال كل ما يؤول للدولة من أموال وعقارات، وغيرها، كالزكاة، والفيء، وخمس الغنائم المنقولة، وخمس الخارج من الأرض، والمعادين، وخمس الركاز، والهدايا التي تُقدَّم إلى الفضة أو عمال الدولة مما يحمل شبهة الرشوة أو المحاباة، وكذلك الضرائب الموطَّعة على الرعيَّة لمصلحتهم، ومواريتهم من مات من المسلمين بلا وارث، والغرامات والمصادرات إلى أن تُصرف في وجوهها<sup>(4)</sup>، كذلك مبيعات البترول، والمشاريع الاستثمارية في الداخل والخارج، وما يفرض على الشركات العاملة في البلاد، وكل الواردات التي تؤول للدولة من مصادر أخرى.

### المسألة الثالثة - أصل نشأة بيت المال:

تشير بعض المصادر<sup>(5)</sup> أن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - كان أول من اتخذ بيت المال، غير أن كثيراً من المصادر تذكر أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - كان قد اتخذ بيت مال للمسلمين، يشير إلى ذلك ابن عبد البر في الاستيعاب، وابن حجر في تهذيب التهذيب: في ترجمة معيقيب بن أبي قاطمة، قال: استعمله أبو بكر وعمر على بيت المال<sup>(6)</sup>، وهذا يدلنا على أن أبا بكر كان قد سبق عمر في اتخاذ بيت المال، وإن كان شعارهم المشورة وعدم التفرد باتخاذ القرارات، فهم شركاء فيه.  
قال ابن الأثير في الكامل: إن أبا بكر كان أول والٍ فرض له رعيته نفقته وأنشأ بيت مال بالسُّنْحِ - من ضواحي المدينة - وكان يسكنه إلى أن انتقل إلى المدينة فجعله في داره، وكان ينفق ما فيه على المسلمين، وكان يسوي في قسمته بين السابقين الأولين والمتأخرين في الإسلام، وبين الحر والعبد، والذكر والأنثى، فقيل له: لتقدم أهل السبق على قدر منازلهم، فقال: إنما أسلموا لله ووجب أجرهم عليه يوفيه ذلك في الآخرة، وإنما هذه الدنيا بلاغ<sup>(7)</sup>.

### المسألة الرابعة فتنة المال:

الأنفس أمام المال نوعان نفس جادة وحكيمة لا تتزعزع، قوية لا تنتفن بزخارف المال، وأخرى غير ذلك، ضعيفة تتخدع أمام الكسب المادي، وهو موطن الفتنة، ومرتع الشيطان، وقد حذرنا الله - تعالى - من كيده فقال: «وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا

#### د. نصر عمر عطية

وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ<sup>(8)</sup> وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ<sup>(9)</sup>﴾

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: ((إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي الْمَالُ))<sup>(10)</sup>

فهذه النصوص الشرعية وغيرها تحذر كل من يتولى أمر المال، سواء عاماً، أو خاصاً مغبة سوء التصرف فيه، وتأمراً باستخدام الحكمة عند تولي هذا الأمر: ﴿وَمَا أَفْقَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ<sup>(11)</sup>﴾ وسلفنا الصالح خير من انتهج هذا السبيل، فعلينا جميعاً أن نهتدي بهديهم، عند تولي أمر المسلمين، وبخاصة في التعامل مع المال، فهذا أبو بكر - رضي الله عنه - كان ينظر إلى الفقراء والمساكين، ولا يؤثر نفسه عليهم، بل يحاسبها ويكبح جماحها حتى أنه لما شعر بدنو أجله، أوصى أن تباع أرض له، وأمر أن يُردَّ جميع ما أخذ من بيت المال لنفقته بعد وفاته<sup>(12)</sup>.

ولما انتقل إلى الرفيق الأعلى، جمع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الأمناء وفتح بيت المال؛ ليجرده، فلم يجدوا فيه غير دينار سقط من غرارة<sup>(13)</sup> فترحموا عليه؛ لأنه عادلاً في توزيع محتوياته علي مستحقها.

ثم انُخب من بعده عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خليفة للمسلمين وعند تفرغه لخدمة الرعية، طلب تحديد مرتبه، فقال للمسلمين: إني كنت امراً تاجراً يغني الله عيالي بتجارتني، وقد شغلتموني بأمركم هذا، فما ترون أنه يحل لي في هذا المال؟ كان ذلك بحضور جماعة من الصحابة منهم علي، فاجتهد القوم، ثم قال عمر - رضي الله عنه -: ما تقول يا علي؟ فقال: ما أصلحك وعيالك بالمعروف ليس لك غيره. فقال القوم: ما قال علي، فرضي بذلك ولم يزد.

هذا عمر رئيس الدولة الإسلامية الكبرى، وهذا جمهور المسلمين ومجلس الشورى من الصحابة، يقرر ما يكفي قوته وعياله لا غير، ومن ثم كان حريصاً على المحافظة على المال العام، فلا يصرفه إلا في وجوهه، ولا يتجاوز؛ لأنه يسعى للأخرة، ويخاف الله في نفسه، وفي حقوق الناس، قال له قائل عند فرض العطاء: يا أمير المؤمنين لو شركت في بيوت الأموال عدة لكون إن كان، فقال: كلمة ألقاها الشيطان على فيك، وقاني الله شرها، وهي فتنة لمن بعدي، ثم قال: فإذا كان المال ثمن دين أحدكم هلكتم<sup>(14)</sup>. ليس هذا فحسب، بل صار همه الأكبر صيانة أملاك الدولة بدقة متناهية في كل مكان، ومحاسبة كل من تسول له نفسه المساس بشيء

## حرمة المال العام

منها، حرصاً على رعاية الأمانة، حتى قيل: إن زوجته اشتهدت حلواً فقال: ليس لنا ما نشترى به. فقالت: أنا أستفضل من نفقتنا في عدة أيام ما نشترى به، قال: افعلي ففعلت ذلك، فاجتمع لها في أيام كثيرة شيء يسير، فلما عرفته ذلك ليشتري به حلواً أخذه، فرده إلى بيت المال، وقال: هذا يفضل عن قوتنا، وأسقط من نفقته بمقدار ما نقصت كل يوم، وغرمه لبيت المال من ملك كان له<sup>(15)</sup>. عملاً بقانون من أين لك هذا الذي سنه في خلافته وعمل به من بعده.

وهذا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يقفو أثره، ومن مشاهدته على ذلك عندما جاءه ابن النباح - وكان وزير ماليته - فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء، - يعني إيرادات بيت المال من الذهب والفضة - فكبر: الله أكبر، وقام متوكئاً عليه حتى وقف على بيت مال المسلمين، فقال: يا ابن النباح عليّ بأسياب الكوفة، وكانت تقسم على سبعة أجزاء، قال: فنودي في الناس فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين، وهو يقول: يا صفراء، ويا بيضاء غرّي غيري، حتى ما بقي منه دينار ولا درهم، ثم أمره بنضحه، وصلى فيه ركعتين، وفي رواية أخرى لأبي نعيم، قال: كان علي يكنس بيت المال ويصلي فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة<sup>(16)</sup>، ويقول يا دنيا غري غيري.

قام علي - رضي الله عنه - يقسم المال على الرعية، ولم يحمل معه إلى بيته منه شيئاً، كبر الله - تعالى - عندما أخبر بغزارة المال، إجلالاً لله، واحتقاراً للدنيا، فكلمها كان الله - تعالى - أعظم وأكبر من كل شيء في قلب المرء، كانت الدنيا وما فيها أهون شيء عليه. هذه مواقف سقتها للتذكرة والاعتبار، وغيرها كثير في كتب السيرة والتاريخ، يضيق المجال لذكرها، فتتبعه في مواطنه تجد فيه خيراً كثيراً. ولا بدّ أن يكون لبيت المال سجلٌ، هو ديوان بيت المال؛ لضبط ما يرد إليه وما يصدر عنه من أموال، وحصر مصاريفها حتى لا يُعبث بها، ومحاسبة كل من يحاول المساس بشيء منها دون وجه حق.

### المسألة الخامسة أصالة الدواوين (المنظومة):

الديوان في الأصل بمعنى السجل أو الدفتر، وكان في أول الإسلام عبارة عن الدفتر الذي تسجل فيه أسماء من لهم رزق في بيت المال، وأول من وضع الديوان في الإسلام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وكان سبب وضعه ما روي أن عمر استشار الناس في تدوين الدواوين فقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: تقسيم كل سنة ما اجتمع إليك من المال ولا تمسك منه شيئاً. وقال عثمان بن عفان - رضي

#### د. نصر عمر عطية

الله عنه - أرى مالا كثيرا يسع الناس، فإن لم يُحصوا حتى يُعرفَ من أخذ، ممن لم يأخذ، خَشِيتُ أن ينتشرَ

الأمر، فقال خالد بن الوليد: قد كنت بالشام، فرأيت ملوكها دونوا ديواناً، وجندوا جنوداً، فدوّن ديواناً وجند جنوداً، وكان ذلك في سنة خمس عشرة للهجرة، فانتخب لجنة من خبراء الصحابة، وفرض للمسلمين الفروض، وأعطى العطايا على السابقة<sup>(17)</sup>، وقال عمر قبل موته: لقد هممت أن أجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف: ألفاً يجعلها الرجل في أهله، وألفاً يزودها معه، وألفاً يتجهز بها، وألفاً يترفق بها، فمات قبل أن يفعل<sup>(18)</sup>، كل ذلك كان عملاً بما نص عليه قانون الشريعة، فقد روي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (( أَيُّمَا عَامِلٍ ازْدَادَ فِي عَمَلِهِ فَوْقَ رِزْقِهِ الَّذِي فُرِضَ لَهُ فَهُوَ غُلُولٌ ))<sup>(19)</sup> وروى عبد الله بن بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ (( مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ عَلَى عَمَلٍ، فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا، فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ ))<sup>(20)</sup>.

هذا ديدن عمر - رضي الله عنه - في إدارة بيت مال المسلمين، ورعايته لأمالك الدولة وغيرها كثير، فهل من مهتدي إلى هذا السبيل ؟

أما فيما بعد عهد عمر - رضي الله عنه - فقد استمرَّ بيتُ المال يؤدي دوره طيلة العهود الإسلامية إلى أن جاءت النظم المعاصرة، فاقتصر دوره في الوقت الحاضر - في بعض البلاد الإسلامية - على حفظ الأموال الضائعة، ومال من لا وارث له وقام بدوره في غير ذلك وزارات المالية والخزانة<sup>(21)</sup>

تذكرة لطيفة: حُكي لي قصة عجيبة مفادها، أن شخصاً في مؤسسة حكومية، اختلس مبلغاً من المال يقدر بستين ألف دينار، وعلى إثر ذلك، مرض له أحد أبنائه، فخرج به إلى إحدى الدول الأوروبية، وما إن صرف عليه آخر درهم مما اختلس إلا وانتقل الطفل إلى رحمة الله، ورجع به في صندوق، فهل من مذكر ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾<sup>(22)</sup>.

وقال - صلى الله عليه وسلم - وهو المعلم لأصحابه: " أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ " قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: " إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنَيْتَ حَسَنَاتَهُ قَبْلَ أَنْ يُفْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ " <sup>(23)</sup>.

فحذار من الاختلاس، وطاعة النفس الأمارة بالسوء، ولعل شيطاني الإنس والجن أو أحدهما يساعد من يتولى إدارة المال في صنع المبررات الواهية، للتصرف في

المال دون وجه حق، حتى يوقعه في الحرج، ثم يتخلى عنه، ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(24)</sup>  
المسألة الخامسة: آراء العلماء في ادخار الدولة للمال العام :

حتى يكون بيت المال منتظماً، يجب أن تُصرفُ الأموال المدخرة فيه في وجوهها، التي فرضها الشرع الإسلامي والقانون، أما ما فاض عن مصارف بيت المال، ففي جواز ادخار الدولة لذلك اتجاهاً:

الأول: لا يجوز للدولة ادخار شيء من الأموال بل عَلَيْهَا تَقْرِيفُهَا عَلَى مَنْ يَعْمُ بِهِ صَلاَحُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُدَّخِرُهَا<sup>(25)</sup>، والسند في ذلك فعل الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم أجمعين، كما مرّ، وأستعرض - زيادة للاستدلال - موقفاً لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حيث قال لعبد الله بن الأرقم: أقسم بيت مال المسلمين في كل شهر مرة، أقسم مال المسلمين في كل جمعة مرة، ثم قال: أقسم بيت المال في كل يوم مرة، قال: فقال رجل من القوم يا أمير المؤمنين لو أبقيت في مال المسلمين بقية تعدها لنانبة أو صوت - يعني خارجة - قال: فقال عمر - رضي الله عنه - للرجل الذي كلمه: جرى الشيطان على لسانك، لقنني الله حاجتها، ووقاني شرها، أعد لها ما أعد لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طاعة لله عز وجل ورسوله - صلى الله عليه وسلم -<sup>(26)</sup>.

وعن علي - رضي الله عنه - أنه أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات، ثم أتاه مال من أصبهان، فقال: اغدوا إلى عطاء رابع، إني لست بخازنكم، فقسم الحبال فأخذها قوم وردها قوم<sup>(27)</sup>.

الاتجاه الثاني: أن على الدولة ادخار الفائض لنوائب الزمن لما تقتضيه المصلحة من سرعة التصرف لرفع النوائب عنهم<sup>(28)</sup>.  
والصواب: أن السياسة الشرعية لها أن تأخذ بأحد الاتجاهين، وتتصرف بحسب الموارد من حيث الاستمرارية والانقطاع.

وإذا عملت الدولة بما جاء في الاتجاه الثاني، فهل يجب فيما ادخر زكاة؟  
الجواب: لم يتعرض الكثيرون من الفقهاء إلى هذه المسألة، رغم أنها جديرة بالدراسة، في صورها المتعددة، كأرصدة الجمعيات الخيرية، وغيرها من الأموال التي لم يخصص تملكاً لأحد بعينه، ويمكن في هذا الموضوع نقل قول الحنابلة: «وَلَا تُجِبُ زَكَاةً فِي مَالٍ فَيءٍ، وَلَا فِي خُمْسٍ غَنِيمَةٍ؛ لِإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى الصَّرْفِ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(29)</sup> فظاهر القول يفهم منه أنه لا زكاة في الأموال العامة، والتي رصدت للمشاركة الخيرية التي لم تخصص لأحد أو مجموعة معينة أو جهة ما.

#### د. نصر عمر عطية

كما أن مجمع الفقه الإسلامي أصدر قراراً يقضي بأنه: (( إذا كانت هذه المبالغ لدى المؤسسات العامة الحكومية فإنها لا تزكى ؛ لأنها من المال العام ))<sup>(30)</sup>.

المبحث الثاني: صون المال العام وعواقب استباحته:

المسألة الأولى: خصائص من يتولى إدارة مال المسلمين

على كل من يتولى شؤون المسلمين عامة أن يتحلى بالمزايا الآتية:

1 - التمتع بالسيرة الحسنة والخلق الطيب.

2 - أن يستمد عمله من شرع الله.

3 - الخبرة في هذا المجال والحذق وحسن التصرف.

3 - رعاية الأمانة .

4 - الإخلاص لله في العمل دون مئة ولا رياء.

5 - كثرة ذكر الموت وتذكر الحساب والعقاب والوقوف أمام الواحد الديان.

6 - القناعة بالقليل وهي ميزة لا يعطيها الله إلا للتقي.

7 - محاسبة النفس والاستعداد ليوم الرحيل عن الدنيا وهو زاد المؤمن، قال تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ

الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾<sup>(31)</sup>

هذه سمات سلفنا الصالح، وبهذه الخصائص حازت الأمة في عصرهم درجة

عالية من التطور، فأبوبكر الصديق - رضي الله عنه - عندما شعر بدنو أجله صار

يحاسب نفسه، فقال لابنته يوماً: إني قد كنت نحلّتك حائط كذا، وفي نفسي منه شيء

فرديه على الميراث، فردته، وقال لها: أما إنّنا منذ ولّينا أمر المسلمين، لم نأكل لهم

ديناراً ولا درهماً، ولكننا قد أكلنا من جريش طعامهم، ولبسنا من خشن ثيابهم، وليس

عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا: هذا العبد، وهذا البعير، وهذه القطيفة<sup>(32)</sup>

فإذا متُّ فابعثي بالجميع إلى عمر، فلما مات بعثته إلى عمر، فلما رآه بكى حتى

سالت دموعه إلى الأرض، وجعل يقول: رحم الله أبا بكر! لقد أتعب من بعده، ويكرر

ذلك، وأمر برفعه، فقال عبد الرحمن ابن عوف: سبحان الله! تسلب عيال أبي بكر

عبداً، وناضحاً، وسحق قطيفة ثمنها خمسة دراهم، فلو أمرت بردها إليهم، فقال: لا

والذي بعث محمداً، - صلى الله عليه وسلم - بالحق لا يكون هذا في ولايتي، ولا

خرج أبو بكر منه وأتقلده أنا<sup>(33)</sup>.

المسألة الثانية: صور استباحة المال العام:

من صور العبث بالمال العام، التي يغفل عنها الكثير، وربما يرونها من المباحات وهي التصرفات الخاطئة التي لا تخضع لشرع، ولا قانون نسوق بعضاً منها مع الإشارة إلى بعض أحكامها للتذكير:

1 - الاختلاس وهو السلب في نهزة ومخالطة أي: خطف الشيء جهاراً " بحضرة صاحبه في غفلة منه والهرب به<sup>(34)</sup> وهو من المحرمات التي لا تغتفر إلا برد الحقوق إلى أصحابها، فعلى كل من فعل هذه المعصية الإسراع بالتوبة، وطلب المغفرة، قبل مباغطة الموت له، حينها لا ينفع الندم ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾<sup>(35)</sup>.

2 - استغلال المال العام في الأغراض الشخصية، كاستخدام وسائل النقل الحكومي في قضاء الحوائج الخاصة، ووسائل الاتصالات، تحت مظلة المنصب والمسؤول وهي أفعال أراها خاطئة لا مبرر لها، لأن هذه المقتنيات ملك للجميع، لا يجوز الانفراد باستعمالها في الأغراض الشخصية، وهو تعدٍ على المال العام، ظلم محرم لذلك يجب على من يستلم وسيلة نقل أن يحافظ عليها، وأن يستعمل الله الخاصة في قضاء حوائجه، مع العلم بأنه سيسأل عن هذا كله دقيقه وكثيره، برهان ذلك قوله تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾<sup>(36)</sup>.

هذه الآية المحكّمة توجهنا إلى العمل الصالح، والسعي إلى الآخرة، وترك زخارف الدنيا، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾<sup>(37)</sup> وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ قُنُوسٍ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾<sup>(38)</sup>.

3 - الاستيلاء على أملاك الدولة بكل صور التعدي، كالأراضي المملوكة للدولة والعقارات، فهي من الأموال العامة، التي لا يجوز حتى الانتفاع منها بشيء دون إذن الإمام، المتمثل في من يقومون على إدارتها، كما أنه لا يجوز المشاركة في الانتفاع بالأموال المنهوبة من خزينة الشعب، وحتى الخاصة المغتصبة من أصحابها فهي ظلم محرم بالنصوص الشرعية، فعن أبي ذرٍّ عن النبيّ - صلى الله عليه وسلم - فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (( يا عبادي إني حرمتُ الظلمَ على نفسي وجعلتهُ بينكم محرماً فلا تظالموا))<sup>(39)</sup>. وقد اتفق العلماء على حرمة مال المسلم والذمي، وغصبه والاستيلاء عليه، ولا أكله بأي شكل كان، ولو كان قليلاً.

ومن صور الاعتداء أيضاً على المال العام تقاضي منح ومرتببات غير مشروعة ووظائف في أكثر من موقع، في الوقت الذي يوجد من يبحث على وظيفة، فلم

#### د. نصر عمر عطية

يتحصل عليها ؛ بسبب هذا العمل الباطل، ولعل البعض يؤدي فريضة الحج بالأموال العامة دون وجه حق، كل ذلك أكلٌ لمال الغير بالباطل، كما أن تهريب الأموال العامة بكل صورها، عمل غير مشروع، وهو ربياً محرماً، قد يستمتع به آكله في الدنيا، ويكون عليه وزراً عقوبته سيئة في الآخرة. قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ النَّهْيَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَآتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (40)

4 - صرف الأموال خارج البلد، في الأشياء التافهة المنافية لشريعتنا، أو حتى في العلاج من الأمراض التي يمكن علاجها في الداخل، أو تكون مبنية على تقارير فاسدة، وربما لا يكون مريضاً، ولا جريحاً، إلا أن له علاقات مع الجهات المكلفة بذلك، وأحياناً يكتمل علاجه، ويبقى يصرف المال العام دون سبب.

إن هذه الأعمال، كسب غير مشروع ، مطلع عليه من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَذَا مَا أَقْرَأُ وَكِتَابِيَّةٌ﴾ (41)، ومن صور التجني على الحقوق أيضاً تقديم الأقارب والأصدقاء في قضاء الحوائج على حساب الآخرين، فإن هذا النوع من العمل تعدٍ على حقوق الآخرين، ولا ينتفع صاحبه به، وفي الوقت نفسه لا ينفعه من قدم له العمل يوم القيامة، بل يكون شاهداً عليه لا له (42).

5 - ومن صور التعدي على المال العام أيضاً ظاهرة تهريب الوقود خارج البلد وبيعها في السوق السوداء، وهو كسب غير مشروع، محرّم، صاحبه فاسق، مجاهر لله بالمعاصي ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (43)

6 - ومن أوجه التعدي كذلك إضاعة المال الخاص فيما يضر الآخرين، كاستعمال المفرعات بشكل مفرط ينتج عنه:

أ - دعم اقتصاد بلد كافر مجوس، وتدمير للاقتصاد الوطني، وهو من الجرائم الاقتصادية التي يعاقب عليها شرعاً وقانوناً.

ب - تلوث البيئة مما يتسبب في انتشار الأمراض البشرية، والآفات الزراعية، التي لا تميز بين فاعليه وغيرهم.

ج - إزعاج الناس، وبخاصة الشيخ الهرم، والمريض، والطفل الصغير، والأدهى من ذلك استعمالها في أوقات متأخرة من الليل، وبالقرب من المساكن.

د - إلحاق الضرر بمستعمليه أو بمن حولهم - في غالب الأحيان -، فكم من حالة فقدت بصرها أو إحدى حواسها بسببها.

كل ذلك يدل على غياب العقل، والوازع الديني، والجهل بالحكم الشرعي، وهي أعمال خاسرة، قد يظن أصحابها أنها نافعة: «خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا»<sup>(44)</sup>.

#### المسألة الثالثة: عواقب خيانة المال العام:

أولاً - العقوبات الدنيوية: تشير كثير من المشاهد إلى أنه إذا انحرف الإنسان عن الجادة، وامتدت يده إلى مال غيره بالسرقة، أو الاختلاس، أو التعدي على المال العام، فإن الحق سبحانه يفتح عليه أبواباً للإنفاق، تبتلع ما جمع من الحرام، وربما أخذت في طريقها الحلال أيضاً، قال تعالى: «وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا»<sup>(45)</sup>، وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قال: (( من جمع مالا من حرام، ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر، وكان إصره عليه ))<sup>(46)</sup>.

ثانياً - العقوبة الأخروية: يقول تبارك وتعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا»<sup>(47)</sup>.

اختص الحكم الشرعي في هذه الآية بكل آكلٍ لحقٍّ غيره، وعبر بالأكل؛ لما كان المقصود الصرف في المأكل فيؤكل، وهو أكثر الإلتلاف للأشياء، ولذلك حذر الله - تعالى - في الآية الكريمة من التعدي على أي نوع من حقوق الآخرين، وفي مقدمتها المال العام، ويصف كل من يتعدي على الأملاك العامة، أو الخاصة، بأنه ظالم لنفسه ولغيره، أكلاً للربا، مصيره في الحياة البرزخية صعب للغاية، برهان ذلك ما حدث به الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - عن ليلة أسري به، قال: رأيت أقواماً لهم مشافر كمشافر الإبل، وقد وُكِّلَ بهم من يأخذ بمشافرهم، ثم يجعل في أفواههم صخرًا من نار، تخرج من أسافلهم، قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً<sup>(48)</sup>.

هذه صورة من صور العذاب البرزخي لكل من يتعدى على المال العام، دون وجه حق: «ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ يَدَاكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ»<sup>(49)</sup>، وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه: عنه عبدُ الله ابن عمرو، قال: كَانَ عَلَى ثَقَلِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ كِرْكِرَةٌ، فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: (( هُوَ فِي النَّارِ فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا ))<sup>(50)</sup>. وحدث عمرُ بنُ الخطاب، قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفْرًا مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالُوا: فَلَانٌ شَهِيدٌ، فَلَانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ، فَقَالُوا: فَلَانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: (( كَلَّا إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ

غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةً))<sup>(51)</sup>. قَالَ فَفَزَعَ النَّاسُ. فَجَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكِ أَوْ شِرَاكَيْنِ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَبْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (( شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ ))<sup>(52)</sup>.

وخلاصة الحال، ينبغي على كل مسلم، وقع في هذه المعصية أن يستدرك الأمر قبل فوات الأوان، وأن يرجع ما أصابه من حقوق إلى أماكنها، وأن يتذكر قول رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لكعب بن عجرة: (( يَا كَعْبُ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ، يَا كَعْبُ، إِنَّهُ لَا يَرَبُّو لَحْمٌ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ ))<sup>(53)</sup>

#### المسألة الرابعة: درجة قبول العمل من الكسب الحرام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (( قَالَ لِيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ ))<sup>(54)</sup>، ومن يفعل ذلك فقد جحد نعمة العقل التي امتن الله بها على عباده دون سواهم، وقد أمر باستخدامها في كل مناحي الحياة، حتى يميز بين الخبيث والطيب، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾<sup>(55)</sup> فظاهر النص يبين أن الله تعالى - لا يقبل الله إلا صالح الأعمال ولا يقبل الفاسد منها كما روي عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: (( لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بغيرِ طَهْوَرٍ وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ ))<sup>(56)</sup>.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ((: إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، قَالَ جَلَّتْ حِكْمَتُهُ: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾<sup>(57)</sup>.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(58)</sup> ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبَّ يَا رَبَّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَقَدْ غَدَى بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ ))<sup>(59)</sup>. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (( مَنْ جَمَعَ مَالًا حَرَامًا ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ، وَكَانَ إِصْرُهُ عَلَيْهِ ))<sup>(60)</sup>.

وعن ابن مسعود قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (( لَا يُعْجِبُكَ أَمْرٌ كَسَبَ مَالًا مِنْ حَرَامٍ، فَإِنَّهُ إِنْ أَنْفَقَهُ أَوْ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ، وَإِنْ تَرَكَهُ لَمْ يُبَارَكْ فِيهِ، وَإِنْ بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ ))<sup>(61)</sup>

وبعد عرض تلك الأدلة التشريعية الدقيقة من الكتاب والسنة على عواقب الكسب الحرام. يمكن لمن له عقل يفكر به في لقاء الله أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب، فلا

## حرمة المال العام

خير فيمن لا يتعظ بها ولا يعظ. وعلى من مد يده إلى المال العام، سواء كان عن جهل أم على عمد، فإن الله يقبل توبة التائب، وعليه أن يتوب من قريب، قبل حشجة الموت، هنالك لا تنفع التوبة، برهان ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا \* وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾<sup>(62)</sup>، وفي نهاية هذا العمل أذكر بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((كل بني آدم خطاء و خير الخطائين التوابون ))<sup>(63)</sup> حديث صحيح ختاماً يمكن استخلاص جملة من النتائج ملخصها:

- 1 - الجهل بالأحكام الشرعية يُنتجُ التخلف، ويتضاعف معه انتشار الجريمة.
- 2 - المال العام ملك للجميع لا يجوز التصرف فيه بشكل فردي.
- 3 - صون المال العام واجب مقدس، والعبث به جريمة كبرى. ومحاسبة العابثين أمر مشروع.
- 4 - التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

د. نصر عمر عطية

### الهوامش:

- 1 - محمد قلعجي، معجم لغة الفقهاء، (بيت) 112/1
- 2 - أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، فصل في وضع الديوان وذكر أحكامه 251/1، ط2 1421هـ دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان
- والموردي (ت450هـ)، الأحكام السلطانية، ما يختص ببيت المال من دخل 429/1.
- 3 - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، بيت المال، 242/8، ط2، دارالسلاسل - الكويت
- 4 - المصدر نفسه 40/21
- 5 - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ذكر بعض أخبار عمر ومناقبه والطبري(ت310هـ) تاريخ الأمم والملوك، ط1- 1407هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- والسيوطي، تاريخ الخلفاء، مطبعة السعادة مصر. وشمس الدين أسفاريني الحنبلي (ت1188هـ). لوامع الأنوار البهية. ط2- 1402هـ مؤسسة الخافقين - دمشق
- 6 - ابن عبد البر، الاستيعاب 1478/4، ط1- دار الجيل بيروت، وابن حجر، تهذيب التهذيب 227/10 بقية حرف الميم، ومن هذه المصادر: المعرفة والتاريخ لأبي يوسف الفسوي (ت347هـ)، وتاريخ الأمم والملوك للطبري(ت310هـ)، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ولوامع الانوار البهية لشمس الدين أسفاريني الحنبلي (ت1188هـ).
- 7 - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ذكر أخبار مناقب أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - 396/1.
- 8 - الأعراف: 27
- 9 - الأنفال: 28 ح
- 10 - أخرجه الترمذي في سننه، باب فتنة هذه الأمة في المال 569/4 رقم 2336 حديث صحيح.
- 11 - البقرة: 269
- 12 - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ذكر أخبار مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه 396/1.
- 13 - الغرارة: وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه وهو أكبر من الجوالق ( ج ) غرائر، المعجم الوسيط، باب الغين 648/2

- 14 - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، عمر بن الخطاب، فرض العطاء وعمل الديوان 428/1
- 15 - المصدر السابق، ذكر استخلاف عمر بن الخطاب 397/1
- 16 - محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، الباب العاشر، فضائل أمير المؤمنين علي 288/11، وشرح نهج البلاغة، مناقب علي - رضي الله عنه - 199/2
- 17 - أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، فصول في الإمامة 237/1 وابن الأثير، الكامل في التاريخ، عمر بن الخطاب، ذكر فرض العطاء وعمل الديوان، 428/1
- 18 - المصدر نفسه.
- 19 - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب مَا يَكُونُ لِلْوَالِي الْأَعْظَمِ وَوَالِي الْإِقْلِيمِ مِنْ مَالِ اللَّهِ وَمَا جَاءَ فِي رِزْقِ الْفُضَاةِ وَأَجْرِ سَائِرِ الْوُلَاةِ 355/6 رقم 13401، والطبراني (ت 260) في مسند الشاميين 249/2 رقم 1281
- 20 - رواه أبوداود في سننه، باب في أرزاق العمال 94/3 رقم 2945 /وابن خزيمة في صحيحه، باب فرض الإمام للعامل رزقاً من الصدقة 70/4 رقم 2369 إسناده صحيح. / والغلول: تقول غُلُّ يَغُلُّ بِالضَّمِّ مِنَ الْمَعْتَمِّ غُلُولًا، أي خان. وَأَعْلَّ مثله، وفي الحديث: " لا إِغْلَالَ ولا إِسْلَالَ "، أي لا خيانة ولا سرقة، ويقال: ولا رشوة. / الصحاح في اللغة مادة (غلي) 24/2
- 21 - علي بن نايف الشحود، المفصل في شرح الشروط العمرية، بيت المال، 202/1
- 22 - الزلزلة 7 - 8
- 23 - رواه مسلم في صحيحه، باب تحريم الظلم، 18/8 رقم 6744
- 24 - الحشر 16
- 25 - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية 347/2
- 26 - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب الأخيار في التعجيل بقسمة مال الفيء 357/6 رقم 12811
- 27 - البرهان فوري (ت975ه) كنز العمال، باب الأرزاق والعطايا 584/4 رقم 11703 ط5-1401ه مؤسسة الرسالة
- 28 - أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، فصل في وضع الديوان وأحكامه 253/1

د. نصر عمر عطية

- والرملي (ت1004هـ) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، كتاب قسم الفيء والغنيمة  
32/20، والبكري الدمياطي، حاشية إعانة الطالبين، قسم الصدقات والفيء  
228/2، والموسوعة الفقهية الكويتية، ادخار الدولة الأموال لغير الضروريات  
347/2
- 29 - الشبكة الإسلامية، فتاوى معدلة من مركز الفتوى بموقع الشبكة الإسلامية.  
المضاربة في المال العام، 5737/8 رقم الفتوى 56901 تاريخ 3 ذو القعدة  
1425هـ، إشراف: د. عبدالله الفقيه، وهي فتاوى شرعية مؤصلة تصل إلى قرابة  
56.547 فتوى مستخلصة إلى آخر جمادى الأولى تقريباً لعام 1427هـ، وكل فتوى  
يسبقها عنوانها ورقمها وتبويبها وتاريخها
- 30 - مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، قرارات وتوصيات،  
قرار رقم: 143 (16/1) 30 صفر - 5 ربيع الأول 1426هـ، الموافق 9 - 14  
إبريل 112005م.
- 31 - البقرة 197
- 32 - القطيفة: بفتح فكسر جمع قطف وقطائف، كساء ونحوه له أهداب، والناضح  
البعير الذي يحمل الماء، ثم استعمل في كل بعير وإن لم يحمل الماء / معجم لغة  
الفهاء حرف القاف 353/1 / والمصباح المنير مادة (نضح) 335/9.
- 33 - ابن الأثير، الكامل في التاريخ 397/1
- 34 - محمد قلنجي، معجم لغة الفقهاء، الاختلاس 49/1
- 35 - الفرقان 27
- 36 - الزلزلة: 7 - 8
- 37 - الإسراء 19
- 38 - طه 112
- 39 - أخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم الظلم، 16/8 رقم 6738
- 40 - البقرة 188
- 41 - الحاقة: 18
- 42 - الممتحنة
- 43 - البقرة 81
- 44 - الكهف 103
- 45 - الفرقان 23

- 46 - أخرجه زين الدين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، كتاب الحلال والحرام،  
96/2 رقم 11،  
47 - النساء 10  
48 - البيهقي، دلائل النبوة، باب: النبي عرج به إلى السماء 392/2  
49 - الحج 11  
50 - أخرجه البخاري في صحيحه، باب القليل من الغلول 91/4 رقم 3074 دار  
الشعب القاهرة  
51 - أخرجه مسلم في صحيحه باب غلظ تحريم الغلول 75/1 رقم 323  
52 - المرجع نفسه رقم 325  
53 - أخرجه الطبراني في المعجم الكبير 456/13 رقم 15563.  
54 - أخرجه البخاري، في صحيحه، باب السهولة والسماحة في  
الشراء 733/2 رقم 1977  
55 - فاطر 10  
56 - أخرجه مسلم في صحيحه، باب وجوب الطهار للصلاة 140/1 رقم 557  
57 - المؤمنون 51  
57 - البقرة 172  
58 - أخرجه مسلم في صحيحه، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب 85/3 رقم  
2393 والبيهقي في سننه، باب الخروج من المظالم 346/3 رقم 6621-  
59 - أخرجه مسلم في صحيحه، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب 85/3 رقم  
2393  
60 - أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب: ذكر البيان بأن المال إذا لم يكن بطيب  
أخذ من حله لم يؤجر المتصدق به عليه 153/8 رقم 3367 حديث حسن  
61 - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب قبض اليد عن الأموال المحرمة  
367/7 رقم 5137  
62. النساء 17 - 18  
63 - أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، كتاب التوبة والإنابة  
272/4 رقم 7617

## القيمة التاريخية لكتب الحديث الستة

د: عبد الباسط إسماعيل يربوع  
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية  
كلية التربية بالزاوية - جامعة الزاوية

### المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وقائد الغر المحجلين، وعلى آله وصحبه حملة لواء الشرع المبين، وعلى من تبعهم بإحسان من علماء الدين، الذين ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

أما بعد: فللكتب الستة المعروفة المقام الأسنى، والمنزلة العليا بين كتب الحديث، وأصبحت هذه الكتب على تفاوت مراتبها في الصحة من أصول الإسلام الحديثية، تلقنتها الأمة بالإجلال والاحترام شرقاً وغرباً، قديماً وحديثاً وتأتي هذه الدراسة ضمن الدراسات العديدة التي كُتبت حول هذه الكتب وأهميتها، وتتركز إشكالية هذه الدراسة في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

\_ متى تم اعتماد هذه الكتب؟

\_ لماذا كانت هي أمهات كتب الحديث دون غيرها؟ مع أنه قد وجد - باستثناء الصحيحين - ما هو مثلها في الرتبة؟ بل ما هو أصح منها؟!، هذا ما حاولت الإجابة عنه في هذه الورقات.

وقد انتظم عقد هذا البحث في ثلاثة محاور، وخاتمة.

**المحور الأول:** تحدثت فيه عن اعتماد الكتب الستة من الناحية التاريخية.

**المحور الثاني:** تحدثت فيه عن سبب اختيار هذه الكتب دون غيرها من السنن والمسانيد.

**المحور الثالث:** وجهه عد ابن ماجه من الأصول دون موطأ الإمام مالك.

ثم الخاتمة وقد ذكرت فيها أهم النتائج.

### المحور الأول: اعتماد الكتب الستة من الناحية التاريخية.

لقد اعتنى العلماء رحمهم الله بذكر أصح كتب الحديث وذلك لأن كتب الحديث قد كثرت فاقتصر العلماء على ما صح منها، واشتملت على العمل وأطلقوا عليها الأصول أو قواعد الإسلام -والأصل ما جمع بين الصحة والاستفاضة والقبول -وذلك مع عدم إنكار فضل الدواوين الحديثية التي دونها العلماء الآخرون ممن جاءوا قبلهم أو بعدهم.

- قال الحافظ أبو الفضل ابن طاهر المقدسي: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأندلسي قال سمعت أبا محمد علي بن أحمد بن سعيد الحافظ الفقيه وقد جرى ذكر الصحيحين، فعظم منهما ورفع من شأنهما، وذكر أن سعيد بن السكن المتوفى سنة (353هـ) اجتمع إليه يوماً قوم من أصحاب الحديث، فقالوا له: إن الكتب في الحديث قد كثرت علينا، فلو دلنا الشيخ على شيء نقنصر عليه منها، فسكت ودخل إلى بيته فأخرج أربع رزم، ووضع بعضها على بعض، وقال هذه قواعد الإسلام: كتاب مسلم، وكتاب البخاري، وكتاب أبي داود، وكتاب النسائي.<sup>1</sup>

قلت: قول ابن السكن يدل على أن الاعتماد على كتاب مسلم والبخاري وأبي داود والنسائي كان في عصرهم، ولم يُدخِل ابن السكن صحيحه معهم فدل على أن صحيحه أنزل من السنن.

- وقال أبو عبد الله بن منده المتوفى سنة (395هـ): الذين أخرجوا الصحيح وميزوا الثابت من المعلول والخطأ من الصواب أربعة: البخاري، ومسلم وأبوداود، وأبو عبد الرحمن النسوي.<sup>2</sup>

وقال ابن حزم المتوفى سنة (456هـ): أولى الكتب بالتعظيم صحيح البخاري ومسلم، وصحيح ابن السكن، ومنتقى ابن الجارود، والمنتقى لقاسم بن الأصبغ، ثم بعدها كتاب أبي داود وكتاب النسائي، ومصنف أبي جعفر الطحاوي، قلت: - أي الذهبي - ما ذكر سنن ابن ماجه ولا جامع أبي عيسى فإنه ما رأيهم اولا أدخل الأندلس إلا بعد موته.

ثم ذكر المسانيد قال: (ومسند البزار) و(مسند أبي شيبة) و(مسند أحمد) و(مسند إسحاق)، و(مسند الطيالسي)، و(مسند الحسن بن سفيان، و(مسند ابن سنجر) و(مسند عبد الله بن محمد) المسندي، و(مسند يعقوب بن شيبة) و(مسند علي بن المديني)، و(مسند ابن أبي غرزة) وما جرى مجرى الكتب التي أفردت لكلام رسول الله صرفاً، ثم الكتب التي فيها كلامه وكلام غيره مثل مصنف عبد الرزاق ومصنف أبي ابن أبي شيبة، ومصنف بقي بن مخلد وكتاب محمد بن نصر المروزي، وكتاب ابن المنذر الأكبر والأصغر، ثم (مصنف حماد بن سلمة)، و(موطأ مالك بن أنس)، و(موطأ ابن أبي ذئب)، و(موطأ ابن وهب) و(مصنف وكيع)، و(مصنف محمد بن يوسف الفريابي)، و(مصنف سعيد بن منصور)، و(مسائل أحمد بن حنبل)، وفقه أبي عبيد، وفقه أبي ثور.

قلت - أي الذهبي - ما أنصف ابن جزم بل رتبة الموطأ أن يذكر تلو الصحيحين مع سنن أبي داود النسائي، ولكنه تأدب وقدم المسندات النبوية الصرفة، وإن للموطأ لوقعاً في النفوس ومهابة في القلوب لا يوازيها شيء.<sup>3</sup> وقال الخطيب البغدادي المتوفى سنة (463هـ): في ترتيب الكتب (ومما يتلو الصحيحين سنن أبي داود السجستاني، وأبي عبد الرحمن النسوي، وأبي عيسى الترمذي، وكتاب محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، الذي شرط فيه على نفسه إخراج ما اتصل سنده بنقل العدل عن العدل عن النبي صلى الله ثم كتب المسانيد الكبار مثل مسند أبي عبد الله أحمد بن حنبل، وأبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه....)<sup>4</sup> فالملاحظ أن كتب المتقدمين \_ أعني القرن الخامس الهجري وما قبله \_ عدم ذكرهم للفظه الكتب الستة وإنما جعلوا الأصول أربعة أو خمسة من غير إضافة ابن ماجه ولا الموطأ إليها.

وحكى ابن عساكر المتوفى سنة (571) إن أول من أضاف ابن ماجه إلى الأصول أبو الفضول ابن طاهر المقدسي المتوفى سنة (507هـ) فقد عمل أطرافه معها وصنف جزءاً آخر في شروط الأئمة الستة فعده معهم، وتبعه

على ذلك الحافظ عبد الغني المقدسي المتوفى سنة (600هـ) في كتاب الكمال في أسماء الرجال الذي هذبه الحافظ أبو الحجاج المزي المتوفى سنة (742هـ) فذكره منهم.<sup>5</sup>

قلت: ولم يتبع الحازمي المتوفى سنة (584هـ) أبا الفضل بن طاهر في عده ابن ماجه بل جعل الكتب خمسة.

- قال ابن حجر: وبعض أهل العلم لا يعد السادس إلا الموطأ كما صنع رزين بن معاوية السرقسطي المتوفى سنة (535هـ) في تجريد الصحاح وتبعه المجد ابن الأثير المتوفى سنة (606هـ) في كتاب جامع الأصول.<sup>6</sup>

وهناك من يضيف الدارمي بدل ابن ماجه والموطأ كالحافظ مغلطاي المتوفى سنة (762هـ) والحافظ العلاءي المتوفى سنة (761هـ).

- قال العلاءي: ينبغي أن يعد كتاب الدارمي سادسا للكتب الخمسة بدل كتاب ابن ماجه فإنه قليل الرجال الضعفاء نادر الأحاديث المنكرة والشاذة وإن كانت فيه أحاديث مرسلة وموقوفة فهو مع ذلك أولى من كتاب ابن ماجه.<sup>7</sup>

- وقال أبو جعفر بن الزبير الغرناطي المتوفى سنة (708هـ) أولى ما أرشد إليه ما اتفق المسلمون على اعتماده، وذلك الكتب الخمسة، والموطأ الذي تقدمها وضعوا لم يتأخر عنها رتبة.<sup>8</sup>

- وقال ابن حجر: سنن الدارمي ليس دون السنن في الرتبة بل لو ضم إلى الخمسة لكان أمثل من ابن ماجه، فإنه أمثل منه بكثير.<sup>9</sup>

- وقد جعل ابن الصلاح كتب الحديث خمسة دون ذكر سنن ابن ماجه<sup>10</sup> قال السيوطي في التدريب: لم يدخل المصنف - أي النووي - ابن ماجه في الأصول، وقد اشتهر في عصر المؤلف بعده، وجعلوا الأصول ستة بإدخاله

فيه.<sup>11</sup>

فالملاحظ أن هناك من العلماء في عصر أبي الفضل ابن طاهر\_ وهو من علماء القرن السادس الهجري\_ من لم يُدخل ابن ماجه، كالحازمي، فاكتفى بالكتب الخمسة، وهناك من عد الموطأ كما صنع رزين بن معاوية السرقسطي، وكذا في القرون التي بعده هناك من عد الموطأ، وهناك من عد الدارمي بدل ابن ماجه!.

وهناك من اكتفى بالكتب الخمسة كابن الصلاح، والنووي، ولكن غالب المتأخرين على أن سنن ابن ماجه سادس الكتب الستة، قاله الشيخ أبو الحسن السندي.<sup>12</sup>

فالبحث - بعد خمسة قرون تقريبا - في السنة النبوية أسفر عن تمحيص كتب لها جلالتها في النفوس، ووقعها في الواقع، وطمأنينة الناس إليها، وهذه هي الكتب الستة فما يوجد فيها يعتبر شيئا موثوقا عند الناس ولذلك كان غالب مختصرات أحاديث الأحكام تستقى منها.<sup>13</sup>

**المحور الثاني: اختيار الكتب الستة دون غيرها من السنن والمسانيد.**

أما بالنسبة لكتابي البخاري ومسلم فلا خلاف أن سبب الاختيار هو راجع للشروط التي وضعها الشيخان -وليس هذا مكان التفصيل في ذلك - وقد أطلق العلماء على كتابيهما اسم الصحيح ينوافقوا على العمل بما جاء فيهما وما عداهما فإطلاق الصحة عليه، فيه نظر.

فمنهم من أطلق على سنن النسائي الصحيح، وكذا قيل في سنن النسائي وقيل في جامع الترمذي الجامع الصحيح<sup>14</sup>، وهذا تساهل ممن أطلقه، لعدم اشتراطهم الصحة، فقد يذكرون الحديث الضعيف ويبينون ضعفه، وقد يذكرونه من غير بيان لضعفه، ولهذا قال الحافظ العراقي:

ومن عليها أطلق الصحيحاً فقد أتى تساهلاً صريحاً<sup>15</sup> وذهب الإمام البغوي المتوفى سنة (317هـ) في كتابه مصابيح السنة إلى أن جميع ما في السنن هو من قبيل الحديث الحسن، فقد قسم الكتاب إلى قسمين: الصحاح وهو ما رواه الشيخان، والحسان وهو ما رواه أهل السنن، وما ذكره فيه نظر – إلا أن يكون اصطلاحاً خاصاً به – لأن في السنن غير الحسان ففيها الصحيح والضعيف، ولهذا قال العراقي:

والبغوي إذ قسم المصابيح إلى الصحاح والحسان جانحاً  
أن الحسان ما روه في السنن رد عليه إذ بها غير الحسن<sup>16</sup>  
أما بالنسبة للسنن فإن جُل هؤلاء الأئمة قد أثرت عنهم كلمات متفرقة تخبر  
عن موضوع كتبهم ومنهجهم فيها فالإمام أبو داود رحمه الله أبان عن منهجه  
في رسالته لأهل مكة فقال: (وليس في كتاب السنن الذي صنفته عن رجل  
متروك الحديث شيء، وإذا كان فيه حديث منكر بينت أنه منكر، وليس على  
نحوه في الباب غيره)<sup>17</sup>

وفي العلل الصغير للإمام الترمذي كثيراً ما يؤخذ منه منهجه وشرطه ومن  
ذلك قوله: (فكل من روى عنه حديث ممن يتهم أو يضعف لغفلته وكثرة  
خطئه، ولا يعرف ذلك الحديث إلا من حديثه فلا يحتج به)<sup>18</sup> وقد بين أن جميع  
ما في كتابه معمول به ما خلا حديثين: حديث ابن عباس: أن النبي صلى الله  
عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر بالمدينة، والمغرب والعشاء من غير  
خوف ولا سفر، ولا مطر.<sup>19</sup>  
وحديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا شرب الخمر فاجلدوه فإن  
عاد في الرابعة فاقتلوه.<sup>20</sup>

وقد يعرف ذلك بالنظر في أسماء كتب بعضهم، فاسما الصحيح ينواسم جامع الترمذي التي سموها بها كتبهم تدل بالجملة على شروطهم ومناهجهم في كتبهم.<sup>21</sup>

وكذا الإمام النسائي فقد سمي كتابه (بالمجتبى) وقد تجنب إخراج حديث رجال من الصحيحين.

قال الحافظ أبو بكر البرقاني: (هذه أسماء رجال تكلم فيهم النسائي ممن أخرج له الشيخان في صحيحيهما سألت عنهم أبا الحسن الدارقطني فدون كلامه في ذلك وقال أحمد بن محبوب الرملي: سمعت النسائي يقول: لما عزمت على جمع السنن استخرت الله تعالى في الرواية عن شيوخ كان في القلب منهم بعض الشيء، فوقع الخيرة على تركهم فنزلت في جملة من الحديث كنت أعلو فيها عنهم)<sup>22</sup>

**ثانياً:** قد قصدت هذه الكتب جمع أحاديث الأحكام، وما توفرت فيه شروط العمل، وهذا ما بينه الإمام أبي داود في رسالته لأهل مكة فقال: (ولم أصنف في كتاب السنن إلا الأحكام، ولم أصنف كتب الزهد وفضائل الأعمال وغيرها...) <sup>23</sup> وكذا ما بينه الإمام الترمذي بقوله: (جميع ما في كتابه معمول به ما خلا حديثين...) فلذا قال الحافظ المزني: (فإني عزمت على أن أجمع في هذا الكتاب إن شاء الله أطراف الكتب الستة التي هي عمدة الإسلام وعليها مدار عامة الأحكام)<sup>24</sup>

فكان غاية مهمهم ما يخدم الفقيه وهو جمع الكتب التي تضم أكثر عددا من أحاديث الأحكام، ومما يدل على أن هذا كان سببا في اعتمادهم للسنن، تفاوت العلماء في الاعتناء بهذه الكتب، فلقد اعتنوا بسنن أبي داود أكثر من غيره من السنن وذلك لأنه قد اشتمل على معظم أحاديث الأحكام.

قال الإمام حمد بن سليمان الخطابي المتوفى سنة (388هـ) في معالم

السنن (وقد جمع أبوداود في كتابه هذا من الحديث في أصول العلم وأمّهات السنن وأحكام الفقه ما لا نعلم متقدماً سبقه إليه ولا متأخراً لحقه فيه)<sup>25</sup> وقال ابن القيم: (إنه جمع شمل أحاديث الأحكام، ورتبها أحسن ترتيب ونظمها أحسن نظام مع انتقائها أحسن الانتقاء واطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء)<sup>26</sup>

**ثالثاً:** من أسباب اعتماد السنن – الأربعة – دون غيرها من السنن أنها كان لها السبق في التأليف في السنن المحضة.

قال الإمام حمد بن سليمان في معالم السنن: (كان تصنيف علماء الحديث قبل زمان أبي داود الجوامع والمسانيد ونحوهما فتجمع تلك الكتب إلى ما فيها من السنن والأحكام أخبار أو قصص أو مواعظ وآداباً).

فأما السنن المحضة فلم يقصد واحد منهم جمعها واستيفاءها، ولم يقدر على تلخيصها واختصار مواضعها من أثناء تلك الأحاديث الطويلة ومن أدلة سياقها على حسب ما اتفق لأبي داود، ولذلك حل هذا الكتاب عند أئمة الحديث وعلماء الأثر محل العجب، فضربت إليه أكباد الإبل، ودامت إليه الرحل)<sup>27</sup>

**رابعاً:** ما اجتمع فيها من الصحة<sup>28</sup> والشهرة، وأقصد بالصحة هي أن كل مؤلف اشترط على نفسه إيراد ما يصح به العمل، فلا يذكر الضعيف إلا مع بيان حاله، نعم قد وجدت بعض الأحاديث الضعيفة ولم ينص عليها ولكن هذا لا يقدر في الكتاب.

ومعنى الشهرة أن تكون الأحاديث المدكورة فيها دائرة على أئمة المحدثين قبل تدوينها وبعد تدوينها، فيكون أئمة الحديث قبل المؤلف رويها بطرق شتى، وأوردوها في مسانيدهم ومجاميعهم، وبعد المؤلف اشتغلوا برواية الكتاب وحفظه وكشف مشكله وشرح غريبه وبيان إعرابه وتخريج طرق أحاديثه واستنباط فقهها والفحص عن أحوال روايتها طبقة بعد طبقة إلى يومنا

هذا حتى لا يبقى شيء مما يتعلق به غير مبحوث عنه إلا ما شاء الله، ويكون نقاد الحديث قبل المصنف وبعد هو افقوه في القول بها، وحكموا بصحتها وارتضوا رأي المصنف فيها، وتلقوا كتابه بالمدح والثناء، ويكون أئمة الفقه لا يزالون يستنبطون منها، ويعتمدون عليها، ويعتنون بها، ويكون العامة لا يخلون عن اعتقادها وتعظيمها.<sup>29</sup>

وقد وجدت كتب في عصر أصحاب السنن لا تنزل عن رتبة السنن من حيث الصناعة الحديثية، لكنها لم تُعد من الكتب الستة أو الخمسة، يقول الإمام الذهبي في كتاب المنتقى لا بن الجارود المتوفى سنة (307هـ) (مجلد واحد في الأحكام، لا ينزل فيه عن رتبة الحسن أبداً، إلا في النادر في أحاديث يختلف فيها اجتهاد النقاد)<sup>30</sup>

فلهذا لم نجد من يعد كتاب ابن الجارود من الأصول الستة لأنه لم يتوسع في أحاديث الأحكام -ولهذا قال الذهبي في مجلد واحد - فوجد ما يُغني عنه ولم يكن هو يغني عن غيره.

وأما بالنسبة للمسانيد فلم يعدها أحد من الأصول الستة مع مكانتها، لاسيما مسند الإمام أحمد فشرطه لا يقل عن شرط أبي داود إن لم يكن أرفع وأقوى قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (نزه أحمد مسنده عن أحاديث جماعة يروي عنهم أهل السنن كأبي داود والترمذي مثل نسخة كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده، وإن كان أبوداود يروي في سننه منها، فشرط أحمد في مسنده أجوداً من شرط أبي داود في سننه)<sup>31</sup> وقال أيضاً: (وشرطه في المسند أن لا يروي عن المعروفين بالكذب عنده، وإن كان في ذلك ما هو ضعيف، وشرطه في المسند مثل شرط أبي داود في سننه)<sup>32</sup>

ووجه عدم عد هذه المسانيد من الأصول وذلك أن صاحب المسند يترجم للأحاديث باسم الرواة، فيترجم باسم أبي بكر وعمر وغيرهما ثم يذكر

مرويات الصحابي وحينئذ لا يلزمه الانتقاء لأنه لا يستدل بما رواه على حكم شرعي -كما يصنعه صاحب السنن عندما يترجمون بأحكام شرعية فيقول في الترجمة بابوجب كذا، باب ما جاء في الرخصة في كذا... إلخ - وإنما قصده جمع حديث كل صحابي على حده سواء أكان يصلح للاحتجاج به أم لا.

**المحور الثالث: وجهُ عدِّ ابن ماجه من الأصول بدل موطأ الإمام مالك.**

قال ابن حجر رحمه الله: إنما عدل ابن طاهر ومن تبعه عن عد الموطأ إلى عد ابن ماجه لكون زيادات الموطأ على كتب الخمسة من الأحاديث المرفوعة يسيرة جدا خلاف ابن ماجه، فإن زياداته أضعاف زيادات الموطأ، فأرادوا بضم ابن ماجه إلى الخمسة تكثير الأحاديث المرفوعة<sup>33</sup> ومن الأسباب أيضا لعدم عد الموطأ من الأصول الستة: كثرة المراسيل والبلاغات والموقوفات وكثرة الآراء الفقهية لمالك وغيره.

#### الخاتمة:

وفي خاتمة البحث فإني أسجل جملة من النتائج اذكرها على الشكل الآتي:

- 1\_ إن اعتماد صحيح البخاري ومسلمو سنن أبي داود والنسائي كان في عصرهم.
- 2\_ إن غالب المتقدمين جعلوا الأصول أربعة أو خمسة.
- 3\_ اعتماد لفظة الكتب الستة كان متأخرا حيث كان في بداية القرن السادس.
- 4\_ رأي غالب المتأخرين على أن سنن ابن ماجه سادس الستة.
- 5\_ اعتماد هذه الكتب كان راجعا لاعتبارات أهمها:  
أولاً: إن هؤلاء الأئمة قد أثر عنهم ما يبين مناهجهم في كتبهم.  
ثانياً: أنها وضعت للعمل حيث اشتملت على معظم أحاديث الأحكام.  
ثالثاً: السبق في التأليف فاهتم بها العلماء شرحا واستدراكا. والله أعلم  
وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

### الهوامش:

- 1\_ شروط الأئمة الستة تأليف: الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط: مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب ص (101).
- 2\_ سير أعلام النبلاء (212/13)، تأليف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985 م
- 3\_ سير أعلام النبلاء (203-202/18).
- 4\_ الجامع لأخلاق الراويوآداب السامع (272-271/2). تأليف: أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: محمد عجاج، ط: مؤسسة الرسالة.
- 5\_ النكت على كتاب ابن الصلاح (190/1). تأليف الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: ربيع المدخلي، الطبعة الأولى: 1404هـ.
- 6\_ المرجع السابق (486/1).
- 7\_ المرجع السابق (486/1).
- 8\_ تدريب الراوي شرح تقريب النواوي (186/1). للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، ط: دار طيبة.
- 9\_ المرجع السابق (190/1).
- 10\_ مقدمة ابن الصلاح ص(27). تحقيق: إسماعيل زرمان، ط: مؤسسة الرسالة.
- 11- تدريب الراوي ص (103).
- 12- سنن ابن ماجه (6/1)، بشرح الإمام أبي الحسن السندي، ط: دار المعارف بيروت.

- 13- بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام (162/1). لأبي الحسن ابن القطان الفاسي، تحقيق: د. الحسين آيت سعيد، ط: دار طيبة - الرياض، الطبعة: الأولى، 1418هـ-1997م
- 14\_ ينظر النكت لابن حجر (481/1)
- 15- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي (87/1)، تأليف محمد عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: علي حسين علي، ط: مكتبة السنة.
- 16- المرجع السابق (87/1).
- 17- رسالة الإمام أبي داود السجستاني إلى أهل مكة فيوصف سننه ص (33). تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.
- 18\_ العلل الصغير، تأليف: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 19- جامع الترمذي ص (891)
- 20- جامع الترمذي ص (889)
- 21- مقدمة عبد الفتاح أبو غدة لشروط الأئمة الستة والخمسة.
- 22- رسالة الإمام أبي داود السجستاني إلى أهل مكة فيوصف سننه ص (54).
- 23- تحفة الاشراف بمعرفة الأطراف (3/1)، تأليف: جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، ط: المكتب الإسلامي، والدار القيمة الطبعة: الثانية: 1403هـ، 1983م
- 24\_ النكت لابن حجر (483/1)
- 25- معالم السنن شرح سنن أبي داود (81/1)، تأليف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، ط: المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى 1351 هـ - 1932 م، صححه: محمد راغب الطباخ.
- 26- تهذيب السنن (94/1) تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن

- قيم الجوزية، تحقيق: إسماعيل بن غازي، ط: مكتبة المعارف.
- 27- معالم السنن ج 1/ ص 7.
- 28- أي الصحة الظنية بالنسبة للسنن والقطعية بالنسبة للصحيحين.
- 29- حجة الله البالغة (384/1)، تأليف: الشيخ أحمد المعروف بولي الله الدهلوي، ط: دار إحياء العلوم، تحقيق: محمد شريف سكر.
- 30- سير أعلام النبلاء (339/14).
- 31- قاعد جليلة في التوسل والوسيلة (175/1)، تأليف: تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي، تحقيق: ربيع المدخلي، ط: مكتبة الفرقان - عجمان الطبعة: الأولى (لمكتبة الفرقان) 1422هـ - 2001هـ
- 32- منهاج السنة النبوية (97/7). تأليف: تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م
- 33\_ النكت على كتاب ابن الصلاح (487/1).

## الشعر الليبي الحديث في الميزان ( رؤية نقدية إسلامية )

د. محمود عبد المولى علي  
جامعة الزيتونة

إنّ الدين والمثل والقيم الأخلاقية كانت وما تزال مقياساً أصيلاً تُوزَنُ به الأعمال الأدبية، على الرغم من تباين المذاهب الأدبية وتعاقبها، وما نشأ بينها من جدل حول علاقة الأدب بالقيم الأخلاقية، ذلك الجدل الذي لن ينتهي ما ارتبط الأدب بالحياة والإنسان.

ولعل من أقدم الآثار التي يرى أصحابها ضرورة ارتباط الأدب بالأخلاق ما كان يتبناه أفلاطون من أن الفن مرتبط بالأخلاق، وأن الأعمال الأدبية والآثار الفنية، إنما هي وسيلة لإظهار الحقائق الأخلاقية، مؤكداً ضرورة مطالبة الشعراء بأن يطبعوا منظوماتهم بطابع الخُلق الحميد<sup>(1)</sup> وفي المجتمعات الأوروبية نجد العديد من أعلام الفكر والأدب يؤكدون أهمية ارتباط الفن الأدبي بالنزعة الأخلاقية :

ففي عصر النهضة – مثلاً – يطالعنا ( جيلز فلتشر ) Giles Fletcher بثورته على محاولة مساس الشعراء بالقيم الدينية، حيث يؤلف كتاب : (انتصار المسيح )<sup>(2)</sup>

وفي القرن التاسع عشر نرى الأديب الروسي الكبير ( تولستوي ) يطالب بسمو الفنون و ارتكازها على مبدأ الاختيار المثالي لجوانب الحياة الإنسانية، وإخضاع الأفكار للإرادة العاقلة، وفي " الإجابات التي يقدمها الدين تُخترن الحكمة الإنسانية العميقة " <sup>(3)</sup>

وفي القرن العشرين يبرز الشاعر الإنجليزي (توماس ستيرنز اليوت ) T.s. Eliot ويؤكد أن النقد ينبغي أن يستمد من وجهة نظر أخلاقية ولاهوتية محددة ويرى أن سحر الأدب وجماله لا يتألفان من الأسس الأدبية الفنية وحدها<sup>(4)</sup>

### موقف النقاد العرب من النقد الديني للشعر :

إن الدارس مصنفات أعلام النقد العربي وما قالوه حول ارتباط الشعر بالدين - يلحظ بشكل جلي انقسام أولئك النقاد حيال هذه المسألة إلى قسمين :  
قسم يفصل بين الشعر والدين، ولا يرى بالحكم على الفن الشعري من زاوية دينية أو خلقية، وقسم آخر يرى ارتباط الشعر بالدين، ويحكم على الشعر من ناحية دينية وأخلاقية

### أولاً : النقاد القائلون بفصل الشعر عن الدين :

من هؤلاء : أبو بكر محمد بن يحيى الصولي الذي يقول في معرض رده على من طعن في أبي تمام من ناحية معتقده الديني : " وقد ادعى قومٌ عليه الكفرَ بل حَقَّقوه، وجعلوا ذلك سبباً للطعن على شعره وتقبيح حسنه، وما ظننتُ أن كُفراً يُنقص من شعر، ولا أن إيماناً يزيد فيه " (5)  
فالصولي هنا يبين موقفه النقدي من قضية ربط الشعر بالدين، ويفصل بين الشعر وسوء المعتقد.

وكذلك فعل القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، ففي معرض دفاعه عن أبي الطيب المتنبي، يورد الجرجاني مجموعة من أشعار أبي نواس، تتضمن انحرافاً عن الدين ويقول : " فلو كانت الديانة عاراً على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر، لوجب أن يُمحي اسم أبي نواس من الدواوين ويُحذف ذكره إذا عُدت الطبقات، و لكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ومن تشهد الأمة عليه بالكفر، و لوجب أن يكون كعبُ بن زهير وابنُ الزبيرى وأضرابهما ممن تناول رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وعاب من أصحابه بكماً خرساً، وبكاء مفحمين، ولكن الأمرين متباينان والدين بمعزل عن الشعر" (6)

من الواضح في هذا المقتبس أن القاضي الجرجاني يفصل بشكل تام بين شخصية الشاعر الواقعية والأخرى الفنية، وينظر إلى الشعر نظرة فنية مجردة، بحيث لا يسقط الشعر لمجرد أنه منحرف عن إطار المبادئ الدينية.  
أما قدامة بن جعفر - رغم قوله بقيام الشعر على أساس أخلاقي كما نادى بذلك أفلاطون - فهو لا يرى بحظر المعاني على الشاعر، ويقول بأن المعاني كلها

معروضة للشاعر، يتكلم منها فيما أحب، دون أن يُحظر عليه معنى من المعاني، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعية، والشعر فيها كالصورة، وعليه إذا شرع في معنى أن يتوَحَّى البلوغ إلى النهاية المطلوبة من التجويد (7)

**ثانياً : النقاد الذين يربطون الشعر بالدين و القيم الخُلقية :**

يتجلى نقد هذا الفريق في ثلاثة مظاهر هي :

**1- اجتناب رواية ما صادم العقيدة و الأخلاق :**

من ذلك إعراض ابن المعتز عن رواية قصيدة لمحمد بن الدورقي يهجو فيها يحيى بن عبد الله بن مالك، حيث قال ابن المعتز : " وهي طويلة إلا أنها فاحشة، فتركناها " (8)

وذكر ابن بسّام عند حديثه عن ولادة بنت المستكفي أنه أضرب عن ذكر كثير من شعرها، فقال : " أضربتُ عن ذكره، وطويته بأسره، لأن أكثره هجاءً وليس له عندي إعادة ولا إبداء، ولا من كتابي في أرض ولا سماء.. " (9) وتحدث المرزباني عن قصيدة لأبي نواس في العباس بن الفضل فقال : " قد جمع في آخرها بين كفر ولحن، وأكره حكايته لضعفه وبطلانه " (10)

**2 - استحسان المعاني الدينية والخُلقية :**

من ذلك استحسان عبد القاهر الجرجاني قول المتنبي :

**لايسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى حتى يراقَ على جوانبه الدَّمُ**

حيث قال الجرجاني : " معنى معقول، لم يزل العقلاء يقضون بصحته، ويرى العارفون بالسياسة الأخذ بسنته، وبه جاءت أوامر الله سبحانه، وعليه جرت الأحكام الشرعية والسنة النبوية، وبه استقام لأهل الدين دينهم، وانتفى عنهم أذى من يفتنهم ويضرهم، إذ كان موضع الجبلة على ألا تخلو الدنيا من الطغاة المارقين، والغواة المعاندين.. " (11)

وذكر عبد القادر البغدادي قصيدة أمية ابن أبي الصلت التي منها قوله :

**ألا كلُّ شيء هالكٌ غير ربنا      والله ميراثُ الذي كان فانياً**  
**وليُّ له من دون كل ولاية      إذا شاء لم يمساوا جميعاً مواليا**

ثم علق قائلاً : " هذه قصيدة عظيمة، تشتمل على توحيد الله وقصص الأنبياء كنوح ويوسف وموسى وداود وسليمان عليهم السلام " (12)

### 3 - استهجان المعاني التي تخالف الدين والأخلاق :

من ذلك قول عبد القاهر الجرجاني مستنكراً تعمّد الشاعر الاستهانة والعبث بالمعتقد الديني:

" وأبعد ما يكون الشاعر من التوفيق إذا دعت شهوة الإغراب إلى أن يستعير للهزل والعبث من الجد ". ويستشهد الجرجاني على ذلك بمثل قول المتنبي :

يترشّفن من فمي رشفاتٍ هُنَّ فيه أحلى من التوحيد (13)

ويقول الثعالبي جاعلاً الدين مقياساً يُوزَنُ به العمل الأدبي : " ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به قولاً وفعلاً ونظماً ونثراً، ومن استهان بأمره، ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلّق به في موضع استحقاقه فقد باءَ بغضبٍ من الله تعالى وتعرّض لمقته في وقته " (14)

ويُفردُ مهلهل بن يموت بن المزرع باباً في رسالته عن عيوب شعر أبي نواس ؛ لإيراد ما يسميه ( الكفريات ) من ذلك قوله :

يا أحمد المرتجى في كل نائبةٍ فمُ سيدي نعص جبار السموات

وبعد إيراده أمثلة عديدة من هذا النوع يقول : " وله في غير هذه الأبيات، التي لا أعرف له في البوح بها عذراً، مع ما كان عليه من اعتقاد شريعة الإسلام بشرائطها، لايشك في ذلك أحد مما كان يرى عليه من مجانية من كان يجادل في الدين أو يستوحش من اعتقاد العامة " (15)

ومن الذين اعتمدوا على النظرة الأخلاقية في نقد الشعر ابن شرف القيرواني من ذلك أنه أورد قول امرئ القيس :

ويوم دخلتُ الخدرَ خدرَ عنيزةٍ فقالتُ لك الويلاتُ إنك مرجلي

وقال في نقده : " فما كان أغناه عن الإقرار بهذا، وما أشد غفلته عما أدركه من الوصمة به، وذلك أن فيه أعداداً كثيرة من النقص والبخس، منها : دخوله متطفلاً على مَنْ كره دخوله عليه، ومنها قول عنيزة له : لك الويلات، وهي قولة لا تُقال إلا لخسيس، ولا يُقابل بها رئيس.. " (16)

ومن النقاد الذين كان العامل الأخلاقي الديني قوياً في توجيه النقد لديهم ابن بسام الشنتريني حيث أورد هذا الناقد قصيدة للسميسر يقول فيها :

ياليتنا لم نكُ من آدم      أورطنا في شبه الأسر  
إن كان قد أخرج زنبه      فما لنا نُشرك في الأمر

فحمل عليه بشدة قائلاً : " والسميسر في هذا الكلام ممن أخذ الغلو بالتقليد، ونادى الحكمة من مكان بعيد، صرّح عن ضيق بصيرته، ونشر مطويّ سريرته، في غير معنى بديع، ولا لفظ مطبوع. .. " (17)

ويضيق الناقد ابن وكيع التنيسي بتلك المغالاة التي تمسُّ الناحية الدينية، كقول المتنبي :

يا أيها الملك المصقّى جوهرأ      من ذات ذي الملكوت أسمى من سما  
نور تظاهر فيك لاهوتيه      فتكاد تعلم علم ما لن يعلما

فجده يعلق على هذا قائلاً : " هذا مدح متجاوز، وفيه قلة ورع وترك للتحفظ لأنه جعله ذات الباري، وذكر أنه قد حلَّ فيه نورٌ إلهيٌّ " (18)

من كل ما سبق عرضه من مقتبسات وشواهد يتبين لنا أن كثيراً من النقاد قد أخذوا على بعض الشعراء تجاوزاتهم التي تصادم الدين و القيم الأخلاقية، وفي هذا دليل واضح على جعل الميزان الديني من المعايير التي يُقاس بها الفن الأدبي.

ونحن في هذا العصر أحوج ما نكون لنقد النصوص الأدبية، والحكم عليها من زاوية دينية وأخلاقية ؛ ذلك لأن هذا العصر الحداثوي وما تبعه تأثر فيه الشعراء العربُ بالأدب والفكر الغربيين وما فيهما من دعوات إلى التمرد على الدين، ورفضه والجرأة والتطاول عليه، بحجة نقد النظرة التقليدية للدين فضلاً عن تلك الدعوات التي تنادي بالإباحية والحرية الجنسية، التي ستكون في حال إشباعها - حسب رأيهم - فاتحة لحرية الروح والعقل، وتحرر المجتمع العربي من أغلاله الفكرية والسياسية، وهذا ما نلاحظه بوضوح في أشعار بعض الشعراء كأدونيس ويوسف الخال وغيرهما.

ومن المعروف أن المناهج النقدية المعاصرة التي تعالج الدرس الأدبي اليوم ما هي إلا انعكاس لإيديولوجيات وفلسفات مختلفة هي وليدة حضارة أخرى

وموضوعة لدراسة أدب آخر، إنها مناهج غريبة، انبعثت و استقرنت من الأدب الغربي، فهي - بلا ريب - تتضمن تصورات فكرية وفنية تخالف عقيدتنا وفكرنا وذوقنا ؛ لذلك يجب على الناقد العربي أن يتعامل معها بحذر ليأخذ الأصلح، ويذر ما صادم منها عقيدته وذوقه.

#### نظرات نقدية في نماذج من الشعر الليبي :

لاشك أن نقد الشعر عبر المعيار الديني هو ارتقاء به، وتهذيب له ؛ ليتجه إلى القصد الصحيح، لأن الأدب الراقى هو ما يجمع بين الشكل والمضمون، أي بين الوظيفة الجمالية والوظيفة النفعية، وليس في هذا حظرٌ على الشاعر أو توضيقٌ عليه أوحده من حريته في التعبير كما يدعي البعض، إذ لا تعارض بين أن يكون الشاعر ملتزماً بمبادئ الدين، وفنية العمل الأدبي لديه. وكما يحظر النقاد على الشعراء المعنى المبتذل، أو التعبير الركيك، أو اللفظ الحوشي أو غير ذلك مما يروونه عيباً يجب أن يخلو منه كلُّ شعر جيد - فكذلك يجب على الشاعر أن يخلو شعره مما ينحرف به عن مبادئ الدين والأخلاق. وليس صحيحاً ما قد يردده بعض الشعراء من أنهم غير مؤاخذين بما يقولون، كما نجد ذلك - مثلاً - في أبيات الشاعر خليفة النليسي التي يقول فيها : (19)

أَحَدْرُكُمْ أَنْ تَحْسَبُوا الْأَمْرَ واقِعاً      فَلِلشعرِ أوهامٌ وفي الفنّ ما يُثري  
يُعَوِّضُنَا عَنْ غَائِبِ بَخْيَالِهِ      ويمنحُنَا وَهْمَ الخُمَارِ بلا خَمْرٍ  
وقد جاءت الآياتُ صدقاً بحقنا      يقولونَ ما لا يفعلونَ مِنَ الأمرِ

فالشاعرُ - كأبي إنسان - مسؤولٌ عما يصدر عنه. يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (20). ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " وهل يَكُفُّ الناسَ على مناخرهم في جهنم إلا حصائدُ ألسنتهم " (21)

وهذا لا يعني حظر عامة الشعر إنشاداً أو سماعاً، وإنما ما خالف منه تعاليم الدين الحنيف خاصة ؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد سمع الشعر، بل وشجّع على قوله، فقد روى جابر بن سمرة قال : " جالستُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أكثر من مئة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشعرَ، ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكتٌ، فربما تبسّم معهم " (22)

وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : " كنت ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنشدته مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت الثقفي، كلما أنشدته بيتاً قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : " هيه "، حتى أنشدته مائة يعني بيتاً. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إنْ كَادَ لِيُسَلِّمَ " (23)

وبقراءة في مدونة الشعر الليبي الحديث يلحظ الدارس أن لدى بعض الشعراء تجاوزاً يمس المبادئ والقيم الدينية الإسلامية، صدرت عنهم بقصد أو عن غير قصد.

والباحث في هذه الدراسة يسلم نقد على نماذج من الأعمال الشعرية لديهم، محتجاً في هذا النقد بنصوص من القرآن الكريم، وما صحّت نسبته من أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

وحفاظاً على منهجية تخدم سير البحث، رأيت أن أجمع ما تشابه من نصوص ؛ لأفرد لها عنواناً على حدة، مكوناً بمجموع تلك العناوين جملة المظاهر التي تمثل مأخذ الناقد على الشعراء.

#### فكرة صلب المسيح :

نجد هذه الفكرة عند بعض الشعراء الليبيين، خاصة أصحاب الاتجاه الرمزي فالمسيح عندهم رمز للتضحية من أجل الآخرين، وليس هم أول من تحدث عن هذه الفكرة، حيث نجد شعراء المشرق العربي، وخاصة شعراء الأرض المحتلة قد تحدثوا عن فكرة التضحية والفداء، وقد لاحظ الدكتور خليل موسى ذلك فقال : " استُخدمت الرموز الدينية للتمثيل أو المشابهة، وأهمها رمز الصلب وخصوصاً في شعر الأرض المحتلة، وذلك للمشابهة بين صلب السيد المسيح وبين الصلب اليومي للشعب العربي في ظل الاحتلال أولاً، ولأن الفاعل في الماضي والحاضر واحد ثانياً، ولأن المكان واحد ثالثاً..." (24)

وقد أكثر الشعراء العرب المعاصرون من ذكر عيسى عليه السلام، وعدّوه رمزاً للاستشهاد في سبيل الحق، ورمزاً للاغتراب والفداء والتضحية.

ومن الشعراء الذين وظفوا رمز الصلب في أشعارهم : أحمد عبد المعطي حجازي، وبدر شاكر السياب، وخليل حاوي (25)

وفي الشعر الليبي نجد علي الفزّاني يقول : (26)

اذكري أنني ضحية .  
اكتبي أسفار موتي بحروف عربية  
صلبوا قبلي المسيحاً ..  
قتلوا (الحنّاج) في ذات عشية

إن في هذا النص مخالفة صريحة لآيات القرآن الكريم، التي نفت بشكل قاطع صلب المسيح أو قتله، قال الله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ (27)

فالآية الكريمة تنفي قتل المسيح وصلبه، وأن أولئك المقتخرين من كفار بني إسرائيل لم يظفروا به، بل رفعه الله تعالى وأنجاه من مكرهم.

ومكمن الخطر في مثل هذه الأشعار - فضلاً عن مخالفتها النص القرآني - أنها من كثرة تداولها في أشعار المعاصرين كادت أن تُرسخ في أذهان القراء والدارسين أن المسيح قد صُلب، والحقيقة عكس ذلك تماماً.

وليت شعري، كيف يُبيح شاعر أقرّ بدين الإسلام لنفسه أن يقول مثل هذا ؟

ذكر الأنواء والنجوم والكواكب :

ذكرها الشعراء في معرض التفاؤل أو التشاؤم، حيث تصور بعض أشعارهم أن لها تصرفاً وتأثيراً في سير هذا الكون، فهذا - مثلاً - الشاعر أحمد قنابة يقول: (28)

فنجم السعد لآح لنا عياناً      بطالعه المشير لخير فال

فالشاعر في هذا البيت يشير إلى أن النجم يبشّر بخير قادم، ويشير إلى فال حسن، وفي هذا ادعاء معرفة ما قد يكون في قادم الزمن، وهو الغيب الذي اختص سبحانه بعلمه.

وإذا كان الشاعر أحمد قنابة قد حصر مهمة النجم في الإشارة إلى ما سيكون لاحقاً، فإن الشاعر حسن السوسي قد تجاوز ذلك فجعل الآمال تُناط بالهلال وتعلّق به، بل وتمدّد إليه الأكف الضارعة، وترنو له الأبصار، يقول: (29)

هلالٌ بدا في صَفحة الأفق مُشرقُ      تُناطُ به آمالنا وتُعلّقُ  
تمدّد إليه ضارعين أقمنا      وأبصارنا ترنو له أو تُحدّقُ

لقد كان من عادة الشعراء حين يرون هلال المُحرّم أن يتساءلوا عما سيأتي به العام الجديد وكانوا يُؤمّلون أن يكون مليئاً بالخير والبركات والسعادة، ولكنّ بعضهم تجاوز ذلك إلى أن جعل للهلال تصرفاً في الكون، من جلب للمنافع ودفع للمكاره - كما مرّ بنا في بيتي حسن السوسي السابقين. ويلجأ الشاعر خليفة التليسي إلى سؤال خط الرمل وبرج الثور عن أحوال صاحبه ومآل أمرها معه، حيث يقول : (30)

وسألتُ خطَّ الرمل أين مسيرُها ومتى يكونُ توافقُ الأفكار  
وسألتُ برجَ الثور كُلاً صبيحةً عن أمرها ونهاية الأسفار

والواقع أن كل ما ذكره الشعراء هنا عن الأنواء والنجوم مخالف لما عليه تعاليم الإسلام، بل إن هناك نهياً شرعياً عن مثل ذلك ؛ لأن المتصرف في الكون هو الله سبحانه وتعالى، وهو الذي يعلم الغيب، ولا أثر للكواكب في جلب الرزق أو الإخبار عن الغيوب، يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ لَأَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (31)

وروى البخاري في صحيحه عن زيد بن خالد الجهني أنه قال : صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : " هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : " أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال : مُطّرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمنٌ بي و كافرٌ بالكوكب، وأما من قال : بئوء كذا وكذا، فذلك كافرٌ بي و مؤمنٌ بالكوكب " (32)

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما اقتبس رجلٌ علماً من النجوم إلا اقتبس بها شعبة من السحر ما زاد زاد " (33) وعلم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان . . يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها واقترابها . (34)

**الحلف بغير الله تعالى :**

من أكثر الأشياء التي أقسم الشعراء بها الوطن وما تعلق به من أشياء، كقسم الشاعر علي الرقيعي بتراب الوطن، والشهيد الذي قُتل دفاعاً عنه، ومنَّ تحمل المشقة والعنت على أرضه، يقول: (35)

قسماً بترابك والشهيد وصوله الحق الصراح  
ببكا الثكالي والحزاني وبالعويل وبالنواح  
لا بد أن نُجلى العدا بجهادنا بلظى الكفاح

وربما شبّه الشعراء البلاد بامرأة فاتنة، ثم أقسموا بمحاسنها ؛ لأنها تستحق الوفاء وتستأهل المهر الغالي، والمبالغة في كسب رضاها، كما نجد ذلك عند الشاعر خليفة التليسي في حديثه عن ليبيا حيث يقول: (36)

قسماً بنور جبينها وبفاحم من شعرها قد أرسلته ضفائرا  
وبباسم من ثغرها وبأحور من طرفها والوجه يسطع نائرا  
سنظل نمناها الوفاء ونبتغي مهراً لها ما ترتضيه أوامرا

أما الشاعر حسن السوسي فقد روى أنه عشق فتاة نصرانية أعجبت له لما رأى من حسنها وجمالها، فنراه يستحلفها بحق الصليب والإنجيل أن تُرق له، وتُدنيه منها، يقول: (37)

وحقّ صليبك يا فتنتي وإنجيلك الجامع المانع  
ترقي لعاشقك المستهام وتُدنيه من ثغرك اللامع

لا ريب أن كل تلك الأقسام السابقة مخالفة لتعاليم دين الإسلام، فقد روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت " (38)

وفي مسند أحمد عن ابن عمر أيضاً أن عمر بن الخطاب كان يحلف بأبيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تحلف بأبيك، فإنه من حلف بغير الله فقد أشرك " (39)

#### سب الدهر:

وهذا من الأمور التي جرت على السنة العديد من الشعراء، خاصة إذا وجدوا ما يكرهون في حياتهم: كفقد عزيز، أو حدوث مصيبة، حيث نجدهم ينعنون الدهر بالخيانة والاستبداد والحمق. . إلى غير ذلك من الأوصاف التي تدل

على عدم الرضا بما حدث أو يحدث، ومن الأمثلة على ذلك قول أبي غالب في رثاء ميت له : (40)

**عدا الدهرُ الخنونُ عليه يوماً غداً نكروا وموعظة الحياة**

ويقول في قصيدة أخرى واصفاً الدهر بالاستبداد والعدوان : (41)

**بعد حينٍ قد مضى من عمرنا استبدَّ الدهرُ فينا واعتدى**

ويصف عبد المولى البغداديّ الزمنَ بـ (المشاغب)، حيث يقول : (42)

**لكنّه الزمنُ المشاغِبُ قلّما تحيي به إن كنتَ غيرَ مشاغِب**

فجميع هذه النعوت التي وصف بها الشعراء الدهر لا ينبغي أن تصدر عن شاعر مسلم ؛ لأن سب الدهر أو وصفه بمثل تلك النعوت منهياً عنه في أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، حيث يقول : " لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر " (43)

وقال عليه الصلاة والسلام : " قال الله : يسب بنو آدم الدهر، وأنا الدهر، بيدي الليل والنهار " (44)

وسبُّ الدهر عادةٌ قديمةٌ في العرب، تعود إلى عصر جاهليتها، حيث كان من شأنها " أن تدم الدهر وتسبه عند الحواث والنوازل تنزل بهم، من موت أو هرم، فيقولون : أصابتهم قوارغ الدهر وحوادثه، وأبادهم الدهر، فيجعلون الدهر الذي يفعل ذلك فيذمونّه " (45)

#### ذكر القدر عند الشعراء :

جاء ذكر القدر في أشعار بعض الشعراء، ولكنهم أوردوه في معانٍ وسياقات لا تتفق مع تعاليم الإسلام، فمن بعض تلك الأشعار نحسُّ عدم الرضا بما قدّر حيث وُصِفَ القدر بالعمى والجور، وهي أوصاف تنافي الإيمان، وأكثر ما نجد هذه الأوصاف عند الشاعر رجب الماجري، حيث يقول مخاطباً القدر: (46)

**حتى متى تتصدى أيها القدرُ لأمةٍ كان أدنى عزها القمر**

فالشاعر هنا يُحمّلُ القدر مسؤولية إخفاق أمته، وكأن الشاعر غير راضٍ بما حكم به القدر من التأخر والضعف الذي أصاب الأمة.

ونجده في قصيدة أخرى يرثي أحد أصدقائه فيقول : (47)

**رُحماك يا ربّاه أي مصيبة نزلت بقومي في فتى الفتيان**

**كلُّ يصير إلى الفناء وإنما جورُ القضا ما كان في الحُسابان**

فالشاعر في هذا المقتبس يتهم القضاء بالجور ؛ لأنه حكم على صديقه بالفناء وهذا الأمر يوحي بعدم رضا الشاعر عن هذا الحكم. وفي قصيدة أخرى يقول : (48)

**رمى فأصابَ المُهَجَّةَ القدرُ الأعمى فلم يُردني - آه - ولا انتزع السَهْمَا**  
ينعت الشاعرُ القدرَ في هذا البيت بالعمى، وكأنه يقول : لولا عمى القدر لما أصاب مَنْ أصاب، وكان تركه وقصد غيره. وهذا البيت يذكرنا بقول أحد شعراء الجاهلية : (49)

**رأيتُ المنايا حَبَطَ عشواءَ مَنْ تُصِبُ ثمَّهْ وَمَنْ تُخْطِئُ يُعَمَّرَ فيهِرَمَ**  
و الأمر ليس كذلك، وإنما ما أصاب المرءَ لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وعلى الشاعر المسلم أن يرضى بما قُدِّرَ له، وأن يأتي بالمعاني التي تتفق مع هذا النهج ؛ لأن في ذلك تحقيقاً لضوابط الإيمان، يقول صلى الله عليه وسلم : " لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بالقدر، خيره وشره " (50) وعندما سُئِلَ الرسول الكريم عن الإيمان قال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " (51) ومن المعاني التي تصادم إيمان المسلم بالقدر تلك المبالغات التي تجعل القدرَ يدين ويخضع لحكم ملك من البشر، وهذا المعنى نجده عند الشاعر أحمد رفيق المهدي يخاطب الملك إدريس السنوسي، حيث يقول : (52)

**يا أيها الملكُ الميمونُ طالعهْ دانت لعزتك الأيامُ والقدرُ**

فظاهر هذا البيت يشير إلى أن للمخلوق صنعاً فوق القدر، والحق أن أي مخلوق لن يقدر على شيء إلا بما أودع الله فيه من القوة، وبما أحاط به من ظروف وأسباب، كلها من صنع الله وتقديره.

**تشبيه المخلوقين بالله الجليل :**

من الشعراء مَنْ جاوز إطار المبالغة، وتخطى حدود المعقول، فتطاوع لسانه بأن يشبه المخلوقين بالله تعالى، وهذا أمر منكر، ولو فكر الشاعر قليلاً قبل أن يُقدِّم على مثل هذا الأمر، لعلم أنه قد أتى عظيماً واقترب كبيراً، ولأحجم عن الوقوع في مثل ما أوقع نفسه فيه، ولكن يبدو أن بعض الشعراء، لم يكن يهمهم

سوى أن يسبقوا إلى شيء جديد، حتى لو كان على حساب دينه وعقيدته، فمن ذلك - مثلاً - قول الشاعر علي الرقيعي : (53)

أحبها هتفة حُبلى بموعدنا مع نهار كوجه الله يبتسم  
ومن ذلك قوله أيضاً : (54)

ويا خبازَ شارعنا التريب  
فلتستفق أبتاه.. ولتعلن بغنوتك الحنون  
ميلادَ أفراح الصغار  
في حيننا يا أيها الربُّ العظيم

يرمز الشاعر في هذا المقتبس إلى الشعب بـ (الخباز)، ويحرضه على الاستفاقة، ثم يناديه بقوله : ( يا أيها الربُّ العظيم ) وهو بذلك جعل الشعب ندأ للرب تبارك وتعالى، وذلك عندما أدخل ( اللام ) على كلمة ( رب )؛ فلو تتبعنا ما قالته معجمات اللغة في مادة : (رب) لتبين لنا الآتي : جاء في معجم القاموس المحيط : " الربُّ باللام لا يُطلق لغير الله عزَّ وجلَّ ". وجاء في لسان العرب : " لا يُقال الربُّ في غير الله إلا بالإضافة ". وفي الصحاح : " الربُّ : اسم من أسماء الله عزَّ وجلَّ ". وعلى ذلك فلفظ ( الربُّ ) لا يطلق لغير الله تعالى، ولا ندري أتمدَّ الشاعر إيراده كما ذكره، أم أنه أخطأ وظنَّ جواز ذلك من الناحية اللغوية. وها هو ذا شاعر آخر يقول : (55)

ظلي معي  
تكسري على ضلوعي،  
وأديبيني ضباباً لأضمَّ شامة  
وحيدة كالله،  
عند ضفة النهر

وتحت مسمى (الرمز) تجاوز بعض الشعراء كلَّ حدٍّ، وأوغلوا في أعماق الشطط، فهذا الشاعر محمد الشلطامي يقول : (56)

أتحكي العنادل والقبريات  
حكايا تقول بأن المدينة

على بابها انتحر الله مرة  
فلون من دمه كل دار  
وكل خيمة

#### ذكر العبادة لغير الله تعالى :

وقد ذكرها بعض الشعراء، وغالباً ما تأتي عند ذكر المبالغة في حب الشيء والتعلق به، كقول خليفة التليسي يصف غداً من يحب، وقد نشرتها للريح فانبعثت منها ريح العطر يقول : (57)

أَلَقْتُ بِهَا لِلرَّيْحِ تَنْشُرَ عَطْرَهَا      وَتَهَيَّرَ مِنْ وَجْدِ فُوَادِ الْعَابِدِ  
عَبَدَ الْجَمَالَ طَلَاقَةً وَسَمَاحَةً      فِي نَفْسِهَا وَشِعَاعِ حُلْمٍ وَاعِدِ

فالشاعر هنا يذكر أن هذا العاشق المتيم قد بلغ به حب الجمال درجة العبادة بسبب افتتانه بتلك المعشوقة الفاتنة.

وهذا الشاعر علي الرقيعي يشبه عيني محبوبته ببحر عذب، ثم يذكر أنه يعبد ذلك البحر، بل ويهوى الغرق فيه، يقول : (58)

حَلَوْتِي عَيْنَاكَ مَا أَعَذَّبَهَا      لَوْئُهَا لَوْنُ بَحَارِ الْمَشْرِقِ  
يَعْقَمُ الشَّعْرُ إِذَا لَمْ يَنْعَمْسَ      مَرَّةً فِي لَجَّهَا كِي يَسْتَقِي  
أَنْتَ بَحْرٌ زَوْبَعِيٌّ وَأَنَا      أَعْبُدُ الْبَحْرَ وَأَهْوَى غُرْقِي

لاشك أن لفظ (العبادة) وما اشتق منها في مثل هذه المواضع لا يُحمَل على المعنى الحقيقي وإنما ينصرف إلى المعنى المجازي الذي يُقصد به انتهاء المحبة والرضا والرغبة إلى شيء معين، وهو في المقتبس السابقيين ( المرأة المحبوبة) التي ملأت على المحب ذات نفسه، ولكن على الشاعر أن يتجنب ذكر مثل هذه الألفاظ في مثل هذه المواضع ؛ لأن وصول حب الشيء إلى هذا المبلغ يساوي التعاسة والضياع.

#### ذكر الأنبياء عليهم السلام :

جاء ذكر الأنبياء عليهم السلام في مواضع عديدة ومواطن كثيرة من دواوين الشعراء، وقد حاول بعض الشعراء رسم بعض صورهم الشعرية من خلال استدعائهم بعض أسماء الأنبياء لتكون تلك الصور أكثر تأثيراً ودهشة لدى

المتلقي، ولكن ذلك كان على حساب عقيدة الشاعر ودينه وحق الرسل الذين لهم منزلة رفيعة في دين الإسلام. ومن الشعراء الذين جاء ذكر الرسل في أشعارهم عبد المجيد القمودي، حيث يقول : (59)

**أنا ما كنتُ مسيحاً**

**أنا ما أورثني غير جراحه**

الشاعر في هذا المقتبس يصور المسيح عليه السلام في موقف مليء بالتشاؤم والبؤس، وهو أنه قد أورث جراحه غيره، وهو في واقع الأمر إنما جاء بالهدى والنور والرحمة، وورث العلم و البيئات، وكيف لا وهو الوجيه المقرب من رب العالمين، وفي حقه قال المولى عز وجل : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَحِيهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (60)

هذا وصف المسيح عليه السلام في القرآن، فكيف جعله الشاعر مُورثاً للجراح؟ ويقول علي الفزاني يصف موت الكبرياء والأنفة داخله : (61)

**في داخلي (الأنفا) دقيقة، دقيقة تموت**

**كموت يونس البطيء، عبر بطن الحوت**

الشاعر هنا يخالف ما ورد في القرآن الكريم، فيونس عليه السلام في القرآن كان حياً في بطن الحوت، يذكر الله ويسبحه، وقد أنجاه الله بفضل ذلك التسبيح. ونجد الشاعر علي الفزاني أيضاً يتحلم حُلماً فيقول : (62)

**إني رأيت ذات ليلة، رأيت في المنام**

**( محمداً ) ممتطياً براقه بلا لجام**

**رأيته، سمعته يقول :**

**أهكذا السلام يا (جبريل ) ؟**

**أليس بين أمتي ، أليس من (أخيل ) ؟**

في هذا المقتبس يتحدث الشاعر عما وصلت إليه الأمة من الضعف، ويذكر أنه رأى الرسول محمداً عليه الصلاة والسلام في المنام ممتطياً البراق وهو

يخاطب جبريل عن حال الأمة، متسائلاً : أليس فيها شخص كـ (أخيل) ينفذها. وأخيل الذي يذكره الشاعر هنا هو بطل أسطوري يوناني. وكما نرى، فإن قصة الحلم هذه لم تكن حقيقية، وإنما هي داخلة ضمن إطار الرؤيا الشعرية، حاول بها الشاعر استدعاء شخصيات لها دلالة خاصة ليقوي بها معانيه وصوره.

من هنا نقول : إن هذا المقتبس الشعري يتضمن مخالفة صريحة لبعض التعاليم الدينية، حيث روى الشاعر لنا فيه حُلماً زعم أنه رآه في منامه، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " مَنْ تَحَلَّمَ كاذباً كُفِّفَ يوم القيامة أنْ يعقدَ بين شعيرتين ولن يعقدَ بينهما " (63)

وفي البخاري عن الرسول الكريم أنه قال : " مَنْ تَحَلَّمَ بحلمٍ لم يره كُفِّفَ أن يعقدَ بين شعيرتين ولن يفعل. .. " (64)

وفيه أيضاً : " مِنْ أفرى الفِرَى أن يُرى عينيه ما لم تر " (65)  
**أخطاء أخرى :**

من تلك الأخطاء : تشبيه الشعر بالوحي عند بعض الشعراء، كما نجد ذلك في قول أحمد رفيق المهدي : (66)

**وما الشعر إلا الوحي جاشت بآيه نفوسٌ غدتها حكمة الحكماء**

فمن خلال ذكر الشاعر كلمتي : (الوحي) و (الآي) أدركنا أنه يحاول إيجاد شبه بين الشعر والوحي، وهذا من المبالغات التي يجب أن يحذر منها كل شاعر أو أديب ؛ لأن الوحي إنما هو من الله تعالى، وكله حق، أما الشعر فهو من كلام البشر المخلوقين، وغالباً ما تكون فيه الأباطيل واللغو من القول. ومن تلك الأخطاء قول المهدي، جاعلاً توحيد الله تعالى ووحدة الوطن في مرتبة واحدة، حيث يقول : (67)

**توحيدُ خالقنا أمرٌ يُعادله توحيدنا فاعتنم للخير واستبق**

ومن تلك الأخطاء : العطف بحرف العطف (الواو) عند ذكر بعض التراكيب كقول عبد المولى البغدادي : (68)

**وقلبي في يدي صَحْبِي      ضعيفَ العزم و الصَّبْرِ  
وقد شاءوا وشاء الله      هـ أنْ أُخْرَجَ عَنْ طُورِي**

وَأَنْشُرُ بَعْضَ مَا آتَرَ      تَأْنُ يَبْقَى بِلَا تَشْرُ

والخطأ واقع في البيت الثاني من جانبين : الأول أنه قَدَمَ مشيئة البشر على مشيئة الله، والثاني أنه عطف بالواو، وكان الأصوب أن يقول : ( وقد شاء الله ثم شاءوا )، ففي الحديث الشريف يقول عليه الصلاة والسلام : " لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا : ما شاء الله، ثم شاء فلان " (69)

وقال المهدي في رثاء الشاعر أحمد الشارف، ووصف حزنه عليه : (70)

وَأَنَا الَّذِي أَسْقَى يُورَثُ لَوْعَةً      فِي النَّفْسِ لَيْسَ لَضَرِّهَا مِنْ كَاشِفٍ

فجرباً للمهدي، كيف ينفي أن يكون مَنْ هو كاشف للضر، الذي أورثه اللوعة والحزن، وينسى أن الله تعالى هو الذي يكشف الضر. وكان يجب أن يقول : (ليس - غير الله - لضرها من كاشف)؛ لأن الله تعالى يقول في كتابه الكريم : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ (71)

ومن قصيدة للشاعر أحمد رفيق المهدي في رثاء الشاعر الإيطالي ( دانو نزيو) يقول مخاطباً جسده وروحه : (72)

عَادَ كُلُّ مِنْكَمَا لِلأَصْلِ فَالْفَانِي لِفَانٍ

لِلثَرَى، حِينَ سَمَا الْبَاقِي إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ

جعل الشاعر المهدي روحَ (دانو نزيو) تصعد إلى أعلى مكان، وذلك لسمو تلك الروح وطهارتها - على حد رأيه - وكأنَّ تلك الروح لامرئ مسلم، قد عمل الصالحات، وتهدبت نفسه بتعاليم الدين، فنال رضى ربه.

ولكنَّ (دانونزيو) لم يكن كذلك، وإنما كان عكس ذلك تماماً، وهو الأمر الذي كان يجهله المهدي، يقول الناقد خليفة التليسي مبيّناً بعض صفات (دانونزيو) النفسية والفكرية : " لم يكن (دانونزيو) شاعراً إنسانياً، وهو لا يعيش بين الشعراء بنزعة إنسانية، ولكنه كان شاعراً قومياً، بأضيق حدود القومية، حين تعني التعصب والعنصرية، وتمجيد الدم الذي ينتمي إليه، والسمو به إلى مكانة أعلى من أن ينالها أي عرق آخر " (73)

ويمضي الناقد التليسي قائلاً : " لم يكن هذا الشاعر مشغولاً بقضايا الروح أو قضايا العالم الآخر، ولا كان مما يتفق مع نزواته الحسية أن يعيش على مستوى من القداسة الروحية، ولكنه كان شاعراً مادياً، بكل ما في هذه الكلمة

من دلالات الحسية الغريزية المقبلة على الحياة بكافة جوارحها وأحاسيسها المتفتحة على كافة تجاربها الدنيوية الأرضية " (74)

ولم تقتصر صفاته وأفعاله عند هذا الحد، بل إن عنصريته جعلت منه مباشراً بالعظمة القومية القائمة على التوسع والامتداد، حيث مجّد الحملة الإيطالية على ليبيا، ويكفي أنه خصّ تلك الحملة الاستعمارية بديوانه : (Canzone Della Gesta) (75)

فبعد كل ذلك، ألا يحقّ لنا أن نعترض على المهدي حين نجده يخصص قصيدة كاملة لثناء هذا الشاعر والإشادة بصفاته، ومناجاة روحه التي جعلها من السمو بمكان ؟

ويبدو أن المهدي لم يكن يعلم عن هذا الشاعر شيئاً سوى اسمه ؛ لأنّ الشاعرين مختلفان عقيدة وتفكيراً، بل هما في واقع الأمر عدوّان، فالمهدي كان شاعراً وطنياً، وتحمل في سبيل وطنيته غير قليل من المشقة والعنت، ولو كان يعلم حقيقة (دانونزيو) تلك، لأعلن فرحته بوفاته بدلاً عن تأبينه وراثته.

هوامش البحث:

- 1 - ينظر : محمد مصطفى هدارة، الشعر والنقد الأخلاقي (بحث) مجلة عالم الفكر، مج : 9، ع : 3، 1978م، الكويت، ص230.
- 2 - المرجع نفسه.
- 3 - ل. تولستوي، المؤلفات الكاملة، موسكو، ط 1983م، مج : 16، ص : 143، نقلاً عن : مكارم الغمري، مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، نوفمبر، 1991م، الكويت، ص165.
- 4 - ينظر: ت س. اليوت، حاضر النقد الأدبي، ترجمة : محمود الربيعي دار غريب القاهرة، 1998م، ص 71.
- 5 - الصولي، أبو بكر، أخبار أبي تمام، تح : خليل عساكر ورفيقيه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937م، ص 173.
- 6 - الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم - علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د. ت، ص 64.
- 7 - ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، تحقيق المستشرق : س. أ. بونيباكر، ليدن، 1956م ص 4.
- 8 - ابن المعتز، عبد الله، طبقات الشعراء، تح : عبد الستار فراج، دار المعارف، مصر، 1375 هـ، 1965م، ص 337.
- 9 - الشنتريني، ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح : إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1398 هـ، 1978م، القسم الأول، مج : 1، ص432.
- 10 - المرزباني، الموشح، تح : علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، 1385 هـ، 1965م، ص415.
- 11 - الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تح : أحمد مصطفى المراغي، المطبعة التجارية الكبرى، مصر، ص301.
- 12 - البغدادي، عبد القادر، خزانة الأدب، تح : عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1976م، 1 : 246.

- 13 - الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق المستشرق : هيلموت ريتز، استانبول، 1954م، ص215.
- 14 - الثعالبي، ابو منصور، يتيمة الدهر، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1956م، 1 : 184.
- 15 - ابن يموت، مهلهل، سرقات أبي نواس، تح : محمد مصطفى هدارة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1957م، ص146.
- 16 - القيرواني، ابن شرف، مسائل الانتقاد، تح : شارل بلا، الجزائر، 1953م، ص50.
- 17 - الشنتريني، ابن بسام، مصدر سابق : القسم الأول، ج : 2، ص378.
- 18 - التنيسي، ابن وكيع، المنصف ( مخطوط ) نسخة برلين، عن : تاريخ النقد الأدبي عند العرب، لإحسان عباس، ط : دار الشروق، الأردن، 1993م، ص300.
- 19 - التنيسي، خليفة، الديوان، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1988، ص124
- 20 - سورة ( ق )، الآية : 18 ، ( رواية حفص عن عاصم ).
- 21 - ابن حنبل، أحمد، المسند، شرحه ووضع فهارسه : حمزة أحمد الزين، دار الحديث، ط1، القاهرة، 1416 هـ، 1995م، ج : 16، ص183، حديث رقم (21962)، وسنن الترمذي، محمد بن عيسى، تخريج وتعليق : محمد بن ناصر الدين الألباني، ضبط وفهرسة : مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ص590، حديث رقم (2616).
- 22 - الترمذي، أبو عيسى، سنن الترمذي، ص637، ورقم الحديث : (2850).
- 23 - الترمذي، الشمامل المحمدية، والخصائل المصطفوية، تح : سيد بن عباس الجليمي المكتبة التجارية، المملكة السعودية، مكة المكرمة، 1413 هـ، 1993 م، ص 205 - 206، والحديث في مسلم بشرح النووي، ج15، ص11، (كتاب الشعر).

- 24 - الموسى، خليل، بنية القصيدة العربية المعاصرة المتكاملة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م، ص24.
- 25 - ينظر القوائد في : لم يبق إلا الاعتراف، أحمد عبد المعطي حجازي، ص115، وأنشودة المطر، بدر شاكر السياب، ص12، ونهر الرماد، المجموعة الكاملة، خليل حاوي، ص22.
- 26 - الفرزاني، علي، المجموعة الأولى من الأعمال الشعرية الكاملة، الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، مطابع دار الحقيقة، بنغازي، 1975م، ص197.
- 27 - سورة النساء، من الآية : 157.
- 28 - قنابة، أحمد، الديوان، جمع وتحقيق ودراسة : الصيد محمد أبو ديب، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1968م، ص105.
- 29 - السوسي، حسن، نماذج ( شعر)، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط1، 1987م، ص13.
- 30 - التليسي، خليفة، الديوان : ص253.
- 31 - سورة النمل، من الآية 65.
- 32 - البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 1422 هـ، مج 1، ج 1، ص169 ( باب : يستقبل الإمام الناس إذا سلم ).
- 33 - ابن حنبل، أحمد، المسند، ج2، ص480، حديث رقم (2000).
- 34 - نقلاً عن هامش المسند، ج : 2، ص480، وهو من قول الخطابي في المعالم.
- 35 - الرقيعي، علي محمد، الحنين الضامي، منشورات الشركة العامة للنشر، طرابلس، ليبيا، ط1، 1979م، ص80.
- 36 - التليسي، خليفة، الديوان : ص25 - 26.
- 37 - السوسي، حسن، نماذج (شعر)، ص102.
- 38 - البخاري، الجامع الصحيح : مج4، ج8، ص132.
- 39 - ابن حنبل، أحمد، المسند : ج5، ص131، حديث رقم (5593).

- 40 - أبو غالب، الديوان، الإدارة العامة للثقافة، طرابلس، ليبيا، ط1، 1977م، ص23.
- 41 - المصدر نفسه : ص28.
- 42 - البغدادي، عبد المولى، على جناح نورس (شعر)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 1999م، ص275.
- 43 - ابن حنبل، المسند : ج9، ص485، من حديث أبي هريرة، ورقم الحديث : (10427)، وكذلك : ج16، ص350، من حديث أبي قتادة، ورقم الحديث (22451).
- 44 - البخاري، الجامع الصحيح : مج4، ج8، ص41.
- 45 - هذا من قول أبي عبيد، ينظر : تاج العروس، مادة ( دهر ).
- 46 - الماجري، رجب، في البدء كانت كلمة ( شعر )، منشورات مجلس تنمية الإبداع الثقافي، ط1، 2005م، ص24.
- 47 - المصدر نفسه : ص62 - 63.
- 48 - المصدر نفسه : ص94.
- 49 - البيت لزهير بن أبي سلمى، ينظر : أحمد الأمين الشنقيطي، المعلمات العشر و أخبار شعرائها، دار النصر للطباعة والنشر، د. ت، ص94.
- 50 - ابن حنبل، أحمد، المسند : ج6، ص433، ورقم الحديث (6985).
- 51 - مسلم، صحيح مسلم ( بشرح النووي)، المطبعة المصرية بالأزهر، ط1، 1347 هـ، 1929م، ج1، ص157.
- 52 - المهدي، أحمد رفيق، ديوان شاعر الوطن الكبير، الفترتان الرابعة والأخيرة، المطبعة الأهلية، بنغازي، ليبيا، ط1، 1965م، ص173.
- 53 - الرقيعي، علي محمد، أشواق صغيرة (شعر)، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط2، 1398 هـ، 1978م، ص118.
- 54 - المصدر نفسه : ص48.
- 55 - جبران، سالم، قصائد ليست محددة الإقامة : ص27.
- 56 - الشلطي، محمد، أنشودة الحزن العميق، (شعر)، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الجماهيرية، ط2، 1998م، ص6 - 10.

- 57 - التليسي، خليفة محمد، الديوان : ص 54 - 55.
- 58 - الرقيعي، علي محمد، أشواق صغيرة : ص 70.
- 59 - القمودي، عبد المجيد، زغاريد في علبة صفيح، (شعر)، طرابلس، ليبيا، ط1، 1973م، ص 78.
- 60 - سورة آل عمران، الآية : 45.
- 61 - الفزاني، علي عبد السلام، الأعمال الشعرية الكاملة (المجموعة الأولى) : ص 268.
- 62 - المصدر نفسه : ص 377.
- 63 - الترمذي، أبو عيسى، سنن الترمذي، ص: 516، ورقم الحديث : (2283).
- 64 - البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مج : 4، ج : 9، ص : 42.
- 65 - المصدر نفسه، مج : 4، ج : 9، ص : 43.
- 66 - المهدي، أحمد رفيق، ديوان شاعر الوطن الكبير، الفترة الثالثة، ص 35.
- 67 - المصدر نفسه، الفترتان : الرابعة والأخيرة، ص 256.
- 68 - البغدادي، عبد المولى، على جناح نورس، ص 14.
- 69 - النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، تقديم : عبد الله بن عبد المحسن التركي، إشراف : شعيب الأرنؤوط، تح : حسن شلبي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ - 2001م، ج : 9، ص 361، ورقم الحديث : (10755).
- 70 - المهدي، أحمد رفيق، ديوان شاعر الوطن الكبير، الفترتان : الرابعة والأخيرة، ص 282.
- 71 - سورة النمل، من الآية : 62.
- 72 - المهدي، أحمد رفيق، ديوان شاعر الوطن الكبير، الفترة الثالثة، ص : 121.

د. محمود عبد المولى علي

- 73 - التليسي، خليفة، رفيق شاعر الوطن، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، د. ط، 1988م، ص190.
- 74 - المصدر نفسه، ص : 194.
- 75 - المصدر نفسه، ص : 196.

## الجمال الأدبي في التكرار اللفظي دراسة فنية لنماذج من للشعر الليبي المعاصر

د. مسعود محمد الصيد

كلية التربية - الزنتان

### توطئة

اللغة أداة يستخدمها الشعراء جميعهم في إيصال معلوماتهم إلى الجمهور فهي وسيلة إبلاغ وتواصل، سواء أكانت أصواتا أم كتابة، وفي كلتا الحالتين تكون اللغة وسيلة للشاعر المبدع، يبرز من خلالها قضايا الاجتماعية والحضارية، فالشاعر الليبي تناول قضايا اجتماعية وسياسية وإنسانية شغلت أبناء وطنه وأمتة العربية كلها، واتجه نحو اللغة الميسورة على فهم الجماهير القريبة من وجدانهم اللغوي فجاءت لغته وسطاً بلا استعلاء أو إسفاف.

يبدو ذلك في وصف (القمودي) للفلاح الكادح، الذي رفض الرضوخ

للاستعمار فقال:

"ويد الظلم قوية ..

أنداك

ومتينة..

وضعوا في راحتيه القيد

- ظلما - غلّوه...

جلدوا بالسوط ظهره ...

عذبوه ...

وقفت زوجته تستقبل الضربات دونه ...

أبعدوها بصقت في وجوههم

واجتذبوه

تركوها وحدها تنعى حزينه...

ثم ساقوه إلى ساحة المشانق

مثل آلاف الرفاق" 1

قد يجد الناظر إلى تراكيب الصور اللغوية المعروضة عدة معادلات موضوعية للحالات والتجارب الشخصية العامة ، التي عبر عنها الشاعر فألفاظ القصيدة منها ما يوحي بالظلم والقهر والاستعباد ، ويثير في النفس كراهية المستعمر، وبعضها الآخر نلمح فيه هذا التعاطف مع الفلاح الكادح . والناظر إلى هذه الألفاظ يجدها، فصيحة سائرة، مستقاة من لغة الحياة المتداولة بين أفراد المجتمع، فهي لغة محايدة لا تحتاج إلى جهد كبير لكشف معانيها وهذا سر سهولتها ومنيع تأثيرها.

و(الشلطامي) يركب بحر اللغة في قوله :

يحد ثني القلب

أن أبحر الآن

انشر كل شراع السفينة للريح

ثم أغيب .. أغيب ..

ولا أتراجع للخلف .. فالبحر كان

لكي تمتطيه المراكب

والعين فتحها الضوء

كي تستشف معاني الجمال المخبأ في كل شيء"2

لقد استخدم الشاعر جملة "تمتطيه المراكب" بدل "تركبه المراكب" وهي في السياق الذي اختاره الشاعر أكثر دقة وأسلس تركيباً، لأن الاستخدام الثاني- تركيبه المراكب- فيه تكرار للحروف وابتدال للألفاظ .

لكن ليس كل تكرار سيئ ومبتذل فالاختيار الأمثل هو ما يختاره سياق الكلمة أو اللفظة، ذلك لأن البناء الفني الذي يجلب للنفس قدراً من المتعة والتأثير يكون هو المتفرد بالقبول

فالشاعر حسن السوسي في صورته الشعرية المليئة بالتكرار للحروف يقدم لونا من ألوان الفن الشعري حين يقول: في الذكرى التسعينية لميلاد رفيق:

مربع كان يغشاها فتسعه

رواحاً ويلقي بها صحباً وإخوانا

والذكريات حياة تستعيد بها

في خطرة العين أحداثا وأزمانا  
قد هجره .. وقالو جامع خطر  
إن قال بيتا رواه الناس ديوانا  
ضمته جيحان في رفق وفي حذب  
فضاق من شوقه ذرعا بجيحانا  
وكلما خطرت يوما بخاطره

بلاده.. ذاب أشواقا وتحنانا"3

في الأبيات نجد تكراراً لبعض الحروف والكلمات، وكانت الصورة الفنية مبنية على هذا النوع من التنسيق اليسير غير المخل أو الممل ، فالنواحي البلاغية في الجملة ليست إلا نظرات عامة في الإبانة للمعني والإظهار له وهذا يدل على الارتباط الوثيق بين اللغة المعجمية والاتصال بين الناس .  
كما نجد من الشعراء اللببيين من يوظف بعض المفردات ذات الدلالة الصوتية والطابع المميز، ولا سيما تلك الناحية المبنية على التناقض بين الفضيلة والرذيلة وهذا ما وجدناه عند الشاعر إبراهيم محمد الهوني في قوله :  
يا أيها الموسر الزاهي بثروته

لا تغترر بثراء بين أيديكا

فما الثراء سوى بلوى وتجربة

قد يصبح المال يوما من أعادিকা

في هذه الدار حل الله نقمته

بك وفي دارك الأخرى سيكويكا

لا تأنفن من فقير عند رؤيته

فإن حاضره المزري كما ضيكا"4

وهنا يخيف الشاعر الأغنياء وينصحهم متخذاً من حرف (الكاف) نهاية لقافيته لما في الكاف من خاصية صوتية مميزة، مثل: إياك، ودعك.  
إن كاف الخطاب هو الضابط الدلالي لجوانب عديدة منها المخاطبة ولزوم تأخيرها يعني أن يكون مطابقاً للرتبة الأصلية له وكذلك تراكيب الألفاظ جاءت بصيغة النهي، والأمر الآخر الذي أطلعنا عليه الشاعر هو الحالة النفسية

الحاصلة من المال وصاحبه، والفقير وحاجته، بينه أيضا الشاعر عبد المجيد القمودي في قوله:

### تخاف الأرامل

أن يطمع ذو المال من لا ضمير له  
فيلقي على دربهن الشباك  
ويقتل فيهن روح الفضيلة  
وتجرفهن رياح الرذيلة"5

لقد بنى الشاعر فكرته على المخاوف من ذوي المال، لكنه استدرك التعميم فقيد الحكم على أولئك الذين لا ضمير لهم، بحيث أخرج نفسه من طائفة الجمع دون استثناء، وأن الذي لا ضمير له يمارس الرذيلة ويترك الفضيلة. فالصور الفنية التي عرضها قد جلبت من بديع الجنس غير المتكامل بين روح، ورياح- بالإضافة إلى التنافر بين المقطع الأخير وما قبل الأخير. قد تستمد الصورة جمالياتها من متداخلات لغوية تعتمد على إيحائية الاستفهام البلاغي وتتابعه على نحو ما نجد في قصيدة (يا من يغار على اليمن) لعبد المولى البغدادي حين قال:

تلك الجراح الداميا ت الدافقات جراح من؟  
تلك الخناجر والسيو ف المشهرات بوجه من؟  
وشرعت تهدم بيت من؟ وبأرض من؟ ولأجل من؟"6

تكرار الشاعر لاسم الاستفهام (من) الذي يرد مرات متتالية في هذه الأبيات وإحاحه عليه، إنما هو تأكيد على استخدام اللغة وتطويعها فيما يتمشى مع الغاية المقصودة، كما أن استعمال الحروف وتكرارها إنما يأتي هو الآخر توظيفاً رائعاً في نقل المعنى، وخصوصاً حين يدعمها الشاعر بحرفي الجزم والنصب في هذا البيت:

وتقول يا بلقيس إني ما غدرت ولم ولن"7

فالأداتان تتفقان في المعنى، وهو النفي، وتختلفان في المفعول النحوي فالأولى للجزم، والثانية للنصب، ويكتسب النص بهذا التكرار قيمة دلالية تتمثل في تأكيد نفي الغدر عن المعنى.

وتساوى محمد الفيتورى مع البغدادي في استعمال أدوات الاستفهام في

قوله:

أكل ما عندك أن تصبحي مزرعه  
للأرجل الزارعه  
أكل ما عندك أن تلعي أحذية المستعمر اللامعه  
أكل ما عندك أن ترقدي  
خاملة ... حائرة .. خاضعه  
أكل ما عندك أن تضحكي  
هازئة بالقيم الرائعه ..  
أكل ما عندك أن تصدري قوافل الرقيق  
يا ضائعه!"8

وقد يتحول التكرار إلى جري وراء محسنات بدعية متكلفة تفقد القصيدة

كثيرا من شاعريتها وانسيابها العفوي ، مثلما نجد في قول الحريري:

زينب زينب ، بقدر يقدر  
وتلاه ويلاه نهدي يهد  
جندها جيدها ، وظرف وظرف  
وتعاس ناعس بحد يحد  
قدرها قدرها ، وتاهت وباهت

واغدتت واعتدت بخد"9

إذا تأملت هذا يتبين لك ما في الصورة الشعرية من مختلف التوليدات

والصنعة المفرطة ، فإن ندرت تفردت وإن كثرت ملت وسمجت.

"ومن الطبيعي أن تختلف اللغة في سياقها الجماهيري الجديد، اختلاف

البلاغة الجديدة عن البلاغة القديمة التي تتطلب بنية وخصائص تختلف عن

ذي قبل"10

وقد تتأسس تفاعلات الصور على دلالات زمنية كما يظهر في مقطع

من قصيدة ( عار الحياة ) لعلي الفزاني التي يقول فيها :

والصبح بالأمس المضيق لن يؤوب

الصبح إبحار رهيب

### فاحمل خريفك وامض في الدهر السحيق

#### ذكرى على شفة المدى وهماً ، عتيق" 11

فكلمات: الصبح - والأمس - والآونة- جميعها من عناصر الزمن بأنواعه المختلفة ، الماضي ، والحاضر، والمستقبل .  
إذن التكرار ظاهرة أسلوبية يستخدمها الشاعر أداة لرسم الصورة الفنية ومعنى ذلك ، أن تكرار الكلمات يغني المعنى ويدفعه إلى مرتبة الأصالة ، إذا استطاع الشاعر أن يسيطر عليه ، ويبدع في استخدامه ، أما إذا ضاق قاموس الشاعر اللغوي واضطرته القافية إلى التكرار ، جاءت الألفاظ مبتذلة ضعيفة المعنى<sup>12</sup>.

فالتكرار يهدف إلى إعطاء صورة تنطبع في ذهن القاري أو السامع مثلما انطبعت في ذهن كاتبها أو قائلها ، وقد حفلت الصورة الشعرية في الشعر الليبي المعاصر بهذا النوع من التكرار لما له من مقاصد إيحائية يهدفون إلى تحقيقها من خلاله، ولذلك فإنهم استخدموه بأشكال متعددة تختلف باختلاف المقاصد والمطامح .. وتظهر لنا أشكال هذا التكرار في الشعر الليبي بين تكرار بسيط لا يتجاوز لفظة أو عبارة، وآخر أكثر تعقيداً، يتصرف فيه الشاعر حتى يبدو أكثر إحياء<sup>13</sup>.  
ويمكننا أن نمثل لهذين النمطين بنماذج من الشعر الليبي المعاصر تبرز فيها هذه السمة من سمات التعبير.

#### 1. التكرار البسيط

سبق وأن أشرنا إلى أن للشعر طبيعة خاصة تميزه عن النثر وهي الموسيقا ورنين الكلمات ، وبهذا نجد في تكرار كلمة -العنصر الأساسي أو- الجسد الذي اتخذته الصورة، ثم هو الرؤيا والموقف عند الشاعر المعاصر .  
وهذا ما نلاحظه عند الشاعر لطفي عبد اللطيف الذي وجد في تكرار اسم الإشارة (هنا) سبيلاً للتعبير عن تجربته الشعرية، مستغلاً في ذلك حرف التاء أيضاً وما يحمله من إحياءات حين قال في قصيدة (مواجيد):

هنا محبوبك العاتي

هنا ماضيك والآتي

هنا أنت الذي بثّ  
في إرساله الذاتي  
إلى الذاتي  
بلا صوت  
ولا ترتيب ميقات  
ولا حسب المسافات  
فؤاد جل عني رصدُ دقاتي  
وبين الأضلع القضبان  
مجموعي و أشتاتي  
هما يآسي ومشكاتي  
أنا المقبوض من قلبي عليّ بإثم إفلاتي"14

لقد وجد الشاعر في اسم الإشارة (هنا) ترتيباً لنسقه الشعري واعتبره منطلقاً يبرز به شجونه، ومدخلاً حسناً ينشئ الشاعر حوله، فقد حمل "هنا" تقديراً ممزوجاً وكأنه أراد القول "هنا أنا" "وهنا أنت" وهو يخاطب قلبه الذي أحاطت به الأضلع وكأنها قضبان سجنته، وتلك هي نظرة تأملية في الإنسان، قد يرى نفسه أنه مسجون من داخله.

وعندما نلتفت إلى العلاقة التي تهيأت للصورة الفنية، نجد في قول (خالد زغبية) جمعا للمتناقضات، عن الحياة والموت والنهار والليل، والخير والشر والشباب والشيخوخة، والحب والكره، وكل عوالم النفس الإنسانية العديدة فيقول في قصيدة (إلى حسن صالح):

يا رفيقي  
حطم الأسطورة الزائفة الحمقاء،  
"وامضي"<sup>15</sup> لانعتاق،  
أحمر، كالدم  
يجري في عروقي  
وأطلق الأوزان بحراً  
بالأمانى الحمر، يترى

إن للكلمات وهجاً ليس يخبو.

...

يارفيقي

إننا جسر بأنهار الظلام  
إننا جسر ، ولكننا سنبقى  
رغم ليل الليل والغربان،  
لكننا سنبقى

...

يارفيقي

إننا قلع يرفرف  
سوف يهدي الحائرنا  
في بحار الليل،  
يهدي التانهينا "16"

إن التكرار هنا تكرر مقطعي حيث كرر الشاعر في مقاطع القصيدة كلمة (يارفيقي) والتكرار هنا إلحاح على كلمة معينة ليؤكد من خلاله الرفقة النضالية المتمثلة في وحدة الهدف والأسلوب ، وتأتي كلمة (رفيقي) في خاتمة كل مقطع لتؤكد أيضا تلك الصلة الحميمة بعد كل دفقة شعورية نبضت فيها همومه التي هي همومهما المشتركة بينهما.

لكن على الخرم يقسم في قصيدة (إصرار) أنه لن يبقى مكتوفاً إزاء ما يحدث فيقرر في نشيد كتبه عقب النكسة التي حلت بالأمة العربية في 5 يونيو "1967"

قسما لسنزحف للنأر  
قسم الأبطال الأحرار  
سندمدم مثل الإعصار  
كالسيل نجلجل كالنار  
وسيمحوا أقداء العار  
تحريري وطني ودياري

الجمال الأدبي في التكرار اللفظي ...

من قبضة باغ غدار  
وربيب للاستعمار  
مغتصبا ظلما للدار

...

كلا لن يبقى بجواري  
في قبضة باغ غدار  
قسما لسنزحف للنأر"17

إن الثابت في النص ، هو الوعد بأنه سيقا تل هو وأبناء جيله ، كرجل حر وهو يقسم ويكرر القسم في عدة مقاطع من قصيدته ، وكان صدره معجون برائحة الغبار والبارود ، وأنه سيناضل رغم ما في ذلك من تعب ومشقة وهو بذلك يدق الطبول ليقول ، هل هنالك من يملك ألا يحب وطنه بكل ما في جامح قلبه ووجدانه من مشاعر؟ وفي تكرار الكلمة عند (علي الفيتوري) ما يؤلم حين يقول في قصيدة (تنهدات) :

ما حيلتي ؟  
والقيد في معصمي  
والشهد مر في فمي  
والحاقدون تجمعوا  
من أجل رؤية ماتمي  
وكلايهم مسعورة  
جاءت لتلحق من دمي  
ما حيلتي ؟  
أين المفر ؟  
بأي شي أحتمي ؟"18

لقد تناول الشاعر مفهوم الكرامة من محرك أقوى تماما من أي تعبيرات أخرى نادت بها الحركات (التحريرية) في المجتمعات العربية ، والتباعد بين الاستفهام في تكراره لكلمة (ما حيلتي) ولد صراعا من خلاله يكون إطار احترام النفس ، ومحاربة الروح الانهزامية ، بعد إهانات مؤلمة على يد الصهيونية والاستعمار ، وأن التناسب في نقل الصورة عن طريق التكرار

لل كلمات يكون فيه ملاءمة بين ما يقصده الشاعر ، ووضع صورته الشعرية بين عامة مقتطفات الصورة .  
وقد نجد في حسابنا أن تكرار الألفاظ فيه تمويه كما في قول عبد الحميد بطاو:

لتمسخ أعواد أباطيل  
وقرود تتقن فن العزف  
وتحترف التمثيل  
فاحمل أقلامك لا تغضب  
واكتم آلامك في صدرك  
واشرب من كأس الصبر المر  
واصبر  
واصبر  
واصبر

وستعرف أن الصبر جميل "19"

مرة أخرى وبمنتهي البساطة وبعد أن نكون قد كونا صورة عن سهولة التعبير نحن نقف أمام سؤال يحتاج إلى جواب عن "المأمور بالصبر" هل هو إنسان العصر؟ الذي كثرت عليه المتداخلات وتفرعت له المشكلات أم هو فرد من طبقة معينة؟ ولكن الثابت أنه إصدار أمر بالصبر، فتوالى تكراره له حتى أحسنا بماله من محاسن في القول المأثور "الصبر جميل" .  
ميز النقاد العرب الشاعر فقال قدامه بن جعفر " وإنما سمي الشاعر شاعراً لأنه شعر من معاني القول وأصالة الوصف بما لا يشعر به غيره"20 و السوسي أيضاً يخاطب نفسه في قصيدة ( صفها )قائلاً:

قال لي ، صفها ، تأمل حسنها  
أنت كالرسام في هذا المجال  
صف لنا قامتها صف لنا طلعتها  
أشرققت من فوقها مثل الهلال  
صف لنا الجيد ، تأمل شعرها  
كيف ألقته على الصدر فمال

صف ما فوقه من شفق  
صف لنا مقلتها حين رنت  
صف حديثاً قد وجدنا وقعه  
جل من جمع في صورتها  
قلت عفوا ... ربما ظلمتها  
هي شيء مثل أحلام الصبا

صف لنا ما تحته من يرتقال  
فالتقى فيها جواب بسؤال  
كالندى البارد كالماء الزلال  
فتنة الحسن وإغراء الدلال  
إن أقل كالقص أو مثل الغزال

#### وهي شيء مثل أوهام الخيال"21

لقد رسم حسن السوسي صورة مبدعة في وصفه -لفتاة حسناء- ولا سيما حين كرر كلمة (صف) واتخذها محورا تدور عليه معظم معانيه الشعرية في قصيدته المسماة (صفها) على الرغم من بساطتها وقلة حروفها ، وفي هذا النهج نلمح رؤية شعرية تشبه بضوء يتوهج في الضباب فالصورة في الأبيات مدفوعة إلى المتلقي بومضات من حين لآخر تؤديها أداة التكرار التي تظهر بين الفينة والأخرى.

بينما نجد الشاعر علي الفيتوري يماثل الحرام بالحرام ويرفض أن يكون مذنباً فهو كما يقول لم يرتكب منكراً.

إذا ما قلت أهواك  
أنا لم أرتكب " منكر"22  
ولكن الهوى ذنب  
لدى الآباء لا تغفر  
حرام في شريعتهم  
كحرم الخمر .. بل أكثر  
أبوك أحاط بمنزلكم  
بشجرة الشوك والعسكر  
وسور في فخامته

كسور مدينة القيصر  
وسخر من يراقبني  
يلاحقني متى أظهر  
سئمت الحب في بلدي  
سئمت صحائفنا تطوى  
بما فيها .. ولا تنشر"23

في الصورة السابقة استعمل الشاعر كلمة سئمت مرتين في بيتين متتاليين ليؤكد مدى تتابع الإجراءات التي تسعى لتأكيد الحصار الذي ضرب حوله ، فالتكرار هنا له دلالات نفسية وظفها الشاعر ليرسم لنا حالة الإحباط التي تولدت عنده ولينقل مشاعر الحرمان لديه .

يتخذ الشاعر إدريس ابن الطيب من أغنية ليبية لتعليم الأطفال المشي سنداً له في قصيدة طائر من حجر، إلى طلائع الحجر الفلسطيني فيقول :

ظلام هنا يترنج،  
يسفح هذا السواد الذي فيه حين يرفرف صوت مواويلها فوق صوتي  
يثرثر عن ولد يافع وغريب  
فأغرقتني في رمال من الالتحام المعذب حتى ترنج صوتي ليصرخ في  
مطلع الشعر :  
-آه ، الهواء ، النوافذ ،  
أوف،

يا لضيق القواميس!  
هذي القصيدة تخشى الوقوف على قدميها أمام اللهب ،  
وترفض حتى يدي لتدرجها في الطريق الطويل ،  
-لا زحف في الشعر ، مشي وئيد على النصل ،  
مشي عنيد إلى الفعل،  
نزف تدرجه الأغنيات ،  
تصلب أقدامه باتجاه الأمان ،  
"ديش حب الرمان"24\* ،

## ديدش يحيا الإنسان"25

وهكذا يجد الشاعر الليبي مثالا ينطلق منه وتفتحاً يتمشى معه القياس الزمني وإعطاء مثال على نمو النضال لم يجد الشاعر أفضل وسيلة يحدد بها لغته في بيان الصورة النضالية إلا تلك الكلمات ذات التعبير البعيد المنشأ المتمثلة في الأغنية الطفولية اللببية "ديدش حب الرمان" فأضاف لها من عنده جملة تواكب السياق هي: "ديدش يحيا الإنسان" لكي يخاطب بها أطفال الحجارة في اعتزاز، كما تعتر الأم بوليدها الذي ترتجي شبابه ونضوجه، وليس من شك أنه أوضح مثل .

وهكذا يجد الشاعر الليبي المعاصر بوعيه ونضجه وتفتح واستيعابه لتجارب وخبرات التيارات الأدبية والفكرية الأخرى من شعبية تراثية وقراءات فكرية سنداً له في تكوين الصورة الشعرية الفنية

## 2. التكرار المركب

يحفل الشعر الليبي بنماذج من الصور الشعرية التي تعتمد أسلوب التكرار المركب، فما أن يلتفت القارئ إليه حتى يجده في تكرار جملة، أو عبارة، أو تكرار معنى منقول من معنى سابق يبدأ من بداية القصيدة أو المقطوعة الشعرية ومن هنا يجيء دور الشعراء في محاولة اللجوء إلى الحياة ليستمدوا منها تعبيرات جديدة، بالتطوير في لغتهم الشعرية، والتقريب بينها وبين لغة الحياة العصرية فالشاعر الموهوب هو الذي يحاول أن يبني الألفاظ التي حجرتها القوالب الشعرية .

وقد بلغ تأصيل هذه الفكرة في البيئة الشعرية حتى أصبحت ذات معالم واضحة مرتبطة بأداء إحساس الشاعر ارتباطاً وثيقاً، ذلك أن الكثير من الصور الفنية مخبوءة تحت أسوار دلالاتها ومغازيها اللفظية إذ العبارة لباساً للفكرة وقالبا تصب فيه ومن الممكن أن تلبس الفكرة لباساً ثانياً وثالثاً وتصبها في قوالب مختلفة<sup>26</sup> منها أسلوب الاستفهام المتكرر الذي جاء في قول الشاعر محمد الفيتوري:

تقولين أنت

ويفجؤني السر

أسقط في خرس الأرض  
أسقط كالأرض  
تحتلني كبرياء الهزيمة  
- هل أنت في جسدي كبرياء الهزيمة  
تتقب كل حوافرهم في عظامي؟  
- هل أنت حوافرهم في عظامي؟  
هل أنت درب غيابي؟  
شمس حضوري؟  
لون اشتعالي؟  
سيف انتقامي؟  
أواه... لو كنت أعرف من أنت؟  
يا نصبا رائعا من حطام البطولة  
يا شفقا من عيون التوابيت  
يا وجه قدسية من رخام!" 27

بيدئ الشاعر قلقة من الثوابت التي دأبت عليها أفريقيا فيشخصها حبيبة  
فتتواصل الأساليب الاستفهامية وتتوالى في القصيدة مولدة وراءها العديد من  
الصور التي تعبر عن معاناة المواطن الإفريقي في قارته وكانت تصويرا لذلك  
الشك والقلق على مستقبل الأمم الإفريقية من متغيرات العالم .  
الشاعر محمد الشلطي قد سخر العديد من الصور الأدبية  
والاستعارات البلاغية بأسلوب يجعلنا في قلب الشعور الذي نعرض جزءا من  
همساته القائلة:

أوشوش في أذن الجند  
(عودوا إلى الأهل)  
عودوا إلى الأهل..  
فالأرض أضيق من أن تضم إلى  
صدرها الحقد والعنصريه  
عودوا .. فأعداؤكم يستبيحونكم

في كلا الجبهتين  
لنهدم كل الحدود  
وكل أسانيد تجار أسلحة الموت  
في زمن الوطن الحب رغم العيون الكليّة  
ونهدي إلى بعضنا البعض في ليلة العيد  
كل الأمانى الجميله "28

إن المتأمل في هذا النص يستطيع أن يتبين إحساس الشاعر بالشخصية الوطنية حين يأخذ في وصف متميز للجنود - من قدرة على الكفاح وصبر على الحرب واستعداد تام لها - وهو يكرر جملة - عودوا إلى الأهل - وفي هذا التكرار لا توجد مكابرة عن ما أقرت به شواهد الحال من التشرذم والتفرق الحاصل بين الأقطار العربية ، وفي الصورة -أيضا- تحريكا للنفوس يدعو إلى التمسك بالوحدة والعمل على تدعيمها كما جاءت لغة هذا النص مبنية على أسلوب أوامر، لكنها لا تعدو كونها همسات هادئة حين قال "أوشوش في أذن الجند".

وفي قصيدة علي صدقي عبد القادر التي عنونها بـ ( ضد التفجير الذري) نلاحظ تكرارا واضحا ، يقول في ذلك :

لنسد الباب المفتوح  
لنسد الباب المفتوح على اللجة  
لنسد الباب المفتوح على الميناء  
لنسد الباب المفتوح  
لنسد الباب<sup>29</sup>

إن الشاعر اعتمد تكرارا للجملة التي بني عليها القصيدة ، وهي (لنسد الباب المفتوح) مع بعض الإضافة إليها في كل مرة ، ليناسب بين التكرار والتوتر العاطفي الذي أراد من خلاله أن يعبر عن استنكاره موقف الشعوب حين تعجز عن حماية أراضيها من الغزاة ، وقد استفاد الشاعر من الطاقات التعبيرية للتكرار ، في تصعيد العاطفة والهبوط بها من خلال التحكم في زيادة العبارة ونقصانها .

يحاول الشاعر الليبي أن يجد خلاصه في الحب بل لعل الحب هو الذي يدعوه لينقذه من مناهة الضياع... إنه الحب الإنساني النبيل - إنه يحترق ليضيء الطريق للسالكين ، كما عبر عن ذلك (الفزاني) حين قال:

أتعلمين يا سجينه الملال والجدار  
بأنني بقية حزينه .. حزينه ...  
من الرماد.. في داخلي احتراق  
في ظاهري انعتاق..  
أموت كل ليلة على الورق..  
بالشوق والملل والقلق ..  
أضيع .. احترق ..  
لعل أحرفي تضيئ عتمة الطريق ..  
لعل بعض ما هنا لمدة يفوق.. "30

إن الصورة السابقة رسمت من ومضات لغوية عديدة ، ففي التكرار " حزينه حزينه " انسجام إيقاعي ، مع كلمة - يا سجينه ، فيكون التردد الصوتي يا سجينه حزينه، حزينه، واحتراق الأولى رافقه المكان وهو داخله وفي احتراق الثانية صاحبه الزمان ضمنا، المنتزع من الضياع وهو صورة فنية أبرزت مشاعر حساسة وشجون إنسان.

#### استنتاجات :

لقد حظيت اللغة باهتمام كبير من قبل الباحثين والنقاد قديما وحديثا بل إنها قرنت بالصورة الأدبية في كثير من مجالاتها ، كما أن طلب الصورة وجعلها الهدف الأساسي إنما هو نابع من طبيعة الدراسة للصورة وأبعادها في الشعر الليبي المعاصر، مستبيننا من خلال الشعر الليبي الأساليب اللغوية وتباين مشاربها عند الشعراء ، وتناقضهم كنوز التراث الأدبي في لغتنا التي هي: الكلام"، والكلام - في اصطلاح النحويين - عبارة عما اجتمع فيه أمران: اللفظ والإفادة .

والمراد باللفظ الصوت المشتمل على بعض الحروف، تحقيقا أو تقديرا والمرادة بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه"<sup>31</sup> فإنن التراكيب

اللغوية من المعايير الجمالية الموضوعية التي تعد من أسس الحكم على العمل الفني الأدبي.

إن القيمة للصورة نابغة من تضافر جهود مبدعيها ؛ فالأساليب اللغوية المتعددة وتفرعاتها ، والرمز وما له من مزية ، كلها عناصر تتحد في تكوين الصورة المبدعة ، فضلا عما تحمله من بيان وتفسير ، فكم مفردة حملت مشاعر وعواطف صادقة لكونها أقواها على الإدراك "فالإيقاع واللغة والأسطورة والحوار والتكرار والمواقف الدرامية ، والشخوص المقتبسة من التاريخ"<sup>32</sup> تدخل في بناء الصورة الفنية بما أخذ فيه الشاعر بدلالات الألفاظ وتركيباتها التي ساقها على ذلك النحو الذي دل فيه بالتعبير المباشر ، وغير المباشر ، فجل الأشعار تحتاج إلى تفصيل وتوضيح وهو ما استدعي دراستها دراسة أدبية مفصلة -عن التكرار- في هذا البحث فكان القول الشعري مشاعر وهذا ترتيب حقيقة ما أوحى به اللفظ واتزن به الشعر فهو إذن حكمة تسحر القلب ، وعاطفة تملأ المشاعر بكثير من الفرح وأحيانا الألم والدهشة ، فهو كذلك تأثير متولد عن خصائص فنية معينة تصوغ معاناة إنسانية .

## المصادر والمراجع:

- 1\_ عبد المجيد القمودي، ديوان زغاريد في علبة صفيح، ص 30، 31
- 2\_ محمد الشلطي، عاشق من سدوم، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان 2002 ص 20، 21
- 3\_ حسن السوسي، ديوان ألحان ليبية، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي ليبيا 1998، ص 88، 89.
- 4\_ محمد إبراهيم الهوني، الديوان، دارا لأندلس 1966 ج 1 ص 64
- 5\_ عبد المجيد القمودي، ديوان أغنية البحر، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان طرابلس ليبيا 1984، ص 123
- 6- عبد المولى البغدادي، على جناح نورس، ص 97
- 7- المصدر السابق
- 8- محمد الفيتوري، الديوان، ج 1، ص 48
- 9 عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، نحو بلاغة جديدة، مكتبة غريب، القاهرة مصر لات، ص 173
- 10 - المصدر السابق ص 81
- 11 - على الفزاني، المجموعة الأولى من الأعمال الشعرية الكاملة، ص 242
- 12- انظر. صالح أبو إصبع، التكرار في الشعر الحر، مجلة الثقافة العربية العدد 1- لسنة 1978 ص 33
- 13- انظر. علي عشري زايد، بناء القصيدة العربية الحديثة، ص 65
- 14- لطفي عبد اللطيف، ديوان قليل من التعري، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والأعلان، الجماهيرية الليبية 1999، ص 63، 64
- 15 - كذا في الديوان .
- 16 - خالد زغبية، ديوان السور الكبير، ص 97 - 99
- 17- على الخرم، سلة الأنغام، وزارة الأعلام، ص 33

- 18- علي الفيتوري رحومة ، ديوان شعر ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان الجماهيرية العظمى كذلك مطابع الوحدة العربية الزاوية ليبيا ص 31
- 19 - عبد الحميد عبد السلام بطاو ، ديوان تراكم الامور الصعبة دار البكوش ، 1976 ، ص 19 .
- 20 - قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، طبع وزارة المعارف ، القاهرة 1339 ص 77
- 21- حسن السوسي ، ديوان ليالى الصيف ، منشورات دار الكتاب الليبي ، حسن الخراز ، بنغازي ليبيا 1970 ص 33 ، 34
- 22 - منكر هكذا وجد في النص والصحيح " منكرًا"
- 23- على الفيتوري رحومه ديوان شعر ص 88 ، 89 .
- 24 -هي إحدى الجمل التي يلفظ بها لتشجيع الصغير على المشي بعد الحبو.
- 25 -إدريس ابن الطيب ، ديوان ،العناق على مرمى الدم ص 67،68
- 26 -انظر محمد أبو موسى ، التصوير البياني ، ص 542
- 27- محمد الفيتوري ديوانه م 2 ص 186، 185
- 28 - محمد الشلطي ، ديوان قصائد عند الفرح ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس الجماهيرية العظمى 2002 ص 8 ، 9
- 29 \_ علي صدقي عبد القادر ، المجموعة الشعرية الكاملة ، ص 283 .
- 30 -علي الفزاني المجموعة الأولى من الأعمال الشعرية الكاملة ص 214
- 31 - أبي محمد عبد الله بن هشام ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ط 6، 1981 ج 1 ص 11
- 32 -زكي العشماوي ، الأدب وقيم الحياة المعاصرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الأسندرية مصر ، ص 131

## مساهمة علماء العربية في وضع أسس نظرية النصّ

د: إبراهيم محمد عبدالله  
قسم اللغة العربية  
كلية الآداب ترهونة \_ جامعة الزيتونة

### تمهيد:-

تُخصّص هذه الدراسة لمساهمة بعض علماء العربية في وضع لبنات نظرية النصّ ؛ وذلك بالعودة إلى التراث العربي القديم، فقد أُتيح للقدماء أن يلاحظوا المقومات النصّية، ولعل التماسك كان من أهم تلك المقومات المشتركة، فقد وجد في مصادر التراث العربي القديم مفاهيم ارتبطت بسياقاتها اللغوية في الدلالة على ما يدل عليه " التماسك " ولا تعني العودة إلى التراث القديم أن النصّ العربي يسلك في تماسكه ((سبباً مخالفاً تماماً للنصّ الغربي بحيث تعجز الأدوات التي اقترحها علماء اللغة الغربيون من مقاربتة وإنما تعني إعادة الحياة إلى هذه الإسهامات باعتبار أن فيها نظرات لا تقل أهمية وخصوصية عما قدمه الغربيون<sup>(1)</sup>)) أما أهم الإشارات التي تدل على وعي القدماء، فهي تتحدد من خلال النحو والبلاغة والنقد الأدبي ، تتناول الدراسة بعضاً منها للتمثيل لا الحصر.

### أولاً : في مجال النحو:

نشأ النحو العربي في حضن القرآن الكريم، فقد كان الباعث الأساس لتقعيد النحو العربي حفظ اللسان من اللحن، وجعل النحاة القدماء القرآن الكريم مادة للتطبيق، ما يعني أن النحو العربي- قديماً – كان علماً نصّياً باعتبار اعتماده على نصّ متماسك، إضافة إلى دراسة الشعر العربي القديم<sup>(2)</sup> ، وإن انطلق من نحو الجملة . ولكن ذلك لا يمنع من أن نرى بعض النظرات الموزعة في تناول القدماء للنصوص التي تشير إلى التماسك بين أكثر من جملة كما لا نعدم أن نرى اهتماماً بالجانب التداولي في بعض كتب النحاة؛ ولعل ما جاء في كتاب سيبويه (ت 180 هـ) من اهتمام بمعيار الحسن والقبح يمثل نظرة ثابتة لمراعاة المُخاطب، فالمعول عليه ليس صحة التركيب بل تنوقه، وذلك كما جاء في باب تخبر فيه عن النكرة بالنكرة<sup>(3)</sup> فعند زوال اللبس الناتج عن

إخبار المخاطب عن الشيء المنكور أصبح الكلام حسناً يؤدي مقصده ، ولا تبتعد نظرة سيبويه في الباب الذي سماه (باب الاستقامة من الكلام والإحالة) عن معايير المقبولية عند فان دايك، فهذا الأخير يقسم الجمل إلى سائغة تماماً وأقل مقبولة وغير سائغة ، وقد أرجعها إلى قيود دلالية<sup>(4)</sup>، أما سيبويه فالكلام عنده<sup>(5)</sup> منه مستقيم حسن ومحال، ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك أتيتك أمس وسأتيك غداً، وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول أتيتك غداً وسأتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك حملت الجبل وشربت البحر ونحوه، وأما المستقيم القبيح فان تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك قد زيدا رأيت، وكبي زيداً يأتيتك وأشباه هذا، وأما المحال الكذب فان تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس<sup>(5)</sup>.

وعن الربط أو الوصل الذي يعد مظهراً تماسكياً على مستوى سطح الجمل، يتماسك به اللاحق مع السابق ، يُعد ابن السراج ( ت316هـ ) من أقدم العلماء العرب الذين ألمحوا إلى الربط بالحروف، حيث يقول: ((حروف الجر تصل ما قبلها بما بعدها، فتوصل الاسم بالاسم، والفعل بالاسم))<sup>(6)</sup>. ومن علماء العربية الذين لم يغفلوا دور حروف الجر وتنبهوا إلى وظيفتها في الربط بين الفعل والاسم، الجرجاني (ت 471 هـ) في قوله : ((ألا ترى أنك إذا قلت: مررت بزيد، وجدت الباء قد عملت الجرّ في لفظ زيد وأفادت في المضي إصاق الفعل به، ووصله إليه، وأحدثت فيه صفة لم تكن في حال كونه مرفوعاً أو منصوباً، وكذا جميع حروف الجر، كل منها يوجب وصول الفعل إلى الاسم على حد مخصوص))<sup>(7)</sup>، ونلاحظ استخدام الجرجاني لكلمة "وصول" فهو بهذا يتحدث عن الوصلات.

إذن، حروف الجر من الوصلات<sup>(8)</sup> ليتوصلوا بالأفعال إلى المجرور بها ولولاها لما نفذ الفعل إليها ولا باسرها<sup>(8)</sup>.

وحرف الجر الأصلي - وما ألحق به- بمثابة قنطرة توصل المعنى إلى الاسم المجرور، أو بمثابة رابطة تربط بينهما، ولا يستطيع العامل أن يوصل أثره إلى ذلك الاسم إلا بمعونة حرف الجر الأصلي، ويقول الرضى: الغرض

منها )) الإفضاء : الوصول ..... والمراد بإيصال الفعل إلى الاسم تعديته إليه)) (9).

كما تجاوزت نظرة النحاة الجملة الواحدة من بينهم ابن يعيش (ت643هـ) وذلك عندما يبين الغرض من عطف الجمل ((ربط بعضها ببعض واتصالها والإيذان بأن المتكلم لم يرد قطع الجملة الثانية عن الأولى والأخذ في جملة أخرى ليست من الأولى في شيء)) (10)، وقد تنبه إلى وظيفة الروابط في قوله ((واعلم أن هذه الفاء التي يُجاب بها تعقد الجملة الأخيرة بالأولى فتجعلها جملة واحدة كما يفعل حرف الشرط، ولو قلت (ما تزورني فتحدثني) فرفعت "فتحدثني" لم يكن الكلام جملة واحدة وإنما جملتين، لأن التقدير: ما تزورني وتحدثني، فقولك "ما تزورني" جملة على حيالها، "وما تحدثني" جملة ثانية كذلك)) (11). ومن ذلك قول الرضي (ت686هـ) "ويجوز عطف الاسم على الفعلية، وبالعكس، قال ابن جنبي: وذلك بالواو، دون الفاء وأخواتها، لأصالة الواو في العطف" (12)، وقد أورد "ابن هشام" (ت761هـ) في كتابه "مغني اللبيب" حصراً لأدوات الربط، وأفرد لهذه الأدوات عنواناً سماه "الروابط الجملة بما هي خبر عنه" أحدها: الضمير، والثاني: الإشارة، والثالث: إعادة المبتدأ بلفظه، والرابع: إعادته بمعناه، والخامس: عموم يشمل المبتدأ، والسادس: أن يعطف جملة ذات ضمير على جملة خالية منه والعكس، والسابع: العطف بالواو، والثامن: شرط يشتمل على ضمير مدلول على جوابه بالخبر، والتاسع: ال نائية عن الضمير، والعاشر: كون الجملة نفس المبتدأ في المعنى (13).

وهذه الروابط في مجملها ما اقترحه علماء اللغة النصيون؛ فهذه الوسائل يتحقق تماسك النص، ومن ثم يستطيع المتلقي فهمه بكل يسر .

ومن الذين تحدثوا عن الربط وأهميته وقيمه "ابن الفلاح" حيث ورد في كتاب "الأشباه والنظائر للسيوطي" ((وقال: ابن الفلاح" في "مغنيه" الحرف يدخل إما للربط أو للنقل أو للتأكيد أو للتنبيه أو للزيادة، ويندرج تحت الربط حروف الجر والعطف والشرط والتفسير والجواب والإنكار والمصدر، لأن الربط هو الداخل على الشيء لتعلقه بغيره ويندرج تحت النقل حروف النفي والاستفهام)) (14).

ومن ذلك تأكيد الرضي على أهمية الضمير في تماسك الكلام (( بأن الجملة في الأصل كلام مستقل، فإذا قصدت جعلها جزءاً من الكلام، فلا بد من رابطة تربطها بالجزء الآخر، وتلك الرابطة هي الضمير)) (15).  
ويعرّف الرضي "كلمة الشرط" (( بأنها ما يطلب جملتين يلزم من وجود مضمون أو لاهما فرضاً حصول مضمون الثانية)) (16).  
ويشير الأشموني (ت 900هـ) إلى التماسك في حديثه عن اقتران جواب الشرط بالفاء

(( إنما وجب قرن الجواب بالفاء فيما لا يصلح شرطاً ليعلم الارتباط، فإن ما لا يصلح للارتباط مع الاتصال أحق بأن لا يصلح مع الانفصال، فإذا قرن بالفاء علم الارتباط. أما إذا كان الجواب صالحاً لجعله شرطاً كما هو الأصل لم يحتج إلى فاء يقترن بها)) (17).

### ثانياً: في مجال البلاغة:

يكشف علماء البلاغة العربية عن إدراكهم للتماسك النصّي، وما حديثهم عن الفصل والوصل إلا دليل على هذا الإدراك، فهو نوع من أنواع شتى تتحقق بها شروط التماسك، وتؤلف في مجملها نصوصاً متماسكة.  
إنّ الفصل والوصل ليس ظاهرة لغوية فحسب بل هو ظاهرة دلالية تحقق التماسك الدلالي، ويجعل النصوص متماسك وفق شروط معنوية تتصل بالمتكلم والمخاطب، ومرجع ذلك أن جامعاً يجمع أطراف الكلام ذكرت الأداة "الواو" أو لم تذكر، وهذا الجامع يتعلق بالمعنى، وليس بالأدوات، ولأهمية الفصل والوصل؛ ((جعلوه حداً للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها، فقال معرفة الفصل من الوصل، ذلك لغموضه ودقة مسلكه)) (18).

وقد رُوي في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (ت 395هـ) :  
قال المأمون ... إن البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللألى بلا نظام.

وقال أبو العباس السفاح لكاتبه : ... من حلية البلاغة العربية المعرفة بمواضع الفصل، وكان أكرم بن صيفي إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكاتبه : افصلوا بين كل منقضي معنى، وصلوا إذا كان الكلام معجوناً بعضه ببعض (19).

إن الداعي إلى الفصل والوصل هو أمر معنوي، وقد تنبه الجرجاني (ت471هـ) إلى أن حال الجملة مع سابقتها كحال الاسم مع ما سبقه في كون العلاقة بينهما معنوية، فلو أدخلنا رابطاً بين الصفة والموصوف لم يجز ذلك وكالتأكيد الذي لا يفتقر إلى ما يصله بالمؤكد فهو يقول (( اعلم أنه كما كان في الأسماء ما يصله معناه بالاسم قبله ، فيستغنى بصلة معناه عن واصل يصله ورابط يربطه وذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به، وكالتأكيد الذي لا يفتقر كذلك إلى ما يصله بالمؤكد - كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها، وتستغنى بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها، وهي كل جملة كانت مؤكدة ومبنية لها، وكانت إذا حصلت لم تكن سواها كما لا تكون الصفة غير الموصوف والتأكيد غير المؤكد، .... ومثال ما هو من الجمل كذلك قوله تعالى ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة 2) قوله ﴿لَا رَيْبَ﴾ بيان وتوكيد وتحقيق لقوله ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ وزيادة تثبيت له وبمنزلة أن تقول "هو ذلك الكتاب ، هو ذلك الكتاب)) (20).

ومما يدل على إدراك عبد القاهر الجرجاني لأهمية التماسك قوله (( اعلم أن مما يقل نظر الناس فيه من أمر العطف أنه قد يُؤتى بالجملة فلا تُعطف على ما يليها ولكن تُعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان (21)، ومما يدل على وعي الجرجاني بالتماسك- أيضاً - نظرته في أن العطف قد يتجاوز الجمل المتجاورة إلى عطف مجموع من الجمل على مجموع آخر في نفس السياق وفي ذلك يقول الجرجاني : (( فأمر العطف إذن موضوع على أنك تعطف تارة جملة على جملة، وتعتمد أخرى إلى جملتين أو جمل فتعطف بعضاً على بعض، ثم تعطف مجموع هذي على مجموع تلك)) (22).

كما تنبه السكاكي (ت 626هـ) إلى العلاقة بين الجمل فجعلها على أحوال ثلاثة هي مدار الفصل والوصل مشروطاً وجود جهة جامعة للعطف، والأحوال الثلاثة في قوله (( ليس يمتنع بين مفهومي جملتين اتحاد بحكم التآخي، وارتباط لأحدهما بالآخر مستحکم الآواخي، ولا أن يباين أحدهما الآخر مباينة الأجنب

لانقطاع الوشائج بينها من كل جانب ولا أن يكون بين بين لأصرة رحم ما هنالك فيتوسط حالها بين الأولى والثانية لذلك ((23). أما وجود الجهة الجامعة بين المعطوف والمعطوف عليه ، فقد قسّم الجامع إلى عقلي ووهمي وخيالي فهو يقول (( وأما الحالة المقتضية لكمال انقطاع ما بين الجملتين : فهي أن تختلفا خبراً وطلباً مع تفصيل يُعرف في الحالة المقتضية للتوسط، أو أن اتفقتا خبراً فإن لا يكون بينهما ما يجمعهما عند "الفكرة" جمعاً من جهة العقل أو الوهم أو الخيال ((24).

ويرى السكاكي أن الجامع العقلي يكون بين عنصرين أو أكثر متحدين في التصور مثل الاتحاد في المخبر عنه أو في الخبر، أو أن يكون بين العنصرين تماثل، أو تضاييف كالذي بين العلة والمعلول، والسبب و المسبب أو السفلى والعلو والأقل والأكثر فالعقل يأبى أن لا يجتمعا في الذهن، والوهمي عنده أن يكون بين تصوراتهما شبه نحو : أن يكون المخبر عنه في أحدهما لون بياض وفي الثاني لون صفرة، فإن الوهم يحتال في أن يبرزهما في معرض المثليين كما أن الوهم ينزل المتضادين والشبيهين بهما منزلة المتضاييفين، فيجتهد في الجمع بينهما في الذهن، و "الخيالي" هو أن يكون بين تصوراتهما تقارن في الخيال سابق لأسباب مؤدية إلى ذلك، فإن جميع ما يثبت في الخيال مما يصل إليه من الخارج يثبت فيه على نحو ما يتأذى إليه ويُذكر لديه، ولذلك لم تكن الأسباب على وتيرة واحدة فيما بين معشر البشر، اختلفت الحال من ثبوت الصور في الخيالات ترتيباً ووضوحاً (25).

ويدرك السكاكي حقيقة ارتباط الوصل إلى حد كبير بالموقف الاتصالي باشتراطه وجود جهة جامعة خاصة عند حديثه عن الجامع الخيالي، لأنه مما يختلف باختلاف البشر الكتاب والمتكلمين من جهة والمتلقين من جهة أخرى علمياً واجتماعياً ونفسياً. فقد يوجد الجامع بين جملتين ولكن يُفصل، لاختلاف سياق الكلام.

### نظرية النظم عند الجرجاني:

وما يدل على الوعي العميق بالتماسك عند البلاغيين العرب نظرية النظم التي جاء بها عبدالقاهر الجرجاني، فقد أرجع الإعجاز القرآني إلى هذه

النظرية فهو يقول : (( إنك لا تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة والرابعة، وهكذا إلى أن تستقربها إلى آخرها ، وأن الفضل تتأتج ما بينها ، وحصل من مجموعها)) (26).

ويجعل الجرجاني النظم وفقا لما يقتضيه العقل فهو يقول ((اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هناك وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح، والفائدة في معرفة هذا الفرق أنك إذا عرفته أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل)) (27). ويقرر ((أنما يدق فيه النظر، ويغمض فيه المسلك في توخي المعاني أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن يحتاج في الجملة أن تضعها في النفس وضعا واحداً)) (28).

مما سبق يتضح لنا أهمية التماسك، ومدى وعي البلاغيين العرب بذلك مؤكداً ارتباط أجزاء الكلام بعضها ببعض خاصة في نظرية النظم وتفسير الوصل والفصل وقد اعتمد الجرجاني والسكاكي على الجوانب الدلالية في تفسيرهما، كذلك اعتمادهما لفكرة الجهة الجامعة وهي ((فكرة تنسجم مع طابع اللغة العربية العام ونزعتها التي تغلب عليه وهي منطقية الدلالة ووضوحها)) (29).

### ثالثاً: التماسك النصي في مجال النقد الأدبي:

نجد في التراث العربي إشارات متناثرة تدل على وعي النقاد بالتماسك خاصة بين أبيات النص الشعري الواحد، حيث جعلوا جودة السبك واستحسانه في النثر والنظم راجعاً إلى دلالة بعضه على بعض، وجعلوا من عيوب الشعر والتكلف فيه انعدام السبك من ذلك قول ابن قتيبة (ت276 هـ) (( وتبين التكلف في الشعر، أيضا بأن ترى البيت فيه مقروناً بغير جاره ومضموماً إلى غير لفته، ولذلك قال عمر بن لجا لبعض الشعراء : أنا أشعر منك قال : ويم ذلك ؟ فقال : لأنني أقول البيت وأخاه ، ولأنك تقول البيت وابن عمه )) (30)

واشترط النقاد العرب لصحة السبك وحسن الديباجة في النظم ((أن يأخذ بعضه برقاب بعض فإذا أنشدت صدر البيت، مثلاً علمت ما يأتي في عجزه)) (31). وأجود الشعر عندهم (( ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً، وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان، كما يجري على الدهان )) (32).

فالكلام الفصيح يرجع إلى جزالته وبسط معانيه وإبرازها، وإتقان بنية الشعر وفي ذلك يقول ابن رشيق (ت456هـ) (( العرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل ، فتترك لفظة للفظه ، أو معنى لمعنى كما يفعل المحدثون، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته ، وبسط المعنى وإبرازها ، وإتقان بنية الشعر وإحكام عقد القوافي، وتلاحم الكلام بعضه ببعض حتى عدّوا من فضل صنعة الحطيئة حسن نسقه الكلام بعضه على بعض)) (33).

وهناك وعي بأهمية دور المنتج والمتلقي أي ما يحقق التماسك على المستوى التداولي فقد تنبه الجاحظ (ت255 هـ) إلى أهمية تماسك النصّ في مبدأ تداولي هو توصيل ما يريده الكاتب أو المتكلم إلى المتلقي فلذلك جعل (( أن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري، إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع )) (34). ويدرك ابن رشيق أهمية دور المتلقي وضرورة الاهتمام بالنصّ حتى يحقق ما يصبو إليه منتج النصّ، وجعل من ذلك حسن الافتتاح ( المبدأ ) فهو يجعله "مطية النجاح" ويجعل "الخروج إلى المديح سبب ارتياح الممدوح"، ومما يدل على وعيه بالحالة النفسية للمتلقي، وقدرته العقلية "ذلك بأن خاتمة الكلام أبقى في السمع، وألصق بالنفس، لقرب العهد بها، فإن حسنت حسن، وإن قبحت قبح" (35). وقد جعل ابن الأثير (ت637هـ) من الأشياء التي يحتاج إليها الشاعر ويجب عليه العناية بها، ومن الأصل المعتمد عليه في تأليف الكلام من النظم والنثر الغرض المقصود من الكلام على اختلاف أنواعه (36)، إضافة إلى اندراج اللفظة مع ما يأتي بعدها متعلقة به (37).

أما الإسهام الأكبر - المستحسن في هذا السياق - فهو إسهام حازم القرطاجني (ت684هـ) فقد تمكن من الوسائل والأدوات التي يتحقق بها تماسك النصّ ، وذلك فيما سماه حازم "طرق العلم بإحكام مباني الفصول وتحسين هيئاتها ووصل بعضها ببعض".

ويحدد القرطاجني ما يجب في وضع الفصول وطريقة ترتيبها، بأن الكلام في ذلك لا بد أن يشتمل على أربعة قوانين ، ولكل قانون من هذه القوانين الأربعة عند حازم شروط تحقيق مختلفة، وتتوزع هذه القوانين .

يتحدث القانون الأول عن شروط يجب توفرها لاستجادة مواد الفصول وانتقاء جوهرها فيجب أن تكون :

- 1 - متناسبة المسموعات والمفهومات .
- 2 - حسنة الإطاراد .
- 3 - غير متخاذلة النسيج .
- 4 - غير متميز بعضها عن بعض الذي يجعل كل بيت كأنه منحاز بنفسه<sup>(38)</sup> .

نجد أن الشرطين الأخيرين يشيران بوضوح إلى التماسك على المستوى النحوي والمستوي الدلالي؛ فتخاذل النسيج دلالة على كون الفصل مهلهلاً لا ترابط بين أجزائه، وكأن النصّ نسج محكم، ويشير الشرط الرابع إلى ضرورة وجود بنية لفظية ومعنوية للفصل، بحيث تتماسك أجزاء الفصل وتتميز إذ لا بد إن يدل بعضه على بعض، ويأخذ بعضه برقاب بعض، ويقول البيت وأخاه ولا يقول البيت وابن عمه .

ويتعلق القانون الثاني "بترتيب بعض الفصول إلى بعض" وهذا الترتيب محكوماً باعتبارات تداولية ويشترط القرطاجني<sup>(39)</sup> أن يقدم من الفصول ما يكون للنفس به عناية، بحسب الغرض المقصود بالكلام، ويكون مع ذلك متأنياً فيه حسن العبارة اللائقة بالمبدأ، ويتلوه الأهم فالأهم إلى أن تتصور التفاتة، ونسبة بين فصلين تدعو إلى تقديم غير الأهم على الأهم، فهناك يترك القانون الأصلي في الترتيب<sup>(39)</sup>، ويجعل القرطاجني مجموعة من الشروط "القانون الثالث" وهي<sup>(40)</sup> أن يبدأ فيها بالمعنى المناسب لما قبله، وأن تأتي مع هذا أن يكون ذلك

المعنى هو عمدة معاني الفصل ... ويحسن أن يصاغ رأس الفصل صيغة تدل على أنه مبدا فصل، وأن تمكن مع هذا أن يناط به معنى يحسن موقعه من النفوس بالنسبة إلى الغرض (( (40).

ويؤكد القرطاجني على أهمية التماسك الدلالي، فهناك علاقات صاغها تتمثل في (( أن يكون لمعنى البيت - مع كون أوله مبداً كلام ومصدراً بكلمة لها معنى ابتدائي - أي تكون له علفة بما قبله ونسبة إليه )) (41). ويجب أن يردف البيت الأول من الفصل مما يكون لائقاً به من باقي معاني الفصل.

أما القانون الرابع " في وصل بعض الفصول ببعض " فقد فصلّ القرطاجني الكيفية التي تتصل بها بعض الفصول ببعض، وجعل التأليف في ذلك على أربعة أضرب:

- 1 - ضرب متصل العبارة والغرض.
- 2 - ضرب متصل العبارة دون الغرض .
- 3 - ضرب متصل الغرض دون العبارة .
- 4 - ضرب منفصل الغرض والعبارة .

فأمّا المتصل العبارة والغرض، فهو الذي يكون فيه لآخر الفصل بأول الفصل الذي يتلوه علفة من جهة الغرض وارتباط من جهة العبارة، بأن يكون بعض الألفاظ التي في أحد الفصلين يطلب بعض الألفاظ التي في الآخر من جهة الإسناد والربط (42).

هذه العلاقة تتم على مستوى العبارة والغرض، فالنص الشعري عبارة عن سلسلة من الفصول تتعالق أغراضها وتترابط عباراتها .

(( وأما متصل الغرض المنفصل العبارة فهو الذي يكون أول الفصل فيه رأس كلام ويكون لذلك الكلام علفة بما قبله من جهة المعنى )) (43). ويعد هذا الضرب أفضل الضروب (44)؛ إذ العلاقة فيه معنوية. ومما يمكن ملاحظته في هذا الضرب غياب الروابط الشكلية، أي انفصال العبارة، وكأن الفصل الثاني استئناف كلام جديد، وقد يقرن الحرف الرابط (45).

أما الضرب منفصل الغرض متصل العبارة، فإنه منحط عن الضربين اللذين قبله وما يتبادر إلى الذهن مباشرة هو وعي القرطاجني بأن التماسك لا يتحقق فقط في وجود الروابط الشكلية بل يرجع إلى علاقة معنوية عميقة تربط بين فصول القصيدة / النص، وقد وصف القرطاجني الضرب الرابع وهو الذي لا توصل فيه عبارة بعبارة ولا غرض بغرض مناسب له، بان النظم الذي بهذه الصفة مشتتٌ من كل وجه (46).

ومن خلال ماسبق يمكن ملاحظة (( تدرج القرطاجني من أشد هذه الأنماط تماسكاً إلى أشدها تفككاً مما يعني أن الأصل هو التماسك، بينما التفكك ليس إلا حالة شاذة ينبغي أن يعمل من أجل إرجاعها إلى القاعدة )) (47). ويشير القرطاجني إلى علاقات يمكن اعتبارها أساسية في تماسك الفصول، وهي علاقات الجزئية وعلاقات الكلية حيث يقول (( من القوائد ما يكون اعتماد الشاعر في فصولها على أن يضمنها معاني جزئية، تكون مفهوماتها شخصية، ومنها ما يقصد في فصولها أن تضمن المعاني الكلية التي مفهوماتها جنسية أو نوعية، ومنها ما يقصد في فصولها أن تكون المعاني المضمنة إياها مؤلفة بين الجزئية والكلية )) (48).

### التسويم والتجويل:

من خلال ما سبق يتبين لنا اهتمام حازم القرطاجني بالعلاقات بين أبيات الفصل الواحد، كذلك العلاقة بين الفصول، وقد اشترط شروطاً ينبغي أن تحترم في مطلع كل فصل وفي نهايته ذلك ما سمّاه التسويم والتجويل.

#### 1- التسويم :

نجد هنا اهتماماً عند حازم بالتماسك على مستواه التداولي وهو التأثير في المتلقي وغالباً ما تقوم الأبيات التي تلي " التسويم " بتدعيم المعنى حتى تصير القصيدة كأنها " عقد مفصل " وفي ذلك يقول (( وإذا اتجه أن يكون الانتقال من بعض صدور الفصول إلى بعض، على النحو الذي يوجد التابع فيه مؤكداً لمعنى المتبوع أو منتسباً إليه من جهة ما يجتمعان في غرض، محرّكا للنفس إلى النحو الذي حركها الأول، أو إلى ما يناسب ذلك، كان ذلك أشد تأثيراً في النفوس وأعون على ما يراد من تحسين موقع الكلام منها )) (49).

## 2- التحجيل :

هو ما يُسمى " الأبيات الحكمية والاستدلالية " التي تأتي في أواخر الفصول، يقول حازم القرطاجني ((إذا ذيلت أواخر الفصول بالأبيات الحكمية والاستدلالية، واتضحت شيات المعاني... وقعت من النفوس أحسن موقع )) (50) . (( والتفات حازم إلى علاقة المعنى في خاتمة الفصل بجملته معاني الفصل أو بعضها، فضلاً عن فطنته إلي الوظائف الخطابية لهذه الخاتمة في علاقتها بما قبلها، كالتمثيل والاستدلال اللذين غرضهما التصديق والإقناع قصد إعطاء حكم كلي في بعض ما يتعلق بالأغراض الإنسانية )) (51).

### قوانين الابتداء والتخلص والانتهاؤ:

يجعل حازم هذا الشرط التداولي (الابتداء) ذا أهمية حيث يشترط (( أن يكون المفتتح مناسباً لمقصد المتكلم من جميع جهاته، وأن يصدر الكلام بما يكون فيه تنبيه وإيقاظ نفس السامع )) (52) ، وقد أدرك أنّ القول الشعري لا يمكن أن يكون مميزاً إلا إذا أحدث في المتلقي التأثير المطلوب. والذي يحكم الابتداء عند القرطاجني هو (( أن يجعل الشاعر مبدأ كلامه دالاً على مقصده ويفتتح القول بما هو عمدة في غرضه )) (53).

أمّا التخلص عنده فيعدد الأمور التي يجب توافرها فيه، وهي (( التحرز من انقطاع الكلام ومن التضمين واضطراب الكلام، وقلة تمكّن القافية، والنقطة بغير تطف، والاضطرار في ذلك إلى الكناية عما يجب التصريح به، ومما يجب اعتماده في التخلص إن يجهد في تحسين البيت التالي لبيت التخلص)) (54).

وقد عرض حازم شروطه في الانتهاؤ أو الخاتمة تحريماً وتحريماً وتحفظاً على النحو التالي :

- 1- تحري أن يكون ما وقع فيها الكلام كأحسن ما اندرج في حشو القصيدة .
- 2- أن يتحرز فيها من قطع الكلام على لفظ كريبه أو معني منفر للنفس .
- 3- أن تتحفظ في أول البيت الواقع مقطعاً للقصيدة من كل ما يكره ولو ظاهره. وما توهمه دلالة العبارة أولاً، وإن رفعت الإبهام آخرأ .

ويرى الدكتور محمد العبد (( أن قانون الخاتمة الدلالي عند حازم ينبغي أن يكون هكذا : أن ترتبط الخاتمة بما قصد إليه المتكلم في النص، وألا يكون تأثيرها فيما قبلها من حيث المعنى تأثيراً سلبياً )) (55).

### الخلاصة:

هذه إسهامات العلماء العرب التي تتم عن فهم لنظرية النصّ ومقومها الأساس (التماسك)، وإن لم يعبروا عنها كما عبر عنها علماء اللغة النصيون في العصر الحديث . فالتحليل النصّي الذي يستمد أدواته من مفاهيم اقترحها علماء اللغة النصّيون ومن إسهامات عربية قديمة موزعة في كتب التراث يقدم قراءة أكثر عمقاً لموروثنا الشعري، إذ نتوهم أحياناً أن بعض النصوص متفككة، والأمر ليس كذلك إذا طبقت مفاهيم نظرية النصّ عليها، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال ماسبق ، فقد أشار بعض النقاد إلى أن أحد عيوب القصيدة افتقارها للوحدة العضوية، بسبب تعرض الشاعر فيها إلى أغراض مختلفة، غير أن تطبيق مفاهيم علم لغة النصّ يثبت تماسكاً متيناً في القصائد؛ ولذلك نرى ضرورة سبر أغوار التراث العربي القديم لاستخلاص مفاهيم نصّية تساعد في فهم الموروث الشعري .

## المراجع:

- 1- ابن الأثير، ( أبو الفتح ضياء الدين نصر الله)، المثل السائر تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، مكتبة مصطفى الحلبي.
- 2- الأشموني ، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن ،شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان-،1998م.
- 3- الأمدي ، (أبو القاسم الحسن بن بشر )، الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، تحقيق أحمد صقر ،دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ، 1961.
- 4- الجاحظ : ( أبو عثمان عمرو بن بحر) ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي.
- 5- الجرجاني، ( أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد )،ت471هـ دلائل الإعجاز في علم المعاني ، قراه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1984.
- 6- ..... كتاب المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، العراق 1982.
- 7- ابن رشيقي ( أبو علي الحسن، ت 456هـ) العمدة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل، بيروت، ط5، 1985.
- 8- الرضي، ( رضى الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي،ت686هـ)، شرح الكافية لابن الحاجب، تحقيق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس بنغازي، 1978.
- 9- ابن السراج، (أبو بكر محمد بن سهل المتوفي،ت 316هـ)، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة 1987.
- 10 - السكاكي ( أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي ،ت 626هـ) مفتاح العلوم، حققه عبد الحميد هندأوي، دار الكتب العلمية، بيروت 2000 .
- 11 - سيبويه ، (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ) توفي ،180، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الخانجي ،القاهرة ، 1988 ، ط3 ، ج1 .

- 12 - السيوطي، ( جلال الدين، ت911هـ ) ، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت 1999.
- 13 - شفيح السيد، البلاغة العربية، دراسة فنية في الأسلوب ، مكتبة النصر ، القاهرة ، 1998
- 14 - العسكري، ( أبو هلال الحسن بن عبد الله، ت 395هـ ) كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، حققه وضبطه مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت 1981.
- 15 - فان دايك، النص والسياق، ترجمة عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق، المغرب، 1999.
- 16 - ابن قتيبة، (محمد الدينوري، ت276 هـ ) الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1985.
- 17 - القرطاجني، ( أبو الحسن حازم، ت684هـ )، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد نجيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966.
- 18 - محمد حماسة عبد اللطيف ، اللغة وبناء الشعر ،دار غريب، 2001.
- 19 - محمد خطابي ، لسانيات النصّ،مدخل إلى انسجام الخطاب ،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ، 2006 .
- 20 - محمد العبد، النصّ والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2005.
- 21 - ابن هشام، (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله، ت 761)، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت 1991م.
- 22 - ابن يعيش، (موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي ت643هـ )، شرح المفصل ، قدم له ووضع هوامشه أميل بديع يعقوب، دار الكيب العلمية، لبنان، 2001.

## الهوامش:

- 1 - محمد خطابي ، لسانيات النصّ،مدخل إلى انسجام الخطاب ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،ط2، 2006، ص 95.
- 2- يُنظر: محمد حماسة عبد اللطيف ، اللغة وبناء الشعر ،دار غريب ،2001،ص17، 18.
- 3- سيبويه ، (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ) توفي ،180، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الخانجي ،القاهرة، 1988، ط3، ج1، ص54.
- 4- يُنظر:فان دايك ،النص والسياق،74: 76.
- 5 - سيبويه ،الكتاب،ج1، ص25، 26.
- 6 - ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل المتوفي 316، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة 1987، ج1، ص 408.
- 7 - الجرجاني عبد القاهر، ت 471 هـ ، كتاب المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، العراق 1982، ج1، ص 88.
- 8 - السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت 1999، ج1، ص 357.
- 9 - الرضي، رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذي ت 686هـ، شرح الكافية لابن الحاجب، تحقيق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس بنغازي، 1978ج4، ص 261.
- 10- ابن يعيش (موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي ) ت 643 ، شرح المفصل ،قدم له ووضع هوامشه أميل بديع يعقوب ،دار الكيب العلمية ،لبنان ،2001،ج2، 278.
- 11 - المرجع نفسه، ج4، 241.
- 12- الرضي، شرح الكافية لابن الحاجب،ج2، 354.
- 13 - يُنظر :ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله، ت 761، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت 1991م، ج2، ص 573: 577.

- 14 - السيوطي ، الأشباه والنظائر في النحو، ج 2 ص 20.
- 15 - الرضي ،شرح الكافية لابن الحاجب، ج1، ص 238.
- 16 - المرجع نفسه، ج 3، ص 185.
- 17- الأشموني ، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، ت 900هـ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان-،1998م-، ج3، ص264.
- 18 - الجرجاني ( أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ) دلائل الإعجاز في علم المعاني ، قراه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1984 ، ص 222 .
- 19 - يُنظر: العسكري ( أبو هلال الحسن بن عبد الله ) كتاب الصناعتين ، الكتابة والشعر ، حقه وضبطه مفيد قميحة، دار الكتب العلمية ، بيروت 1981 ، ص 497 : 499 .
- 20 - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 227
- 21 - المرجع نفسه ، ص 244.
- 22 - المرجع نفسه ، ص 245.
- 23 - السكاكي ( أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي) مفتاح العلوم ، حقه عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2000 ص 357
- 24 - المرجع نفسه، ص 361.
- 25 - يُنظر: المرجع نفسه، ص 362-363.
- 26 - الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،ص 45.
- 27 - المرجع نفسه، ص 49 – 50.
- 28 - المرجع نفسه، ص 93.
- 29 - شفيع السيد ، البلاغة العربية، دراسة فنية في الأسلوب ، مكتبة النصر ، القاهرة ، 1998 ، ص 117
- 30 - ابن قتيبة (محمد الدينوري) الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف، القاهرة ، 1985 ، ج 1 ، ص 90 . ويُنظر : الجاحظ : ( أبو

- عثمان عمرو بن بحر) ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، ج 1 ، ص 206 .
- 31 - يُنظر: الأمدي ، (أبو القاسم الحسن بن بشر) ، الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، تحقيق أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 1 ، 1961 ، ج 1 ، ص 280 ، 281 .
- 32 - الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص 67 .
- 33 - ابن رشيّق ، العمدة ، ج 1 ، ص 129 .
- 34 - الجاحظ ، البيان والتبيين ص 76 .
- 35 - يُنظر : ابن رشيّق ، العمدة ص 217 .
- 36 - يُنظر : ابن الأثير ، (أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد) ، المثل السائر تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة مصطفى الحلبي ، ج 1 ، ص 142 .
- 37 - المرجع نفسه ، ص 146 .
- 38 - حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء ، ص 288 .
- 39 - المرجع نفسه ، ص 289 .
- 40 - المرجع نفسه ، ص 289 .
- 41 - المرجع نفسه ، ص 290 .
- 42 - حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء ، ص 290 .
- 43 - المرجع نفسه ، ص 291 .
- 44 - يُنظر: المرجع نفسه ، ص 291 .
- 45 - يُنظر : المرجع نفسه ، ص 291 .
- 46 - يُنظر : حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء ، ص 291 .
- 47 - محمد خطابي ، لسانيات النصّ ص 158 .
- 48 - حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء ، ص 295 .
- 49 - المرجع نفسه ، ص 297 ، 298 .
- 50 - المرجع نفسه ، ص 300 .
- 51 - محمد العبد ، النصّ والخطاب والاتصال ، ص 156 ، 157 .

د. إبراهيم محمد عبدالله

---

- 52 - حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء ، ص 310.  
53 - المرجع نفسه ، ص 206 .  
54 - المرجع نفسه، ص 321.  
55 - محمد العبد ، النصّ والخطاب والاتصال، ص 144، 145.

## جوانب من الإعجاز العلمي في القرآن

د. سمية الطيب الطاهر عمران  
قسم الفلسفة  
كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

### المقدمة

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاة والسلامُ على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه أجمعين وبعدُ:

فإنّ القرآن الكريم معجز في بيانه ونظمه، معجز في فصاحته وبلاغة أسلوبه، معجز في كمال رسالته ودقّة مضمونه معجزة مستمرة، تختلف عن معجزات الرسل السابقين، إنّها معجزات علمية تستدعي البحث والتنقيب في الآيات للخلوص منها إلى حقائق سبق ما قرره العلم الحديث.

إنّ الإعجاز العلمي للقرآن الكريم أسلوب فريد في الدعوة إلى دين الله تعالى بلغة مناسبة إلى عصر تفجر فيها المعرفة العلمية، وقد سبق للقرآن الكريم الإخبار بتحقيق وقوعه في حياة الناس من قبل أربعة عشر قرناً، وذلك في العديد من الآيات، منها قوله تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾<sup>(1)</sup>.

والسؤال هنا، هل الإعجاز القرآني يكمن في الإعجاز اللفظي فقط أم أنه يتعداه إلى الإعجاز العلمي؟

نال موضوع الإعجاز العلمي للقرآن الكريم أهمية كبرى في السنوات الأخيرة إذ نشط المشتغلون بقضية الإعجاز العلمي للقرآن نشاطاً غير مسبوق، وهذا أن دل على شيء فإنه يدل على مكانة القرآن في قلوب المسلمين وغير المسلمين وهذا مدعاة للفخر والاعتزاز بكتاب الله عز وجل. ومن المفكرين الأجانب الذين كان لهم الاهتمام بهذا الموضوع (موريس بوكاي) الذي أبدى إعجابه الشديد بالإعجاز العلمي في القرآن، وكان سبب إسلامه. وكان له كتاب معروف بين الدارسين، وهو (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم)، ليؤكد المكانة الفردية للقرآن بين باقي الأديان، فهو معجزة حية باقية، وكتاب مفتوح لكل البشر يقرؤونه

## جوانب من الإعجاز العلمي في القرآن

ويمحصون صدقه على امتداد الزمان، والمكان، ومن هنا يتجلى عظمة الإسلام بقرآنه العظيم في خلوده على مر الزمن، واحتفاظه بمكانته من السمو والهيمنة على كل ما تبلغه العقول من مدركات وما تتوصل إليه من اكتشافات واختراعات.

ولقد كان سبب اختياري هذا الموضوع: هو معرفة وجه جديد من وجوه الإعجاز القرآني وهو الإعجاز العلمي.

### أما عن أهمية هذا البحث فتكمن:

في توضيحاً أهمية الإعجاز العلمي للقرآن، بأن القرآن لم يقتصر إعجازه على تحدي بلغاء العرب فقط بل إنه لا توجد حقيقة كونية واحدة تتصادم مع ما جاء في القرآن الكريم، وعلى ذلك فإن العلم هو الذي يجب أن يثبت ويلتمس الدليل من آيات القرآن الكريم؛ ولأن القرآن أصدق من أي علم من علوم الدنيا لأنه كلام الله تعالى.

ولقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة اتباع المنهج الوصفي التحليلي في ذكر الحقائق العلمية الدقيقة المتعلقة بأوجه الإعجاز العلمي للقرآن. وتتمثل خطة البحث التي تناولت هذه الدراسة من خلالها ثلاثة محاور أساسية هي:

### جوانب من الإعجاز العلمي في القرآن

**المحور الأول:** المقصود بالإعجاز العلمي للقرآن.

**المحور الثاني:** مبادئ المنهج اليقيني في القرآن.

**المحور الثالث:** نماذج من الإعجاز العلمي للقرآن

أ- الإعجاز العلمي للقرآن في علم الفلك.

ب- الإعجاز العلمي للقرآن في علم المياه.

الخاتمة. ثم الهوامش.

### المقصود بالإعجاز العلمي للقرآن:

بدايةً يثير الجمع بين القرآن والعلم التّعجب والحيرة وخاصة إذا كان المقصود في علاقة الجمع هذه هو التواءم بين الاثنين؛ ولذا كان من الطبيعي أن تتسم موضوعات الإعجاز العلمي بالتجدد الدائم بما يضيفه البحث والدراسات العلمية من حقائق وأسرار جديدة قد انطوى مكنونها في آية من

آيات كتابه الحكيم تدعونا لاستمرارية البحث والتنقيب على أوجه الإعجاز العلمي فيه .  
فالإعجاز العلمي في القرآن الكريم ركن مهم من أركان الدراسات القرآنية بحر لا ساحل له؛ لأن هذا الكون كتاب الله المفتوح.  
و هناك مصطلحان يكتنفان هذا الميدان، قد يشتبه أحدهما بالآخر، ولذلك وجب التوضيح الفرق بين هذين المصطلحين<sup>(2)</sup>.

وهنا يفرق الدكتور زغلول النجار بين مصطلحي التفسير العلمي للقرآن الكريم، والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، أما التفسير العلمي فيقصد به توظيف كل المعارف المتوافرة لحسن فهم دلالة الآية القرآنية، وهذه المعارف، قد تكون حقائق وقوانين، كما قد تكون فروضاً ونظريات، ونحن ندعو إلى توظيف الحقائق والقوانين كلما توافرت، فإن لم تتوافر فلا أرى حرجاً من توظيف النظريات؛ لأن التفسير يبقى محاولة بشرية لحسن الفهم، إن أصاب فيها المفسر فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، ولا نسحب خطأه على جلال القرآن الكريم<sup>(3)</sup>.

إذن موضوع الإعجاز العلمي، موقف من مواقف التحدي نستطيع أن نثبت به لكل الناس أن هذا القرآن الذي أنزل قبل ألف وأربعمائة سنة على النبي الأمي في أمة كان غالبيتها الساحقة من الأميين، يحوي من حقائق هذا الكون ما لم يستطع العلماء والمفكرين إدراكه إلا منذ سنوات قليلة<sup>(4)</sup>.

من الخطأ الظن أن القرآن الكريم ما هو إلا سرد لقصص الأولين، ولكن المعجزة القرآنية لم تكن موقوتة بوقت الدعوة في تحديها للناس، وإنما هي قائمة مادامت الحياة مستمرة، ومن أجل هذا كانت معجزة القرآن متجددة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾<sup>(5)</sup> فحرف السين في كلمة (سنريهم) تعني المستقبل، والمستقبل لا يقف عند حد بل هو عطاء مستمر مدى الحياة، والعلم الحديث أثبت أنه لا توجد حقيقة كونية واحدة تتصادم مع ما جاء في القرآن الكريم<sup>(6)</sup>. أما التصادم المزعوم فيأتي أحياناً عن حقيقة قرآنية أسئ تفسيرها .

ومن هنا فإننا لا نستطيع أن نثبت القرآن بالعلم بل العكس صحيح، العلم هو الذي يجب أن يلتمس الدليل من آيات القرآن الكريم، ذلك لأن القرآن أصدق من

أي علم من علوم الدنيا، لأن خالق القرآن هو الله تعالى لقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (7)

وقد حث سبحانه وتعالى على العلم لقوله عز وجل: ﴿ونزلنا عليه الكتاب تبيناً لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمي وفي قوله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ولقد قال الله تعالى

تعالى في خطابٍ خاطب به نبيه محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم (( اقرأ بِأَسْمَرِكَ الَّذِي خَلَقَ خَلْقَ

الْإِنْسَانِ مِنْ عَلَقٍ أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْبَرُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٢﴾ وهذا يدل

على أهمية العلم وعلى أهمية التعلم وعلى مئة الله - عز وجل - بتعليمه العلم وأيضاً في سورة الرحمن الآيتان (1-2) (8) ورسوله الكريم أيضاً حث على تعلم القرآن فقال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" (9)، و تميزت الدعوة الإسلامية من غيرها من الدعوات السماوية، بأن جعلت العلم هو الطريق القويم إلى الدين الصحيح والتوحيد الخالص لله تعالى (10)، واستطاعت المصادر البشرية للمعرفة في عصرنا هذا نتيجة تطور مناهجها وترقي وسائلها، أن تكشف كثيراً من الحقائق العلمية، خصوصاً في ميدان علم الطبيعة، مما لم يكن ميسوراً للناس قبل هذا الزمن فكان البحث فيه لا يعدو أن يكون ضرباً من الاستنتاج والاستنباط، وقد قلب العلم الطبيعي المعاصر كثيراً من المفاهيم السابقة، وبين خطأها، وقد شمل هذا كتب الفلاسفة والعلماء الطبيعيين والديانات المحرفة، إلا أن هناك كتاباً واحداً عرفته البشرية منذ أربعة عشر قرناً توافرت فيه مجالات العلم ألا وهو القرآن الكريم (11) وبالرغم من تقدم العلم في ميادين مختلفة فإنه لم يقدم حقيقة واحدة تتنافى مع ما جاء في القرآن الكريم، كما أنه - القرآن الكريم - انفرد بذكر حقائق علمية جاءت من خلال بيان آيات الله تعالى في عالم الشهادة - الدنيا - للدلالة على عظمة خالقها، وكانت تلك الآيات متطابقة تماماً مع ما وصل إليه العلم التجريبي المعاصر، بعد اعتماده على مناهج ووسائل مكنته من الكشف عن هذه الحقائق (12).

وقد احتوى القرآن الكريم على علوم كثيرة تناول فيها كل أمور حياتنا - العلمية والعملية - في كل ما يخطر في بالنا، علمية من طب وهندسة وفلك وفضاء وكواكب وأجرام وغيرها - وعملية من صناعة تجارة، فلاحية، بيع وشراء. (13)

فالقرآن كتاب إصلاح للحياة البشرية جاء لهداية الإنسان وصدق الشاعر في قوله لهذه الأبيات.

كالبرد من حيث التفت رأيتُهُ

يَهدي إلى عينك نوراً ثاقباً

كالشمس في كبد السماء وضوؤها

يغشي البلادَ مشارقاً ومغارباً (14)

إن الأسرار والحقائق التي اشتمل عليها القرآن الكريم، لا يقصد بها الأسرار والحقائق العلمية فحسب، وإنما يقصد بها أيضاً الحقائق النفسية والروحية التي تعلي من قدر الإنسان، وتدفع بإنسانيته إلى الكمال. وهذه الحقائق كما يجدها علماء النفس والاجتماع والفلسفة في القرآن يجدها الإنسان العادي، لذلك فإن روح القرآن تنفذ إلى أعماقهم، وتبلغ الصميم من وجدانهم، بل وأكثر من هذا فإن كثيراً ممن يستمعون إلى القرآن من أهل الكتاب، تأخذهم لسماعه روعته وتغشاهم لتلاوته خشيته (15). لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (16).

فالقرآن الكريم يخاطب في النفس البشرية أحاسيس وملكات، لا يعلمها إلا الله تعالى، وهذه الملكات تتأثر بكلام الله تعالى وتهتز له، ولذلك كان أخشى ما يخشاه الكفار أن يستمع الناس إلى القرآن ولو كانوا غير مؤمنين، بمخاطبته لملكات كل نفس يهزها هزاً عنيفاً، ويجعلها تتأثر به، من ذلك قول الوليد بن المغيرة: "إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وأن أسفله لمغدق وأنه يعلو ولا يُعلَى عليه" (17).

فإذا جمعت بين هاتين الحقيقتين العلمية والتاريخية، فإنك لن تستطيع أن ترد هذا الوحي إلى أنه مصدر من مصادر المعرفة البشرية، ولن يبقى أمام الباحث الحر المؤمن سوى أن يردّها إلى مصدر أعلى من معرفة الإنسان، يتجاوز علمه حدود الزمان والمكان ويستغنى عن الوسائل المعنية على الوصول إلى الحقائق وهو علم الله تعالى، وهذا ما وصل إليه بعض الباحثين لإبراز الإعجاز القرآني العلمي، ومن أهم وأشهر العلماء الأجانب والذين لهم رأي صادق في الإسلام، العالم الفرنسي المعاصر موريس بوكاي (\*) الذي أجرى

مقارنة بين الكتب السماوية (التوراة، والإنجيل، والقرآن) و قال: (لقد أثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية فلم أكن اعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدعاوي الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقة تماماً للمعارف العلمية الحديثة)<sup>(18)</sup> فانتهى إلى أن نصوص التوراة التي وصلت إلينا لا تعبر عن الحقيقة، وهل يمكن أن يكون سبحانه وتعالى قد جاء بشيء غير الحقيقة؟! إنه لا يمكن تصور أنه يعلمنا بواسطة الأوهام، لأنه فوق ذلك، الأمر الذي ينتهي بنا إلى افتراض بأن هناك تشويهاً قد حصل من الناس<sup>(19)</sup> وإلى أن الإنجيل، تحوي فصولاً ومقاطع ناشئة – غريبة – من مجرد الخيال الإنساني<sup>(20)</sup>. أما بالنسبة إلى القرآن فانتهى به الأمر إلى القول أن حقائق القرآن العلمية تدل جميعها على أن نصوص القرآن الكريم نصوص، لا دخل ليد الإنسان فيها، وأنها وحي لاشك فيه<sup>(21)</sup>.

فالإعجاز العلمي للقرآن الكريم أسلوب فريد في الدعوة إلى دين الله تعالى بلغة مناسبة لعصر تفجر المعرفة العلمية الذي نعيشه<sup>(22)</sup>. ولهذا فإن القرآن الكريم مرجع أزلي للحقائق العلمية الحديثة، وما من علم من العلوم إلا وقد أشار إليه في القرآن الكريم. كما سنتناوله في بعض الجوانب من الإعجاز.

والسؤال هنا هل للبحث العلمي في القرآن مبادئ؟ يذكر لنا محمد كامل عبد الصمد بأن هناك مبادئ للبحث العلمي لا بد أن تتوافر كي يؤتى البحث العلمي ثماره المرجوة منه.

### مبادئ وقواعد المنهج اليقيني في القرآن:

#### 1- حرية التفكير:

وهي أعم وأشمل من حرية البحث، ويشترط فيها أن تتوافر دون قيود حتى ينطلق الباحث بما وهبه الله تعالى من ملكات إلى طلب العلم، وهذا الحرية تتبع من مصدرين أساسيين، الأولي: تكوين العقل الإنساني نفسه، وقد شاء الله أن يكون هذا التكوين متحرراً من أي قيد يحد من حرية تفكيره فيما يشاء<sup>(23)</sup>.

الثانية: القوانين والضوابط الخارجية التي تؤثر على طريقة التفكير عند الإنسان، وقد تكون هذه الضوابط عقائد دينية أو دنيوية أو قوانين اجتماعية وما

يتولد عنها من مفاهيم وقيم تؤثر بالضرورة على موضوعات الفكر، ومنطق التفكير، ومن ثم مناهج البحث وتعرضها لجوانب الموضوعات، وتتجلى الدعوة إلى التفكير العلمي بحرية في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٢٤﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٢٥﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٢٦﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٧﴾ فَذَكِّرْ إِنْ مَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴿٢٨﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ ﴿٢٩﴾﴾ (24) وفي قوله تعالى أيضاً: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (25)، فهذه الآيات الكريمة تدل على التفكير والتدبير-النظر- في هذا الكون الفسيح. وحيث لا يجوز أن يقوم البحث العلمي على الرأي أو الظن والتخمين، دون أن يستند إلى البرهان والحجة. لأن الحياة البشرية لاتستقيم ولا تتطور إلا بالبحث والاكتشافات العلمية لمجاراته سنن التقدم.

## 2- استعمال منطق العقل:

نستطيع أن نطور الفكر ونقيمه من خلال استخدام العقل الذي فضل الله تعالى به الإنسان على سائر مخلوقاته، فالآية الكريمة تدل على عدم التقليد: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (26) فضل الله تعالى الإنسان عن سائر المخلوقات بالعلم والعقل، وفضل له مناهج البحث، وبيّن وسائله وأدواته، كي يكتشف الحقيقة، وبالتالي يستطيع الإنسان أن يؤدي الإنسان رسالته التي ارتضاها له (الله) في هذا الكون (27).

3- البعد والتجرد من المصلحة الخاصة، والغرض والهوى الشخصي والشهوات وهو ما يوصف بالموضوعية قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۗ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (28) إلى جانب ذلك التعامل البسيط مع القضايا، وليس التعامل الخيالي وذلك بتحديد مصطلحات البحث ومنطلقاته.

4- الاعتماد على مقدمات وشواهد علمية صحيحة صالحة للبرهان والحكم على أساس العلم لا على أساس الجهل أو الظن قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (29)﴾. ومن خلال ما سبق يتجلى لنا أن الإعجاز العلمي للقرآن كان من ورائه منهج علمي اشتمل على مبادئ البحث العلمي، صالحة على مدى العصور، لذلك لم يكن غريباً أن يأتي القرآن بكل المطابقات التي وصلت إليه العلوم الحديثة من نتائج علمية. لذلك ظل القرآن الكريم مرجعاً أزهياً لكل الحقائق العلمية الحديثة ومن هنا يتجلى إعجاز القرآن، في خلوده على الزمن واحتفاظه بمكانته من السمو والهيمنة على كل ما تبغاه العقول من مدركات، وما تتوصل إليه الاكتشافات والاختراعات، وهذه الحقائق العلمية التي ذكرها القرآن سنعرض بعضها في هذا البحث.

ولأن نأتى إلى بيان بعض الآيات التي تدل على الإعجاز العلمي للقرآن كأنموذج نستدل به لا غير، لأن القرآن الكريم يزخر بالكثير من تلك الآيات القرآنية الدالة على الحقائق العلمية الحديثة.

#### جوانب من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم:

ظفر القرآن الكريم بما لم يظفر به كتاب سماوي من اهتمامات البشر جميعهم سواء من التي ترمي إلى تحقيق هدف صحيح لم تصل في النهاية إلا إلى نتيجة واحدة، هي أن هذا القرآن الكريم ليس من صنع البشر، وإنما هو وحي أوحاه الله عز وجل الذي أبدع هذا الكون، وأقام أركانه على حقائق ثابتة إلى نبيه ومصطفاه محمد (ﷺ) وإن كان هناك من كل عصر نفر من المعاديين المكابرين، فمنهم من ادعى أنه من عند محمد عليه السلام، وذلك بالرغم مما فيه من الشواهد التي تجل عن الحصر.

لقوله تعالى: ﴿سُئِرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (30)﴾. (توسع مدلول الآيات القرآنية وتعمق معانيها في الوجدان والفكر الإنساني، بالانتفاع بالكشوف العلمية المعاصرة في توسيع هذا المدلول، وتعميق هذه المعاني عن طريق الاستئناس بالموقفات الدقيقة، والمقارنات العميقة الملحوظة للعلماء المتخصصين والخبراء الباحثين في مجالات الكون والحياة في شتى علومها ومعارفها) (31)

وأوجه الإعجاز كثيرة ومتنوعة في القرآن الكريم، تنسحب على المكان فيطابقها ويكشف عنها في كل البيئات، وتجرى على الزمان، فيصدقها ولا يبطلها في كل الثقافات، فقد مرت القرون منذ نزول الكتاب الكريم، وتغيرت البيئات، وتقلبت الثقافات بين الأفلو والإشعاع، دون أن تثبت خطأ ضمناً في إشارة من إشارات.

وقد اتخذ القرآن من الإشارات والتلميحات إلى حقائق الكون والحياة منهجاً عظيم الأثر في تثبيت الإيمان وتدعيمه، فما من آية تدعو إلى عبادة الله وتوحيده إلا وهي مقرونة في الأعم بتوجيه الأذهان إلى تأمل آثار القدرة الإلهية في إبداع الكون وإتقان صنعه، وإجالة البصر والنظر في غرائب الخلق، وبدائع التكوين، بما يجعل المرء مشدود البصر والبصيرة بالكون كله.

#### أولاً- الإعجاز العلمي للقرآن في علم الفلك:

##### أ- الليل والنهار.

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (32). تشير هذه الآية إلى حركة الأرض تجاه كل من الشمس والقمر وما

يحدث نتيجة لذلك من تتابع بين آيتي الليل والنهار حيث يجيء الليل بعد النهار والنهار بعد الليل. وهكذا دواليك، ويتدخل كل منهما - الليل والنهار - في الآخر بعض الوقت عند ذهابه وعند عودته، وهذا التداخل وهو ما عبر عنه في الآية الكريمة بالتكوير (33). في قوله تعالى: ﴿يَكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (34) حيث إنه كان هناك اعتقاد سائد زمن نزول القرآن الكريم وإلى ما بعد ذلك بأكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمان، بأن الأرض هي مركز الكون، وأن كلاً من الشمس والقمر يدوران حولها ليتبادلا وظيفة الإضاءة والإنارة للبشرية التي تعيش على سطح هذه الأرض، إذ لم يكن هناك نص صريح ومباشر من القرآن أو من السنة يؤكد على أن الأرض كروية الشكل، وأن القمر يدور حولها، وأن الشمس هي مركز المجموعة الشمسية والتي تعد الأرض أحد كواكبها، وقد ساد هذا الاعتقاد قروناً من الزمن، ولكن خلال القرن العشرين، أو قبله بقليل أستطاع الإنسان أن يرى

عجائب من صنع الله تعالى في هذا الكون الفسيح لم يسبق له به عهد، وتؤكد له أن الأرض تدور حول محورها، بما يسمح لليل والنهار أن يتبادلا مواقعهما على سطح الكرة الأرضية<sup>(35)</sup>. في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّ لَيْلٍ نَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾<sup>(36)</sup>، إن الشمس تضيء بشكل دائم - فيما عدا فترات الخسوف - نصف الكرة الأرضية التي تقع أمامها، في حين يظل النصف الآخر مظلمًا. (وقد رأى رواد الفضاء الأمريكيون هذا وصوروه من مركباتهم الفضائية وخاصة على بعد بعيد عن الأرض... من على القمر مثلاً)<sup>(37)</sup>. وبدوران الأرض حول نفسها على حين تظل الإضاءة ثابتة، فالمنطقة المضاءة منها، تؤدي في أربع وعشرين ساعة دورتها حول الأرض، على حين يتم النصف الآخر المظلم في نفس الوقت نصف الرحلة، والقرآن الكريم يصف لنا وبشكل دقيق هذه الدورة التي لا تكف أبداً - النهار والليل -، وهو ما صح ثبوته اليوم.

وعن دورة الأرض. وهذه العملية الدائمة في التكور مع الولوج المستمر لقطاع في آخر يعبر القرآن الكريم عنها وكأن اكتشاف استدارة الأرض كان قد تم في عصر تنزيل القرآن، والواقع أن هذا لم يكن قد حدث<sup>(38)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾<sup>(39)</sup> يعني كلما مشيت فيها وجدت أرضاً إلى ما لا نهاية، وهذا لا يتحقق إلا إذا كانت الأرض كروية، إذ لو كانت منبسطة، لجا وقت وجدت نفسك عند حافتها، أو كانت مربعة، أو مثلثة أو مسدسة، أو على أي شكل هندسي آخر، وعندها لا يصدق قوله تعالى ﴿مَدَدْنَاهَا﴾ فهي ممدودة في كل بقعة تصل إليها.

وفي قول تعالى أيضاً ﴿يَكْوَرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيَكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾<sup>(40)</sup> وبما أن الليل والنهار وُجدا على سطح الأرض؛ فلا يمكن أن يكورا، إلا إذا كانت الأرض كروية.

من هنا نستطيع القول إنَّ ما تضمنه القرآن من الإشارات إلى أسرار الخلق وظواهر الطبيعة إنما هو القصد الحث على التأمل والبحث والنظر ليزداد الناس إيماناً مع إيمانهم وحسبنا أن القرآن لم يصادم ولن يصادم حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول.

## ب- السماء كانت دخانا

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَا لْأَرْضِ انثَبَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (41)، يصرح القرآن أن السماء كانت في بدء خلق الكون دخاناً، والعلم يقرر ذلك بعد أبحاثه المضنية في هذا الصدد ومن المرجح أن مادة الكون بدأت غازاً منتشراً خلال الفضاء بانتظام، وأن السدائم(\*) عبارة عن غاز عالق بين مواد صلبة، ولهذا لا يمكن إطلاق لفظ السديم على أي شيء من الوجهة العلمية سوى الدخان (42).

## 2- الإعجاز العلمي للقرآن في علم المياه:

في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (43). وأيضاً في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ (44)، وكذلك قول العزيز الحكيم: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ (45)، وأيضاً في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (46).

في كثير من هذه الآيات نرى تأكيداً على أهمية الماء والنتيجة العلمية لوجودها على تربة الأرض أي خصوبة التربة. ومما لا شك فيه أن الماء في هذا العالم يمثل العنصر الأول الذي عليه بقاء الإنسان. فلولا الماء لكانت الأرض كوكباً ميتاً مثل القمر. إن القرآن يعطي الماء الأهمية الأولى في ذكر الظواهر الطبيعية للأرض هذه حقيقة قرآنية ثابتة، لأن لاحتيا بغير ماء.

جزي الماء مكون: ذرة واحدة من الأكسجين، وذرتين من الهيدروجين، ومع أن الجزيء كله متعادل كهربائياً، إلا أن ذرة الأكسجين الأكبر حجماً تجتذب نواتها عدداً من الإلكترونات السالبة، أكبر مما تجتذبه كل من ذرتي الهيدروجين، ومن ثم تصبح ذرة الأكسجين أكثر سلبية نسبياً، وتصبح كل من ذرتي الهيدروجين أكثر إيجابية نسبياً.

ولما كانت ذرتا الهيدروجين، غير موزعتين توزيعاً متماثلاً، بل ترتبطان كلاهما بذرة الأكسجين من جهة واحدة، فإن هذا الوضع يشكل بنياناً هندسياً عليه شحنة سالبة في جانب، وعليه شحنة موجبة في الجانب المقابل، أي: يكون للجزيء قطبان كهربائيان مختلفان، ومن ثم يوصف جزيء الماء بأنه ذو

قطبين(47). وهذا التركيب هو السر في معظم خصائص الماء العجيبة، التي تؤهله للدور الكبير، ويتميز بها من باقي السوائل.

فالماء يجمع بين التماسك، وقابلية الالتصاق، جزئيات الماء متماسكة، سائلة في درجات الحرارة العادية، وهي أشد الجزئيات تماسكاً، باستثناء الزئبق ولكنها تفضل الزئبق، الذي يمنعه تماسك جزئياته الشديد، من الالتصاق بأي سطح، أما الماء فهو متماسك وله قابلية الالتصاق، وهذا التماسك يجعل سطح الماء كأنه غشاء قوي مرن، وهو ما يعرفه بخاصية (التوتر السطحي)، فلو وضعت برفق إبرة من حديد فوق سطح الماء لظلت واقفة وكأنها محمولة بغشاء يحول بينها وبين أن تغوص، وكثير من صغار الكائنات، تستطيع أن تمشي مشياً فوق الماء(48).

وهاتان الخاصيتان: التماسك، والالتصاق، أكسبتا الماء خاصية ثالثة وهي (الشعرية) وهي قدرة الماء على الارتفاع في جذور النبات المتعمقة في الأرض، إلى قمم الشاهقة، بالإضافة إلى أن كثافة الماء وقلة لزوجته، يمكنانه من الحركة بسهولة بين الخلايا في النباتات والحيوانات، والمرور من أغشيتها، وهي التي تمكن الدم في الأجسام من إكمال دورته، وتبادل غازاته، ومواده الغذائية بكل سهولة(49). فكل شيء في الكون أصله من الماء، فصدق سبحانه وتعالى حيث يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (50) كل تلك الخصائص والمزايا جعلها الله في كلمات معدودة معجزة. أليكون هناك أعجاز أعظم من هذا الإعجاز الجامع؟.

فالماء هو السائل الوحيد الذي لا غنى عنه لأي كائن حي مهما كان شكله أو حجمه، تضاعل أم تضخم، فالماء هو سر الحياة الذي أودعه الله في كوكبنا الأرضي.

### الخاتمة:

لقد حاولنا في هذا البحث تسليط الضوء على جانب من جوانب الإعجاز القرآني ألا وهو الإعجاز العلمي وحاولنا قدر استطاعتنا كشف لو جزء ضئيلاً من الإعجاز المتجدد.

فالإعجاز العلمي للقرآن الكريم أسلوب فريد في الدعوة إلى الدين قضية تمس بلغة مناسبة إلى عصر تفجير المعرفة العلمية، فلا توجد قضية

تمس حياة البشر ألا وتوجد في القرآن، ما يعالج هذه القضية، فما من قضية أساسية في المجتمع إلا ويعالجها القرآن الكريم، لأنه لا يوجد أيضاً أدنى تناقض بين إشارة علمية في القرآن الكريم، والمعارف الحديثة للعلوم، فهي إشارات محكمة الدقة دائمة الوضوح والصدق، متجددة البلاغة، في إقناع السامعين في كل عصر، وعلى اختلاف مداركهم، ولا غرابة في ذلك لأنه كلام الله تعالى مبدع الأكوان عالم بأسراره.

ولذلك فالقرآن الكريم يزخر بالعديد من الآيات التي تشير إلى الظواهر الكونية. لقوله تعالى: ﴿سُئِرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ (51)، كنا قد تعرفنا في عجالة عن بعض مظاهر الإعجاز العلمي للقرآن.

**ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها:**

1- القرآن الكريم لم يتعارض - مع وفرة نصوصه التي تناولت العلم الطبيعي- مع أي حقيقة علمية ثابتة. ولقد أوغل العلم الطبيعي بعيداً في ميدان الأنفس والأفاق، وحدد أشياء كثيرة وكشف مزيداً من الحقائق، ومع كل ذلك لم يقدم حقيقة واحدة تنافي ما ورد في الوحي الذي جاء به محمد صلي الله عليه وسلم خلافاً للتراث البشري والديني، سواء، فقد تزرع أمام العلم الطبيعي الحديث، وانكشف عواره بتناقضه مع العلم في كثير من القضايا.

2- انفرد القرآن أيضاً، بأنه قد ذكر حقائق علمية جاءت من خلال بيان آيات الله في عالم الشهادة، للدلالة على عظمة خالقها وجلاله والامتنان على العبد بنعم الله الوافرة التي أسداها إليه. وكانت متطابقة تماماً مع ما وصل إليه العلم التجريبي المعاصر، بعد اعتماده على مناهج، ووسائل مكنته من الكشف عن هذه الحقائق.

3- القرآن الكريم كتاب معجز في بيانه ونظمه، معجز في فصاحته وبلاغة أسلوبه معجز في كمال رسالته ودقة مضمونه، معجز في كل أمر من أموره.

4- باعتبار القرآن معجزة جعل اليقين مقصداً أسمى لحياة المؤمن في الدنيا والآخرة، كما جعل الآيات المعروضة في الكون طريقاً بالنظر فيها إلى اليقين قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ (52). وكما جعل القرآن ما

يأتي من عند الله من أخبار الأمم الماضية هو الخبر اليقين وهو العلم الحقيقي قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (53)

5- ويجعل القرآن كذلك دور العقل في المعرفة بالاعتماد على الحقائق الواقعية والمعلومات المسلم بها التي لا جدال فيها . كما قال تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ فَلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدَّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ \* فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (54)

6- إن الحقيقة العلمية أن لم يكن في القرآن ما يؤيدها فليس فيه قطعاً ما يعارضها .

فالإعجاز العلمي للقرآن الكريم أسلوب فريد في الدعوة إلى دين الله بلغة مناسبة لعصر تفجر المعرفة العلمية الذي نعيشه .

- (1) 41 سورة فصلت: الآية 53.
- (2) مجلة الأزهر: العدد 11، 2008، ص1695.
- (3) زغلول النجار: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن، ج1، ص35، وكذلك انظر أيضاً زغلول النجار، قضية الإعجاز العلمي، القاهرة، 2006، ط1، ص38 وما بعدها
- (4) زغلول النجار: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ج1، ص36.
- (5) 41 سورة فصلت: الآية 53.
- (6) محمد كامل عبد الصمد: الإعجاز العلمي في الإسلام، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2000، ط7، ص28.
- (7) 4 سورة النساء: الآية 122.
- (8) 15 سورة النحل: الآية 89، و سورة المجادلة: الآية (11)، و 96 سورة العلق: الآية (1-5)
- (9) للمزيد من الاطلاع انظر كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فصل ما يقوم بالقرآن وبعلمه، رواه مسلم، ص 191. وللمزيد من الاطلاع انظر صحيح مسلم في المجلد واحد، القاهرة، دار ابراهيم، 2001
- (10) محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام، القاهرة، الدارس المصرية اللبنانية، ص35.
- (11) عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني الفلسفي، الرياض، مكتبة المؤيد، 1992، ط1، ص170.
- (12) عبد الرحمن الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني الفلسفي، ص171.
- (13) السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، ص162. للمزيد من الاطلاع انظر الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة في علوم القران وفضائله، لحسن بن على طلحة الرجراجي الشوشاوى، تحقيق الامين عبد الحفيظ الرغروغى، منشورات كلية الآداب والتربية بجامعة سبها.

- (14) المصدر نفسه، ص163
- الإشارات العلمية في القرآن الكريم تلقي تحقيقاً علمياً في الأوساط الأوروبية، لأن ما أشار إليه القرآن منذ قرابة خمسة عشر قرناً وجاء العلم الحديث ليكشف عنه ويؤيده.
- (15) محمد كامل عبدالصمد: الإعجاز العلمي في الإسلام، ص31.
- (16) 5 سورة المائدة: الآية 83.
- (17) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص149.
- (\*) ولد موريس بوكاي من أبوين فرنسيين، وترعرع كأهله في بيئة دينية مسيحية على كره الإسلام والمسلمين آنذاك، ولما أنهى مرحلة التعليم الأساسي، التحق بكلية الطب بإحدى الجامعات الفرنسية، حتى نال الشهادة النهائية بتفوق شديد، وارتقت به الحال حتى أصبح من مشاهير الجراحين التي عرفتهم فرنسا الحديثة، ثم دخل الإسلام وآمن بالقرآن. للمزيد من الاطلاع انظر موريس بوكاي، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص8 وما بعدها.
- (18) وريس بوكاي، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص8 وما بعدها.
- (19) لمرجع نفسه، ص88. للمزيد من الاطلاع انظر أحمد عمر ابوحجر: التفسير العلمي للقران في الميزان، دار قتيبة، ص70.
- (20) لمرجع نفسه، ص112، 165.
- (21) المرجع نفسه، ص209. وأيضاً متولى الشعراوي: معجزات القرآن مجلة كتاب اليوم، العدد 154، ص35.
- (22) زغلول النجار: قضية الإعجاز العلمي، ص87.
- (23) محمد كامل عبدالصمد: الإعجاز العلمي في الإسلام، ص34.
- (24) 88 سورة الغاشية: الآيات من (17-22).
- (25) 10 سورة يونس: الآية 101.
- (26) 2 سورة البقرة: الآية 170.
- (27) محمد كامل عبدالصمد: الإعجاز العلمي في الإسلام، ص38.
- (28) 4سورة المائدة: الآية 8.

- (29) 17 سورة الإسراء : الآية 36.
- (30) 41 سورة فصلت : الآية 53.
- (31) إبراهيم محمد سرسين : الإعجاز العلمي فى القرآن الكريم ، المجلة العربية عددها الصادر فى يناير ، 1982.
- (32) 31 سورة لقمان : الآية 29.
- (33) مجلة الأزهر : العدد 11، ص 1697.
- (34) 39 سورة الزمر : الآية 5.
- (35) مجلة الأزهر ، العدد 11 ، ص 1697.
- (36) 36 سورة يس : الآية 37.
- (37) موريس بوكاي : القرآن والتوراة و افنجيل والعلم ، ص 223.
- (38) نفس المرجع ، ص 223. وكذلك انظر محمد كامل عبد الصمد : الإعجاز العلمي فى الإسلام ، ص 52.
- (39) 15 سورة الحجر : الآية 19 .
- (40) 29 سورة الزمر : الآية 5 .
- (41) 41 سورة فصلت : الآية 11.
- (\*) السديم جمع سديم وهي السحب الكونية أو المجرات التي نشأت فيها المساء والأرض وهذا رأي العالم الفلكي جيمس جينز، وكذلك الدكتور جامو George Gamow. للمزيد ن الاطلاع انظر محمد كامل: الإعجاز العلمي فى الإسلام، ص 59-77.
- (42) محمد كامل : الإعجاز العلمي ، ص 59.
- (43) 21 سورة الأنبياء : الآية 30 .
- (44) 24 سورة النور : الآية 45.
- (45) 25 سورة الفرقان : الآية 54.
- (46) 6 سورة الأنعام : الآية 99.
- (47) صلاح الدين التجاني الحسني: قطرات النور، القاهرة، هلا للنشر التوزيع 2007، ط1، ص102.
- (48) صلاح الدين التجاني الحسني : قطرات النور ، ص 103.

- (49) محمد كامل : الإعجاز العلمي في الإسلام ، ص 181 وكذلك صلاح الدين التجاني ، قطرات النور : ص 103-106 ، كذلك زغول النجار ، قضية الإعجاز العلمي ، ص 157-158 .
- (50) سورة الأنبياء: الآية 30 .
- (51) سورة فصلت: الآية 53.
- (52) سورة الذاريات : الآية 20.
- (53) سورة النساء : الآية 157.
- (54) سورة يونس : الأيتان 15-16.

## المضمون الأخلاقي للأسطورة الدينية القديمة

د. نجاح أبو القاسم زائد  
قسم الفلسفة  
كلية الآداب بالزاوية- جامعة الزاوية

### مقدمة

تميز المجتمع الإنساني منذ بداية تشكله بالتنظيم، إذ لا تخلو جماعة أو مجتمع من المجتمعات مهما كان بدائياً من وجود نظام اجتماعي يهدف إلى تحقيق استقرار المجتمع واستمراره والمحافظة على حقوق الأفراد وأرواحهم، وفي ظل التنسيق والتكامل الوظيفي، يمكن للأفراد أن يعيشوا في جماعة بأمن وسلام، ولا يكون هذا إلا بصياغة قواعد ومبادئ وأصول وإجراءات. والنظام هو شكل من أشكال القواعد والإجراءات الجزئية والأساليب الضابطة أو الموجهة للسلوك الاجتماعي.

وتأتي الأسطورة الدينية كوسيلة من هذه القواعد والإجراءات، لها دور حيوي وفعال في الحياة الاجتماعية، من حيث أنها تعد بمثابة القوة الموجهة للمجتمعات البدائية والمتحضرة، إذ أن لها سلطاناً على النفوس، ومقدرة على تثبيت الأفكار والمعتقدات، كما لها علاقة وطيدة بالطقوس التي تقوم بلم شمل الأبناء على روح الجماعة.

مارست الأسطورة الدينية هذا الدور المهم في المجتمعات البدائية، ولا يزال دورها فعالاً أيضاً في المجتمعات المتحضرة، إذ تعد بمثابة القوة الدافعة للحضارة الإنسانية، وذلك أنها الحاوية الناقلة للتقاليد والعادات، فإذا ما اتضح عدم رضا أفراد المجتمع عن أحد الأنماط الاجتماعية سواء كان هذا النمط ديني أو دنيوي، فإن الأساطير تعمل على إعطاء هذا النمط الشرعية والثبات. ومن هذا المنطلق فإنها تعد إحدى وسائل الضبط الأخلاقي من حيث توصيل الامتثال للأنماط السلوكية المقبولة لأفراد المجتمع. فلأسطورة الدينية مضموناً محدداً، وهذا المضمون له دور محدد فهو يعمل على تقوية إيمان وبناء

القناعات القيمية لدى الفرد، لكي يشارك باقي أفراد المجتمع في توجيه سلوكه في اتجاه معين ليتكيف مع الجماعة. ولما بدا لنا الموضوع مفتوحاً على كل القضايا، محتملاً لمختلف أشكال التناول والتعاطي فبدناه بدراسة دور الأسطورة الدينية في المجتمعات القديمة موثقاً لشواهد نصءئصص2ه من أساطير الشرق القديم ( مصر والعراق)، على أمل أن تتناول لدور الأسطورة الدينية في المجتمعات المتحضرة في بحوث أخرى..

يحاول هذا البحث تتبع وتوضيح العلاقة بين الأساطير الدينية والأخلاق ليجيب على السؤال التالي:  
كيف استخدمت الأسطورة الدينية لتكون قالباً لتعليم الدين والسلوك وتثبيت النظام؟

### ويأتي طرح الموضوع وفق مبحثين رئيسيين:

المبحث الأول: تحديد مفاهيم الدراسة وهو جانب نظري لتقعيد المفاهيم المستخدمة في البحث.

المبحث الثاني: ويتم فيه شرح العلاقة بين الأسطورة الدينية والأخلاق، وهو جانب تطبيقي يتم فيه عرض نماذج من الأساطير والنصوص الدينية ذات المضمون الأخلاقي من ثقافات الشرق القديم (مصر، العراق).

يلي ذلك الخاتمة التي ستشمل ما توصل إليه البحث من نتائج.

### أولاً: مفهوم الدين.

#### 1- تعريف الدين لغة:

يعرف الدين لغة: الجزاء، وهو الخضوع والطاعة، وهو العادة والشأن<sup>(1)</sup> "والدين بالكسر: الجزاء والإسلام، وقد ننت به، والدين العبادة والطاعة والحساب، والتوحيد واسم لجميع ما يتعبد الله عز وجل به، والدين: الملة والورع والقضاء"<sup>(2)</sup>.

وتشتق كلمة الدين من ثلاثة أفعال:

- فعل متعد بنفسه "دانه يدينه"، بمعنى ملكه، حكمه، وساسه، ودبره وقهره وحاسبه، وقضى في شأنه وجازاه وكافأه.
- ومن فعل متعد باللام "دان به"، أي أطاعه وخضع له، فالدين هنا هو الخضوع والطاعة والعبادة والورع.
- ومن فعل متعد بالباء "دان به" أي اتخذه ديناً ومذهباً، أي اعتقده أو اعتاده أو تخلق به<sup>(3)</sup>.

## 2- تعريف الدين اصطلاحاً:

بسبب الطابع الشمولي لفكرة ومصطلح الدين، سنحاول عرض عدد من التعريفات المختلفة التي حاولت إيجاد تعريف محدد للدين، ففي الأنثروبولوجيا نجد عدة تعريفات للدين، نذكر منها تعريف تايلور للدين: بأنه الاعتقاد بوجود كائنات روحية<sup>(4)</sup>، وتعريف ماكس مولر الدين بأنه محاولة للتعبير عما لا يمكن تصويره والتطلع إلى الله باعتباره الكمال المطلق اللانهائي.

ويعرف فريزر الدين بأنه: الاعتقاد في قوة غيبية غير مشخصة<sup>(5)</sup> والدين عند كانط هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية. بينما يكون الدين عند دوركايم مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة، اعتقادات وأعمال تضم اتباعها في وحدة معنوية تسمى الملة<sup>(6)</sup>.

## وجاء في قاموس علم الاجتماع:

الأديان "هي أنساق للمعتقدات والممارسات" والمعتقدات الدينية هي تفسيرات أو تأويلات للخبرة المباشرة بالرجوع إلى البناء المطلق للعالم، وإلى القوة فوق الطبيعية التي تسيطر على الكون وظواهره.

والممارسات تتمثل في سلوك الدين، وهو سلوك مقدس وطقوس تفرض على الشخص ممارسات مقننة تحدد علاقة الشخص بالقوة العليا<sup>(7)</sup>.

ويتبدي الدين في ثلاثة أشكال يؤدي إحدها إلى الآخر وتتدرج من واحد إلى آخر، وهي الدين الفردي الذي هو الحس الفردي وهو أمر ذاتي لا يختص بفرد دون آخر، بل يتعرض له الجميع بدرجات متفاوتة، والدين الجمعي حيث

يأخذ الأفراد بنقل خبراتهم المنعزلة من بعضهم إلى بعض والمؤسسة الدينية التي ظهرت مع ظهور المدنية ممثلة بالمعابد والكهنة، وتقوم بدور الموجه للحقوق والواجبات الدينية. ويتكون الدين في كل مكان وزمان من ثلاثة مكونات أساسية هي: (المعتقد والطقس والأسطورة)، وهناك المكونات الثانوية للدين التي تظهر بصفاتها عوامل مساعدة مشروطة بالسياقات التاريخية والاجتماعية وهي (الأخلاق والشرائع)<sup>(8)</sup>.

#### - المعتقد:

وهو القالب الذي تصب فيه التجارب الدينية الفردية، ومن خلاله يتم تأطير الخبرة الدينية بحيث تلاءم جميع أفراد الجماعة، ومن خلاله أيضاً يتم ترجمة هذه الخبرات الدينية المجمعمة، إلى مجموعة أفكار تحدد صور ذهنية للمقدسات وطريقة التعامل معها.

#### - الطقس:

يضم الطقس الجانب الانفعالي والعملية من الدين، ويفضله يخرج المعتقد من الكوامن الذهنية والعقلية والنفسية إلى حيز الفعل، وعادة ما تعتمد الديانات البدائية بوجه الخصوص على الطقوس أكثر من اعتمادها على المعتقد الديني نفسه وتتنوع الطقوس حسب نوع الأديان فهناك طقوس الخصب والطقوس الجنائزية وطقوس الحج والصلاة وغيرها<sup>(9)</sup>.

#### - الأسطورة:

تعد الأسطورة المكون الأساسي الثالث للدين، فهي امتداد طبيعي للمعتقد الديني يعمل على توضيحه وإغنائه، وتلعب دوراً فعالاً في ظهور الخبرة الدينية الانفعالية إلى حيز الوجود، ولها الفضل في إضفاء المشروعية والمعقولية على هذه الخبرة، بما تمتلكه من قدرة إيحائية تجعل من التجربة الدينية، تجربة مشتركة مع الآخرين، وبما لديها من تقنيات لغوية تسبغها على الخبرة الدينية<sup>(10)</sup>.

أما المكونات الثانوية لدين ما، فهي ليست طارئة على الدين، بل إنها أخذت دوراً لاحقاً وتشكلت وفق ظروف اجتماعية وسياسية أتت بعد تكون العدد السابع عشر 143 مجلة كلية الآداب

الأصل. وليس هناك مثل الدين منبع للأخلاق ومصدر لها، لأن الدين من أول أشكاله السحرية إلى أرقى أشكاله السماوية، يضع مجموعة من الأوامر والنواهي والأعراف الاجتماعية التي تنظم الحياة الاجتماعية، ويربطها بالمقدس سلباً أو إيجاباً، ولذلك أخذت الأخلاق طابع الإلزام والقوة.

في كتابه (منبع الأخلاق والدين) يرجع برجسون الأخلاق والدين إلى قوة بيولوجية غريزية في الإنسان<sup>(11)</sup> وفي المقابل يرجع كانط الأخلاق إلى المستوى الميتافيزيقي بعد أن يعزلها عن مستواها الاجتماعي<sup>(12)</sup>. وسواء كان منبع الأخلاق وجوهاً غريزياً، أم عقلياً، أم بيولوجياً فلاشك في أن ارتباطها بالدين واللاهوت هو من أهم الأمور التي ظهرت واضحة في تاريخ الأخلاق أو تاريخ الأديان.

لقد تدرج ارتباط الأخلاق بالدين، من صور أولية بسيطة إلى صور أعلى حيث لا ينسب كل النظام الأخلاقي إلى الدين، غير أن هناك دائماً ما يشير إلى الأخلاق الاجتماعية في الديانات السماوية (الشمولية)، ففي المجتمعات البدائية يلعب (التابو) دوراً أساسياً في تأسيس الأخلاق "التي يمكن أن تشكل نقطة اتصال فيما بين الأخلاق الاجتماعية، والأخلاق الدينية، نستطيع أن نتبين فيها الأخلاق الدينية بشكلها الجنيني"<sup>(13)</sup> بينما تظهر الأخلاق كجزء مرتبط بالدين في المجتمعات الأفريقية فمثلاً فكرة الإله "الذي شعب البانتو فكرة ميتافيزيقية وليست أخلاقية، لأن الله هو الخالق ولكنه ليس القاضي. والألم لا يتأتى عنه وإنما عن سلوكنا، عن التعاويذ التي يصنعها لنا الحساد، من غضب الأجداد غير الراضين عنا، من عمل السحرة العجائبيين، أو السحرة الأشرار الذي يستحوذون على قوتنا الحيوية، أو يضعفونها أو يدمرونها"<sup>(14)</sup>.

أما الشرائع التي هي قوانين الأخلاق الاجتماعية والدينية، فقد كان ارتباطها بالدين واضحاً، ويتمثل ذلك في ارتباط أقدم الشرائع المدونة بالآلهة والمتمثلة في تشريع حمورابي، فالإله شمش هو الذي سلم حمورابي، شريعته المستندة على موازنة بين حقوق الإنسان وواجباته تجاه الإله والمجتمع. ومن المؤكد أن الشرائع كانت شفاهية في المجتمعات البدائية، ومجتمعات ما قبل

التاريخ، وكانت على شكل أعراف متوارثة، كان الدين هو الذي يحتويها وينظمها، وربما كانت الشرائع لاحقة للأخلاق، ولذلك تدرج ظهورها وارتباطها بالدين بصورة لاحقة أيضاً للأخلاق "ومن ناحية أخرى فقد ارتبطت الأخلاق تقليدياً بالتشريع، فالشرائع ليست إلا جزءاً من الأخلاق العامة، وقد تم تأييدها بالعقوبات التي تفرضها السلطة السياسية، وأول القواعد التشريعية لم تكن سوى قواعد أخلاقية بدت ذات قيمة استثنائية لنظام الجماعة، فجرى دعمها بالقوانين التي تضمن إلزام الأفراد بها، فالسرقة مثلاً، تبقى مسألة من مسائل الأخلاق العامة، التي تجد مؤيداتها في الروادع الذاتية، إلى أن تؤيد بعقوبة تفرضها الجماعة، عندما تتحول إلى قضية تشريعية رغم استمرار انتمائها إلى المجال الخلقي".

ثانياً: مفهوم الأسطورة.

### 1- الأسطورة لغة:

وردت كلمة الأسطورة في القرآن الكريم في تسعة مواضع\* حيث وردت بمعنى الأحاديث التي جرت على لسان الأوتل ومنها قوله تعالى ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾<sup>(15)</sup>، وقوله عز وجل ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً﴾<sup>(16)</sup>.

أما لغة، فالأساطير هي: "الأحاديث التي لا نظام لها، وجمع أسطورة وسطر تسطيراً: ألف"<sup>(17)</sup>، كما تعد الأساطير خرافات يملأها الخيال، وتكون فيها القوى الطبيعية كائنات حية ذات شخصيات مميزة<sup>(18)</sup>.  
إنها أباطيل وترهات وجمعها أساطير ومفردتها أسطورة...، أساطير جمع سطر وهو الشيء المؤلف المكتوب الممتد كسطر الكتاب<sup>(19)</sup>.

\*سورة الأنعام: الآية (26)، سورة النحل: الآية (24)، المؤمنون: الآية (84)، النمل: الآية (70)، الإحفاف: الآية (16)، القلم: الآية 15، المطففين: الآية (13).

لا تقف المعاجم العربية كثيراً عند كلمة الأسطورة، وبالتالي فهي لا تعطيها حقها من التوضيح، ففي أغلب التعريفات اللغوية لا تخرج كلمة الأسطورة عن الأباطيل والترهات.

وفي اللغات الأوروبية، نجد ما يقارب هذه المعاني لكلمة الأسطورة في اللغة العربية فكلمة (Myths) في اللغة الإنجليزية أو الفرنسية مشتقة من الأصل اليوناني (Muthos) وتعني "حكاية شعبية أو أدبية، تضم كائنات خارقة وإجراءات خيالية تنقل الأحداث التاريخية"<sup>(20)</sup>.

وكان "أفلاطون أول من استعمل تعبير Mythologia بمعنى "القول عن"، أو "الإخبار عن"، أو بمعنى "القصص"<sup>(21)</sup>. ومنه جاء تعبير Mythologie المستخدم في اللغات الأوروبية الحديثة. وهنا يجب التمييز بين مصطلح الميثولوجيا ومصطلح الأسطورة Myth، فالأول يشير إلى شئئين:

1. دراسة الأسطورة ذاتها، دراسة علمية منظمة.
2. مجموع الأساطير التي تميز حضارة ما، كالميثولوجيا المصرية أو اليونانية أو البابلية.

في حين أن Myth تشير إلى أسطورة بعينها. وفي لغات الشرق القديم كالأكدية والحثية، فلا نعثر على مصطلح خاص ميز به أهل تلك الحضارات الحكاية الأسطورية عن غيرها، وهنا تكمن المشكلة "فالقديم أنفسهم، لم يعملوا على تمييز النص الأسطوري عن غيره ولاهم دعوه باسم خاص، يساعدنا على تمييزه بوضوح بين ركام ما تركوه لنا من حكايات وأناشيد وصلوات وما إليها"<sup>(22)</sup>. فمثلاً احتفظت مكتبة الملك آشور بانيبال بالنصوص جنباً إلى جنب دون عناية بفرزها إلى مجموعات وفق موضوعاتها، ومع ذلك فقد ميز الأقدمون بدقة بين القصص الحقيقية التي ترتبط بالمعتقدات الدينية (الأساطير) والقصص الزائفة ذات المضمون الأدبي البحث<sup>(23)</sup>.

## 2- تعريف الأسطورة اصطلاحاً:

لما كانت الأسطورة واقعة ثقافية شديدة التعقيد، كان من الصعب علينا إيجاد تعريف متفق عليه يكون في متناول المتخصصين، والمهتمين والدارسين على السواء، أضف إلى ذلك نسبة التشابه الكبير بين الأسطورة وبين غيرها من المصطلحات.

في قاموس علم الاجتماع تعرف الأسطورة باعتبارها "تفسير أو قصة رمزية تزوي حادثة غريبة، أو خارقة للطبيعة توجد في ثقافة فرعية، وتتميز الأسطورة بتناقضها، وانتشارها على نطاق واسع، وتأثيرها العميق نتيجة ما تنطوي عليه من حكمة، وفلسفة وإثارة وإلهام"<sup>(24)</sup>.

ويعرف برونسلاف مالمينوفسكي الأسطورة بأنها: "حكاية تعيد الحياة إلى حقيقة أصلية، وتستجيب لحاجة دينية عميقة، وتطلعات أخلاقية وواجبات وأوامر على المستوى الاجتماعي، بل وحتى متطلبات عملية في الحضارات البدائية تملأ الأسطورة وظيفتها لا غنى عنها، تفسر وتبرر وتعين المعتقدات تحامي عن المبادئ الأخلاقية وتفرضها، تضمن فعالية الاحتفالات الطقسية وتنتج قواعد عملية لاستعمال الإنسان"<sup>(25)</sup>، والأسطورة عند مرسيا الياد "تحكي لنا كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود، بفضل مآثر اجتريحتها الكائنات العليا، لا فرق بين أن تكون هذه الحقيقة كلية كالكون، أو جزئية كأن تكون جزيرة أو نوعاً من النباتات، أو مسلماً سلكه الإنسان أو مؤسسة"<sup>(26)</sup>.

والأسطورة عند فراس السواح "حكاية مقدسة مؤيدة بسُلطان ذاتي وذات مضمون عميق يشف عن معان ذات صلة بالوجود والكون وحياة الإنسان، ويضع السواح عدة معايير لتمييز النص الأسطوري عن غيره من النصوص، وهذه المعايير هي:

1. الأسطورة شكل من أشكال الأدب الرفيع، فهي قصة تحكمها قواعد السرد القصصي.

2. الأسطورة قصة تقليدية ذات ثبات نسبي تتناقلها الأجيال شفاهياً وكتابةً.

3. الأسطورة لا تشير في جوهرها إلى زمن جرى فيه الحديث وانتهى، بل إلى حقيقة أزلية من خلال حدث جرى.
  4. الأسطورة ذات موضوعات شمولية كبرى، كالخلق والتكوين وأصول الأشياء... الخ.
  5. محور الأسطورة الآلهة وأنصاف الآلهة، فإذا ظهر الإنسان على مسرح الأحداث كان دوره مكماً لا رئيسياً.
  6. الأسطورة لا مؤلف لها، لأنها ليست نتاج خيال فردي، أو حكمة شخص بعينه بل هي ظاهرة جمعية، وقد يعيد الأفراد صياغتها وفق صنعة أدبية.
  7. تتمتع الأسطورة بقدسية، ولها سلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم في عصرها.
  8. الأسطورة مربوطة بنظام ديني معين، فإذا انهار هذا النظام تحولت إلى حكاية دنيوية، تنتمي إلى نوع آخر من الأنواع الأدبية الشبيهة بالأسطورة مثل الخرافة والقصة الأدبية وغيرها<sup>(27)</sup>.
- أما الأسطورة الدينية فيعرفها زكي أحمد بدوي بأنها "المعتقدات المشبعة أو المحملة بالقيم والمبادئ التي يعتنقها الناس، ويعيشون لها أو من أجلها"<sup>(28)</sup>، وترتبط الأسطورة الدينية بنظام ديني معين، وتتشابك مع معتقدات ذلك النظام وطقوسه المؤسسة، وهي تفقد كل مقوماتها كأسطورة إذا انهار النظام الذي تنتمي إليه وتتحول إلى حكاية دنيوية تنتمي إلى نوع آخر من الأنواع الأدبية الشبيهة بالأسطورة مثل: الحكاية الخرافية والقصة البطولية وقد تنحل بعض عناصرها في الحكاية الشعبية"<sup>(29)</sup>.
- ويمكن القول أن الأسطورة الدينية تعني نظام التصورات، التي تخلق الأفكار التي تتحول إلى دستور يهتدي به الإنسان في حياته الاجتماعية. ويتفق الكثير من الباحثين على أن الأسطورة "قدمت للدين جانبه الاعتقادي النظري الذي يدعم ويبرر جانبه الانفعالي الأصلي". والأسطورة الدينية معتقد "والمعتقد يستدعي طقوساً والطقوس ليست عبثية، أن لها معنى دلالي، فهي ذات وظيفة اجتماعية، كما أن لها عائداً فردياً"<sup>(30)</sup>، فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالطقوس

التي تعد أقوى أشكال التعبير عن الخبرة الدينية، لدى الفرد والجماعة على حد السواء.

### المبحث الثاني: علاقة الأسطورة الدينية بالأخلاق

مثلما ترتبط الأسطورة الدينية بالمعتقدات والطقوس التي تنظم موقف الإنسان وسلوكه اتجاه عالم المقدسات، وتزوده برؤية شمولية للكون وموضع الإنسان فيه، ترتبط بالأخلاق باعتبارها القواعد والممارسات التي تنظم موقف الفرد من الآخرين، وسلوك الأفراد تجاه بعضهم بعضاً، وتجاه الجماعة التي ينتمون إليها "إن القواعد الأخلاقية تنشأ من أجل حل المشاكل الناجمة عن الاحتكاك بين الأفراد والجماعات، وتسوية النزاعات التي تخلقها الحياة المشتركة، وهي برجعها إلى مبادئ للسلوك متفق عليها، ومقبولة من الجميع، فإنها تطرح نفسها كبديل عملي وناجح لأسلوب القوة والإكراه في العلاقات الاجتماعية"<sup>(31)</sup>. وحتى يكون للأخلاق هذه القوة، كان من الضروري ربطها بمؤيدات دينية (الأسطورة الدينية) فالإله الذي يحافظ على نظام الكون من خلال القوانين الطبيعية، هو الذي يحافظ في الوقت نفسه على نظام المجتمعات الإنسانية من خلال القوانين الأخلاقية.

وقد ترافق الارتباط التدريجي بين الأخلاق والدين، مع الانتقال من المجتمع القروي إلى مجتمع المدينة، وما رافق ذلك من اجتماع السلطة السياسية والدينية في يد الملك الكاهن، وهو ما سهل ربط النظام الأخلاقي والنظام الديني للجماعة. فمع تعقد الحياة وتشابك العلاقات الاجتماعية شعر الحكام بضرورة ربط المؤيدات الاجتماعية للسلوك الأخلاقي بمؤيدات دينية وبمرور الوقت توطدت العلاقة حتى بدت الأخلاق والأديان في طبيعة واحدة.

وبالرجوع إلى تاريخ مصر القديمة، يمكننا الإشارة إلى كثير من النصوص التي تدل على اتصال الأخلاق بالدين، منذ وقت مبكر من تاريخ ثقافات الشرق القديم، ومن هذه النصوص نذكر نص مصري قديم احتوى على كثير من القواعد الأخلاقية، وهو عبارة عن مجموعة اعترافات للمنوفي أمام قضاة العالم الأسفل وفيما يلي مقتطفات من النص:-

- لم أقم بعمل شرير يؤذي أحداً من الناس.
- لم أسئ معاملة الماشية والأنعام.
- لم أقترب خطيئة.
- لم أحاول معرفة ما يجب على الفانين عدم معرفته.
- لم أجدف على أحد من الآلهة.
- لم أكن قاسياً على أحد من الفقراء قط.
- لم أقم بعمل يمقته الآلهة<sup>(32)</sup>.

يعود هذا النص إلى مطالع تاريخ مصر القديمة، مما يدل على اتصال الأخلاق بالدين منذ وقت مبكر من تاريخ ثقافات الشرق القديم عندما كانت تنتقل من العصر النيولتي القروي إلى العصر المدني، والجدير بالذكر هنا هو خلو هذه القواعد الأخلاقية من التابو في مقابل تركيزها على العلاقات السوية بين الأفراد إضافة إلى شمولها لبقية الكائنات الحية التي يتوجب على الإنسان الرأفة بها وحسن معاملتها.

إلى جانب هذا النص يمكن الإشارة إلى كثير من نصوص الحكم والوصايا التي تطلعتنا على جوانب أخرى من الحياة الأخلاقية للمجتمع المصري القديم نذكر منها على سبيل المثال.

- وصايا الوزير بتاح حوتب وتعود إلى حوالي عام 2450 ق.م
- وصايا الملك مير كاريي، وتعود إلى حوالي 2100 ق.م
- وصايا أمين أم أو بيت تعود إلى حوالي عام 700 ق.م<sup>(33)</sup>

أما عن المنظومة الأخلاقية في الحضارة الآشورية، فتبرز في كثير من النصوص، التي تكشف عن ذلك المستوى الراقي الذي بلغته تلك الحضارة في مجال الأخلاق والعلاقات الاجتماعية، من هذه النصوص ترتيباً مرفوعة للإله شمش إله الشمس والعدالة، الذي يعاقب الأشرار، ويكافئ الأخيار، عثر على هذا النص الذي يتألف من مئة وستين سطراً في مكتبة آشور بانبيال يعرض النص على الوصايا الأخلاقية التي يراعى الإله شمش تطبيقها.

**وفيما يلي مقتطفات من النص:**

- "1- أيا مبدد الظلام  
2- وقاهر الشر.. في الأسفل وفي الأعلى.  
51- لظهورك يبتهج كل البشر.  
1- يامن تحاسب بالحق الصالح وتحاسب الشرير،  
30- تنشر شيكتك الواسعة لتمسك بالرجل،  
32- الذي يشتهي امرأة صديقه  
39- تكسر شكيمة المجرم وتقطع دابره  
40- وتذهب جمال من يتلاعب بالحسابات  
41- تؤدي عدالتك بالقاضي الفاسد إلى السجن،  
42- وتنزل عقابك بالمرتشى الذي يحرف سير العدالة.  
43- أما المستقيم الذي يرفض الرشوة وينتصر للضعيف،  
44- يفرح به فؤادك فتثري حياته وتزيد في أيامه  
45- القاضي النزيه الذي يصدر الأحكام بالحق،  
46- تجعل مكانته سامية وتسكنه مساكن الأمراء.  
47- ما الذي يجنيه المرابي الذي يثمر ماله بربح فاحش؟  
48- يكذب من أجل ربح آني، ولكن يخسر ثروة بأكملها.  
51- ما الذي يجنيه من يغش في الكيل والوزن؟  
52- من يغير عن عمد في أحجار الميزان وينقص منها؟  
53- إنه يكذب من أجل ربح آني، ولكن يخسر ثروة بأكملها<sup>(34)</sup>."  
ويمكن الإشارة إلى نص آخر يعود إلى القرن السابع قبل الميلاد، يقدم على مستوى ضيق حكماً ووصايا من أب إلى ابنه:  
"20- أكبر جماح فمك، راقب كلماتك.  
21- وكما يحافظ الرجل على ثروته احفظ شفيتك.  
22- لا تنفوه بما لا يفيد، لا تعط نصيحة في غير محلها.  
35- لا تصنع بخصمك شراً.  
36- ومن يبادر بسيئة كافته بحسنة.

- 37- واجه عدوك بالعدل ولا تظلم.  
40- لا تترك قلبك هبة لإغواء العمل السيء.  
12- أعط الطعام لسائله وشراب البلح لطالبه.  
13- ولا ترد طالباً لصدقة أو ثوب.  
15- ففي ذلك مرضاة للإله شمس وبه يجزي حسنة.  
16- كن مصدر عون لإخوتك، صانعاً للخير.  
32- أي بني إذا اختارك الأمير لخدمته.  
33- حافظ على ختمه محافظتك على نفسك.  
34- وإذا فتحت خزينته وولجت إليها.  
35- سترى أموالاً لا يمكنك عدها،  
36- فغض الطرف عنها ولا يراودك طمع بها.  
27- لا تغلظ في الكلام، ولا تفتنر على أحد،  
29- من يغلط القول ويفتر على الناس،  
30- يعاقبه الإله شمس، ويلحقه طالباً رأسه<sup>(35)</sup>"

وحتى تبقى هذه القواعد الأخلاقية فعالة، وبنفس قوتها الإلزامية نظراً لتطور البيئة الاجتماعية للمجتمع، واستقرار العلاقات بين الأفراد كان لزاماً ربطها بالتشريع.

فالشرائع ليست إلّا جزءاً من الأخلاق العامة، وقد تم تأييده بالعقوبات التي تفرضها السلطة. "وأول القواعد التشريعية لم تكن سوى قواعد أخلاقية، بدت ذات قيمة استثنائية لنظام الجماعة، فجرى دعمها بالقوانين التي تضمن إلزام الأفراد بها، فالسرقة مثلاً تبقى مسألة من مسائل الأخلاق العامة التي تجد مؤيداتها في الروادع الذاتية، إلى أن تؤيد بعقوبة تفرضها عندها تتحول إلى قضية تشريعية رغم استمرار انتمائها إلى المجال الخلقي، إن أخلاق حضارة بلاد الرافدين والآشورية واحدة منها – على سبيل المثال كانت على الدوام تحض على الأمانة، وعدم الاعتداء على ممتلكات الغير، إلى أن جاءت الشرائع فجعلت من السرقة موضوعاً تشريعياً"<sup>(36)</sup>. وأصبح خرق هذه القاعدة

الأخلاقية انتهاكاً للأعراف الاجتماعية من جهة، وتعدياً على حدود الآلهة من جهة أخرى إلا أن العقوبة المدعمة لهذه القاعدة الأخلاقية لم تسن من قبل سلطة إلهية، بل من قبل سلطة بشرية، فقد جاء في شريعة حمورابي التي تعد موادها، ثمرة ما جاء في الأساطير والأعراف والتقاليد والسنن الاجتماعية لتنظيم الحياة في المراحل السابقة لحكمه، جاء في المادة (8). "إذا سرق سيد ثوراً أو شاة أو حماراً أو خنزيراً أو قارباً (كان من أملاك إله) أو (من أملاك قصر) يدفع ثلاثين مثلاً وإن كان من أملاك قروي يرد عشرة أمثاله. أما إن لم يكن لدى اللص ما يدفعه يقتل"<sup>(37)</sup>.

ونقرأ في المادة (23) "إن لم يقبض على اللص، على المسروق أن يصرح (رسمياً) بما فقد أمام إله، وعلى المدينة أو العمدة في المنطقة أو الإقليم الذي اقترفت فيه السرقة أن يعرض له خسارته، فإن كانت الخسارة روحاً، على المدينة أو الحاكم أن يدفع منياً واحدة من الفضة لأهله، حسب ما جاء في المادة (24)<sup>(38)</sup>."

هذه الشريعة (شريعة حمورابي) طبقتها الآشوريون في مجتمعهم مع إدخال بعض التغييرات الفرعية عليها، لتناسب دولتهم وعصرهم وأصبحت تعرف بالقوانين الآشورية.

### الخاتمة

من كل ما سبق يمكننا الوصول إلى النتائج التالية:

1. عندما ترتبط الأسطورة بالدين، فإن ذلك يمنحها سلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم، من خلال النظام الديني الذي تنتمي إليه، وعندما ترتبط بالقضايا الأساسية كمسألة خلق العالم (أسطورة اينوما ايليش) وفقدان الخلود ومصير الإنسان (أسطورة جلجامش)، وتوالي الفصول والصراع بين الخير والشر (أسطورة تموز)، فإن الأسطورة هنا تتشكل لتجعل هذه الأمور، على علاقة مباشرة مع الظروف والبنى الجسدية والثقافية والاجتماعية والأخلاقية والدينية فيكون الهدف الرئيسي لهذه الأساطير هو

استقرار النظام سواء في الطبيعة أو المجتمع، وتأكيد الإيمان وضمان فعالية الدين والمحافظة على السلوك الأخلاقي المطلوب.

2. كما تلعب الأسطورة دوراً مهماً في ترسيخ القيم الاجتماعية والأخلاقية وتعد ذاكرة تحفظ جوانب مهمة من تاريخ الجماعة.

وفوق كل ذلك فإن الأسطورة تلعب دوراً مهماً في توضيح المعتقد الديني فهي دوماً جزءاً من صلب العبادات التي يمارسها الفرد والجماعة ولهذا الاعتبار فقد ساعدت في الاستقرار الذي شهده الإنسان وما صاحبه من تطور كبير في النظام السياسي والزراعي ونظام الأسرة.

إن هذا التطور تطلب وجود قوانين تهتم بسن تشريعات تحدد الأطر لإقامة مجتمع متحضر في نظامه الروحي والأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي. وأشهر هذه القوانين، قانون حمورابي التي أوحى له بها الإله شمش (إله الحكمة والتشريع) وتتضمن السياسة الداخلية والأسس التشريعية، لإقامة نظام الحياة الاجتماعية والأسرية والعلاقات الفردية، والجزاءات لمختلف أنواع الجرائم والجنح وكانت تلك القوانين الأساس الذي بنت عليه البشرية فيما بعد تشريعاتها.

هوامش البحث

- (1) القاموس المحيط: الفيروز آبادي، ج2، القاهرة، ب. د، 1952، ص226.
- (2) مختار القاموس: أحمد الطاهر الزاوي، طرابلس الدار العربية للكتاب، 1981، ص224.
- (3) محمد عبد الله دراز: الدين، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1990، صص23،24.
- (4) سامية الخشاب: دراسات في الاجتماع الديني، ط1، دار المعارف، 1988، ص21.
- (5) نبيل محمد السما لوطوي: الدين والبناء الاجتماعي، دار الشروق للنشر، ط1، 1981، صص24،25.
- (6) رشدي عليان، سعدون الساموك: تاريخ الأديان المقارن، 1974، صص22،23.
- (7) محمد عاطف غيث، قاموس، مرجع سبق ذكره، ص382.
- (8) محمد عاطف غيث، قاموس، مرجع سبق ذكره، ص382.
- (9) خزعل الماجدي: بخور الآلهة، عمان الأهلية للنشر، 1998، صص78،79.
- (10) فراس السواح: الأسطورة والمعنى، دمشق، دار علاء الدين، 1997، ص24.
- (11) هنري برجسون: منبع الأخلاق والدين، ترجمة د. سامي الدروبي، د. عبد الله عبد الدائم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1971، ص63.
- (12) كانط: أسس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، دار النهضة العربية، بيروت، 1970، صص88،89.
- (13) فراس السواح: دين الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص73.
- (14) فرويليش، ج.س: ديانات الأرواح الوثنية في أفريقيا السوداء، ترجمة يوسف شلب الشام، ص107.
- (15) سورة الأنفال: الآية (31)
- (16) سورة الفرقان: الآية (5).

- (17) مختار القاموس، أحمد الطاهر الزاوي، مرجع سبق ذكره، ص224.
- (18) معجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب، مجدي وهبة، كامل مهندس، ط2، بيروت، لبنان، 1984م، ص32.
- (19) فاروق حسان: الأساطير، الدلالة والاستلهام، مجلة الرافد، السنة الثانية، العدد (52)، الشارقة، دائرة الثقافة والإعلام، 2001، ص89.
- (20) Petit Larousse en couleurs – Librairie Larousse, 1980, p614
- (21) محمد عباس: أفلاطون والأسطورة، دار التنوير للطباعة والنشر، 2008، ص11.
- (22) فراس السواح: الأسطورة والمعنى، مرجع سبق ذكره، ص8.
- (23) المرجع نفسه، ص14.
- (24) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، ص296.
- (25) محمد الخطيب: الإثنولوجيا: دراسة عن المجتمعات البدائية، دمشق، دار علاء الدين، ببت، ص94.
- (26) مرسيا الياض: مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة، دمشق، دار كنعان للنشر، 1987م، ص10-11.
- (27) فراس السواح: دين الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ص57.
- (28) زكي أحمد بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، ص244.
- (29) فراس السواح: دين الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص58.
- (30) فراس السواح: الدين والأسطورة كنظامين مستقلين ومتقاطعين، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، العدد 1993، 264، ص8.
- (31) فراس السواح: الأسطورة والمعنى، مرجع سبق ذكره، ص219.
- (32) فراس السواح: الأسطورة والمعنى، ط12، دمشق، دار علاء الدين، ص228.
- (33) فراس السواح: المرجع نفسه، ص ص231 – 232.
- (34) المرجع نفسه، ص ص234-235.

- (35) المرجع نفسه، ص ص 242-243.
- (36) فراس السواح: دين الإنسان، ط2، مرجع سبق ذكره، ص 80.
- (37) مجموعة من المؤلفين: شريعة حمورابي، ترجمة أسامة سواس، ط1، دمشق، العربي للطباعة والنشر، 1988، ص96.
- (38) المرجع نفسه، ص98.

## المشاريع الاستعمارية لتقسيم ليبيا مشروع التسوية البريطاني الإيطالي (بيفن - سفورزا)

د. محمد محمد خلف

قسم التاريخ

كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

### المقدمة

تهدف هذه الورقة إلى إمطة اللثام عن الأسباب الخفية حول قيام بريطانيا بالتآمر على تقسيم ليبيا مع إيطاليا وفرنسا، وإعادة تكريس الاحتلال الأجنبي (1949) خارج نطاق الأمم المتحدة، دون علم الصديق والحليف لبريطانيا إدريس السنوسي. وهو على شاكلة مؤامرة بريطانيا على تقسيم بلاد الشام والعراق وفلسطين في اتفاقية سايكس - بيكو (Sykes/Picot)<sup>(1)</sup> دون علم حليف وصديق بريطانيا الشريف حسين<sup>(2)</sup>. كما تحاول الورقة الإجابة عن أسئلة طرحت وتطرح حالياً لماذا خالف مندوب هايتي في الأمم المتحدة قرار حكومته المؤيد لاتفاق بيفن - سفورزا؟.

تعتمد هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها مجموعة وثائق الخارجية البريطانية غير المنشورة ووثائق الأمم المتحدة وبعض المصادر الأخرى.

المهتمون بالتاريخ العربي المعاصر، لا يجدون غرابة في فهم تأمر البريطانيين على مستقبل ليبيا بعد الحرب العالمية الثانية، عندما نافقوا إدريس السنوسي (أمير برقة)<sup>(3)</sup>، واتفقوا مع الإيطاليين والفرنسيين، بمباركة أمريكية على اقتسام ليبيا، واستبدال الوجود البريطاني والفرنسي العسكريين بالوصاية. لأن بريطانيا تعتمد المنهج السياسي الميكيفيلي (الغاية تبرر الوسيلة). وقد سبق لبريطانيا أن خانته الشريف حسين سنة 1916، عندما اتفقت معه على استقلال المشرق العربي ثمناً لثورة يقوم بها ضد الوجود العثماني آنذاك. نفذ الشريف مطالب بريطانيا، فقاد برجاله حرباً على العثمانيين. كان هدف بريطانيا الاستعانة بالعرب في محاربة الأتراك، وأما الشريف حسين فكان

هدفه الحصول على عهد بتحقيق الاستقلال للعرب بعد انتهاء العمليات الحربية. ومن خلال مراسلات حسين - مكماهون (McMahon)<sup>(4)</sup> وما تضمنتها من وعود وعهود، الأساس الذي دفع الشريف حسين إلى إعلان الثورة على الدولة العثمانية صاحبة السيادة على الوطن العربي. وكانت سياسة الدولة العثمانية تجاه العرب سياسة استعلاء وجور ومصادرات، وما تبعها من طرق وحشية أدت إلى تصاعد كره العرب ضد سياسة التتريك، وقد أحسن الإنجليز استغلالها بكل مكر ودهاء.

وبفضل تلك السياسة استطاعت بريطانيا وفرنسا أن تسيطر على المشرق العربي من خلال مقررات مؤتمر سان ريموفي 24 ابريل 1920، باعتماد عصابة الأمم نظام الانتداب (Mandate) وفق اتفاقية سايكس بيكو. وهنا نشير إلى أن الكاتب James Barr ترجم تلك الاتفاقية إلى عنوان في كتاب A Line in the Sand. Britain , France and Struggle that shaped the Middle East. وترجمته: خط على الرمال:

بريطانيا وفرنسا والصراع الذي شكل الشرق الأوسط ( لندن 2011). وهذا تماماً ما فعله البريطانيون مع إدريس السنوسي في مايو 1949، عندما اتفقوا على إعادة اقتسام ليبيا بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا دون علم إدريس الذي سبق وأن شارك معهم في حربهم ضد الإيطاليين والألمان من أجل طردهم من ليبيا وتحريرها.

#### - صراع الحلفاء حول ليبيا / ليبيا حلبة الصراع الدولي:

على إثر انتصار الحلفاء بمساندة ( ليلية ) سنوسية بدأت المفاوضات من أجل إيجاد حل لمشاكل ما بعد الحرب خاصة المستعمرات الإيطالية السابقة وأهمها ليبيا.

اجتمع الكبار الثلاثة ( The Big Three ) روزفلت رئيس أمريكا تشرشل رئيس وزراء بريطانيا، وستالين زعيم روسيا مرات متتالية في يالطا بضواحي أوكرانيا (فبراير 1945)، ولم يتمكنوا من مناقشة الموضوع بصورة مباشرة، والتفوا ثانية في بوتسدام بألمانيا في منتصف يوليو 1945. في هذا الاجتماع حل ترومان محل روزفلت نظراً لوفاة الأخير – كما حل

أتلى (Attlee) عن حزب العمال محل تشرشل (Churchill) الذي خسر حزبه (المحافظين) الانتخابات البريطانية. في هذا الاجتماع تشابكت الأمور عندما أشار ستالين (Stalin) إلى إمكانية قيام الاتحاد السوفيتي بدور في الوصاية على إحدى المستعمرات الإيطالية السابقة<sup>(5)</sup>. وقيل إن عينه كانت على ليبيا وخاصة طرابلس مما أثار غضب بريطانيا<sup>(6)</sup> فبدأت تعمل على ضرورة مشاركة فرنسا في الاجتماعات التالية خوفاً من هيمنة روسية أمريكية. ونظراً لتعدد المسائل المطروحة فإن مشكلة المستعمرات الإيطالية كلف بها مجلس وزراء الخارجية للدول الأربع الكبرى (انجلترا - فرنسا - روسيا - وأمريكا)، حيث عقدت عدة اجتماعات، ابتداءً من سان فرانسيسكو في 25 أبريل 1945 ولندن في سبتمبر 1945 تم مؤتمر باريس للسلام في أبريل 1946<sup>(7)</sup>. وقد فشل وزراء الخارجية في إيجاد حل، ولهذا أوكلت المهمة إلى وكلاء وزراء الخارجية للدول الأربع الكبرى.

عقد وكلاء وزراء خارجية الدول الأربع عدة اجتماعات باءت كلها بالفشل لأن أي مشروع يتم اقتراحه كان يصب في مصلحة الدولة صاحبة المشروع وهذا خلق تصادماً في المصالح لأن الكل يريد نصيبه من (الكعكة). فبريطانيا صاحبة النفوذ الأقوى في ليبيا، كانت تريد أن تتم التسوية بما يخدم مصالحها ومصالح حلفائها، فهي تريد الاحتفاظ ببرقة لما تمثله من موقع استراتيجي لتوطيد قواعدها وحماية جيوشها في كل من مصر وفلسطين وإيونان. لقد كان لموقع برقة الإستراتيجي دور فعال خلال حرب الصحراء والبحر المتوسط. وظهر واضحاً أن كل طرف من أطراف النزاع (الحلفاء والمحور) حاول الاستئثار بحيازة برقة، ثم إن بريطانيا استفادت من هذا الموقع أثناء الحرب الباردة فيما بعد، فمثلت حلقة الوصل بين سلسلة المواقع الإستراتيجية من جبل طارق في الغرب إلى سنغافورا في الشرق.

ولهذا ليس غريباً على وزير خارجية بريطانيا السيد أنطوني إيدن (Eden) أن يعلن في مجلس العموم البريطاني في 8 يناير 1942 تصريحه المشهور بأن ((حكومته سوف لن تسمح بعودة سنوسيوبرقة تحت الهيمنة

الإيطالية مرة أخرى))<sup>(8)</sup>. وهذا يعني أن أي حل خلافا لهذا النص سوف لن يرى النور لأن بريطانيا لديها أوراق مهمة في هذه اللعبة، فهناك أيضا ورقة طرابلس التي بقيت خارج هذا التعهد، ويمكن المساومة بها في سبيل ضمان واستقرار وجودها في برقة. فإنها قد تمنح طرابلس لإحدى القوى الحليفة كترضية ولمصالح إستراتيجية، وخاصة إيطاليا من أجل ضمان كتلة أمريكا اللاتينية صاحبة النفوذ الأقوى في الأمم المتحدة<sup>(9)</sup>. وكذلك إرضاء لفرنسا وهي شريكة بريطانيا في احتلال وإدارة ليبيا، ففرنسا لا تمانع في عودة إيطاليا إلى طرابلس، وذلك لعدة أسباب من أهمها:-

- 1- إبعاد مشروع استقلال ليبيا، حتى لا تنتقل عداوة إلى المستعمرات الفرنسية في إفريقيا الشمالية.
- 2- كسب ود مجموعة أمريكا اللاتينية صاحبة التجمع الكبير في الأمم المتحدة.

3- العمل على إلحاق فزان بمستعمراتها بالجزائر وتونس، وأكدت ذلك بتغيير مسار التجارة بين فزان وطرابلس إلى تونس والجزائر<sup>(10)</sup>. في المقابل كان موقف الاتحاد السوفيتي، القوة التي كان لها دور فعال في هزيمة هتلر، ودفع ثمن باهظ مقابل ذلك، رأى السوفييت أنهم أجدد من غيرهم في الحصول على موطأ قدم على شواطئ مياه المتوسط الدافئة هروبا من البرودة الشديدة. لكن هذا التطلع السوفيتي لم يكن مرحب به في الإستراتيجية الأمريكية التي كانت تعمل على تطويق العملاق الجديد.

إضافة إلى ما سبق ذكره حول اختلاف مصالح المنتصرين، فإن هناك قوى وهيئات إقليمية أخرى كان لها دور مهم في مواجهة المشاريع الاستعمارية. فالجامعة العربية، وهي منظمة عربية إقليمية خرجت من رحم الحرب العالمية الثانية مثل هيئة الأمم المتحدة، أصبحت تمثل طموح الشعب العربي في التحرر والوحدة؛ وهذا راجع إلى شخصية سكرتيرها الأول السيد عبد الرحمن عزام وإلى خبرته بالقضية الليبية، حيث عرفه الليبيون أيام الحرب الليبية الإيطالية، ثم أصبح بعد الحرب العالمية الأولى أحد مهندسي الجمهورية

الطرابلسية (1918-1922)، بالإضافة إلى علاقاته المتميزة مع قادة حركة التحرير الوطني الليبي في المهجر والداخل<sup>(11)</sup>.

كذلك كان هناك أيضا عنصر مهم لعب دوراً رئيسياً في التصدي لمشاريع الاستعمار، يتمثل في القوى السياسية الليبية في الخارج والداخل، وقدرتها على الحوار وكشف ألعيب وخبايا الاستعمار من خلال ما كانت تنشره من كتب ومقالات في الصحف العالمية.

إزاء هذا الوضع كان هناك أمام وكلاء وزراء الخارجية للدول الأربع خيار واحد، وهو قبول المقترح البريطاني، الذي نص على تنازل إيطاليا عن مستعمراتها، من خلال معاهدة سلام، وفعلاً تم توقيع المعاهدة في 1947/2/20<sup>(12)</sup>.

نصت المادة 23 من تلك المعاهدة السابقة على أنه في حالة عدم توصل الدول الأربع إلى حل لمشكلة المستعمرات الإيطالية فإن الموضوع يحال بالكامل إلى الأمم المتحدة، وأن أي قرار تتخذه الأمم المتحدة تلتزم الدول الأربع بتنفيذه. ومن ضمن بنود تلك المعاهدة إرسال لجنة تقصي الحقائق من الدول الأربع لجمع البيانات والمعلومات حول إمكانيات المستعمرات الإيطالية وأهمها ليبيا<sup>(13)</sup>. وصلت لجنة تقصي الحقائق الرباعية إلى ليبيا في 6 مارس 1948 وغادرتها 20 مايو 1948، حيث مكثت أربعين يوماً في طرابلس وعشرة أيام في فزان، ثم أخيراً خمسة وعشرون يوماً في برقة<sup>(14)</sup>، وبهذه المناسبة لا يمكن تجاهل الدور الذي لعبته الإدارة العسكرية البريطانية في طرابلس والإدارة العسكرية الفرنسية في فزان حيث قامت باعتقال بعض الشخصيات الوطنية حتى لا تتطرق بصراحة حول مآسي الشعب الليبي من الجور البريطاني والفرنسي<sup>(15)</sup>.

ليس من السهل على لجنة مركبة من دول ذات مصالح متضاربة أن تضع القطار على السكة، ولكن المبدأ الوحيد الذي اتفقوا عليه هو أن الليبيين اجتمعوا على الوحدة والاستقلال، وبأن البلد في حاجة إلى مساعدات خارجية وهذا اعتراف دولي بأن الدول القائمة بالإدارة لم تصلح حال البلاد من جميع النواحي. وعلى مدي سنة كاملة منذ توقيع اتفاقية السلام مع إيطاليا بذل وكلاء

وزراء الخارجية قسارى جهدهم للتوصل إلى حل يرضى الجميع ولكن دون جدوى.

وفي آخر اجتماع لوزراء الخارجية للدول الأربع في باريس للمرة الثانية في 13 سبتمبر 1948، وفي محاولة أخيرة لإيجاد حل لقضية ليبيا، حاول وكلاء وزراء الخارجية الخروج من النفق المعتم، إلا أنه في هذا الاجتماع ازدادت فجوة الخلاف بين المعسكرين، وبدأ واضحا أن الوصول إلى اتفاق أصبح مستحيلاً. ولهذا كان الحل الوحيد هو تطبيق أو تنفيذ المادة 23 التي سبقت الإشارة إليها.

وطبقاً لتلك الاتفاقية تمت مخاطبة الأمين العام للأمم المتحدة في 15 سبتمبر 1948 بإحالة الملف الليبي بالكامل إلى الأمم المتحدة من قبل الدول الأربع مشيرين إلى أنهم ملتزمون بتنفيذ أي إجراء تتخذه الأمم المتحدة. ويعتبر نقل المسألة الليبية من مجلس وزراء الدول الأربع الطامعة في ليبيا إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة<sup>(16)</sup>، مفيداً جداً لتحديد مستقبل ليبيا، حيث لا يمكن لأي فيتوان يفوز في الجمعية العامة المكونة آنذاك من 58 دولة عضواً وأن التصويت كان على مبدأ المساواة بين الأعضاء سواء دول كبرى مثل أمريكا أو صغرى جداً مثل هايتي.

وتتخذ القرارات المهمة من خلال حصولها على ثلثي الأغلبية؛ فإصدار القرارات لا تكون سهلة بتغيير النغمة، ولكن السؤال في هذه الوضعية مبني وفق أسس وقواعد مختلفة عن السابق؛ فالإجماع لم يعد شرطاً لاستصدار القرار، فنقل الإجراءات إلى الأمم المتحدة قد أعطي كل الأطراف المعنية مساحة واسعة وإمكانيات كبيرة للدفاع عن قضاياها.

تم عرض قضية المستعمرات الإيطالية السابقة ضمن جدول أعمال الأمم المتحدة لأول مرة في أبريل 1949 خلال القسم الثاني من الدورة الثالثة. ونظراً لعدم إمكانية إدراجها في جدول أعمال القسم الأول من الدورة الثالثة المنعقدة في باريس بتاريخ 24 سبتمبر 1948 تركت إلى اختتام الدورة وكانت الجمعية قد انتقلت إلى ليك سكسس بأمريكا<sup>(17)</sup>. وبانتقال القضية الليبية للأمم المتحدة، أصبحت قضية المجتمع الدولي بأسره وأتيحت المشاركة في

تقرير مصيرها لكل الدول الصغيرة والكبيرة على حدٍ سواء، بعد أن كانت قضية تخص الدول الأربع الكبرى فقط. وفي ذلك الاجتماع ألحت بريطانيا والاتحاد السوفيتي على ضرورة مناقشة موضوع ليبيا على وجه السرعة وإعطائه الأولوية، وكان لكل منهما سبب مختلف عن الآخر. فالإتحاد السوفيتي يريد أن تتم مناقشة قضية ليبيا بينما الموضوع مزال طازجاً وراسخاً في ذهن أعضاء اللجنة الأولى (اللجنة السياسية الأمنية) لإعادة هجومه على المعسكر الغربي ومطامعه الاستعمارية، بينما بريطانيا كانت راغبة في الإسراع بمناقشة موضوع ليبيا حتى لا يتغير موقف دول كتلة أمريكا اللاتينية المؤيدة لمشروع بريطانيا بالوصاية على برقة. (18)

وبالنسبة لكتلة أمريكا اللاتينية فضّلت التأجيل حتى انعقاد الاجتماع الثاني من الدورة الثانية في إبريل 1949، اعتقاداً منها أن أي تأجيل أو تأخير سيصب في مصلحة إيطاليا، التي كانت أيضاً مع سياسة التأجيل في بحث قضية المستعمرات السابقة، وذلك لإعطاء فرصة بشأن إعادة بحث القضية من جميع الجوانب. كما أيدت بعض الوفود العربية والأسبوية التأجيل من أجل حشد التأييد والمناصرة للقضية الليبية. بينما عارض الوفد المصري التأجيل من باب إن ((الجارا ليبيا تريد الاستقلال ولا غير الاستقلال)) (19). وعلى أية حال فقد وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على تأجيل القضية إلى الجلسة الثانية التي تعقد في الأسبوع الأول من شهر أبريل 1949.

وقد كان التأجيل في صالح إيطاليا، حيث عبر وزير خارجيتها سفورزا (Sforza) عن ذلك بقوله (( لقد سرنى أن الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة قد رأت إرجاء النظر في مسألة المستعمرات الإيطالية السابقة إلى دورتها القادمة، لأن الفترة ستنجح الفرصة اللازمة لإعادة بحث كافة الشؤون المتعلقة بهذه المسألة الهامة )) (20). وقد كان التأجيل في غير صالح ليبيا وبقية المستعمرات، لأنه خلال تلك الفترة نشطت الدوائر الاستعمارية الغربية بقيادة بريطانيا لتوحيد الصفوف نحو قضية ليبيا، وعقدت اجتماعات ثنائية بين كل من وزير خارجية بريطانيا وفرنسا ثم إيطاليا وفرنسا وكذلك الحال اجتمع سفورزا مع شومان (Schuman) في مدينة كان بفرنسا في أواخر ديسمبر

1948، كما أجمع شومان مع بيفن في باريس يناير 1949. وخلال تلك الاجتماعات حاولت حكومة إيطاليا آنذاك أن تستغل معارضة الدول الأوروبية وأمريكا للنفوذ الشيوعي في إيطاليا، فبدأ العمل لدعمها من أجل مقاومة المد الشيوعي. وأول هذه الإجراءات العمل على تحقيق حلم إيطاليا بالعودة إلى طرابلس بقصد إعادة التوازن في المتوسط، وحل مشاكل البطالة من خلال تسهيل هجرة الإيطاليين إلى طرابلس<sup>(21)</sup>. ولهذا قد رأت الحكومة البريطانية أن المصالح الإستراتيجية للدول الكبرى لا تتعارض مع عودة إيطاليا إلى أفريقيا. وترتب على تلك الدبلوماسية الإيطالية أن وافقت فرنسا على مقترح بريطانيا بشأن عودة إيطاليا إلى طرابلس، ولها أسبابها؛ منها ما يتعلق بصراع فرنسا التقليدي مع بريطانيا، ومنها ما هو متعلق بتخوفها من انتشار ظاهرة الاستقلال في الشمال الأفريقي<sup>(22)</sup>. ومن جهة أخرى فإن بريطانيا وأمريكا عملت على قطع الطريق أمام الاتحاد السوفييتي من الوصول إلى المتوسط والذي بدأ واضحاً من محاولاته تأييد الحزب الشيوعي الإيطالي - أكبر الأحزاب الشيوعية في أوروبا آنذاك - للوصول إلى السلطة، وفي حالت فوز الحزب الشيوعي في روما فإن نفوذ الاتحاد السوفييتي سيصل إلى المستعمرات الإيطالية السابقة، ويمد العون لحركات التحرر، وبذلك ستخسر أمريكا الإستراتيجية التي أعدتها للعالم بعد الحرب العالمية الثانية.

أما بريطانيا فكانت مصرّة على البقاء في برقة بأي ثمن، خاصة بعد أن تأكدت لها الأهمية الإستراتيجية لبرقة أثناء وبعد الحرب، حيث أصبحت حلقة الوصل بين مواقعها الإستراتيجية من جبل طارق في الغرب إلى سنغافورا في الشرق كذلك أصبحت برقة البديل لتوطين قوتها بعد خروجها من فلسطين ومصر. وقد استغلت بريطانيا التزامها للسوسيين كحجة لذلك، كما أنها استندت إلى نظرية بأن تلك المناطق انتزعت بالقوة وتم دفع ثمن غالي في سبيلها<sup>(23)</sup> مضافاً إلى ذلك أنها مستعدة للمساومة بطرابلس من أجل الوصاية على برقة<sup>(24)</sup>.

### أما فرنسا فهي غير مستعدة لمغادرة فزان لعدة أمور منها:

- 1- أن أي عمل من شأنه تحصل ليبيا على الاستقلال يخلق وضعاً غير مستقر في مستعمراتها في شمال أفريقيا.
  - 2- وجودها في فزان يسهل عليها حركة طائراتها بين الجزائر وتونس وكذلك غرب أفريقيا، وهي مناطق تأثرت بالحركة الوطنية في مصر وآسيا. ولهذا أصبحت وصاية فرنسا على فزان هدفاً أساسياً<sup>(25)</sup>.
- هكذا كان الموقف العام حول القضية الليبية بين مؤيد ومعارض لسياسة الغرب، فأصبحت المقترحات كلها تصب في مصلحة الدولة صاحبة المقترح كما كان الحال بين الدول الأربع الكبرى. ومن أهم هذه المقترحات كان المقترح البريطاني، والذي سوقته أمريكا، المتمثل في:-
- 1 - برقة توضع تحت الوصاية البريطانية.
  - 2 - طرابلس وفزان يؤجل موضوعهما لمدة سنة، مع استمرار الإدارتين البريطانية والفرنسية<sup>(26)</sup>.

في 6 أبريل 1949 عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة الجلسة الأولى لدورتها الثانية، فتناولت اللجنة الأولى المسألة الليبية وفتحت باب المناقشة. فتكلم مندوب أمريكا السيد فوستر دالاس، وطالب بضرورة وجود ممثلين لإيطاليا دون حق التصويت فتمت الموافقة. كما تحدث مندوب باكستان السيد ظفر الله خان، وطالب بضرورة الاستماع إلى الوفود التي أتت لتمثل الشعب الليبي فتمت الموافقة. وسمح لرئيس الوفد البرقاوي السيد عمر شنيب بالتحدث أمام اللجنة فذكر الحضور بان سكان برقة ساهموا مساهمة فعالة في تحرير بلدهم، ومقابل ذلك منحهم بريطانيا عهداً بعدم عودة إيطاليا وطالب بالاستقلال لبرقة ووحدة ليبيا بزعامة إدريس السنوسي<sup>(27)</sup>.

كما تحدث مندوب هيئة تحرير ليبيا السيد فؤاد شكري فقال: (( إن الليبيين ضحوا من أجل الاستقلال والوحدة تحت زعامة إدريس السنوسي الذي بايعه الليبيون في 1922 )) ويعتبر طرح السيد شكري الجديد مفاجأة للسياسة البريطانية، التي راهنت على اختلاف القوى السياسية الليبية حول إمارة إدريس السنوسي.

ويبدو أن هذا التحول في موقف الجامعة العربية وبشير السعداوي هو استدراك للموقف الخطير الذي تمر به القضية الليبية. وتم تأكيد ذلك من خلال برقية استلمها وفد هيئة التحرير من السعداوي وباقي الزعماء، مفادها المناداة بالوحدة والاستقلال تحت إمارة السيد إدريس السنوسي، كما كان للوفود العربية دوراً بارزاً في توحيد المطالب تحت مظلة الوحدة .

كما سمح للأقليات بالتحدث حول مطالبهم، والتي نصت بتأييد الوصاية الإيطالية على ليبيا، لأنها حسب وجهة نظرهم في مصلحة السكان، حيث أن اقتصاد ليبيا مرتبط بإيطاليا. وطبيعي أن مواقف وتلاحم وفدي برقة وطرابلس قد أزجت السلطات البريطانية، فطلبت من إدريس بأن يأمر الوفد البرقاوي بالعودة قبل أن تتم مناقشة موضوع **بيفن- سفورزا**، إلا أن الوفد ترك مذكرة توضح موقفه من المقترح البريطاني تم تقديمها من قبل الوفد الليبي الثاني<sup>(28)</sup>.

وفي 3 مايو 1949 بدأت دراسة المقترحات التي سبق وأن اقترحتها الوفود، وكان المقترح البريطاني السالف الذكر من أهم المشاريع المقترحة، إلا أن وفود أمريكا اللاتينية عارضته لأنه حرم إيطاليا من العودة إلى مستعمراتها وخاصة طرابلس. وعندما شعر السيد دالاس بأن الموقف بدأ يخرج عن السيطرة طالب بتشكيل لجنة فرعية لدراسة المقترحات والخروج بصيغة قرار يعرض على اللجنة السياسية في اجتماعها التالي 12 مايو 1949، وتمت الموافقة على ذلك<sup>(29)</sup>.

وكانت خطة دالاس هي الخروج من المأزق بأقل الأضرار لأن الاتجاه السائد كان يسير نحو وصاية دولية على ليبيا، وهذا يعطي فرصة للسوفييت بالتواجد في المتوسط وأفريقيا.

وبينما كانت اللجنة الفرعية 14 تستمع إلى آراء الوفود الليبية كان أعضاء اللجنة الأولي يقدمون الاقتراحات المتعددة بشأن حل قضية ليبيا، وهي متضاربة مع مصالح الدول الكبرى، فاتضح للبريطانيين أن الأمور تسير نحو طريق مسدود، فتوجب عليهم (البريطانيون) إنقاذ مركبهم من الغرق فاتجهوا إلى المساومة بمستقبل ليبيا.

وكنتيجة للاجتماعات التي عقدت خارج أروقة الأمم المتحدة بين الأطراف الأساسية من أجل الوصول إلى حل يرضي كلاً من ( بريطانيا - فرنسا - إيطاليا ) فكانت ثمرة تلك الاجتماعات، تم الاتفاق على مشروع **بيفن - سفورزا**، والذي ظل سرياً إلى أن كشفته وسائل الإعلام في 10 مايو 1949<sup>(30)</sup>.

ومشروع القرار هذا يحمل نفس صيغة المقترح البريطاني السابق، إلا أنه بثوب جديد وتحت ستار نظام الوصاية.

### لماذا مشروع بيفن - سفورزا؟

مما سبق ذكره نلاحظ أن القوى الكبرى بدأت تفقد السيطرة على مسار بعض جلسات لجان الأمم المتحدة التي كلفت بدراسة المقترحات وتقديم صيغة مقبولة ترضي جميع الأطراف إن أمكن، فالدول العربية تؤيد مطالب الليبيين في الاستقلال والوحدة تساندها المجموعة الآسيوية ودول الاتحاد السوفيتي. أما كتلة دول أمريكا اللاتينية فهي تدعوا إلى عودة إيطاليا إلى مستعمراتها السابقة باعتبارها الأكثر خبرة، وأن إيطاليا (1949) ليست إيطاليا موسوليني، وهي مصرة على موقفها، حيث أنها أكبر الكتل الدولية عدداً وتنظيماً. وهي بذلك قادرة على إفضال أي مشروع لا يتمشى مع سياستها بما تملكه من أصوات.

كما كان هناك اختلاف بين الدول الكبرى المنتصرة في الحرب العالمية الثانية، حيث ازدادت سخونة نار الحرب الباردة التي بدأ قتلها منذ مؤتمر بوتسدام 1945. ومن هذا المنطلق وجدت بريطانيا نفسها الخاسر الأكبر في هذه التجاذبات السياسية التي من شأنها أن تؤدي إلى قبول مبدأ الوصاية الدولية ووصول الروس إلى المتوسط. ولهذا وجب عليها ( بريطانيا ) التحرك للخروج من عنق الزجاجة أو ما سمته وسائل الإعلام ( النفق المعتم ). وفي لقاء غير معلن وأثناء عودته إلى روما توقف وزير خارجية إيطاليا السيد كونت سفورزا في لندن للاجتماع مع نظيره البريطاني العمالي السيد ارنست بيفن وكان ذلك في 7 مايو 1949 لمناقشة آخر التطورات بشأن المستعمرات الإيطالية السابقة. فتوصل الطرفان إلى مشروع تسوية عرف باسميهما ( **بيفن - سفورزا** ) ظل سرياً حتى كشفته وسائل الإعلام كما سبقت الإشارة إليه.

وطبقا لهذا الاتفاق، فإن الوفد البريطاني في الأمم المتحدة أصبح بإمكانه تقديم مسودة مشروع قرار التسوية للمناقشة من خلال اللجنة الأولى، معتمدا على الدعم اللازم من وفود أمريكا اللاتينية بالإضافة إلى فرنسا لأن الأخيرة كما تم إيضاحه سابقا كانت ميالة إلى عودة إيطاليا إلى طرابلس. إن مشروع القرار البريطاني الإيطالي كان ينص على توزيع المستعمرات الإيطالية السابقة على النحو التالي: -

#### أولا: ليبيا:

- 1- برقة: توضع تحت نظام وصاية بريطانيا.
- 2- فزان: توضع تحت نظام وصاية فرنسا.
- 3- طرابلس: تستمر إدارتها من قبل بريطانيا تساندها لجنة مكونة من الدول الخمس الكبرى، على أساس مشاركة ممثلين عن الأهالي، وتستمر حتى نهاية 1951، عندها تصبح إيطاليا السلطة القائمة بالإدارة إلى غاية موعد الاستقلال الكامل لليبيا 1959 إذا قررت الأمم المتحدة أن هذا مناسباً.

#### ثانيا: اريتريا:

تضم إلى الحبشة مع وضع خاص لمنطقة موصوع وأسمرة، ودمج الأقاليم الغربية مع السودان.

#### ثالثا: الصومال:

توضع تحت الوصاية الإيطالية<sup>(31)</sup>.

أن المتمعن في خطة بيفن - سفورزا يجد أنه فعليا لم تتغير أصول وثوابت اللعبة في مسودة القرار البريطاني الذي اشترط تقسيم اريتريا بين أثيوبيا والسودان، والوصاية الإيطالية على الصومال. فأساس التسوية كان فيما تخص ليبيا: الخطة بنيت على عدة اعتبارات، من جهة على التعهد البريطاني للسوسية (يناير 1942) بشأن عدم عودة الإيطاليين إلى برقة مرة أخرى، ومن جهة أخرى ثقل كتلة أمريكا اللاتينية لدعم إيطاليا، ولذلك تستمر بريطانيا في إدارة برقة وإدارة إقليم طرابلس بمساعدة مجلس استشاري دولي حتى عام 1951، حينها تتولي إيطاليا إدارة إقليم طرابلس تحت مظلة نظام

الوصاية الدولية حتى 1959 موعد الاستقلال. كما تستمر فرنسا في إدارة إقليم فزان.

#### - موقف أعضاء الأمم المتحدة لمشروع المؤامرة:

كان نبأ الإعلان عن اتفاقية بيفن - سفورزا، قد استقبل بمشاعر مختلفة من قبل العديد من الوفود في الجمعية العامة للأمم المتحدة. وطبقاً لمشروع التقسيم وما تضمن من إجراءات، فقد حصل على الدعم البريطاني الأمريكي ودول أمريكا اللاتينية بالإضافة إلى فرنسا. فالخارجية البريطانية وعلى لسان وزير خارجيتها أعلنت أن هذا المشروع هو أفضل من غيره إلى مصالح العرب، وأنها تدعو الجمعية العامة للموافقة عليه، مع علمها أن هناك استياءً عربيّ بصفة عامة والليبيين وإدريس السنوسي بصفة خاصة لأنه خيب الآمال الموعودة .

وفي إيطاليا أصدرت الحكومة الإيطالية بياناً مفاده موافقتها على مشروع الاتفاق، وتعتبره أفضل الحلول المطروحة لهذه المشكلة<sup>(32)</sup>.

كما صرح المندوب الأمريكي (دالاس) بأنه مع المشروع البريطاني بشأن المستعمرات الإيطالية السابقة، حتى ولو أنه لم يكن الحل المرضي لهذه القضية، وبمقارنته مع المقترحات الأخرى، فهو الأفضل والأقرب عملياً في الظروف الراهنة<sup>(33)</sup>.

أما الحكومة الفرنسية فلم يصدر عنها أي تعليق رسمي عدا ما ورد في بعض الصحف ومنها صحيفة (رومانيته) التي نظرت للموضوع من وجهة نظر مغايرة، حيث تساءلت هل بهذه الطريقة يكون حق الشعوب في تقرير مصيرها، كما يراه الأنجلو- أمريكيون -<sup>(34)</sup>.

وفي المقابل كانت هناك إدانة واسعة واعتراض شديد على الخطة، حيث أنها تمت خارج القنوات السياسية المعتادة. كما أن المشروع التأمري وضع للجنة الأولي (الأمنية السياسية) في موقف حرج للغاية، خاصة وأن الاتفاق البريطاني الإيطالي قرر حل قضية المستعمرات الإيطالية خارج نطاق الأمم المتحدة، في حين أن المشكلة مازالت تحت الدراسة والمناقشة من قبل اللجنة الأولي للجمعية العامة.

وكان موقف الوفود العربية والآسيوية مدعومة من قبل المجموعة السوفييتية، مغايراً لسياسة بريطانيا، حيث أن المؤامرة البريطانية وضعت على أساس الزعامة والسيطرة والهيمنة لأصحاب المشروع. فهاجم المندوب البولندي المشروع الإيطالي البريطاني قائلاً بأنه طعنة في ظهر الأمم المتحدة كما انتقده مندوب باكستان واصفاً إياه بأنه يقسم ليبيا إلى ثلاث دويلات مع وجود ثلاثة أشكال للإدارات الأجنبية، مستعملين ثلاث لغات مختلفة. وقال أنه في حال عودة إيطاليا إلى إقليم طرابلس تحت مظلة الوصاية (Trusteeship) فإنهم سيشجعون الإيطاليين على الهجرة إليها حتى إذا انقضى عشرون عاماً لم يقتنعوا بالوصاية، بل سيطالبون بحقوق أخرى وسيثيرون هذه الحقوق في الأمم المتحدة عندما تتم قضية استقلال ليبيا. وقد يترتب على ذلك أن يستحوذ الإيطاليون على المنطقة الساحلية الخصبة ويطردهم العرب للبوادي والصحاري وبهذا سنشاهد فلسطين ثانية<sup>(35)</sup>.

كما تحدث مندوب مصر السيد محمد فوزي الذي هاجم المشروع البريطاني الإيطالي واعتبره مشروعاً استعمارياً بثوب جديد تحت نظام الوصاية... وأضاف أن حكومته تنتقد هذا الاتفاق وتؤيد الاستقلال الفوري الذي طرحه مندوب العراق السيد فاضل الجمالي، وذكر: (( إن الاتفاق تم خارج أروقة الأمم المتحدة بمعنى أننا سنجد عليه علامة إنه صنع في لندن وليس في ليك سكسس )) . وختم قوله: (( بأن الليبيين سوف لن يدخروا جهداً للحيلولة دون عودة الحكم الإيطالي إلى بلادهم ))<sup>(36)</sup>.

وعلى أية حال فإن اللجنة الفرعية (15) اعتمدت الخطة البريطانية في 12 مايو 1949، وقدم القرار إلى اللجنة الأولى بأنه كان أفضل وسيلة للوصول إلى التسوية. ولهذا فإن اللجنة الفرعية (15) في تقريرها إلى اللجنة الأولى بينت بأن مشروع القرار البريطاني مبني على خطة بيفن - سفورزا. وبقبوله من قبل اللجنة الأولى فإنه يحال إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة للتصويت عليه واعتماده.

**ومشروع القرار في صيغته النهائية كما اعتمده اللجنة الفرعية يوم 15 مايو 1949 أوصي بالآتي: -  
أولاً: ليبيا:**

تمنح ليبيا استقلالها خلال فترة عشر سنوات من تاريخ الموافقة على هذا القرار، على أن توافق الجمعية العامة حينئذ على هذه الخطوة إذا كانت مناسبة.

- 1- برقة توضع تحت نظام الوصاية الدولية ويعهد إلى بريطانيا بسلطة الإدارة على أن لا يؤثر ذلك على إدماجها في ليبيا الموحدة.
  - 2- فزان توضع تحت نظام الوصاية الدولية ويعهد إلى فرنسا بسلطة الإدارة على أن لا يؤثر ذلك على إدماجها في ليبيا الموحدة.
  - 3- طرابلس توضع تحت نظام الوصاية الدولية مع نهاية 1951، على أن تقوم إيطاليا بسلطة الإدارة، دون أن يؤثر ذلك على إدماجها في ليبيا الموحدة. وخلال فترة الانتقال (1949-1951) تستمر الإدارة الحالية البريطانية المؤقتة في طرابلس، بمساعدة مجلس استشاري مكون من مصر وفرنسا وإيطاليا وأمريكا وبريطانيا وممثل لسكان المنطقة، وعلى المجلس الاستشاري أن يقرر نطاق أهدافه وواجباته، بالتشاور مع سلطة الإدارة<sup>(37)</sup>.
- وعلى السلطات المكلفة بإدارة الأقاليم الثلاثة أن تتخذ التدابير اللازمة لتشجيع التنسيق بين أنشطتها حتى لا تكون هناك عقبات تحول دون تحقيق دولة ليبيا المستقلة، وعلى المجلس الاستشاري أن يكون مسئولاً عن مراقبة تنفيذ هذا الشرط<sup>(38)</sup>.

وفي 15 مايو 1949 استأنفت اللجنة الأولى مناقشتها للمسألة الليبية ودراسة التقرير الذي سبق وأن قدمته اللجنة الفرعية 15 (مشروع التسوية البريطانية) ولكنه بثوب جديد.

وفي مستهل الاجتماع هاجم السيد فاضل الجمال ( مندوب العراق ) اللجنة الفرعية لأنها تجاوزت صلاحياتها بإحالتها لكل القرارات التي كانت قد تمت مناقشتها من قبل اللجنة الأولى، وكرست وقتها في دراسة المقترحات البريطانية التي سبق وأن تم تجاوزها. وقد أكد رؤساء الوفود العربية على ما

ذكره رئيس الوفد العراقي أن من حق الشعب الليبي الاستقلال والعيش في بلد موحد الأجزاء. كما أيد مندوب الباكستان مطالب الليبيين في الاستقلال والوحدة والحرية، وذكر أن مشروع التقسيم (( قد تجد ليبيا نفسها أمام احتمال تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء تتبع ثلاثة أشكال من الإدارة، تستعمل فيها ثلاثة لغات رسمية مختلفة، وذلك يعني الإمعان في تمزيق اقتصادها وتأجيل استقلالها بالرغم من تصريحات أولئك الذين يؤيدون المشروع ))<sup>(39)</sup>.

كما هاجم المندوب البولندي مشروع قرار التسوية بأنه طعنة في ظهر الأمم المتحدة، وأن هذا التقسيم تم دون أن يحسب أي حساب لسكان البلاد ومصالحهم الاقتصادية الحقيقية أو لاعتبارات جغرافية. وقد حذر مندوب الفلبين للجنة الأولى (أن التاريخ سيذكر القرار، ولن يكون رحيمًا مع قرار يبدو سهلاً ولكنه ليس عادلاً). أما المجموعة المؤيدة للمشروع فقد تحدثت نيابة عنهم رئيس الوفد الأمريكي السيد فوستر دالاس (Dallas) بتعاطفه وتأييده لمشروع التسوية.

#### - ردة فعل الليبيين لمشروع التسوية:

وصلت الأخبار إلى طرابلس في يوم التالي للاتفاق السري بتاريخ 1949.5.8 من خلال راديو روما، الذي بدأ ينشر بعض نصوص الاتفاق البريطاني الإيطالي حول مستقبل طرابلس<sup>(40)</sup>. كانت الأخبار كلها أكدت وأقنعت الليبيين بأن الاتفاقية حقيقة واقعة وأن التأخير عن إعلانها يعتبر إجراءً تكتيكياً<sup>(41)</sup>. لم يقبل الليبيون الأمر واعتبروه إجراءً مرفوضاً شكلاً وموضوعاً وزادت هذه الأخبار حماسهم وأشعلته ضد القوي الغربية، وخاصة إيطاليا التي تريد العودة إلى طرابلس بثوب الأمم المتحدة بتأييد بريطاني فرنسي. كما بدأت الشعارات الحماسية القوية تظهر ضد صانعة هذه المؤامرة (بريطانيا) التي تعودت على خداع الشعوب، خاصة العرب. فبريطانيا خدعت الشريف حسين حتى ورطت العرب في حرب ضد العثمانيين ولم يحصل على شيء ذي قيمة. كما أصدرت وعد بلفور (1917) على حساب العرب. وقبل ذلك بسنة وقعت معاهدة سايكس - بيكو فقسمت بها أرض العرب بينها وبين فرنسا.

وكإجراء عملي قام قادة الأحزاب السياسية الرئيسية في طرابلس ( الكتلة الوطنية والحزب الوطني ) بالاجتماع مع رئيس الإدارة البريطانية بلاكلي (Blackley) يومي 8-9 مايو 1949 لمناقشة تداعيات هذه المؤامرة، وأكدوا لرئيس الإدارة بأنهم لم يعودوا يثقوا في الحكومة البريطانية، وأنهم سيقطعون علاقتهم الودية. وقد أصر قادة تلك الأحزاب على السيد بلاكلي أن ( يؤكد أوينفي ) تلك الأخبار، وإذا كانت الخدعة حقيقية وتم تأكيدها فإنهم سيقطعون كل علاقتهم بالإدارة، بالإضافة إلى استقالة جميع العرب العاملين فيها<sup>(42)</sup>.

ومن خلال البرقيات المتتالية لرئيس الإدارة إلى وزارة الخارجية البريطانية تبين الموقف الحرج الذي وضع فيه رئيس الإدارة حيث كان غير قادر أن يؤكد أو ينفي تلك المعلومة. أرسل إلى لندن برقيتان في نفس اليوم (9مايو) تحملان نفس الأسئلة التي سبق وأن تقدم بها قادة الأحزاب، فالبرقية الأولى تحمل الرقم 104 أرسلت عند الساعة 11:04 صباحا بتاريخ 9 مايو: (( نحن نطلب منا بإلحاح عاجل من قبل قادة العرب هنا أن نؤكد أو ننفي تلك التقارير حول الاتفاق بين بيفن سفورزا، ولكن نحن لحد الآن لم ننفي أو نؤكد رغم اقتناعنا بحدوث ذلك الاتفاق ))<sup>(43)</sup>.

أما البرقية الثانية أرسلت إلى لندن في نفس اليوم تحت رقم 104 ذكر فيها رئيس الإدارة البريطانية ( بلاكلي ) (( مشكلتنا العويصة الآن هي الأدلة المؤكدة التي بدأت تصل إلى طرابلس من خلال الصحف والراديو حول اتفاق بيفن - سفورزا، ولازلت أسأل من قبل ممثلين عن العرب بالنفي أو بالتأكيد ولكنهم يتظاهرون بأنني على علم بهذا المقترح وأنني أتظاهر بالجهالة ))<sup>(44)</sup>.

في 10 مايو قام السيد منصور قداره (عضو الوفد الليبي إلى الأمم المتحدة بالجمعية العامة) بإرسال برقية إلى الأمين العام للأمم المتحدة فحواها: (( بأن الشعب الطرابلسي سيدافع عن حقوقه المقدسة من أجل الحرية، ويعارض ويضحي بحياته ضد أي مشروع من شأنه إعادته للحكم الإيطالي ))<sup>(45)</sup>.

في 11 مايو وللمرة الثانية منصور بن قداره أبرق للأمين العام للأمم المتحدة حول نفس الموضوع وبنفس الروح، مضيفاً أنه استلم برقية من طرابلس تدعو إلى بداية التظاهر والتمرد والعصيان، وهي تبشر بمشاكل

جديدة في طرابلس إذا استمر تنفيذ المقترح البريطاني (46). وقد أصبح من الواضح أن طرابلس أكثر المناطق سخونة في النقاش والجدال بالأمم المتحدة وقد يكون سبب ذلك هو أن ردة الفعل الشعبي لمقترح مسودة القرار من قبل اللجنة الأولى كان حاداً وشديداً. فبدءاً من 9 مايو بدأت المظاهرات الغاضبة تأخذ طريقها في طرابلس كل يوم احتجاجاً ضد المشروع المقترح البريطاني. فالعداء لبريطانيا وإيطاليا أصبح يزداد سخونة يوماً بعد يوم، خاصة بعد اجتماع قادة الحركة في 10 مايو، حيث وضعوا خطة عمل مشتركة لإفشال ذلك المخطط بعد أن تأكد لهم من خلال الأخبار أن أمريكا دعمت المشروع البريطاني. وقد أصبح القادة السياسيون في ليبيا يحتجون علناً ضد عودة إيطاليا، وقرروا المقاومة المسلحة من خلال تشكيل فرق عسكرية ضد أي إجراء من شأنه تنفيذ المشروع البريطاني بشأن وصاية إيطاليا على طرابلس (47).

في 11 مايو تمت الدعوة إلى إضراب عام تخللته أعمال حرق العلم الأمريكي، ورمي السفارة الفرنسية بالحجارة، وتخریب أحد الأندية الإيطالية. وطبقاً لصحيفة نيويورك تايمز فإن عصياناً مدينياً قد بدأ في كامل الإقليم فأقفلت المحلات، وترك العرب العاملون في الإدارة البريطانية أعمالهم. وفي حالات كثيرة تعاملت الشرطة مع المتظاهرين بالغاز المسيل للدموع والأعيرة النارية لتفريقهم، وتم إصابة أكثر من 60 حالة، ومنها ثلاث حالات خطيرة (48). وفي مساء اليوم نفسه 11 مايو أبرق مصطفى ميزران (رئيس الحزب الوطني) لوزير خارجية بريطانيا محتجاً على ذلك المشروع قائلاً: (( نحن نحتج بشدة ضد اقتراحكم ووعدكم المرضي للسنيور سفورزا بتحقيق أمانيه ونحن نصددها بكل حزم )) (49).

وفي اليوم الثاني الموافق 12-5-1949، تقدمت الكتلة الوطنية الحرة بمذكرة احتجاج إلى الإدارة البريطانية مفادها أن تناولت قضية عودة الإيطاليين إلى طرابلس تحت نظام الوصاية بداية من عام 1951 خلقت بلبلة في الوسط الشعبي داخل الولاية، واعتبر العرب ( الليبيون ) هذا الاتفاق طعنة في آمال العرب وضرب عرض الحائط برغباتهم، وتذكر الكتلة رئيس الإدارة

بأن الشعب لن يقبل أي عودة للايطاليين أو غيرهم، وأنهم مصممون على نيل الاستقلال والوحدة لبلدهم<sup>(50)</sup>. ومن مقر إقامته في القاهرة حيث كان يتلقى العلاج علق بشير السعداوي يوم 13-5-1949 على تلك المؤامرة بأنه صدم بقيادة بيفن لهذه الحملة الإمبريالية ضد تطلعات ليبيا وضد أساس وجود عرب طرابلس. فبيفن لم يقتنع بأن يبقى محايداً ويترك الأمر للأمم المتحدة<sup>(51)</sup>.

ومن خلال المعلومات التي استقتها الإدارة البريطانية بدأت لديهم أن الأمور أصبحت واضحة فقد زادت شعبية القادة السياسيين في طرابلس، وهم يكررون دائماً لفت الانتباه إلى مقاومة عودة إيطاليا وبالقوة إذا لزم الأمر.<sup>(52)</sup>

وفي 14 مايو وحسب ما أوردته صحيفة نيويورك تايمز تحت عنوان: ((تمرّد عرب ليبيا ضد الأمم المتحدة)). ونظراً لأهمية التقرير أضعه بالكامل أمام القراء حتى يتبين لهم أن أبائهم وأجدادهم ناضلوا من أجل استقلال ليبيا بالغالي والنفيس، وحتى يكون عبء لمن يعبثون اليوم بأمن واستقلال ووحدة ليبيا نص التقرير: قامت الشرطة اليوم بتفريق جموع من العرب كانوا يتظاهرون ضد موقف الأمم المتحدة بشأن مقترح إعادة توزيع مستعمرات إيطاليا كما كانت قبل الحرب (العالمية الثانية)، فحدثت أعمال تخريب ورمي بالحجارة. وقد أعلنت الإدارة البريطانية حالة الطوارئ وفرض حظر التجول في الليل. وكعمل احترازي فإن أعضاء من أفراد القوات الجوية الأمريكية (قاعدة هويلس الجوية) بطرابلس تم نقلهم إلى بيوتهم من أجل حماية عائلاتهم. كما أن جميع العائلات البريطانية تم نصحهم بالبقاء في مناطقهم وعدم الخروج بدون حماية مسلحة.

وقد كلف البوليس المحلي والبوليس الحربي البريطاني بحراسة المدينة كما قامت تلك القوات بسد الطريق من جامع السنوسية حتى مقر قيادة الإدارة العسكرية البريطانية.

كما شهدت طرابلس العديد من المظاهرات منذ الأربعاء وكانت تزداد سخونة يوماً بعد يوم مطالبة بحصول كامل ليبيا على الاستقلال. ومظاهرة اليوم (14 مايو) أشعلتها الأخبار المنشورة حول قيام اللجنة السياسية بالأمم المتحدة بإقرار مشروع التسوية البريطاني الإيطالي في ليك سكسس.<sup>(53)</sup>

وجاء في تقرير آخر نشر في صحيفة نيويورك تايمز (New York Times) يوم 18-5-1949: كانت هناك مظاهرات واحتجاجات شعبية عارمة على كامل تراب الولاية ( جادو، جنزور، زليتن، مصراتة، العزيزية، وسوق الجمعة يوم 17 مايو، وقد نتج عن تلك المظاهرات جرحي حوالي 45 شخص. منع الأمريكيون والبريطانيون والفرنسيون من الخروج إلى الشوارع، كما تم إحراق العلم الإيطالي وقبله الأمريكي (16 مايو)، وعُلم أن السلطات البريطانية في طرابلس أصدرت منشوراً توضح فيه الفرق بين جمهورية إيطاليا الحالية ونظام موسوليني، متعهداً بأنه بعد ثمان سنوات ستمنح طرابلس الغرب الاستقلال<sup>(54)</sup>. ومن ناحية أخرى دعي ممثلو حزب المؤتمر الوطني وهيئة تحرير ليبيا إلى عدم التعاون مع السلطات البريطانية ورفض الانصياع إلى إجراءات الطوارئ التي أعلنتها الإدارة البريطانية ومازال الإضراب مستمراً، ولا يلوح ما يشيد إلى انتهائه قريباً. وقد أبرقت منظمة شباب بنغازي من أجل الاستقلال إلى وزير الخارجية البريطاني بيفن تصف خطته مع الوزير الإيطالي سفورزا بأنها غير أخلاقية وتتكبر للوعد البريطانية للشعب الليبي، محملة الحكومة البريطانية مسؤولية ما ينجم عن الاضطرابات<sup>(55)</sup>.

وبينما كانت شوارع طرابلس تلهب بمشاعر الغضب يوم 17 مايو كانت أروقة الأمم المتحدة تشهد مناقشات جماعية وثنائية حول مستقبل ليبيا بصفة عامة وطرابلس بشكل خاص. وقد كانت وفود أمريكا اللاتينية مهتمة بموضوع عودة إيطاليا من خلال وصايتها على طرابلس. وهددت بسحب تأييدها للمشروع ما لم يحقق طموح إيطاليا في طرابلس، وبدون هذا الشرط يكون مشروع وصاية بريطانيا على برقة غير مقبول.

وعندما طرح المشروع للتصويت يوم 17 مايو فشل المقترح الفقرة (ب) بشأن وصاية إيطاليا على طرابلس بصوت واحد للحصول على ثلثي الأغلبية بقبوله. وفسر البعض<sup>(56)</sup> ذلك بأن استمرار المظاهرات بطرابلس كان له الأثر البالغ على الوفود العربية في الأمم المتحدة لتبذل قصارى جهدها لإقناع الوفود التي لم تحدد موقفها بشكل واضح خصوصاً وفد هايتي من التصويت ضد

المشروع أو الانسحاب. وكان الصوت الحاسم هو الصوت الهايتي الذي فاجأ الوفود، خاصة بعد أن أكد للوفد البريطاني والفرنسي على الوقوف مع المشروع أو الانسحاب ونفس التأكيدات أعطيت إلى أمريكا (57).

وفي مقابلة صحفية مع مراسل نيويورك تايمز بتاريخ 17 مايو 1949 أوضح رئيس الوفد الهايتي أميل سان لو سبب وقوفه ضد المشروع، بأنه وضع أمام موقف حرج ومخجل للغاية، فكيف له وهو رجل أسود ومن أصول زنجية أفريقية، أن يصوت لصالح إعادة الحكم الإيطالي على بني جنسه السود في الصومال وارتريا دون تحديد موعد للاستقلال (58).

وجدير بالذكر أن رئيس الوفد الهايتي ( أميل سان لو) قد اختفي عن الأنظار عند التصويت على المشروع ككل. وهذا أعطي انطباعاً بأنه مع القرار، ولكنه حضر عندما بدأ التصويت على فقرات القرار، وهو يعرف أن أي فقرة لا تتال ثلثي الأغلبية تجعل المشروع ينهار بالكامل، وهذا ما حصل فعلاً.

وبهذا التصريح من قبل السيد ( سان لو) رئيس الوفد الهايتي، يكون قد أوضح وأزال الغموض الشائك حول سبب اتخاذ هذا القرار الجريء مخالفاً لموقف حكومته، وأزال الالتباس حول ما ذكره بعض المؤرخين بشأن الاستقلال، فإنه لم يكن بضغط من الوفود الليبية ولا العربية، ولم يكن في حالة (سكر) كما أدعى البعض وإنما كان موقفه متجانساً وجاهزاً للموضوع.

ويؤكد الباحث بأن السيد سان لو كان قد تأثر بمقررات المؤتمر السري الذي عقده قادة الزنوج في أمريكا تحت اسم ( الحركة الوطنية للوحدة الأفريقية) (U.A.N.M) بتاريخ الرابع من مايو 1949 بنيويورك، وقد حضرته عدة وفود إفريقية من بينهم أعضاء من الوفد الليبي (بن قدارة، فؤاد شكري، وعلى العنيزي) .

وقد اتخذ المؤتمر القرارات التالية: -

- 1- خروج إيطاليا من أفريقيا.
- 2- نهاية الاستعمار الأوروبي.
- 3- أفريقيا للأفريقيين.

4- لا للوصاية الأوروبية<sup>(59)</sup>.

وفي خاتمة البحث قد استطاعت أصغر دولة في العالم أن تسقط مشروع الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس. ففي الأمم المتحدة عندما تكون الإرادة السياسية موجودة لا مجال للدول الكبرى لتوجيه السياسة حسب مصالحها. وبهذه الصفة فلتت ليبيا آنذاك من قبضة الوصاية والتجزئة.

أما بريطانيا وهي مهندسة مشروع بيفن - سفورزا أرادت أن تخلط الأوراق وتسبق الأحداث فاتفقت مع إدريس السنوسي بأن يتم إعلان استقلال برقة في 1-6-1949 أي قبل أقل من أسبوعين من انهيار مشروع التآمر البريطاني لتدخل في تآمر انفصالي جديد.

وهذا موضوع الدراسة القادم إن شاء الله.

**الهوامش:**

1 - المفاوض البريطاني مارك سايكس والمفاوض الفرنسي جورج بيكو وضع خريطة طريق لتقسيم المنطقة العربية (الشام، فلسطين، العراق ) إلى مناطق انتداب للمزيد انظر

Barr ,James A line in the sand, Britain , France and The Struggle that Shaped The Middle East. London 2011,p56.

2 - لمعرفة المزيد حول أحداث ثورة الشريف حسين (1916) في المشرق العربي، انظر جورج انطونيوس، يقظة العرب ( تاريخ حركة العرب القومية ) ترجمة د. ناصر الدين الأسد، د. إحسان عباس. دار العلم للملايين ط 5 بيروت 1978 ص 276 وما بعدها.

3 - من نتائج اتفاقية الرجمة (20 أكتوبر 1920) بين إدريس السنوسي والإيطاليين أن تحصل إدريس على لقب أمير واحات (جالو،أوجلة، الكفرة) ومقر لحكومته في اجدابيا، وخصص له علاوة شهرية وكذلك لأفراد أسرته وأصبح من حقه استعمال علم خاص، وأن تطلق المدافع تحية له حين قيامه بزيارة رسمية. للمزيد انظر مجيد خدوري. ليبيا الحديثة. دراسة في تطورها السياسي ترجمة د. نقولا زيادة دار الثقافة. بيروت 1966 ص 30.

4 - هي عشر رسائل متبادلة بين الشريف حسين أمير مكة ومكماهون المقيم البريطاني في مصر تناولت المنطقة العربية وإليات الثورة العربية ضد الأتراك (1916) للمزيد انظر. عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (1516-1922) دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1984 ص451 وما بعدها.

5- Byrnes. James F. Speaking frankly. New York ,1947,p 76.

6- Byrnes. James, op.cit.,p 92.l b l d.

- 8- وثيقة وزارة الخارجية البريطانية بشأن تصريح أنطوني ايدن في مجلس العموم البريطاني حول برقة والسنوسيين رقم J, 371 F.O بتاريخ 143/143/166.
- 9- تضم مجموعة دول أمريكا اللاتينية ثماني عشرة دولة، وهي متماسكة ومنتحدة في الآراء، ولديها علاقات جيدة مع إيطاليا، بحكم سيادة المذهب الكاثوليكي.
- 10 -Wright , John. Libya. A Modern History Baltimore Joh Hopkins Uni-press 1982 p53.
- 11-Anderson, Lisa. The State and Social Transformation inTunisia and Libya (1830-1980) ،new Jersey 1987.p211.
- 12-Scott.L. Bills. The Libyan Arena.The United States, Britain, and the Council of Foreign Ministers, 1945-1948, Ohio & London ،1995,p.102.
- 13-Wright , John, op.cit.,p53.
- 14-خدوري، مجيد، مصدر سابق، ص 144.
- 15- Pelt. Adrian. The United Nations and Libyan Independence. Yale University Press1970,p14.
- انظر أيضا محمد عثمان الصيد – محطات من تاريخ ليبيا. الرباط، 1996 ص 54.
- 16- خدوري، مجيد، مصدر سابق، ص 150.
- 17- صحيفة. The Times 30/11/1948.
- 18- نفس المرجع.
- 19- صحيفة الأهرام 1948./12/12
- 20- نفس المرجع.
- 21- صحيفة الأهرام 1948./9/29

- 22- Scott.L. Bills, op.cit.,p214.
- 23- الشنيطي، محمود، قضية ليبيا، القاهرة 1951 ص. 214.
- 24- تصريح وزير الخارجية البريطاني في 1942/1/8، الذي سبق الإشارة إليه، كان خير دليل على ذلك النهج السياسي البريطاني، حيث تم استبعاد ولاية طرابلس من التعهد.
- 25- Wright John.op. Cit.,p54.
- 26- United Nations Org.Document No. A/645. (16/9/1948).
- 27- الشنيطي، محمود، مصدر سابق ص222.
- 28- مجلة ليبيا الحديثة، بتاريخ 1965./11/21.
- 29- United Nations Org.Document No. A/273.
- 30- The Times 10/5/1949.
- 31- مذكرة وزارة المستعمرات البريطانية بشأن المستعمرات الإيطالية السابقة رقم F.O.371 J 8992/1515/122. بتاريخ 1949/5/12.
- 32- صحيفة الأهرام 1949./5/11.
- 33- نفس المرجع.
- 34- صحيفة الأهرام 1949./5/27.
- 35- صحيفة الأهرام 1949/5/18.
- 36- صحيفة الأهرام 1949/5/9.
- 37- United Nations Org Document No. A/C.1./ 460.
- 38- I b i d.
- 39- United Nations Org Document No. SR /271.
- 40- وثائق الخارجية البريطانية، برقية الإدارة البريطانية بطرابلس إلى الخارجية البريطانية رقم (102) . F.O.371,J 3877/ 122 بتاريخ 1949/5/9.

- 41- وثائق الخارجية البريطانية، برقية الإدارة البريطانية بطرابلس إلى الخارجية البريطانية رقم (104) . F.O.371,J 3877/ 122 بتاريخ 1949./5/9
- 42- نفس المصدر.
- 43- نفس المصدر.
- 44- نفس المصدر.
- 45- Pelt. Adrian .op.Cit.,p81.
- 46- I b i d.
- 47- - وثائق الخارجية البريطانية. مذكرة وزارة الحرب، عن طرابلس رقم F.O.371,J 5992/1515/ 122 بتاريخ 1949./5/12 .
- 48- بروشين. ن آ: تاريخ ليبيا / من نهاية القرن التاسع عشر حتى 1969. ترجمة عماد حاتم. منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي (سابقا) 1988. ص.284
- 49- وثائق الخارجية البريطانية، برقية السيد مصطفى ميزران رئيس الحزب الوطني إلى وزير الخارجية البريطاني (بيفن) احتجاجا على الوعد البريطاني للإيطاليين، ورفض الليبيين لذلك المشروع بتاريخ 1949/5/11 رقم: F.O.371,J 4004/1514/ 122
- 50- وثائق الخارجية البريطانية، برقية رئيس الإدارة العسكرية البريطانية بطرابلس إلى الخارجية البريطانية رقم (114) بشأن مذكرة الاحتجاج المقدمة من الكتلة الحرة بتاريخ 1949/5/12 . F.O.371,J4962/1514/ 122
- 51- صحيفة المصري بتاريخ 1949/5/13 .
- 52- - وثائق الخارجية البريطانية. مذكرة وزارة الحرب، عن طرابلس رقم F.O.371,J 5992/1515/ 122 بتاريخ 1949./5/12
- 53- صحيفة.. The New York Times. 15/5/1949.
- 54- صحيفة.. The New York Times. 18/5/1949.
- 55- Pelt. Adrian .op.Cit.,p81.

المشاريع الاستعمارية لتقسيم ليبيا ...

---

- 56- فسّر خدوري بأن الليبيين اعتقدوا بأن سقوط المشروع كان بسبب استمرار المظاهرات. خدوري مجيد، مصدر سابق ص 63.
- 57- United Nations Org Document No. A/ C.1 /SR 272.
- 58- صحيفة.. The New York Times. 18/5/1949.
- 59- مجلة ليبيا الحديثة، بتاريخ 1965/11/21.

## فنون الإنشاء وأساليب الترسل الإداري العثماني في ليبيا 1835-1911م\*

د. فاتح رجب قدراة

قسم التاريخ

كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

### مقدمة

تُعد دواوين الإنشاء ودوائرها وتحرير الرسائل الديوانية، والأوامر السلطانية، والولائية العثمانية، الوسيلة الأساسية للاتصال والتواصل بين السلطة الحاكمة على مختلف مستوياتها الإدارية، ورعاياها في الولايات العثمانية، وكان من أسس الحكم العثماني ومميزاته تأسيس الدواوين والدوائر الإنشائية<sup>(1)</sup>، سيراً على نهج الدول الإسلامية في العصور الوسطى، ويُعد هذه السلطنة امتداداً لتلك الدول<sup>(2)</sup>، بالرغم من خصوصيتها الأناضولية، وقيامها على عاتق العنصر التركي من الناحية العرقية، الخصوصية العرقية التي لم تمنع العثمانيين من اقتباس تنظيماتهم الإدارية من التراث الإداري للدول الإسلامية التي سبقتها، وطبقتها بمرونة كبيرة على الشعوب والقوميات التي خضعت لسلطاتها في العصور الحديثة<sup>(3)</sup>.

عرفت ليبيا العثمانية ذات التنظيمات الإدارية ومسمياتها حيث كان التنظيم المركزي في استانبول يطبق نسبياً وبصورة مصغرة على الولايات<sup>(4)</sup> وهو التنظيم الذي عرف تطورات متلاحقة استجابة للمتغيرات المركزية حتى عهد الأسرة القرمانلية الحاكمة في ليبيا 1711-1835م، التي عمل باشاواتها في بعض المراحل، على انتهاج سياسة "وطنية" شبه مستقلة عن الخط العام للدولة العثمانية، حيث كان من مظاهر هذه السياسة اعتماد القرمانليين اللغة العربية، والإنشاء العربي لغة رسمية في مكاتباتهم ومراسلاتهم الإدارية المحلية، والخارجية<sup>(5)</sup>، التي تصدر من ديوان الإيالة القرمانلية، الديوان الذي يضم في عضويته إلى جانب الباشا وكبار قادته، عدداً من الموظفين الكتبية،

للقيام بأعمال الكتابة، والترجمة من التركية إلى العربية وبالعكس، قدر البعض عددهم بأربعة كتبة يحظون بمكانة مميزة في الديوان القرماني<sup>(6)</sup>. يعتقد بعض الباحثين المعاصرين أن مسؤولية "الإنشاء الرسمي" في البلاط القرماني يديرها "الخوجات" أو كبار الكُتاب الذين يقومون بتدوين وحفظ، محاضر الجلسات الديوانية، ويؤدون الأعمال الكتابية الأخرى كافة فيما كان (الخازندار)\* عضو ديوان الإيالة مكلفاً بتسجيل جميع المراسلات الرسمية للباشا<sup>(7)</sup>. لا يوجد دليل على أن القرمانيين حاولوا إعادة تنظيم الجهاز الإداري الذي ورثوه عن المرحلة العثمانية التي سبقتهم، فيما عدا استخدام العربية لغة رسمية في الترسل الديواني، استمر العمل بهذا التقليد الديواني حتى بداية الحكم العثماني المباشر في ليبيا (مايو 1835م)، الذي كان إيذاناً ببداية مرحلة جديدة في تاريخ هذه الولاية، اصطلاح على تسميتها بين المؤرخين والمهتمين بالتاريخ الليبي بـ(العهد العثماني الثاني 1835-1911م) أو العهد العثماني الأخير، الذي امتد حتى بداية الغزو الاستعماري الإيطالي لليبيا في أكتوبر 1911<sup>(8)</sup>، يُعد هذا العهد من أخصب فترات الحقبة العثمانية في ليبيا بالنسبة للباحثين، نظراً للوفرة النسبية لوثائقه، فكان الأكثر اهتماماً بين الباحثين. وشهد هذا العهد تحولات محلية، وإقليمية كبرى، كان من أبرز معالمها تطبيق التنظيمات الإدارية والقضائية العثمانية الجديدة، إضافة إلى ذلك فإن ليبيا في هذا العهد كانت تدار مباشرة من استانبول، التي سعت لإحداث إصلاحات حديثة فيها من خلال ولايتها الموفدين من استانبول، لإدارة هذه الولاية البعيدة والفقيرة من الناحية السكانية والاقتصادية.

#### أولاً: التدوين، والإنشاء الديواني في ليبيا، وسائله وطرقه:

بالرغم من الوفرة النسبية في الدراسات التاريخية التي اهتمت بالحقبة العثمانية عموماً، والعهد العثماني الثاني تحديداً، فإن مسألة الكتابة أو الإنشاء الرسمي، والأهلي لم تكن يوماً مطروحة على بساط البحث في تلك الأعمال

#### د. فاتح رجب قدراة

التاريخية، والأدبية، بالرغم من محورية هذه المسألة وأساسيتها في التعاطي مع المدونات التاريخية الأولية العائدة لهذا العهد، فتعددت القراءات والتفسيرات السطحية للرسائل التاريخية، وكان الجهل المطلق بأساليب الترسل الديواني العثماني في ليبيا سبباً في الإيقاع بالكثيرين من الباحثين الوثائقيين في شرك سوء قراءة الرسائل الرسمية وما ترتب على ذلك من انحراف في تحليل الحدث التاريخي، كما سوف نعرف لاحقاً. تكسب تلك المعطيات موضوع الإنشاء والترسل الديواني العثماني حيويه، على الرغم من أن دراستنا تقتصر على محاولة تجميع شتات الإشارات المبتوثة عرضاً، هنا وهناك، لأجل تكوين تصورات أولية عن الكتابة والإنشاء الديواني المعتمد في المراسلات الرسمية على مختلف مستوياتها.

تدين الدولة العثمانية في تأسيسها إلى الأصول التركية الأناضولية وكان من أبرز مظاهر ذلك اعتماد السلطة الحاكمة، اللغة العثمانية (أو التركية القديمة)\* لغة ديوانية رسمية في مراسلاتها، وهي اللغة المدونة بالحرف العربي، وذات الألفاظ والمصطلحات التركية، والفارسية، والعربية الأصول أو المحرفة، أو المنحوتة على طريقة النطق التركية.

كانت عودة ليبيا للحكم والإدارة المباشرة سنة 1835م، تعني الاعتماد الواسع على الموظفين الموفدين من استانبول لإدارة الولاية، من رأس هرم السلطة المحلية ممثلة في والي الولاية، إلى قواعد الهرم الإداري ممثلاً في حكام، وعمال الدولة في الأقاليم والمدن النواحي الإدارية، وكان أغلب هؤلاء من أصول عرقية مختلفة (أتراك، ارناؤط ألبان، كرد، عرب...) لا يجمع بينهم إلا تمثيلهم السلطة الحاكمة، واستخدامهم اللغة العثمانية في التواصل الأمر الذي ترتب عليه بروز إشكالية لغة التواصل والاتصال مع سكان الولاية من الليبيين الذين لا يتكلمون سواء اللغة العربية في شكلها العامي الدارج فكان لهذا الوضع اللغوي أثره السلبي في العلاقة بين السلطات الحاكمة الجديدة، وسكان الولاية في هذه المرحلة المضطربة من العهد العثماني الثاني التي اتسمت بتعدد الثورات والحركات المحلية المناوئة للعثمانيين<sup>(9)</sup>، المسألة التي كانت حاضرة، وبقوة في أسباب تلك الحركات، ومطالب قياداتها.

وقد عبر ذلك الشيخ غومة المحمودي أحد أبرز الثائرين على السلطات العثمانية في رسالته الشهيرة إلى السلطان العثماني، التي شرح فيها أسباب خروجه عن طاعة سلطات الولاية، كان من أبرزها عجز السكان عن الاتصال والتواصل مع الموفدين من استانبول لإدارة الولاية، ومما جاء في هذه الرسالة قوله: " فالمطلوب من مقام خلافتكم أن تنظروا إلينا بعين الرحمة وما أمركم به من النظر في مصالح المسلمين، يصدر أوامركم الشريفة بأن يكون الوالي علينا باشا عربي مؤيد يعلم نفسه أنه مقيم بيننا طول عمره وإنها بلده"<sup>(10)</sup>، ولم يكن لهذه المطالبات لتغيير الأعراف الإدارية الراسخة للدولة، التي تلزم بشكل مباشر، أو غير مباشر كل العاملين "المأمورين" في الدولة الالتزام باستخدام اللغة العثمانية في مراسلاتهم الرسمية، و أكدت تشريعات وقوانين عهد التنظيمات الجديدة هذا الإلزام الوظيفي.

من الناحية الشكلية، والفنية للمراسلات الإدارية الرسمية كانت الأعراف الترسلية الديوانية تحتم استخدام عدد من أنواع الورق في عملية الترسل بحيث يمكن تصنيف الورق بحسب حجمه لمعرفة استخداماته فالأوراق الكبيرة المربعة التي يقدر حجمها 30×25 سنتمتر، أو أكثر قليلاً تستخدم في كتابة الأوامر السلطانية، والولائية، العرائض (ينظر الملاحق) فيما استخدمت الأوراق الأقل حجماً والطويلة والتي يبلغ طولها في بعض النماذج نصف متر استخدمت لتدوين العائدات الجبائية، من ضريبة الأعشار وضرائب الملكية العقارية<sup>(11)</sup>، وهذا التوصيف، ليس قاعدة ثابتة، بل نسبية، وتحكم ذلك في تقديرنا أنواع الورق المتوافرة في الولاية، التي لا تنتج أي نوع من أنواع الورق، وتعتمد على الورق القادم إليها من إيطاليا والنمسا<sup>(12)</sup>. يلاحظ أيضاً تطوراً في نوعية الورق من حيث الجودة، والصقل، فالأوراق العائدة لبدايات العهد العثماني الثاني، كانت من حيث الجودة خشنة وغير مصقولة، وسميكة جداً، وبشكل ملفت، فيما اتسمت الأوراق المستخدمة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بنعومة واضحة، مصقولة الحواشي وغير سميكة<sup>(13)</sup> ولعل ذلك يرجع بالأساس إلى التقدم التقني في صناعة الورق، الذي أدخلت صناعته

في استانبول، وأنتجت كميات كبيرة من أنواع متعددة أشهرها المعروف بـ(الورق العثماني) الذي استخدمته السلطات المركزية في دواوينها العليا<sup>(14)</sup>، ولا نستبعد وصول كميات من هذا الورق إلى طرابلس واستخدامه في مراسلاتها الرسمية.

يتحدث الرحالة الألماني غيرهارد رولفس GERHARD ROHLFAS في أثناء رحلته إلى طرابلس سنة 1865م عن توافر الورق الألماني المصنع في مدينة نورنبرغ الألمانية في أسواق الولاية<sup>(15)</sup>، وهذا ما يجعلنا نقول: إن الورق المتداول في أثناء العهد العثماني الثاني يعود إلى مصادر متعددة، فإلى جانب الورق القادم من استانبول والولايات العثمانية فإن ارتباط النشاط الاقتصادي للولاية بالتجارة المتوسطية، جعلها تستقبل أنواعاً من الورق القادم من أوروبا الغربية وهذا ما يفسر لنا تعدد أنواع الورق المستخدم في الدواوين الرسمية المحلية، في أثناء فترة الدراسة، هذا فيما لا نجد أي أسس تحدد أنواع الورق المستخدم في المراسلات الإدارية عدا بعض الإشارات في مؤلفات الحقبة العثمانية المتأخرة، التي تحاول أن تضع أسساً وقواعد للكتابة الديوانية، ومنها أنواع الورق المستخدم في بعض المكاتب مثل الحديث عن ضرورة كتابة العرائض على ورقة كبيرة مصقولة من أربع جهاتها جيداً ويبتدئ بالكتابة عليها من وسطها<sup>(16)</sup>، ونجد لهذا الأساس صداه في بعض العرائض الأهلية التي دون مضمونها ابتداء من منتصف الورقة إلى الأسفل، وترك الجزء العلوي من الورقة ليعلق عليها الوالي، أو السلطة المرفوعة إليها العريضة<sup>(17)</sup>.

**المداد أو الحبر:** هو المستخدم في الكتابة الديوانية ذلك الحين، فإن المعلومات عنه قليلة، عدا الإشارة الرسمية، إلى ضرورة الكتابة بالحبر الثابت، فقد احتوت تعليمات ضبط وتقيد ضريبة العشر، أحد أهم الضرائب العثمانية في ليبيا، مخاطبة الكُتاب القائمين على قيد الضريبة بضرورة استخدام الحبر الثابت: "أي الحبر الإفرنجي الذي لا يخرج بالمسح ولا يكون بها حك أو لعق أو تغيير ويتحرر اسم صاحب الزرع وشهرته"<sup>(18)</sup>، كنوع من الحرص

على العائدات الضريبية من الضياع. تبين المعاينة النظرية للوثائق والمراسلات العثمانية في ليبيا نوع الحبر المستخدم في تدوينها، وهو حبر سائل أسود غامق، ويميل أحياناً إلى اللون البني المركب من مادة صمغية ضمنت له قوة الثبات والاستمرار ومقاومة عوامل الزمن والمتغيرات المناخية.

### 1- لغة الترسل والمحركات الديوانية

تثير مسألة البحث في لغة الدواوين العثمانية في ليبيا، والولايات العربية الأخرى، جدلاً بين المؤرخين والمعنيين بتاريخ الأدب العربي في العصر العثماني، الجدل الذي مرده في تقديرنا إلى جملة الكتابات العربية في عصر النهضة، أو بالأحرى الكتابات العربية في أوائل القرن العشرين وما يليها المرحلة التي تطلبت "مسح" الحقبة العثمانية، وتتركها، بما يخدم قضية النهضة العربية كما يعتقدون، وأصدروا أحكاماً وتعميمات متشددة، أخذت طابع التطرف عند البعض، تأسيساً على فرضية أن العثمانيين، أو الأتراك فرضوا لغتهم العثمانية التركية في دواوين ولاياتهم العربية، الفرضية التي أضحت طرْحاً يُنْفَر المهتمين بتاريخ الأدب العربي من آداب العصر العثماني وقد يحملنا استعراض تلك الآراء والأطروحات بعيداً عن مرمى هذه الدراسة.

يقول حنا الفاخوري: "كان انتشار اللغة التركية في العهد العثماني الضربة القاضية على النشر الديواني العربي"<sup>(19)</sup>، ويسير شوقي ضيف الفاخوري في ذات الطرح من خلال القول بأن الدولة الحاكمة كانت تركية وكانت تعتمد على اللغة التركية في رسائلها ومنشوراتها الديوانية<sup>(20)</sup>، ويدلي المؤرخ الليبي الطاهر الزاوي بدلوه في هذا الطرح القومي<sup>(21)</sup>.

بالرغم من تلك الآراء التي تناولت لغة الترسل والمحركات الديوانية في الولايات العربية أثناء الحقبة العثمانية، فإننا نعتقد أن الكثير منها يرتبط أساساً بفترة محددة من الحقبة العثمانية الطويلة، وهي فترة التباعد العربي التركي عقب وصول الاتحاديين الأتراك إلى السلطة في الدولة العثمانية، اثر خلع السلطان عبدالحميد الثاني سنة 1909م وانتهاجهم لسياسة (التترك) لاعتقادهم بأن وحدة اللغة شرط للحفاظ على الكيان العثماني<sup>(22)</sup>، وهي السياسة التي

كانت من الأسباب الرئيسية لخروج العرب عن العثمانيين في أثناء الحرب العالمية الأولى.

وبالنسبة إلى الحالة الليبية فإن لها خصوصيتها التاريخية، والاجتماعية والجغرافية، التي جعلتها بعيدة نسبياً عن التطبيق الفعلي لمعظم الأعراف والتشريعات، والنظم العثمانية الجديدة، لاسيما ما يتعلق بلغة الإدارة والمراسلات الرسمية في أثناء العهد العثماني في ليبيا، الذي كانت فيه ولاية طرابلس الغرب أشبه ما تكون في عزلة فعلية عن بقية أجزاء الدولة، الأمر الذي ساهم في خصوصية تجربتها الإدارية والسياسية، فهي بالنسبة إلى السلطة المركزية ولاية نائية، بين إيالتي: مصر، وتونس المستقلتين عن سلطات استانبول المباشرة، ولا يربط طرابلس بعاصمة الدولة إلا طريق بحري طويل، وملتوي، يمر عبر عدد من المحطات الأوروبية وفشلت محاولات تأسيس خط بحري مباشر إلى طرابلس الغرب<sup>(23)</sup>، حتى نهاية العهد العثماني، الأمر الذي حتم عليها العجز الدائم والسريع في التواصل والاتصال وبالنتيجة غضت السلطات المركزية والمحلية العثمانية الطرف على تطبيق تشريعاتها، فمن الناحية القانونية النظرية اشترط القانون الأساسي العثماني على رعايا الدولة الراغبين في تقلد الوظائف الإدارية معرفة اللغة التركية وعلى سبيل المثال ما ورد في المادة (18) من القانون الأساسي، التي نصت على أنه: "يشترط على التبعة العثمانية معرفة التركية التي هي اللغة الرسمية لأجل تقليد مأموريات الدولة"<sup>(24)</sup>.

من الواضح أن اللغة العثمانية قد واجهت عراقيل في انتشارها في ليبيا، في أثناء الحكم العثماني ككل منذ سنة 1551م، وحتى سنة 1911م نظراً للتجربة التاريخية الليبية، وخروجها الفعلي عن السيادة العثمانية المباشرة في فترات مختلفة من هذه الحقبة، آخرها كان منذ نهاية القرن السادس عشر، بعد الانقلاب على الوالي الموفد من استانبول، وسيطرة الانكشارية على السلطة فيما سمي بعهد الدايات 1603-1711م، العهد الذي عرف كثيراً من الاضطرابات وعدم الاستقرار<sup>(25)</sup>. وفي عهد الأسرة القرمانلية فإن باشاوات

هذه الأسرة المحلية اعتمدوا العربية لغة رسمية في مراسلاتهم ومعاهداتهم المحلية والخارجية<sup>(26)</sup>، حتى نهاية حكمهم وتدخل العثمانيين لإدارة ليبيا مباشرة من استانبول كولاية عثمانيين سنة 1835م.

لقد واجهت السلطات العثمانية الجديدة إشكالية اللغة المستخدمة في الولاية، فالولاة العثمانيون الوافدون من استانبول بمعية قيادة الإدارة والجيش لا يجيدون إلا اللغة العثمانية، والمجتمع المحلي اعتاد التعامل باللغة العربية ومفرداتها المحلية الدارجة، الإشكالية التي تصاعدت بين السلطة، والمجتمع المحلي إلى حد أن كان في مقدمة مطالب الثائرين ضدها، الذين طالبوا بضرورة تعيين ولاية وموظفين يجيدون لغة البلاد<sup>(27)</sup>.

لقد استشرع الولاة العثمانيون قضية اللغة الرسمية المستخدمة في المحررات الرسمية، فأخذ البعض على عاتقه وضع الحقائق أمام السلطات العليا في استانبول أو السلطات الولائية، وتعددت المقترحات والحلول الآنية التي لجأت إليها السلطة العثمانية لمعالجة هذا الوضع الشاذ، بين العثمانية لغة السلطة الحاكمة، والعربية لغة السكان الليبيين، وفشلت المحاولات التي بذلت عن طريق التعليم النظامي في نشر اللغة العثمانية، وهذا ما ضمنه الوالي (علي رضا باشا) في رسالته المؤرخة في سنة 1867م، التي تضمنت اعترافاً صريحاً بفشل البرنامج التعليمي للمدارس الرشدية (الثانوية) في نشر اللغة العثمانية بين سكان الولاية، ويعترف بذلك في رسالته قائلاً: "بما أن المدرسة الرشدية التي أسست منذ سنوات لتعليم طلاب العلوم والفنون باللغة التركية لم تحقق أي نجاح، ذلك لأن أهالي العربي لا يعرفون اللغة التركية، فأنهم لم يستفيدوا بشي من ذلك وعلى هذا فإن التلاميذ تركوا المدرسة"<sup>(28)</sup>.

وعلى الجانب الآخر نجد أن أحد أعضاء مجلس إدارة الولاية، يقدم بدوره تقريراً للمجلس ضمنه ضرورة استعمال اللغة العربية في دواوين الولاية وتعيين موظفين يتقنونها، وبعد النظر في هذا المطلب جاء رد المجلس واضحاً بأن اللغة العثمانية هي اللغة الرسمية كما نص عليها الدستور العثماني<sup>(29)</sup>.

ومن المعالجات التي لجأ إليها الوالي أحمد راسم باشا أثناء ولايته 1881-1896م، الاتجاه إلى الاعتماد الكبير على العناصر المحلية الليبية في إدارة شؤون المقاطعات، والنواحي الإدارية، لأنهم من الأهالي، وأقدر على التواصل معهم، ولكن لجنة انتخاب الموظفين العثمانية في استانبول رفضت تعيين أغلبهم وأرسلت موظفين من استانبول: " يجهلون سجايا وطباع أهالي البلاد فأنهم لا يوفقون في تمشية الأمور"<sup>(30)</sup>، لاسيما في شؤون المحررات الرسمية وهذا ما جعل قائد القوات العسكرية العثمانية في الولاية (أمير اللواء) يرسل تقريراً إلى ديوان السلطان العثماني بتاريخ 29 أغسطس 1308 مالية (11 سبتمبر 1892م) حول الأوضاع في ليبيا ومواردها وإمكانياتها وحالة الإدارة العثمانية فيها.

وأشار في تقريره إلى أن: "هذه الولاية متأخرة جداً ولا يوجد فيها من يقرأ ويكتب باللغة التركية ويتكلم بها إلا واحد في الخمسين ألف. لذلك يجب في أول الأمر تعيين مدير للمعارف يتقن اللغة العربية... إن قوانين الدولة كلها حررت باللغة التركية فإن القضايا التي تقدم للمحاكم يصعب الفصل فيها على وجه الحق وحسب القانون عندما يكون القضاة يجهلون اللغة التركية لذلك يجب على وزارة العدل أن تلاحظ في تعيين الموظفين درجة اقتدارهم فتبعث لهذه الولاية أقدرهم ومن لهم إلمام تام بالقوانين ويتكلمون اللغة العربية وتختار من هم من ولايتي سورية وبغداد وإرسال الموظفين والقائم مقامين إلى استانبول لحضور دورات في القانون واللغة التركية"<sup>(31)</sup>، ومن الواضح أن هذه المقترحات ظلت حبيسة تقريرها ولم تعرف الممارسات العملية في الولاية.

عمل الوالي أحمد راسم باشا في أثناء فترة حكمه على تعيين عدد من (كتبة التحريرات في القائم قاميات (المقاطعات الإدارية) في أواخر القرن التاسع عشر بعد أن أهملت هذه الوظيفة لعقود من هذا العهد، وكان يقوم بها مديرو المال ويقول في هذا المؤرخ أحمد النائب الأنصاري: " تجرى من القديم بمعرفة مديري المال على اللسان العربي، علاوة على مأموريتهم الأصلية ولذلك لم يكن يحصل الانتظام والشروط المطلوبة في المخابرات الرسمية"<sup>(32)</sup>

### فنون الإنشاء وأساليب الترسل الإداري العثماني في ليبيا

واعتمدت معايير محددة لاختيار كتبة التحريرات، أي أن يكون المتقدمون لهذه الوظيفة، من " الأفندية المناسبين الذين يتخرجون كل سنة من المكاتب الرشدية (المدارس الثانوية) وأن تجرى التحريرات الرسمية في كافة القضاة باللسان التركي"<sup>(33)</sup>، الخطوة التي لم يلاحظ أثرها الفعلي في الحصيلة الوثائقية العائدة لتلك المرحلة.

في الجانب العملي فإن السلطات المتعاقبة على حكم الولاية أبدت مرونة كبيرة، تجاوزت من خلالها التشريعات والقرارات الرسمية، في استخدام العربية لغة لدواوينها المحلية في المقاطعات والنواحي، فيما احتفظت باللغة العثمانية الرسمية في مراسلاتها المتبادلة مع السلطات العليا في استانبول الثنائية اللغوية هذه لم تكن إلا محاولة توفيقية من السلطات العثمانية للتعامل مع الوضع اللغوي القائم في ليبيا، لاسيما وأن هذا العهد قد شهد انتهاج سياسة اتصفت بالليوننة لأجل احتواء العناصر المحلية الفاعلة في وسطها الاجتماعي وإشراكهم في نظام الحكم، بعد أن أدرك العثمانيون أهمية مشاركة العناصر المحلية المهمة (شيوخ القبائل، الأعيان، الوجهاء)، والمؤثرة في المجتمع المحلي، واستغلالهم كأداة اتصال بين السلطات والسكان<sup>(34)</sup>، الاتصال الذي تحقق نسبياً عن طريق الترجمة والاستعانة بالكتبة الليبيين.

يقول شوقي ضيف: "طبيعي أن لا توجد الرسائل الديوانية في أمة إلا إذا وجدت فيها دولة، واتخذت لها كتاباً يكتبون عنها الرسائل الديوانية"<sup>(35)</sup>، القول الذي ينطبق تماماً مع النهج الذي انتهجته السلطات العثمانية المحلية مضطرة للتعاطي مع الوضع اللغوي القائم في ليبيا، حيث اتخذت عدداً من الكتاب تحت مسمى " قلم عربي" أو " كاتب عربي"، كأعضاء في مجلس إدارة الولاية العامل بمعية الوالي العثماني<sup>(36)</sup>، وهم الأعضاء الذين أوكلت إليهم مهمة ترجمة الأوامر والتشريعات والتنظيمات المرسله من استانبول، أو الصادرة من والي الولاية في أغلب الأحيان، مع كثير من الاستثناءات، لهذا نلاحظ استخدام مصطلح تمييز للمراسلات الواردة للمناطق باللغة التركية وهما: تركي العبارة، أو باللسان التركي، وهذا ما نلمسه في جواب (عبدالحليم السيد)

#### د. فاتح رجب قدراة

متصرف لواء فزان جنوب ليبيا، حيث جاء في إحدى رسائله بخصوص الجباية قوله: " إن العبد قد تشرف بورود أمرنام سامي نمرة 268 تركي العبارة"<sup>(37)</sup>، مع العلم أن هذا المتصرف هو تركي قادم من استانبول<sup>(38)</sup>، وهو يطرح تساؤل منطقي: لماذا يوجه مراسلاته إلى والي الولاية، ومجلس إدارته باللغة العربية؟ لعل هذا يرجع بالأساس إلى أن معدي التقرير في فزان من الأعضاء المحليين، أو بهدف التواصل مع مجلس إدارة الولاية الذي اعتاد الترجمة والتعريب للتوفيق بين متطلبات التواصل بين السلطة والأهالي.

#### 2- ترجمة وتعريب المراسلات والأوامر.

بالرغم من الجدل القائم حول رسمية اللغة التركية القديمة، وعمومية العربية بين سكان الولاية، فإن الولاية المتعاقبين على إدارة ليبيا، ومجالس إدارتهم، والإدارات المحلية في المقاطعات والنواحي، اعتمدوا وإلى حد كبير على الترجمة والتعريب في بث التعليمات والأوامر الحكومية الواردة من السلطات العليا في استانبول، ورئاسة الوزراء العثمانية، حيث شملت عملية الترجمة للعربية حتى الأوامر السلطانية (الفرمانات)\*، والأوامر الولائية استجابة اضطرارية من السلطات المحلية للتواصل مع رعاياهم الليبيين، بل تضمنت الأوامر السلطانية في بعض الأحيان، تعليمات صريحة بضرورة ترجمة نص الأمر السلطاني إلى لسان حال الأهالي الموجهة إليهم تلك الأوامر وهذا ما نلمسه في الأمر السلطاني المرسل إلى قائممقام فزان بشأن إضافة لقب جديد للسلطان، والذي تضمن ضرورة تعميم نص الأمر بالتركية أو العربية بحسب لغة المحل الذي يقرأ فيه الأمر السلطاني، القائل بـ " التعظيم والوقار بالوقوف على الأقدام، تركي وحسب الموقع بالترجمة عربي"<sup>(39)</sup>، مما يدل دلالة واضحة أن اعتماد أسلوب الترجمة للعربية كان يتم بتوجيه من السلطات العليا في استانبول، وليس اجتهاداً محلياً من الولاية العثمانيين في ليبيا.

وتوسعت السلطات المحلية في تعريب الكثير من المحررات والقوانين الجديدة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لاسيما محررات الوزارات الرئيسية في استانبول، ولا نعلم بالتحديد أين تتم عملية الترجمة؟ في طرابلس

فنون الإنشاء وأساليب الترسل الإداري العثماني في ليبيا

أم في استانبول. ونجد الكثير من تلك التعميمات، ومنها التعميم الذي وزع على الوحدات الإدارية في حزيران 1299 مالية (يونيو 1883م) الموسم بـ "تعريب محررة عليه من نظارة التجارة والزراعة والمعادن"، والمتعلقة بمهام ووظائف غرف الزراعة المستحدثة في الولاية التي جاء فيها: "مرسل إليكم لف خمسة وعشرون نسخة من تعليمات ووظائف عموم أوظ الزراعات ليكون توزيعهم"<sup>(40)</sup>، وشملت عملية التعريب حتى التعليمات الموجهة إلى القيادات الإدارية في المناطق من متصرفين، وقائم مقامين، الوظيفتان اللتان تُعدان من أهم الوظائف الإدارية القيادية، التي من المفترض بحسب القوانين العثمانية أن من يتولها يجيد اللغة التركية.

ومن الضروري ألا نعتقد بأن عملية الترجمة والتعريب للمراسلات والمحركات والقوانين بالعملية الناجعة دائماً، أو في الأقل التعريب الذي يؤدي الغرض الذي سطرت من أجله المحررات المعربة؛ لأن عملية التعريب إلى لغة يفهمها الأهالي المحليون كانت عملية في غاية الصعوبة، لأنها عملية تعتمد بالأساس على قدرات المترجم، أو بشكاتب القلم العربي في دواوين الولاية الذين كان أغلبهم لا يحسنون حتى اللغة العربية، وبالقدر الذي جعل والي الولاية يصفهم بأنهم " لا يتقنون أصول الكتابة والقراءة، لأنهم حين تبديلهم لمحلاتهم لا يراعون الأهلية واللياقة ويعينون من لم يكن أهلاً لذلك"<sup>(41)</sup>، فما هو الوضع عندما يتطلب الأمر تعريب نصوص وتشريعات قانونية حديثة؟

لم يصل إلينا في هذا الشأن عدا بعض الإشارات يمكن أن نعتمدها مثلاً لوضعية الكتبة وتعاملهم مع الترجمة أو التعليمات الولائية المعربة. ومنها أحد الرسائل المرفوعة من مقاطعة (قضاء) الزاوية تفيد والي الولاية بأنهم أي القائممقام ومجلس إدارته لم يفهموا محتوى الرسالة التي تطلب منهم فقط تقديم السيرة الذاتية للموظفين (ترجمة حال المأمورين) فردت سلطات الولاية على ذلك بالقول: "وردت منكم محررة نمره 3 في عدم فهم المقصود من هذه الترجمة وطالبتهم التوضيح"<sup>(42)</sup>، ويؤيد ذلك ما يورده عضو مجلس إدارة الولاية في تقريره الذي يطالب فيه باستخدام العربية، وتعريب دواوين الولاية

### د. فاتح رجب قدرة

لأنها: "ولايت عرب، وتارة يصير توظيف من لا يعرف اللسان العربي والقلم أيضاً... وغير خاف أن من لا يعرف اللسان والقلم العربي لا يؤدي حق وظيفته وتصير الأهالي مقدوره. نطلب عدم توظيف من لا يعرف اللسان العربي والقلم العربي علاوة على التركية لعجزه عن الإيفاء بحق وظيفته"<sup>(43)</sup>، والنص السابق مشحون بتلك الأخطاء والأساليب الكتابية السائدة في ذلك العهد وفيها كتابة الناء المفتوحة محل المربوطة، بحسب اللسان التركي، وكل همزة تجعل ياء، وغيرها من الأخطاء الإملائية واللغوية والنحوية التي يرجعها المحققون إلى ثقافة ذلك العصر وما آلت إليه العربية<sup>(44)</sup>، بالرغم من المحاولات التي بذلت في نشر اللغة التركية العثمانية، التي كان مآلها الفشل كما يشير إلى ذلك المؤرخ الطاهر الزاوي الذي يمدنا بإحصائية "تقديرية" عن مدى انتشار التركية في ليبيا مقارنة بالإيطالية عشية الغزو الإيطالي حيث يقول: "بلغ الذين يتكلمون الإيطاليين قبيل الاحتلال في مدينة طرابلس 30% أكثرهم من اليهود بينما الذين يتكلمون التركية ولا يزيدون على 5%"<sup>(45)</sup>، بعد ما يقارب من الأربعة قرون من الحكم العثماني، الذي اضطر إلى التعامل مع العربية واعتمادها في ترسله الإداري مع الأهالي المحلية وفق الأشكال التالية.

### 3- كُتاب التحريرات في العهد العثماني:

مثل الكُتاب محوراً رئيساً في الجهاز الإداري العثماني أثناء عهد التنظيمات، حيث وضعت التشريعات الجديدة القائمين على الكتابة والتدوين وضبط المراسلات الإدارية في موقع مميز من الهياكل الإدارية، فأصبحت بموجب القانون وظيفتنا (الدقتر دار، والمكتوبجي) من الأعضاء الطبيعيين الدائمين غير خاضعين لعملية الانتخاب الدورية، في المجالس الإدارية المستحدثة على مختلف مستوياتها، من مجلس إدارة الولاية الذي يعمل بمعية والي الولاية، ومجلس إدارة اللواء (الإقليم) ومجلس إدارة القضاء (المقاطعة)<sup>(46)</sup>، لاسيما المكتوبجية "الذين يتولون إدارة جميع المكاتبات

فنون الإنشاء وأساليب الترسل الإداري العثماني في ليبيا  
وجمع قيودها والمحافظة عليها وإيفاء الأمور التحريرية بواسطة قلم  
التحريرات" (47).

وكان الكتاب من القوة بحيث مكنتهم سلطاتهم، من الدخول في منازعات مع  
حكام المقاطعات (الأقضية) كما حدث مع "كاتب تحريرات" قضاء الزاوية  
الذي دخل في نزاع مع القائمقام الذي اتهمه بعدم الأهلية والقدرة على أداء هذه  
الوظيفة إلا أن مجلس إدارة الولاية أرجعه لوظيفة بعد أن تعرض للتوبيخ من  
مجلس الإدارة، ومما جاء في قرار إرجاعه لوظيفة: "ذكرتم أن كاتب  
تحريرات القضاء أحمد أفندي الموقت لا يليق لأمر بينتوها فأعلموا أنه لدى  
الحوالة إلى مجلس إدارة الولاية احضار المرقوم ووبخ خصوصاً في اتيانه بلا  
أذنكم، ثم صار التنبيه عليه بأن يستقيم في مأموريته ويتجنب مواضع التهم  
ومخالطة الأردال... " (48)، وفي تقديرنا أن أزمة وجود الكتاب للعمل في  
الإدارة كان يشكل قضية عسيرة عن الحل بالنسبة إلى الإدارة المحلية.

من الناحية النظرية تمدنا قوائم الموظفين بوجود الكثير من الكتبة بحسب  
درجاتهم ووظائفهم (مدير تحريرات، كاتب مجلس الإدارة، قلم تحريرات  
اللواء\*، كاتب المال) (49)، وغيرها من المسميات للقائمين بعملية الكتابة  
والتراسل، وإعداد الدفاتر الجبائية في الولاية، وتحمل بعض المسودات التي  
ترجع للربع الأخير من القرن التاسع عشر توقيع الكاتب (أحمد حسن) (50).

ويتطلب من الكتبة كغيرهم من الموظفين تقديم ترجمة حال (سيرة ذاتية)  
بصورة صحيحة ودقيقة "عارية من الحشو والنقصان والخلاف ويختمها تم يقع  
تدقيقها وتصديقها من راسي أو ضابط الدائرة التي هو في ضمنها وتوضح في  
خانة الملاحظات الشروح الإيجابية تم ترسل لتتقيد في سجل الولاية. وها هي  
تأتيكم تعليمات ذلك وذيلها ورقة مطبوعة من أوراق ترجمة الحال لتكون هذه  
الورقة نمونة (نموذج) وتحفظ بطرفكم" (51).

من الواضح أن وظيفة الكتابة في الجهاز الإداري، والحاجة لمن يجيدون  
اللغة العربية جعلت الولاية تستعين بالعديد من الليبيين في هذه الوظيفة، من  
ذلك أحد الطلبات المقدمة لتقلد وظيفة كاتب، ويفيد مقدمه بأنه عمل في السابق

د. فاتح رجب قدرة  
بذات الوظيفة، ويتحدث من مؤهلاته قائلاً: "مسلكي الكتابة ومقدر على  
ايضا الوظيفة نسترحم الأمر السامي بإحالة استدعائي (طلبي) لمجلس إدارتك  
وتعيني بالكتابة في أحد الجهات وباقي الأمر والفرمان لحضرت من له  
الأمر" (52).

وتتجلى الأزمة في وجود الكتاب أكثر وضوحاً عند عملية نقل كاتب إلى  
وظيفة جديدة، حيث نجد سلطات الولاية العثمانية تلجأ في بعض الأحيان  
لتكليف السلطات المحلية بالبحث عن كاتب عند شغور هذه الوظيفة، ولا تضع  
معايير معينة محددة بل تطلب: "إجراء الانتخاب\* من الذوات الذين لهم دراية  
وكمال عرفان وأهلية وصيانة وإرسال المنتخب والانتخاب معه ليكون  
امتحانه" (53).

تعددت التعليمات للكتاب، أو الذين يتولون تحرير المراسلات الديوانية  
ومنها التعليمات الموجهة لكتاب التحريات وسائر المعاملات الديوانية في  
الولاية والمؤرخة في 25 محرم 1290 هـ (24 مارس 1873 م) يرد فيها  
حول المحررات الرسمية ضرورة الكتابة في الأوراق الرسمية (الصحيحة)  
ويلتزم الكتاب بقواعد الكتابة "ويتحرى محرره اشتباه الألفاظ وتعقيدها ومن  
عدم الإيضاح ومن التصليح والإلحاق والبرش والحك" (54)، وتلزم التعليمات  
الولائية، وضع أختام منشئي الرسائل "وضع تمهير" وتصديقها من مجالس  
الإدارة المحلية لأهمية ذلك، وبعدها "من انضباط المعاملات وعلى ذلك لدى  
المراجعة" (55).

ولجأت الولاية في أحيان كثيرة إلى توزيع نماذج لكيفية كتابة المضابط  
والمراسلات الرسمية خاصة فيما يخص الدفاتر الجبائية، لتكون أنموذجاً عملياً  
للكتاب (56)، ولأهمية استخدام التاريخ المالي أو (الرومي) في المحررات  
الرسمية عمت الولاية جدولاً مفصلاً في كيفية استخراج التاريخ المالي من  
التاريخ الهجري (57)، في أواخر القرن التاسع عشر، للحد من استخدام التقويم  
الهجري في المحررات الديوانية والأهلية، وكان للكتاب مهام متعددة ويمكن  
القول إن وجود الكاتب كان ضرورياً وأساسياً في الأعمال الإدارية

فنون الإنشاء وأساليب الترسل الإداري العثماني في ليبيا  
والجبائية<sup>(58)</sup>، وتستخدم عبارة (القلم التركي) عن الرسائل القادمة باللغة  
العثمانية جاء في رسالة الوالي أحمد عزت باشا إلى أحد المقاطعات "وردت  
تحرير أتاكم بالقلم التركي مخصوص كيفية ما وقع في مادة الذخاير التي  
تعطى إلى العسكر النظامين"<sup>(59)</sup>.

ولا تمدنا مصادرنا الأولية بكثير من المعلومات عن شخصيات الكتاب عدا  
بعض الإشارات الواردة في كتاب أعلام ليبيا للطاهر الزاوي، الذي يؤرخ  
لأعلام هذه المرحلة التاريخية. ويذكر استخدام الكثير منهم في الوظائف  
الكتابية في الإدارة العثمانية المحلية، منهم على سبيل المثال (عبدالرحمن  
البوصيري الغدامسي) الذي تولى عدداً من الوظائف العامة في الجهاز  
الإداري العثماني لاسيما وظيفة رئاسة سجلات العقود، ورئاسة كتبة المحكمة  
الشرعية بطرابلس سنة 1325هـ<sup>(60)</sup>، و(مصطفى بن محمد بن زكري)  
المولود في طرابلس سنة 1853، وقد "كان يتقن اللغة التركية لغة الدواوين  
والدولة الحاكمة إذ ذلك... واختير لعضوية مجلس إدارة الولاية في أيام حسن  
حسني باشا\* لما عرف عنه من حصافة الرأي وبعد النظر"<sup>(61)</sup>، و(محمد ناجي  
التركي) الذي أتم تعليمه في طرابلس، وعمل في قلم تحرير طرابلس  
الغرب، وولاية حلب العثمانية، بعد الاحتلال الإيطالي لليبيا سنة 1911<sup>(62)</sup>،  
والشيخ (علي عياد الجنزوري) الذي عين سنة 1896م محرراً للعقود وفي  
سنة 1904 عين رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية بالولاية<sup>(63)</sup>، والسيد (بشير  
السعداوي) الذي تعين سنة 1908م (باشا كاتب) في مجلس الإدارة بلواء  
الخمسة ثم رقي في ولاية المشير إبراهيم أدهم باشا 1909-1911م مديراً  
للتحريرات في الولاية وهو منصب لم يتولاه من قبل أحد من العناصر المحلية  
الليبية<sup>(64)</sup>، وعقب الاحتلال الإيطالي للبلاد هاجر إلى استانبول وكان من  
قيادات الجهاد الليبي وأحد أبرز زعماء الاستقلال، ومنهم السيد (أحمد الفقيه  
حسن) "الشاعر الأديب، المرسل المولد في طرابلس سنة 1259هـ، درس في  
المدارس التركية اللغة التركية، ثم التحق بالوظائف الحكومية فعين في الكتابة  
العامة حتى صار رئيس القلم العربي في الولاية، وانتفع بأدبه كثير من أبناء

#### د. فاتح رجب قدراة

الأعيان ممن كانوا معه، وتأثروا بأسلوبه في إنشاء الرسائل والمراسيم الحكومية"<sup>(65)</sup>، وأخيراً المؤرخ الليبي محمود ناجي الارناوطي مؤلف كتاب تاريخ طرابلس الغرب سنة 1907)<sup>(66)</sup>.

عمل محمود وناجي في الوظائف الكتابية (مكتوبجي) في طرابلس الغرب وتحدث أحد الوثائق عن مؤهلاته الوظيفية بالقول: "رئيس كتبة المتصرفية محمود ناجي أفندي المشهود له بالمقدرة واللياقة منذ إحدى عشرة سنة أثناء قيامه بوظيفة رئاسة كتبة مجلس إدارة المتصرفية، اكتسب مهارة وخبرة في تحرير الرسائل العربية والتركية وله اليد الطولي في ذلك... ومقدرته ولياقته المشهوده وخاصة أن أكثر المراسلات هنا باللغة العربية وهو يتقنها ويعرف لهجة السكان المحرفة من الفصحى ومطلع على أحوال وعوائد البلاد فإن تعيينه لمديرية التحريات الشاغرة مطابق لقاعدة المراتب"<sup>(67)</sup>، الإدارية العثمانية في الولاية.

ثانياً: أنماذج من المراسلات الديوانية العثمانية في ليبيا:

#### 1- الأوامر السلطانية (الفرمانات\*):

تُعد الأوامر السلطانية(الفرمانات) من أهم وأقوى المراسلات السياسية والإدارية تأثيراً في ليبيا في أثناء العهد العثماني الثاني، وهي الوثيقة التي تمنح للوالي شرعية إدارة شؤون الجهاز الإداري المحلي، وكان وصول الفرمان السلطاني يعني الكثير في حياة سكان هذه الولاية البعيدة، لاسيما فرمانات التولية، والعزل، وتصنف هذه المراسلة العليا بأنها من الوثائق المنفردة الملزمة الطاعة والانقياد لأنها تصدر عن السلطان العثماني بعده خليفة المسلمين و"حامي الدين الإسلامي بحسب الخلافة وحاكم جميع التبعة العثمانية وسلطانها"<sup>(68)</sup>.

تجمع الدراسات التاريخية على أن مصطلح فرمان Ferman، فارسي ينطق بسكون الراء<sup>(69)</sup>، ويجمع على: "فرمانات، وفرامين"، ومعناها الأمر مطلقاً في الفارسية قبل أن يدخل العثمانية حيث أصبح الفرمان يعني: عهد السلطان للولاية<sup>(70)</sup>، واتخذ في التقاليد العثمانية السلطانية خصوصية في الدلالة

فنون الإنشاء وأساليب الترسل الإداري العثماني في ليبيا  
على الأوامر الصادرة عن السلطان، التي تُعد أنفذ الأوامر العثمانية  
الرسمية سلطة، وأهم الوثائق مكانة وأبرزها تعبيراً عن الشخصية  
العثمانية<sup>(71)</sup>.

ومن الناحية العملية فإن الأوامر السلطانية، كانت من أقدم أشكال الترسل  
الديواني التي لم تعرف الانقطاع، أو التوقف بين طرابلس الغرب، وعاصمة  
الخلافة إستانبول، حتى في فترات خروج ليبيا فعلياً عن السيادة العثمانية  
المباشرة، لاسيما في عهد الباشاوات القرمانليين 1711-1835م، وحالة  
الاستقلال الفعلي عن السيادة العثمانية<sup>(72)</sup>، بل ظل القرمانليين يسعون وراء  
الحصول على الأوامر السلطانية التي تضي على حكمهم الشرعية<sup>(73)</sup>.  
وتحدثنا بعض المراجع التاريخية عن الطبيعة التكوينية للأوامر السلطانية  
والخاصة جداً مقارنة ببقية المراسلات الإدارية، حيث يتم كتابة الأمر  
السلطاني بالخط الديواني في الديوان الهمايوني، ويشتمل الأمر أو الفرمان  
عادة على "الإشارة" السلطانية المسماة بـ"الطغراء"، ونوع الفرمان، والسبب  
الذي أدى إلى إصداره والغرض منه بعبارة صريحة وتاريخ صدوره<sup>(74)</sup>  
ومنها فرمانات ولاية طرابلس الغرب المتعددة الأغراض التي صدرت كأوامر  
سلطانية لتولية الولاية<sup>(75)</sup>. كما اتسعت وظائف الأوامر السلطانية لأغراض  
أخرى غير التقليد والعزل، وتعددت المناسبات التي يصدر فيها السلطان أمره  
السامي، فإلى جانب تعيين الولاية وعزلهم، يصدر الفرمان في المناسبات  
الرسمية الكبرى، مثل الاحتفالات بمناسبة جلوس السلطان على سدة السلطنة  
ونلمس ذلك في الفرمان الوارد للولاية بتاريخ 14 شعبان 1293هـ  
(3 أغسطس 1876م) بمناسبة جلوس السلطان الجديد عبد الحميد الثاني على  
عرش الدولة العثمانية، الذي جاء فيه: "ورد بالشرف أمر نامه سامي من مقام  
الصدارة العظمى نمرة 52 بتاريخ 14 شعبان 1293هـ في كيفية الجلوس  
السلطاني المقرون باليمن والتهاني وإرسال صورة الفرمان الشريف السائح  
من مقامه الشاهاني المنيف تأتيكم صورته وترجمتها لفا، وعلى ذلك تكون

#### د. فاتح رجب قدراة

قراءته على القاعدة وإجراء مستوجباته والتضرع للكريم الجواد بأن يعز نصره ويعلى أمره ولذلك عن قرار مجلس إدارة الولاية تحررت<sup>(76)</sup>.

إلى جانب حدث جلوس سلطان جديد على رأس السلطان العثمانية فإن الأوامر السلطانية تصدر متضمنة القوانين والتشريعات العثمانية الجديدة في القرن التاسع عشر، مثل فرمان الإصلاحات العثمانية سنة 1839م<sup>(77)</sup> وغيرها من الوقائع العثمانية "الكبرى" التي تتطلب إصدار فرمان سلطاني لذلك نحاول تحليل مضمون ثلاثة نماذج منها، بعدها نماذج للمراسلات العليا السلطانية التي أرسلت إلى الجهاز الإداري المحلي في ليبيا.

#### الأنموذج الأول: فرمان إعادة الحكم العثماني المباشر لليبيا سنة 1835م:

يعبر هذا فرمان السلطاني عن تلك الأوامر السلطانية المرسلة إلى الولاية في مرحلة دقيقة من تاريخها، ويُعد من أقدم فرمانات العثمانية، والنموذج الذي بين أيدينا نسخة معربة للفرمان العثماني الذي أرسل لإنهاء ولاية أول الولاية العثمانيين (مصطفى نجيب باشا) الذي أنهى المرحلة القرمانلية بإبعاد آخر باشاواتها، ورجوع تبعية ليبيا للحكم العثماني المباشر الذي عرف تاريخياً بالعهد العثماني الثاني 1835-1911م<sup>(78)</sup>، لذلك نجد الأمر السلطاني يقدم شرحاً مفصلاً لأسباب تدخل استانبول في الشأن الليبي، وإنهاء حكم الأسرة القرمانلية، كما أن لهذا فرمان خصوصيته التاريخية، فعلى غير عادة العثمانيين، عُرب نص فرمان، وجرى تقيده وتوثيقه في سجلات محكمة طرابلس الشرعية<sup>(79)</sup>، على غير العادة في العقود اللاحقة من هذا العهد، ونعتقد بأن سبب ذلك يرجع إلى الأهمية التي أولتها السلطات العثمانية لفئة رجال الدين من فقهاء وقضاة ومفتين في توطيد أركان حكمهم، واستغلال تأثيرهم في الأوساط الأهلية المحلية، وطبيعة الفترة التي ورد فيها فرمان، التي كانت مرحلة انتقال للسلطة في الولاية.

جاء في مقدمة هذا فرمان "التأسيسي" للحكم العثماني المباشر صيغة تقليدية متوارثة في أساليب الترسل الديواني الإسلامي، بالحمد لله والصلاة على رسوله الكريم والتتويه بالسلطان العثماني: "الحمد لله وصلي الله

فنون الإنشاء وأساليب الترسل الإداري العثماني في ليبيا

على سيدنا محمد وسلم. هذه نسخة فرمان أمرنا العالي السلطاني ووقع حكمنا السامي الخاقاني"<sup>(80)</sup>، حيث استخدم فرمان صيغ المخاطب موجهة إلى قاضي قضاة الولاية وأرسلت نسخة معربة لنص فرمان للمحكمة الشرعية للعلم والحفظ في سجلاتها"<sup>(81)</sup>.

أما صيغة الخطاب السلطاني المضمن في نص فرمان فهو يخاطب إلى جانب القاضي، العلماء، والمفتيين، وشيخ البلد، والأعيان والوجهاء من أهالي الولاية بشكل مباشر وصريح: " إلى قدوة القضاء والحكام سيد الفصل والكلام مولانا القاضي في طرابلس الغرب زیده فضله وإلى سائر العلماء المدققين المأذونين بالإفتاء وسائر العلماء زيد علمهم وإلى مفاخر الأنام والأقران شيخ البلد ووجوه الأهالي زيد قدره"<sup>(82)</sup>.

بعد هذه التحية السلطانية للقوى الاجتماعية الطبيعية الفاعلة في المجتمع المحلي ينتقل فرمان إلى تقديم شرح مفصل لمساوئ العهد القرمانلي السابق وممارسته وظلمه لرعاياه والأسباب التي جعلت السلطات العثمانية تتدخل مباشرة في إنهاء حكمهم، والعودة لإدارة الولاية مباشرة من استانبول مع كثير من المدح والإطراء السلطاني لأهالي الولاية في ولائهم له وللدولة العثمانية "وقد وجدنا في العريضة المرسلة ما هي من أوصافكم المستحسنة مثل الثبات والاستقامة في مركز العبودية والطاعة السلطانية العلية، والحال أن أهالي طرابلس الغرب داخلاً وخارجاً من القديم كانوا مطعين ومتمثلين لأمرنا وأرادتنا وعالمينا بقدر ظل ظليل سلطتنا العظمى هكذا معلوم لدى ذاتنا المحفوفة بالخلافة الكبرى وكذلك الانقياد والامتثال"<sup>(83)</sup>، إلى آخر فرمان الذي يحث الأهالي على الولاء والطاعة للسلطان والسلطات العثمانية وعدم شق عصا الطاعة.

وقد تغيرت صيغ المخاطب في الأوامر السلطانية اللاحقة تغيراً جذرياً بحيث أضحى مخاطب في المقام الأول الولاة المعيّنين لإدارة الولاية، وتعددت تلك الأوامر مناقب ومحاسن الولاة الجدد الإدارية، وأوسمتهم، ودرجاتهم

#### د. فاتح رجب قدرة

الوظيفية المدنية والعسكرية، والأسباب التي جعلت السلطات تقلدهم الولاية إلى جانب التعليمات والتوجيهات الإدارية كما في النموذج الثاني:

#### النموذج الثاني: تعيين والي جديد لإدارة الولاية سنة 1872م:

صدر هذا فرمان في استانبول بتاريخ 19 صفر 1289 هـ (29 إبريل 1872م) من السلطان العثماني بتولية الوزير المشير (على رضا باشا الجزائري) والياً على ولاية طرابلس الغرب وعزل والي السابق (المشير محمد رشيد باشا)<sup>(84)</sup>، الذي قضى في ولايته ثمانية أشهر فقط، وكانت هذه الولاية بالنسبة إلى والي على رضا باشا الولاية الثانية في ليبيا، ويوصف عهد بعهد التحديث والإصلاح، نظراً لتلك الإصلاحات والتحديثات التي أدخلها للبلاد، والتي يعزوها القنصل الفرنسي شارل فيرو إلى تعليمه الحديث وأصوله الجزائرية، وإجادته اللغة العربية، واستعانته بعدد من المستشارين العرب فكانت من أسباب نجاحاته التحديثية بالمقارنة مع غيره من الولاة العثمانيين في هذا العهد<sup>(85)</sup>، ويقول المؤرخ أحمد النائب الأنصاري في حقه: "وقد حصل له من حميد الذكر وجميل النشر ما لا تزال الرواة تدرسه، والتواريخ تحرسه"<sup>(86)</sup>.

من حيث التكوين فإن فرمان تولية على رضا باشا، يمثل نموذجاً لتلك الأوامر السلطانية العليا التي شهدها هذا العهد بأن يفتح فرمان بسلسلة طويلة من الأوصاف والمدح في حق صاحب فرمان، يعدد صفاته ومناقبه ودرجاته الوظيفية في افتتاح طويل توجز منه قوله: "الدستور المكرم المشير المفخم نظام العالم مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الأنام بالرأي الصائب ماهر ببيان الدولة والإقبال مشير أركان السعادة والإجلال المحفوف بصنوف عواطف الملك الإعلاء من كان مشيراً بالأردوي الهمايوني\* الثاني وفي هذه الدفعة تحول وتوجه إلى عهدة أهليته ولاءً ولاية طرابلس غرب الحامل والحايز للينشانين ذوي الشأنين المجيدي من الرتبة الأولى والعثماني من الرتبة الثانية وزيري علي رضا باشا أدام الله تعالى إجلاله"<sup>(87)</sup>.

فنون الإنشاء وأساليب الترسل الإداري العثماني في ليبيا

كما يخاطب الفرمان الوالي السابق بذات صيغ التفخيم والتبجيل التي تعرف تكراراً في أكثر من موضع في متن الفرمان، قبل الانتقال إلى تحديد وظائف الوالي الجديد في الولاية وهي استكمال الإصلاحات وحفظ الأمن والاستقرار بين أهالي الولاية، قبل أن يعود الفرمان مجدداً إلى تمجيد الوالي الجديد بعبارات لا ينقصها السجع: "وحيث أنها أيها الوزير المشار إليه أنت سفير الدراية ومتصف بالأوصاف المطلوبة ومن وزراء سلطنتي السنينة ذوي الروية ومقدر على إجراء القوانين والنظامات العادلة ولك وقوف بأصول الإدارة والأفكار والمصالح العمومية وبأحوال تلك النواحي توجهت في حقك نيرات غايات محاسن سلطنتي اللامعة النثار وعلى موجب أمري المقرون بعناية سلطنتي صدرت وسنحت عواصف شاهانيتي العلية وعوارف ملوكانيتي الموهوبة البهية بإحالة وتفويض ولاية طرابلس غرب إلى عهدة أهليتك"<sup>(88)</sup>.

وضمن نص الفرمان تاريخ اتخاذ قرار التعيين، وهو غير تاريخ كتابة الفرمان، حيث يعطي السلطان أمراً لكاتب المختص في كتابة الفرمانات في الديوان السلطاني العثماني يسمى (نشانجي) الذي يضع إشارة السلطان العثماني التي تسمى الطغراء وهي نقش متداخل معقد باسم كل سلطان، تتوج به الأوامر السلطانية التي باللغة العثمانية التركية<sup>(89)</sup>، ويشير نص الفرمان إلى ذلك بالقول إن تفويض طرابلس الغرب للوالي علي رضا باشا صدرت في "السابع عشر من شهر صفر الخير سنة تسع وثمانين ومائتين وألف ولهذا صار إصدار وإعطاء أمري هذا الجليل بقراري المتضمن لأمر مأموريك من ديواني الهمايوني"<sup>(90)</sup>.

ومع أن الجزء الأكبر من محتويات الفرمان تتعلق بالألقاب والمدائح والأطنان من السلطان على نفسه، وواليه الجديد المعين، لكنه يتضمن أيضاً توجيهات سلطانية للوالي برعاية رعايا الدولة، وإحقاق الحق، والاستمرار في الإصلاحات الحديثة، والقيام بجولات تفقدية إلى مختلف مناطق الولاية المحالة لعهدته، والتمسك بالشرعية الإسلامية في تصرفاته، وتطبيق القوانين والتنظيمات العثمانية الجديدة "وبسط جناح الرافة والعدالة على الجملة والرفعة

#### د. فاتح رجب قدراة

في استجلاب الدعوات الخير من الجميع إلى طرف ملوكانيتي جامع المجد والشرف"<sup>(91)</sup>، ويختتم الفرمان بتوجيه الوالي إلى ضرورة المحافظة على قنوات الاتصال الترسلية مع السلطان وسلطاته في استانبول، وعرض كل القضايا عليه "وليكن منك العرض والإشعار بالمواد اللازمة بالنشر الكاين ببطانتك النفاذة إلى دار سعادتني"<sup>(92)</sup>، ويذيل بتاريخ صدوره بالتقويم الهجري.

#### النموذج الثالث: فرمان بمولود جديد للسلطان:

إلى جانب مسائل التقليد والعزل، فإن الأوامر السلطانية تصدر في مناسبات متعددة أخرى ومنها ولادة أمير جديد للسلطان، حيث نجد ضمن الأوامر الواردة إلى طرابلس الغرب، فرمان من السلطان عبد المجيد الأول 1839-1861م إلى أهالي الولاية يعلمهم بمولود ابن جديد له اختار له من الأسماء عبد الحميد<sup>(93)</sup>، فقد كان من التقاليد السلطانية العثمانية أن يصدر السلطان أوامره احتفالاً بالمولود الجديد وإقامة مظاهر الفرحة في أرجاء الدولة بهذه المناسبة<sup>(94)</sup>، وهو المولود الذي سيكتب له أن يكون واحداً من أشهر السلاطين العثمانيين، وأكثرهم إثارة للجدل، وعهده الأطول من عهود سلاطين آل عثمان 1876-1909م، عهده الذي عرف أكثر الإنجازات التحديثية، وأعظم الانهيارات في الدولة العثمانية<sup>(95)</sup>.

لا تختلف عملية إنشاء هذا فرمان السلطاني عن غيره من فرمانات العثمانية، عدا ملاحظة المبالغة والأطناب في المدائح التي يطلقها السلطان عبدالمجيد الأول على عامله في طرابلس الغرب الوالي محمد أمين باشا 1842-1847م، حيث جاء في فاتحة فرمان قول السلطان: "هذا فرماننا العالي السلطاني وخطابنا المنيف الخاقاني الذي أصدرناه إلى مشير ايالت طرابلس غرب وهو الدستور المكرم المشير المفخم نظام العالم مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب متم مهام الأنام بالرأي الصايب ممهد بنيان الدولة والإقبال مشير أركان السعادة والإجلال المحفوف بصنوف عواطف الملك الإعلاء وزير محمد باشا أدام الله تعالى إجلاله"<sup>(96)</sup>، قبل تحول فرمان إلى

فنون الإنشاء وأساليب الترسل الإداري العثماني في ليبيا  
مخاطبة قاضي طرابلس الغرب، وأعضاء المجلس الإدارة و"سائر  
الساعيين في المصالح وخواص الرجال"<sup>(97)</sup>، قبل أن يبشرهم بالمولود الجديد.  
وجاء في نص فرمان السلطاني، تحديد دقيق لساعة ولادة الأمير الجديد  
وتحديدا في الساعة الحادية عشر من يوم الاثنين 17 شعبان: "ازداد من صلبننا  
الطاهر السراج الأنور والقمر الأزهر وسميناه من القريحة الصبيحة الملوكية  
باسم السلطان عبدالحميد وحين شاع خبر ولادته السعيدة سكنت دار الخلافة  
العلية صاروا جميعاً مبتهلين بالفرح والسرور ومزيد المبرة والحبور"<sup>(98)</sup>  
ويوجه الوالي إلى نشر الخبر بين رعايا الدولة ودعوتهم للدعاء بالخير  
للسلطان لاسيما المشايخ والزهاد وأهل الصدق، والإبلاغ في المساجد وإطلاق  
القنابل ابتهاجاً بهذه المناسبة السلطانية "ويكون الفرحة وضرب المدافع سبعت  
أيام وسبعت ليالي في الخمسة أوقات وأجرا شأن سلطانتنا السنوية وتباشرون  
بالفرح والسرور وكل أحداً يكون في عرفه وأدبه ويجروا الفرحة بأصول عادت  
بلدتهم في ظل سلطنتنا العلية"<sup>(99)</sup>.

## 2- الأوامر الولائية (البيورلدي Bururuldu):

تعد الأوامر أو التوجيهات والقرارات الإدارية الصادرة من الولاية  
العثمانية في ليبيا من أهم أساليب الترسل العثماني، والأكثر شيوعاً وانتشاراً  
وتعبيراً عن سياسات الولاية المحليين في الولاية، وكيفية إدارتهم لشؤونها  
ويشار لهذه الأوامر في اللغة التركية العثمانية بـ(البيورلدي) الذي يعني الأمر  
أو التوجيه الكتابي من الولاية والصدر الأعظم والوزراء<sup>(100)</sup>، فيما تفسر  
معاجم أخرى أصل مصطلح بيورلدي بأنه: فعل الأمر المبني للمجهول في  
التركية ومعناه: يأمر، وأصبح في العهد العثماني أسما للكتاب المختوم بالختم  
الهمايوني الصادر عن الصدر الأعظم<sup>(101)</sup>، وغير ذلك من الاجتهادات في  
تفسير أصل المصطلح، التفسيرات التي قد تبعدنا عن موضوع الأصول  
الوثائقية التي بين أيدينا.

#### د. فاتح رجب قدراة

استخدم مصطلح الأوامر الولائية (البيورلدات) في ليبيا للدلالة على أحد أهم المراسلات الإدارية العثمانية في الولاية، أثناء القرن التاسع عشر. وهي الأوامر الكتابية الملزمة بالتنفيذ الصادرة في أغلب الأحيان عن والي الولاية وفي أحيان أخرى عن ديوان الولاية ممثلاً في مجلس الإدارة الذي يرأسه بالطبيعة والي الولاية<sup>(102)</sup>، استناداً إلى التنظيم الإداري العثماني الذي يجيز له إصدار الأوامر الولائية لإدارة وتسيير شؤون الولاية المحلية<sup>(103)</sup>، وبصدر الأمر الولائي محلياً أيضاً بناء على توجيهات مباشرة من رئاسة الوزراء العثمانية، ونلمس ذلك في خواتم بعض الأوامر ومنها الأمر الصادر سنة 1262 هـ (1846م) بشأن استرجاع محتويات سفينة إنجليزية نُهبت عند شواطئ الولاية، حيث جاء في أمر الوالي قوله: "صدر هذا الأمر الولائي بناء على أمر نامه سامي من طرف حضرت الصدر الأعظم"<sup>(104)</sup>.

وتتعدد القضايا والمناسبات التي يصدر فيها والي الولاية، ومجلس إدارته وأوامرهم الولائية، ابتداءً بتحديد مواعيد وكيفية تحصيل الضرائب، مروراً بالإعفاء من الضرائب، إلى تعيين وتقليد رؤساء الوحدات الإدارية المحلية من القائممقامين للإدارة الاقضية، ومدراء النواحي، وشيوخ القبائل، وحتى اعتماد اختيار وانتخاب أعضاء المجالس المحلية والبلديات وغيرها<sup>(105)</sup>، بالقدر الذي جعل هذا النوع من الإنشاء الديواني العثماني يتدخل في كل مفاصل الحياة الإدارية والأهلية في ليبيا، ومن أهم المتغيرات التي شهدتها الولاية في هذا العهد في تقديرنا، اختراق الأوامر الولائية للمنظومة الاجتماعية القبلية الليبية القديمة المتوارثة، كان أبرز مظاهر ذلك التغيير على الصعيد الاجتماعي اعتماد اختيار شيخ القبيلة، بعد أن كان شيخ القبيلة تفرزه الآليات الاجتماعية المتوارثة، وبعيداً عن تدخل السلطة الحاكمة حتى بداية هذا العهد، الذي حدث فيه التحول إلى ضرورة حصول شيخ القبيلة على أمر ولائي (بيورلدي)، أو شهادة تعيينه واعتماده من والي الولاية، التحول الذي ترتب عليه نقل شيخ القبيلة من ممثل للقبيلة المحلية في مواجهة السلطة، إلى ما يشبه الموظف الملحق والمؤتمر بأوامر الجهاز الإداري في الولاية.

فنون الإنشاء وأساليب الترسل الإداري العثماني في ليبيا  
ترجع أقدم الأوامر الولائية التي بين أيدينا إلى عهد الوالي (محمد أمين باشا  
1842-1847م)، أحد أهم الولاة المصلحين أو من (محبى الإصلاح)<sup>(106)</sup>  
الوالي الذي " أجرى التنظيمات الخيرية ورتب القضاة والمديريات  
واللواءات وأسس المجالس والأقلام والدفاتر"<sup>(107)</sup>، وغيرها من التحديثات  
الإدارية الجديدة في ليبيا التي استحق عليها "لقب المنظم الحقيقي للبلاد"<sup>(108)</sup>  
الذي منحه له المؤرخ محمود ناجي، ويدعم هذا القول الحصيلة الوثائقية من  
الأوامر الولائية التي أصدرها إلى مختلف مناطق الولاية؛ التي تتعلق بمختلف  
القضايا الإدارية والاجتماعية، ومنها ملف عهده الذي يحفل بالعشرات من  
مسودات ونسخ الأوامر الولائية الممنوحة إلى شيوخ القبائل اعترافاً، واعتماداً  
لمشيختهم، في مقابل تعهدهم بالولاء للسلطات العثمانية، وأداء الضرائب<sup>(109)</sup>  
وهي الأوامر التي لها خصوصيتها من التكوين الإنشائي، والأسلوب والألفاظ  
المخاطب بها الموجه إليه الأمر، وجل تلك الأوامر يشوبه الحضور القوي  
للهجة العامية الدراجة، وبعض المصطلحات الإدارية والمالية العثمانية كغيرها  
من المراسلات الإدارية، إلا أن الصيغ التي يستعملها هذا الوالي في مخاطبة  
عماله في الأقاليم، والمقاطعات المحلية صيغة مميزة، من خلال استهلال  
أوامره بصيغة الأبوة في مخاطبة مرؤوسيه من العمال، وتحديدًا صيغة (ولدنا)  
وصيغة (نجلنا العزيز).

ومن الأمثلة على ذلك رسالته الجوابية إلى قائمقام بنغازي صالح باشا الذي  
يخاطبه بصفته "ولدنا صالح باشا"<sup>(110)</sup>، أو في رسالته إلى أعضاء مجلس  
إدارة مديرية درنة، يقول فيها: "حضر لنا التقرير المقدم من جملتكم إلى نجلنا  
العزيز صالح باشا قائمقام بنغازي"<sup>(111)</sup>، وأحياناً "حضرت الأرفع ولدنا صالح  
باشا"<sup>(112)</sup>، وكذلك الأمر في مخاطبة قائمقام فزان جنوب الولاية<sup>(113)</sup>، وهو  
الأسلوب الإنشائي المميز لعهد هذا الوالي ولا نجده في العهود اللاحقة في  
كتابة الأوامر الولائية، مما أوقع عدداً من الباحثين في شرك تحليل النصوص  
الوثائقية، وتفسيرها تفسيراً سطحياً خاطئاً، ومنها دراسة (سالم المعلول)  
الموسومة بـ " نماذج من الرسائل المتبادلة بين كانم برنو وطرابلس

#### د. فاتح رجب قدراة

الغرب" (114)، اعتقد فيها الباحث بأن استخدام صيغ "ولدنا، أبنا" في مخاطبة قائمقام فزان كان دلالة وثائقية أنه ابن الوالي، الاعتقاد الذي قاده إلى اجتهاد أكثر انحرافاً عن محتوى الوثيقة، بأن يعقب على نص الوثيقة بالقول: "ويظهر اهتمام الدولة العثمانية بفزان واضحاً، ويعكس هذا الاهتمام أهمية الشخص المتولي لوظيفة القائمقام بحيث يجب أن تكون له علاقات مباشرة بالسلطة وعليه فإن الشخص المتولي هو ابن والي طرابلس نفسه" (115).

إلا أن المخاطب في هذه الرسائل هو (حسن باشا البلعزي) من أبناء الولاية واحد القيادات العسكرية ليوستف باشا القرماتلي، قبل أن يلتحق بالسلطات العثمانية الجديدة سنة 1835م (116)، أي من الليبيين وينحدر من قبيلة بلاعزة الزاوية، ويصفه الشيخ الطاهر الزاوي بقوله: "كان معدوداً من رجالات الزاوية ومقرباً من الترك يعتمدون عليه في حروبهم وقمع الثائرين عليهم" (117)، وهذا ما يفند أي ادعاء بأنه ابن والي الولاية، بل سبب اللبس في قراءة الوثيقة، يرجع إلى عدم معرفة الأساليب الإنشائية الديوانية العثمانية في تلك المرحلة التاريخية.

وقد يفسر سبب استخدام الوالي محمد أمين باشا لهذا الأسلوب التراسلي الذي فيه كثير من المودعة مع مرؤوسيه، أنه جاء إلى الولاية في أعقاب إخماد ثورتين من أعنف الثورات التي عرفت الولاية ضد الحكم العثماني، أي فترة تهدنته الأوضاع، ومحاولة استمالة واحتواء القوى الاجتماعية المحلية وضمان ولائها للسلطات العثمانية، واعتماد أسلوب تنصيب المشايخ بالأوامر الولاية، وهم المنصبين فعلياً على قبائلهم، ومن نماذج ذلك رسالته الجوابية إلى قائد منطقة بني وليد وسط الولاية، التي جاء فيها: "حضر لطرفنا مشايخ العمائم وقابلناهم بعين الرضا وجددنا لهم شياختهم والآن اتوجهو من طرفنا إلى محل وطنهم" (118).

بعد هذا العهد أخذت الأوامر الولاية طابعاً تقليدياً في الإنشاء الديواني العثماني، عبارة عن مقدمة طويلة من الإطناب وصيغ المبالغة في تضخيم وتعداد صفات المخاطب أو المخاطبين، ثم الانتقال إلى جوهر مضمون الأمر

فنون الإنشاء وأساليب الترسل الإداري العثماني في ليبيا  
الولائي من تعليمات وأوامر المخاطبين بالأمر، وخاتمة تحمل الوعيد  
والتهديد إذا ما تم مخالفة نص الأمر، وفي حالة أوامر التعيين تحت خواتم  
الأوامر توجيه المعين إلى ضرورة الالتزام بالقواعد والقوانين المتبعة  
والاهتمام بجباية الضرائب، ويمكن رصد ملامحها الإنشائية من خلال  
الأنماذج التالية:

### تنصيب شيوخ قبيلة:

فرضت طبيعة التكوين الاجتماعي الليبي في القرن التاسع عشر على  
الإدارة العثمانية نوعاً من المرونة القانونية من خلال تطويع وتكييف  
التنظيمات الجديد لاستيعاب المكونات الاجتماعية المؤثرة في الولاية من شيوخ  
القبائل، والأعيان والوجهاء، والفئات الاجتماعية التي لم يكن لها مكان في  
التنظيمات العثمانية الجديدة، لاسيما قانون الولايات لسنة 1864م التي  
استحدثت أغلبها اقتباساً من النظم الغربية الحديثة، خاصة التنظيم الإداري  
الفرنسي، وتم تطبيقها تجريباً في ولايات (الروملي) شرق أوربا العثمانية التي  
كانت نظمها الاجتماعية والحياتية تتواءم مع ذلك التنظيم الإداري، الذي اتسع  
ليشمل المدينة، والقرية، والشارع، وهذه لم يكن لها نظير في البيئة الجغرافية  
والاجتماعية الليبية، التي يغلب عليها التنظيم القبلي عدا بعض الاستثناء في  
المدن الكبرى، والتي كانت فيها القبيلة حاضرة أيضاً في الوسط الاجتماعي.

تعاملت التنظيمات العثمانية مع القبيلة كوحدة إدارية قائمة بذاتها ومنحتها  
صفة إدارية تشبه المقاطعة، مثل قائمقامية الحاسة، وقائمقامية البراعة في  
شرق الولاية حيث كان شيخ القبيلة هو القائم مقام أو مديراً لتلك الوحدة  
الإدارية<sup>(119)</sup>، وفي حالات أخرى نجد التنظيمات الإدارية تتعامل مع القبيلة  
كناحية إدارية وتُعد شيخها مديراً للناحية، وفي حالات كثيرة أخرى كانت  
القبيلة يتم التعامل معها كقرية، وهي الوحدة الإدارية الأصغر في الجهاز  
الإداري العثماني<sup>(120)</sup>، الأمر الذي تطلب انتخاب شيخ للقبيلة أو اختيار "ترشيح"  
الشخص الذي يجمعون عليه، ويحال إلى والي الولاية ومجلس إدارته ليصدر  
في حقه أمر ولائي باعتماده شيخ للقبيلة.

#### د. فاتح رجب قدراة

ومن تلك الأوامر، الأمر الولائي الصادر في 25 رمضان 1299هـ (12 أغسطس 1882م) باعتماد اختيار شيخاً لأحد قبائل الزاوية الغربية، جاء في مقدمته مخاطباً الجهاز الإداري المحلي بالقول: " قدوة الأمثال والأعيان قايمقام الزاوية ذو الحمية محمد بك كعبار والأعضاء زيد قدرهم أما بعد فإنه بموجب الانتخاب الوارد منكم والأكثرية صار نصب محمد بن مصطفى بن عمر شيخاً على قبيلة أولاد سالمة عوض المستعفي. فأعنه أيها القايمقام ما دام على الاستقامة وأجر إليه الدور على قاعدته وأنت أيها الشيخ أفده بما يلزم في وقته وتقيد بالحقانية والاستقامة واجتهد في تحصيل كافة العايدات الميرية بأوقاتها ... وانتم أيها القبيلة عليكم بالإتباع والاتحاد والتعاون والدعوات الخيرية لجناب الدولة العلية أدام الله ملكها وأعزها "(121).

#### انتخاب مختاري الشوارع والمحلات:

ويصدر الأمر الولائي أيضاً إلى حكام الأقاليم والمقاطعات الرئيسية، ومنها الأمر الصادر إلى قائمقام طرابلس مركز الولاية، يأمره فيه الوالي بانتخاب مختاري الشوارع، الكيفية التي تتم بموجبها عملية الانتخاب، جاء في مقدمة هذا الأمر الولائي: " فخر الأمراء الكرام ومعتمد الكبراء الفخام ذوي العز والاحتشام ميرميران الكرام قايمقام مركز ولاية طرابلس غرب ذو السعادة ولدنا عاصم باشا دام إقباله "(122).

كما يخاطب الولي القاضي بالقول: " قاضي قضات المسلمين واولات المتوحدين معدن الفضائل واليقين وارث علوم الأنبياء والمرسلين قاضي الولاية ذو الفضيلة مولانا السيد إبراهيم رشيد أفندي زيدت فضائله "(123).

#### الإعفاء من الضرائب:

وكانت السلطات العثمانية في القرن التاسع عشر تعول كثيراً على فئة الأشراف والمنتسبين للأولياء والصالحين وأصحاب الزوايا الصوفية بعدهم فئة مؤثرة في المجتمعات المحلية، بالقدر الذي جعل السلطات تعمد إلى التوسع في منح الإعفاء الضريبي لتلك الفئات الاجتماعية<sup>(124)</sup>، ويثبت هذا الإعفاء أو الميزة من خلال إصدار أمر ولائي من والي الولاية يشرح فيه مبررات منح الإعفاء، ومن ذلك الإعفاء الممنوح لأحد الأسر، المنحدرين من جدهم الولي

فنون الإنشاء وأساليب الترسل الإداري العثماني في ليبيا  
الصالح الذي له مزار وأصحاب الكرامات، فجاء في نص الأمر الولائي إن:  
"كافة أولاد الشيخ المزار ذو الكرامات والإسراء بحر السماح سيدي أحمد بن  
مريم\* نفع الله به وجميعهم معافون من أداء الأموال الميرية بأسرها وأنواعها  
ولذلك جدد لهم بتجديدهم فلا تكون مطالبتهم بشيء من الميري والأعشار مع  
الحرمة والرعاية والتعظيم لمكانتهم الماثورة وليداوموا على الدعوات الخيرية  
لجناب الدولة العلية وليكون العمل كذلك صدرنا البيورلدي من ديوان والي  
ولاية طرابلس غرب"(125).

إلى جانب أوامر التقليد والعزل، فإن أغلب الأوامر الولائية تتعلق  
وترتبط بالمسألة الجبائية بشكل مباشر أو غير مباشر، لأن الجبائية، وأنواع  
الضرائب كان يطرأ عليها تعديلات سنوياً، وتتطلب إصدار أوامر ولائية لتعيين  
الموظفين القائمين بعملية تقدير المحاصيل الزراعية وقيمة الضريبة عليها  
ويتجلى هذا في كثير من الأوامر الولائية(126).

### 3- ملاحظات ختامية:

من خلال هذه المحاولة الوثائقية للاقتراب من قضية الرسائل الديوانية في  
ليبيا، أثناء العهد العثماني، المحاولة التي اقتصرنا على الجوانب الفنية  
والتنظيمية في أدب إنشاء المراسلات الرسمية، وفن كتابتها، وآليات الاتصال  
الكتابي بين المرسل والمرسل إليه لتبليغ الأوامر والتعليمات والتعيينات  
العثمانية، كمدخل أساسي لأدب الترسل الديواني العثماني في ليبيا، بالرغم من  
الاعتراضات والتحفظات التي يبديها مؤرخو الأدب، في عد مدونات الحقبة  
العثمانية أدبا، بالنظر لما أنتج في هذه العهد من زاوية عصر انحطاط العربية  
وفنونها، الطرح الذي تجمع عليه الدراسات المتخصصة في الأدب العربي فإن  
المدخل التاريخي الذي استخدمناه يحيلنا إلى أن هذا الكم من الوثائق  
والمراسلات الديوانية تعبر عن روح العصر الذي دوت فيه، والأوضاع  
اللغوية السائدة بسلبياتها وإيجابياتها، وهي تكشف عن نحو ما علاقة الرعية  
بالسلطة الحاكمة ومضموناتها تتعلق بشؤون الحكم والرعية، وتعطي صورة  
حية مواكبة لأحداثها المحلية.

#### د. فاتح رجب قدراة

من أبرز الملاحظات ازدهار الكتابة الديوانية العثمانية وتعدد رسائلها ودواوينها الإنشائية في أثناء عهد التنظيمات العثمانية الجديدة، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الأمر الذي أدى إلى بروز مشكلة لغة تلك الدواوين بين اللغة التركية القديمة والعربية التي يتعامل بها رعايا الدولة فجرت عدة محاولات توفيقية للتواصل والاتصال الترسلية بين الإدارة والأهالي، وما ترتب على ذلك من تبلور لغة ديوانية محلية جمعت بين العربية، والأصل العربي المنحوت على الأسلوب التركي، وتعدد الألفاظ والمصطلحات الفارسية والتركية الموظفة في الكتابة الديوانية، بحيث تحمل رسائل ذلك العهد قيمة تاريخية كبيرة، أصلتها بواقع مجتمعا وموضوعات الحياة فيه، وما كانت تمر به الولاية من وقائع وأحداث، وكيفية تصريف أعمالها، بالرغم من تدني القيمة الأدبية لهذه الرسائل.

تتعدد القضايا وموضوعات المراسلات الديوانية العثمانية، من تولية الولاية أو عزلهم، وأخبار الولاية والتوجيه والمنشورات وما إلى ذلك من أعمال تصريف شؤون الدولة وتدبير إدارة هذه الولاية البعيدة مكانيا عن السلطة المركزية، بالقدر الذي جعل من الرسائل الديوانية الوسيلة الأهم في يد السلطان العثماني وسلطاته في السيطرة وتوطيد أدراتها في ليبيا، لاسيما من خلال أهم رسائلها الديوانية: الأوامر السلطانية، والولائية التي حاولنا الإطالة على ملامحها التكوينية الأساسية وأنوعها، والأغراض من هذا الإنشاء الديواني العثماني وما تتسم به من الإطناب والطول المستقيض، التي تعبر عن الذوق العام لذلك العصر.

الهوامش:

- - أصل هذه الدراسة مداخلة للباحث في المؤتمر الدولي: الكتابة والإنشاء وفنون الترسل الذي نظمه مخبر " النخب و المعارف والمؤسسات الثقافية بالمتوسط" بكلية الآداب والفنون والإنسانيات بجامعة منوبة. تونس، و انعقدت أعماله بمدينة سوسة خلال أيام في 22 و 23 و 24 نوفمبر 2013 .
- (1) إبراهيم خليل أحمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516-1916، جامعة الموصل، 1986، ص70-72.
- (2) تركي بن عجلان الحارثي، الوجود العثماني في تونس ما بين 1246-1298 هـ - 1830-1881م، مجلة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، العلوم الإنسانية والاجتماعية الرياض، العدد الرابع، رجب 1428هـ، ص15.
- (3) هاملتون جب، وهارولد بوون، المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة: أحمد عبدالرحيم مصطفى، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1971م، ج1، ص36-38.
- (4) أحمد عبدالرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، دار الشرق القاهرة، دت، ص116.
- (5) ينظر: الوثائق العربية في دار المحفوظات بمدينة دوبر وفنيك، نشرها: بسيم قرقوت، أعد الطبعة العربية، محمد الأرناءوط، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2008، ص105-124.
- (6) عمر علي بن إسماعيل، إنهيار حكم الأسرة القرمانيية، مكتبة الفرجاني، طرابلس 1966، ص165.
- \* الخازن دار : ممسك الخزانة، أو المسؤول عنها.
- (7) كولا فولايان، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القره مانلي، ترجمة: عبدالقادر المحيشي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس 1988، ص86.

(8) إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ترجمة: خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ط2، 1991، ص422-423.

\* اللغة العثمانية أو التركية القديمة تنتمي إلى اللغة التركية الغربية وتحديداً لهجة الأناضول التي أضحت لغة العثمانيين الرسمية، وقد تأثرت هذه اللغة عن طريق الإسلام باللغة الفارسية والعربية، وغدت اللغة الفارسية لغة الأدب والبلاط عند العثمانيين؛ واللغة العربية لغة الدين وأصول الأدب، فكان أكثر من ثلث اللغة العثمانية فارسياً أو عربياً، حيث دونت هذه اللغة بالحرف العربي وبهذا تميزت من التركية الحديثة المكتوبة بالحروف اللاتينية بعد إلغاء السلطنة العثمانية وإعلان الجمهورية وما صاحب ذلك من إعلان حركة "تطهير" اللغة القومية التركية من الألفاظ ذات الأصول العربية والفارسية. ينظر: محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1999، ص52؛ سهيل صابان، معجم الألفاظ العربية في اللغة التركية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 2005، ص16.

(9) محمد أمحمد الطوير، مقاومة الشيخ غومة المحمودي للحكم العثماني في إيالة طرابلس الغرب 1835-1858م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس 1988م، ص55-58.

(10) ينظر نص رسالة الشيخ غومة منشورة ضمن ملاحق كتاب: عمر على بن إسماعيل، انهيار الأسرة القرمانلية، مرجع سابق، الملحق رقم 70، ص543 مؤرخة في سنة 1268هـ (1852م).

(11) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس، مكتب دفاتر الأعشار العثمانية. وسوف يشار إليها في متن هذه الدراسة لاحقاً بالمختصر (د.م.ت.ط).

(12) محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة: عبدالسلام أدهم، ومحمد الأسطى، منشورات كلية الآداب بالجامعة الليبية، بنغازي، 1970، ص56.

(13) ينظر مجموعات الوثائق المتوفرة، دار المحفوظات التاريخية بطرابلس.

- (14) إسماعيل كولج، الورق وصناعة عند العثمانيين، ترجمة: سهيل صابان، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، العدد 2 - المجلد 3، ذو الحجة 1418 هـ - نوفمبر 1997 م، أبريل 1998، ص 42.
- (15) غيرهارد رولفس، رحلة عبر أفريقيا، مشاهدات الرحالة الألماني رولفس في ليبيا وبرنو وخليج غينيا 1865-1867، ترجمة: عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس 1996، ص 135.
- (16) يوسف أفندي الشلفون، ترجمان المكاتب، المطبعة الكلية، بيروت، ط 7، 1887 م، ص 2.
- (17) د.م.ب.ط، وثيقة غير مصنفة، عريضة من فزان بتاريخ 6 جمادي الأول 1262 هـ (3 مايو 1846 م).
- (18) د.م.ب.ط، تعليمات تخريص اعتبار الحبوب لسنة 1312 مالية (1896 م) بتاريخ 23 شوال 1313 هـ و 25 حارث 1312 مالية (7 أبريل 1896 م).
- (19) حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، ط 6، 1986، ص 1027.
- (20) شوفي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص 231.
- (21) الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، 1950، ص 12.
- (22) توفيق برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، 1908-1914، دار طلاس، 1991، ص 134.
- (23) ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، دار العلم للملايين، بيروت، ط 2، 1960، ص 173-174.
- (24) نص القانون الأساسي في ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 259.

- (25) نيكولاي ايليتش بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، منتصف القرن السادس عشر مطلع القرن العشرين، ترجمة: عماد حاتم، مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية طرابلس، 1991، ص58 وما بعده.
- (26) شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح الغربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة محمد عبدالكريم الوافي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ط2-1983، ص374.
- (27) ينظر الملحق رقم (70) في كتاب عمر علي بن إسماعيل، انهيار حكم الأسرة القرمانلية، مكتبة الفرجاني، طرابلس 1966، ص543.
- (28) د.م.ت.ط ملفات التعليم، رسالة من الوالي إلى استانبول حول المدرسة الرشدية، أواخر أغسطس 1867م.
- (29) د.م.ت.ط، وثيقة غير مصنفة، رد مجلس إدارة الولاية حول مطالبة أحد أعضائه باستخدام العربية بتاريخ 25 ربيع الآخر 1327هـ و2 ميس 1325 مالية (15 مايو 1909).
- (30) د.م.ت.ط، رسالة من الوالي أحمد راسم باشا إلى الصدر الأعظم رئيس الوزراء حول تعيين موظفين من استانبول للعمل في الولاية، بتاريخ 13 رجب 1300هـ 8 ميس 1299 مالية (21 مايو 1883م).
- (31) الوثائق العثمانية، المجموعة الأولى، ترجمة: محمد الأسطي، أعدها للنشر خليفة الدويبي، مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية طرابلس، 1990، وثيقة رقم 35، ص150 – 154.
- (32) أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي، دار الفرجاني، طرابلس، 1961، ج2، ص28.
- (33) أحمد النائب الأنصاري، المصدر السابق، ج2، ص28.
- (34) عبدالله علي إبراهيم، أثر النظم السياسية والإدارية في العلاقات الليبية العثمانية في القرن التاسع عشر، مساهمة ضمن أعمال مؤتمر العلاقات

- التركية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1982م، ج1، ص132.
- (35) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، مرجع سابق، ص227.
- (36) سالنامه طرابلس الغرب، مطبعة الولاية، الدفعة 12 لسنة 1885م.
- (37) د.م.ت.ط، وثيقة رقم 173 من متصرف فزان إلى والي الولاية بشأن تنفيذ أمر ضبط محصول التمر في الواحات الجنوبية، بتاريخ 14 ذي القعدة 1283هـ/ 23 كانون الثاني 1286 مالية (6 فبراير 1871م).
- (38) جوستاف ناختيجال، الصحراء وبلاد السودان، ترجمة عبدالقادر المحيشي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2007، ص318.
- \* الفرمان: أو الأمر السلطاني تجمع على: فرامين، وعند البعض على فرمانات.
- (39) د.م.ت.ط، ملف الأوامر الولائية، أمر ولائي إلى قائمقام فزان حسن باشا البلعزي بإضافة لقب "غازي" إلى ألقاب السلطان العثماني، د.ت.
- (40) د.م.ت.ط، ملف المراسلات المتبادلة بين مختلف الأقضية، عموم رقم 122 بشأن تعليمات غرف التجارة والزراعة، بتاريخ 24 محرم 1301هـ 12 تشرين الثاني 299 مالية (25 نوفمبر 1883م) يلاحظ الفارق الزمني بين صدور التعميم وتاريخ توزيعه في الإدارات المحلية.
- (41) د.م.ت.ط، مراسلات إلى عموم الولاية رقم 1463 بشأن اختيار وامتحان الكتبة المؤهلين بتاريخ 14 محرم 1294 هـ 17 كانون الثاني 1292 مالية (30 يناير 1877م).
- (42) د.م.ت.ط. وثيقة رقم 1295 ثمرة 23 توضيح من الولاية إلى قائمقام الزاوية حول ترجمة حال الموظفين بتاريخ 8 ربيع الآخر 1295هـ و29 و29 مارت 1294 مالية (10 أبريل 1878م).

- (43) د.م.ت.ط، وثيقة رقم 58 تقرير من قبل أحد أعضاء مجلس إدارة الولاية بتاريخ 25 نيسان 1325 مالية (8مايو 1909م).
- (44) ينظر تقديم على مصطفى المصراتي لكتاب: نفحات النسرین والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، لأحمد النائب الأنصاري، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1963، ص26-27.
- (45) الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، مرجع سابق، ص12.
- (46) الدستور العثماني، مصدر سابق، مجلد1، ص395.
- (47) الدستور العثماني، مصدر سابق، مجلد1، ص403.
- (48) د.م.ت.ط. المراسلات المتبادلة مع الأفضية وثيقة رقم 237 بتاريخ 24 جمادى الآخر 1292 هـ 15 تموز 1291 مالية (28 يوليو 1875م).  
\* يسمى مقيد أول تحريرات اللواء وهناك مقيد ثاني وثالث.
- (49) د.م.ت.ط. دفتر مباشرات موظفي فزان لأعمالهم بتاريخ 1- أيلول 1318 مالية (14 سبتمبر 1902م).
- (50) د.م.ت.ط. المراسلات بين عموم الافضية، رقم 100 بشأن تنظيم إعداد المراسلات بتاريخ 17 ربيع الآخر 1300 هـ 13 شباط 1298 مالية (16 فبراير 1883م).
- (51) د.م.ت.ط تعليمات من متصرف طرابلس الغرب (مركز الولاية) رقم 29 عموم، بشأن إعداد ترجمة الحال بتاريخ 12 جمادى الآخر 1300 هـ/7 نيسان 1299 مالية (20 أبريل 1883).
- (52) د.م.ت.ط. وثيقة رقم 2534، ملفات الشؤون الداخلية. ملف رقم 1 وثيقة رقم 17 بتاريخ 24 شوال 1315 هـ (18 مارس 1898م).  
\* الانتخاب في هذا السياق بمعنى الاختيار والتزكية.

- (53) د.م.ت.ط. ملف المراسلات مع قائممقامية الزاوية رقم 441، بشأن البحث عن كاتب، بتاريخ 26 شوال 1292هـ 14 تشرين ثاني 1291 مالية (26 نوفمبر 1875).
- (54) د.م.ت. وثيقة رقم 164 تعليمات في تحرير السندات الرسمية بتاريخ 25 محرم 1290هـ 11 مارث 1281 مالية (24 مارس 1873م).
- (55) رقم 59 تعليمات في توقيع المراسلات 14 جمادى الآخر 1297هـ 11 مايس 1296 مالية (24 مايو 1880م).
- (56) د.م.ت.ط. نموذج في كيفية إعداد الدفاتر الجبائية (دفتر يومية تخريص الأعشار).
- (57) د.م.ت.ط. ملف الأوامر الولائية، نموذج في كيفية استخراج التاريخ المالي من التاريخ الهجري.
- (58) د.م.ت.ط، تعليمات الأعشار لسنة 1891 بتاريخ 28 شعبان 1308هـ 27 مارث 1307 مالية (10 أبريل 1891م).
- (59) د.م.ت.ط، وثيقة غير مصنفة، رسالة من الوالي أحمد عزت باشا بتاريخ 10 شوال 1267هـ (11 أغسطس 1851م).
- (60) الطاهر احمد الزاوي، أعلام ليبيا، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ط1، 1961، ص163.
- \* الوالي حسن حسني باشا تولى الولاية خلال الفترة 1902-1904م.
- (61) الطاهر احمد الزاوي، أعلام ليبيا، المرجع السابق، ص340.
- (62) الطاهر احمد الزاوي، أعلام ليبيا، المرجع السابق، ص328.
- (63) الطاهر احمد الزاوي، أعلام ليبيا، المرجع السابق، ص219.
- (64) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة وثائق تحريرها واستقلالها، دار العيد، القاهرة، 2012، ص484-485.
- (65) الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، المرجع السابق، ص74.
- (66) محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة: عبدالسلام أدهم ومحمد الأسطي، منشورات كلية الآداب، الجامعة الليبية بنغازي، 1970م، ص7.
- العدد السابع عشر \_\_\_\_\_ 252 \_\_\_\_\_ مجلة كلية الآداب

(67) ملفات الشؤون الداخلية ملف رقم 2 وثيقة رقم 41 تقرير من متصرف لواء الخمس الوالي الولاية محمود ناجي يطلب تعيينه مدير التحريات في الخمس بتاريخ 1 رمضان 1323هـ 16 تشرين الأول 1321 مالية (29 أكتوبر 1906).

\* تتعدد صور رسم مصطلح الأمر السلطاني، فرمان Ferman : بان تجمعها الدراسات التاريخية على (فرمانات) وفي إحدى الدراسات اللغوية على (فرامين)، لذلك استخدمنا الرسم الأكثر شيوعا في الدراسات التاريخية، ومن حيث المعنى فإنه يعني الأمر السلطاني المكتوب في قضية من القضايا يتم تدوينه بالخط الديواني في الديوان الهمايوني في استانبول، ويشتمل عادة على الطغراء السلطانية، يقابله في الاستخدام المغاربي مصطلح "ظهير" أو "الظهير الشريف" أو الأمر المولوي الذي يصدر عن الملك ويشترط فيه حمل ختم الملكي بداخله.

(68) المادتين الثانية والثالثة من القانون الأساسي العثماني، مصدر سابق، ص4.

(69) محمد التونجي، عبقرية العرب في لغتهم الجميلة، المنشأة العامة، طرابلس 1982، ص221.

(70) مصطفى جواد، فرمان، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد الخامس والعشرون، الجزء الأول: 1 كانون الثاني 1950، ص150-151.

(71) ادھام محمد حنش، الخط العربي في الوثائق العثمانية، دار المناهج، عمان 1998، ص195.

(72) عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة: عبدالسلام أدهم، دار لبنان، بيروت 1969، ص145.

(73) حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية 1551-1832، تحقيق: محمد الأسطى، وعمار جحيدر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ط2، 2001، ج1، ص366.

- (74) سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص164.
- (75) محمد الطاهر عريبي، وثائق الرأي الحمراء بمدينة طرابلس، منشورات مصلحة الآثار، طرابلس، 1977، ص35.
- (76) د.م.ب.ط، رسالة إلى عموم الولاية من مجلس الإدارة حول فرمان بشأن تولية السلطان الجديد عبد الحميد الثاني السلطنة العثمانية بتاريخ 4 شوال 1293هـ - 10 تشرين الأول 1292 مالية (23 أكتوبر 1876م).
- (77) خلف الوديناني، الدولة العثمانية والغزو الفكري حتى عام 1327هـ/1909م منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2003-2، ص316-317.
- (78) الطاهر أحمد الزاوي، ولاية طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي، دار الفتح، بيروت، 1970، ص237.
- (79) د.م.ب.ط، سجلات المحكمة الشرعية بطرابلس، سجل سنة 1251هـ، نص فرمان السلطان العثماني بشأن أسباب التدخل العثماني المباشر في ليبيا بتاريخ أواخر ربيع الأول 1251هـ (يوليو 1835م).
- (80) نفس المصدر. وخاقان: لقب خاص بالسلطين العثمانيين يرجع إلى أصول صينية حيث كان يلقب به حكام الصين ثم المغول والتتار بعدهم قبل أن يرثه الترك.
- (81) نجم الدين غالب الكيب، فصول في التاريخ الليبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، 1982م، ص171.
- (82) نص فرمان السابق.
- (83) نص فرمان السابق.
- (84) د.م.ب.ط، ملف الأوامر السلطانية فرمانات، فرمان بتولية علي رضا باشا، بتاريخ 19 صفر الخير 1289هـ (29 إبريل 1872م).
- (85) شارل فيرو، الحوليات الليبية، مصدر سابق، ص706.

- (86) أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مصدر سابق، ج1، ص379.
- \* الأردوي أو اندرون الهمايوني: اسم يطلق على أحد أروقة قصر طوب قابي السلطاني في استانبول، الرواق الذي ينعقد فيه ديوان السلطان في الحالات الطارئة، وفي الاحتفالات. ينظر: حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص26.
- (87) نص فرمان السابق.
- (88) نص فرمان السابق.
- (89) هاملتون جب، وهارولد بوون، المجتمع الإسلامي والغرب، مرجع سابق، ج1، ص168.
- (90) نص فرمان السابق.
- (91) نص فرمان السابق.
- (92) نص فرمان السابق.
- (93) د.م.ط، ملف الأوامر السلطانية (فرمانات)، فرمان بمولد ابن جديد للسلطان العثماني عبد المجيد مؤرخ في أواخر شعبان 1258هـ (أوائل أكتوبر 1842م).
- (94) أورخان محمد علي، السلطان عبدالحميد الثاني، حياته وأحداث عهده، مكتبة دار الانبار، بغداد، 1987، ص83.
- (95) صالح كولن، سلاطين الدولة العثمانية، ترجمة: منى جمال الدين، دار النيل، القاهرة، 2011، ص311-313.
- (96) نص فرمان السابق.
- (97) نص فرمان السابق.
- (98) نص فرمان السابق.
- (99) نص فرمان السابق.
- (100) سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مرجع سابق، ص70.

- (101) مصطفى عبدالكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- (102) د.م.ت.ط، ملفات الشؤون الداخلية، ملف رقم 2، وثيقة رقم 34، جدول أعمال مجلس إدارة الولاية بتاريخ 12 ذي القعدة 1283هـ (19مارس 1867م)
- (103) الدستور العثماني، مصدر سابق، مجلد 1، ص400.
- (104) د.م.ت.ط. ملف الأوامر الولائية "البيورلدات" وثيقة رقم 1371. أمر ولائي إلى قائم مقام بنغازي بشأن استرجاع محتويات سفينة انجليزية نهبت شرق الولاية بتاريخ 25 شوال 1262 هـ (17 أكتوبر 1846م).
- (105) ينظر ملف الأوامر الولائية.
- (106) الطاهر احمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، مرجع سابق، ص13.
- (107) أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مصدر سابق، ج1، ص350.
- (108) محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، مصدر سابق، ص174.
- (109) د.م.ت.ط، وثيقة رقم 581 ملف عهد الوالي محمد أمين باشا، رسائل وأوامر سنة 1258-1259هـ (1842-1843).
- (110) المصدر السابق، رسالة بتاريخ 13 شعبان 1258هـ، ص10.
- (111) المصدر السابق، رسالة بتاريخ 13 شعبان 1258هـ، ص10.
- (112) المصدر السابق، رسالة بتاريخ 13 شعبان 1258هـ، ص11.
- (113) سالم محمد المعلول، نماذج من الرسائل المتبادلة بين كانم بربو وطرابلس الغرب في القرن التاسع عشر، ضمن أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا، زليطن 1988م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس، 1992م، ج2، ص1087.
- (114) سالم محمد المعلول، نفس المرجع، ج2، ص1102.
- (115) المرجع السابق نفسه

- (116) إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، مرجع سابق، ص432.
- (117) الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، مرجع سابق، ص99.
- (118) د.م.ت.ط. ملف عهد الوالي محمد أمين باشا رقم 581 رسالة بتاريخ شعبان 1258هـ، ص6.
- (119) د.م.ت.ط. ملفات العدل، المراسلات المتبادلة مع أفضية بنغازي سنة 1280هـ(1844م)
- (120) الدستور، مصدر سابق، مج1، ص417-419.
- (121) ملف البيورلدات، أمر ولائي يحمل رقم 1313، تنصيب شيخ قبيلة بالزاوية بتاريخ 25 رمضان 1299هـ (12 أغسطس 1882م).
- (122) ملف البيورلدات، نفس المصدر السابق.
- (123) د.م.ت.ط. ملف البيورلدات، نفس المصدر السابق
- (124) عقيل محمد البرباري الإعفاءات الضريبية في ولاية طرابلس الغرب، ضمن دراسات في تاريخ ليبيا الحديث، منشورات ELGA فاليئا، 1996، ص78.
- \* سيدي أحمد بن عبدالحميد اليربوعي الشهير ببحر السماح، حفظ القرآن بالزاوية الأسمرية ثم ارتحل إلى الشرق طلباً للعلم، وكان ذا كرامات وكشف وإطلاع، توفي سنة 979هـ (1571-1572م) ينظر أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مصدر سابق، ج1، ص212.
- (125) د.م.ت.ط. ملف الأوامر الولائية، أمر ولائي بإعفاء أسرة الشيخ بحر السماح من أداء الضرائب بتاريخ 20 شباط 1293 مالية (2 مارس 1878م).
- (126) د.م.ت.ط. أمر ولائي بتحصيل أعشار سنة 1291 مالية (1875م).

## أثر المناخ على زراعة أشجار الزيتون بإقليم الساحل الليبي

د. مفيدة أبو عجيل محمد بلق  
قسم الجغرافيا  
كلية الآداب بزواره - جامعة الزاوية

### مقدمة

تعد عناصر المناخ من أهم العوامل التي تؤثر على زراعة الأشجار المثمرة بإقليم الساحل الليبي فهي تتحكم في تحديد الأنواع والأصناف الممكن زراعتها في أية منطقة وتؤثر في مراحل نمو هذه الأشجار فهي تؤثر على نمو الساق والفروع والقدرة الكامنة للأشجار على تكوين البراعم الزهرية، وعلى الرغم من أن إنتاج الأشجار المثمرة يتناسب طردياً مع القدرة الإنتاجية للتربة إلا أن أصنافه وجودة ثماره تتوقف على مدى ملائمة الظروف المناخية السائدة لمراحل نموه فالمحاصيل يتناسب إنتاجها وجودتها مع تباين المناخ السائد والتربة.

تتمثل مشكلة البحث في أثر المناخ على زراعة الزيتون في إقليم الساحل الليبي ومن أهم الفروض المحتملة إن زراعة الزيتون في إقليم الساحل الليبي تتأثر بالظروف المناخية المتمثلة في الضوء والحرارة والرطوبة النسبية والأمطار والرياح.

تشكل الأشجار المثمرة نسبة 25% من إجمالي المساحة المحصولية في البلاد في سنة 2000، وعند مقارنتها مع سنة 1980 والتي كانت تمثل 18% من المساحة المحصولية نلاحظ أن مساحة الأشجار المثمرة قد تزايدت بنسبة 7% وتحل المساحة المزروعة بأشجار الزيتون أكبر نسبة من مساحة الأشجار المثمرة بالبلاد والتي تشكل 64% ثم تأتي بعدها أشجار النخيل بنسبة 22% من مساحة الأشجار المثمرة ويشغل العنب نسبة 5% والحمضيات 3% من مساحة الأشجار المثمرة، في حين لا تشغل باقي الأشجار المثمرة إلا ما نسبته 6% من مساحة الأشجار المثمرة ويدخل ضمن هذه المجموعة التين واللوز والخوخ والبرقوق

والمشمش والرمان والتفاح وغيرها، كما يختلف التوزيع النسبي لعدد الأشجار المثمرة بالإقليم حيث إن أكثر أنواع الأشجار المثمرة انتشاراً هي أشجار الزيتون بنسبة 28% من جملة عدد الأشجار المثمرة، في حين تبلغ نسبة أشجار العنب 20%، ثم أشجار النخيل والحمضيات بنسبة 10% لكل منها، وتشكل الأشجار الأخرى مثل اللوز والتين والرمان والتفاح والمشمش والبرقوق والخوخ وغيرها نسبة 32% من عدد الأشجار المثمرة بالإقليم.

يتباين توزيع الأشجار المثمرة بإقليم الساحل الليبي من منطقة إلى أخرى فتركز أشجار الزيتون والحمضيات والنخيل في المناطق الغربية والوسطى من الساحل أكثر من تركزها في المناطق الشرقية، كما تنتشر زراعة العنب بالمناطق الشرقية أكثر منها في المناطق الغربية والوسطى، وهذا التباين في التوزيع يرجع بالدرجة الأولى إلى نوع التربة والتي تكون مناسبة لبعض أنواع الأشجار وغير مناسبة للبعض الآخر، إضافة إلى تباين الظروف المناخية، والتي أثرت على توزيع أهم الأشجار المثمرة بالإقليم ولذلك تم اختيار موضوع البحث عن أشجار الزيتون.

تعد شجرة الزيتون من الأشجار المعمرة مستديمة الخضرة، ويتبع الزيتون العائلة الزيتية، وتعد شجرة الزيتون من أهم الأشجار التي عرفها الإنسان منذ القدم حيث أن تاريخها يمتد إلى أقدم العصور ويختلف العلماء في موطنها الأصلي فمنهم من يقول أنه أرمينيا أو آسيا الصغرى ومنهم من يقول أنه سوريا وفلسطين إلا أن أغلبهم يتفقون على أن الشرق الأدنى هو الموطن الأصلي لهذه الشجرة ومنه انتقلت لجنوب أوروبا وشمال أفريقيا وشرق آسيا(1).

وللزيتون عدة فوائد اقتصادية، حيث يستخلص من ثماره الزيت الذي يستعمل في الغذاء وفي تصنيع العديد من المستحضرات الطبية، ويمتاز زيت الزيتون عن بقية الزيوت النباتية باستخدامه في التغذية مباشرة دون تكريره وينفرد بطعمه ورائحته ولونه الخاص الأصفر المائل للاخضرار، كما يستعمل الزيتون في التخليل بنوعية الأخضر والأسود، وتحتوي ثمار الزيتون على نسبة 50%  
العدد السابع عشر \_\_\_\_\_ 259 \_\_\_\_\_ مجلة كلية الآداب

## أثر المناخ على زراعة أشجار الزيتون بإقليم الساحل الليبي

ماء، 22% زيت 1.51% أملاح معدنية، 19% مواد كربوهيدراتية، 5.84% سيليلوز 1.65% بروتين، ويحتوي اللب على 95% من الزيت الموجود بالثمرة والباقي موجود بالبذرة(2)، ومن فوائد شجرة الزيتون أيضا استخدامها كوقود في صور مختلفة، كما تستعمل مخلفات الزيتون بعد استخلاص الزيت (الفيتورة) كعلف للحيوانات.

وتمتاز شجرة الزيتون بملاءمتها مع أنواع مختلفة من التربة فهي تتحمل مساوى الأرض الرديئة التهوية بدرجة متوسطة، ولذلك يمكن للأشجار أن تنمو وتثمر في الأراضي الفقيرة غير العميقة(3)، ولا تناسبها التربة الرطبة والطينية الثقيلة وذات المستوى المائي المرتفع، وتوجد زراعة أشجار الزيتون في الأراضي الطميية الخفيفة العالية الخصوبة الجيدة الصرف، وتوجد أيضا بدرجة مرضية في الأراضي الرملية(4). تزرع أشجار الزيتون في إقليم الساحل الليبي تحت النظامين المروي والبعلى إلا أن أغلب زراعة الزيتون تتم تحت النظام البعلى وذلك لقلة مياه الري، وفي سنوات الجفاف يتدخل المزارعون بري الأشجار، وإن معظم المزارعين يقومون بإتباع الزراعة الكثيفة تحت أشجار الزيتون كزراعة محاصيل العلف والمحاصيل الحقلية الأخرى، كما يقومون بغرس أشجار الزيتون قاصدين بذلك استغلال الأرض والاستفادة من مياه الري، وتزرع في ليبيا أصناف عديدة من أشجار الزيتون فبعضها يعطي إنتاجاً جيداً والبعض الآخر يعطي إنتاجاً قليلاً، ومن أهم أصناف الزيتون التي تنتشر في ليبيا وتستعمل كزيت صنف قرقاش أوسلاتي، شماللى قصبات، حمودي، راسلي، فرانتويو، ناردو، زعفراني مونوبلى، مارينو، ومن أهم أصناف زيتون المائدة صنف جروسي دي أسبانيا جروسي دي سردينيا، ببلادي اسانيا، اسكولانا، كوكو سانت أوجستينو، كما تنتشر بعض الأصناف التي تستعمل استعمال مزدوج بين التخليل واستخراج الزيت وتذكر منها صنف زازي، موريلينو، كرايتنا، جابوحي، كارملتان(5).

إن أنسب موعد لزراعة أشجار الزيتون يتراوح بين شهري نوفمبر وفبراير ولكن يفضل الزراعة المبكرة تحت ظروف المزارع المطرية حتى ينتشر

المجموع الجذري الجديد خلال فترة الشتاء والربيع قبل أن تشتد حرارة الصيف وتسبب جفاف الغرس الجديد.

### المساحة والإنتاج

تنتشر أشجار الزيتون في جميع مناطق الساحل الليبي، وقد تعرضت مساحات هذه الأشجار في إقليم الساحل الليبي إلى تطورات على مر السنين ويرتبط ذلك أشد الارتباط بالظروف المناخية السائدة، وبالنظر إلى الجدول (1) والشكل (1) يتضح أن هذه الأشجار كانت تحتل مساحة تقدر بحوالي 32 ألف هكتار في سنة 1971، ثم أخذت المساحة تزداد زيادة مضطربة بعد ذلك حتى أصبحت 76 ألف هكتار في سنة 1974 وهذه الزيادة السريعة خلال الأربع سنوات ترجع إلى التوسع في زراعة الزيتون وإنشاء المشاريع الزراعية وقد أدخلت أشجار الزيتون من ضمن التركيبة المحصولية للمزارع في المشاريع الاستيطانية والمشاريع الأخرى مما زاد من المساحات المزروعة بأشجار الزيتون على مستوى البلاد، وبعد سنة 1974 توقف التوسع في زراعة أشجار الزيتون وظلت المساحة ثابتة دون زيادة تذكر حتى سنة 1980 حيث بدأ التوسع في زراعة الزيتون وخاصة بعد وصول مياه النهر الصناعي إلى المناطق الساحلية وبداية تنمية زراعية على مياه هذا النهر زاد الاهتمام أكثر بأشجار الزيتون وخاصة زيتون المائدة وأدخل في المشاريع المقامة على مياه النهر الصناعي حيث وصلت مساحة أشجار الزيتون في سنة 1990 إلى حوالي 129 ألف هكتار وهذا التزايد يبشر بمستقبل زاهر لانتشار شجرة الزيتون في ليبيا، وخلال هذه الفترة لم يظهر أي تذبذب في المساحة المزروعة، وإنما هي في ازدياد مستمر من سنة إلى أخرى.

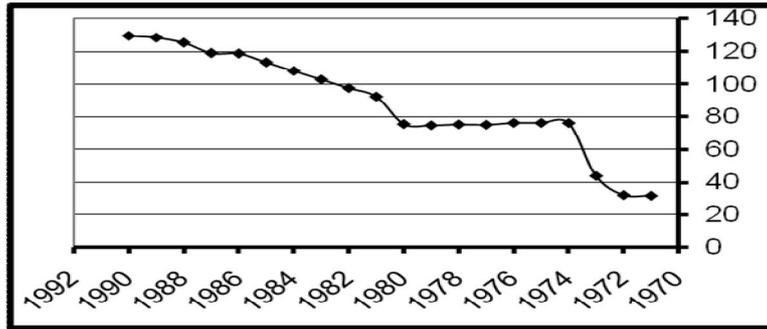
أثر المناخ على زراعة أشجار الزيتون بإقليم الساحل الليبي

جدول (1) مساحة أشجار الزيتون في ليبيا للفترة (1971-1990).

السنة	المساحة (ألف هكتار)
1971	32.100
1972	32.513
1973	44.120
1974	76.221
1975	76.277
1976	76.304
1977	75.126
1978	75.348
1979	74.828
1980	75.588
1981	92.478
1982	97.726
1983	102.974
1984	108.222
1985	113.470
1986	118.718
1987	119.000
1988	125.200
1989	128.225
1990	129.305

المصدر: صالح الأمين الأرباح، الأمن الغذائي، الهيئة القومية للبحث العلمي، 1996، ص 152.

ولا تكفي معرفة مساحة أشجار الزيتون، بل لا بد من معرفة عددها نظرا لاختلاف كثافة الأشجار في وحدة المساحة من منطقة لأخرى، وهذا يرجع إلى طبيعة زراعة أشجار الزيتون في البلاد حيث يزرع بتداخل مع أنواع أخرى من الأشجار المثمرة مثل الحمضيات والنخيل وغيرها، إضافة إلى زراعتها بشكل غير منتظم من حيث بعد الأشجار عن بعضها فهي تزرع بشكل متباعد لتتمكن المزارع من زراعة محاصيل حقلية في الأرض نفسها ليستغل مياه الري في ري المحاصيل من جهة وري الأشجار من جهة أخرى، وبلغ عدد أشجار الزيتون في ليبيا سنة 1974 حوالي 7262017 شجرة، وقد زادت أعدادها حتى وصلت إلى 7558840 شجرة في سنة 1980 وأخذت أشجار الزيتون في التناقص بعد هذه الفترة إلى أن وصلت إلى 5549006 شجرة في سنة 1995، ثم زادت بمعدل بسيط حتى بلغت 5679964 شجرة في سنة 2000 وبذلك فإن تطور عدد أشجار الزيتون يتطابق مع تطور المساحة المزروعة بهذه الأشجار، حيث إن مساحة وعدد أشجار الزيتون في تزايد من بداية السبعينات حتى نهاية التسعينات ثم أخذت المساحة وعدد الأشجار في التناقص حتى وقتنا الحاضر، وهذا التناقص يرجع إلى الجفاف ونقص كميات الأمطار من جهة والزحف العمراني من جهة أخرى.



شكل (1) مساحة أشجار الزيتون في ليبيا خلال الفترة (1971 - 1990)

## أثر المناخ على زراعة أشجار الزيتون بإقليم الساحل الليبي

ويتبين من الجدول (2) والشكل (2) أن أشجار الزيتون تتوزع بنسب مختلفة على مناطق الساحل، إذ يوجد أكبر عدد لأشجار الزيتون في إقليم زوارة حيث يبلغ عددها حوالي 899654 شجرة، وهي بذلك تحتل نسبة 15.8% من عدد أشجار الزيتون في البلاد، وتليها في الترتيب من حيث عدد الأشجار منطقة تاجوراء إذ يوجد بها حوالي 581020 شجرة وهي تحتل نسبة 10.2% من عدد أشجار الزيتون في البلاد، بينما تحتل منطقة المرقب الترتيب الثالث من حيث عدد أشجار الزيتون إذ يوجد بها حوالي 564948 شجرة وتشكل بذلك نسبة 9.9% من عدد أشجار الزيتون بالبلاد، ومما ذكر يتضح أن هذه المناطق الثلاثة تستحوذ على نسبة 36% من أعداد أشجار الزيتون في ليبيا، وتتركز أشجار الزيتون أكثر ما يكون بالمناطق الساحلية وتقل كلما اتجهنا جنوباً لأن أغلب زراعة الزيتون تعتمد على مياه الأمطار نظراً لنقص مياه الري ويزيد انتشار أشجار الزيتون في المناطق الغربية من الساحل عنها في المناطق الشرقية والوسطى، وتزيد في المناطق الوسطى عنها في المناطق الشرقية، ويرجع ذلك إلى توفر الظروف البيئية الملائمة من حيث التربة والمناخ.

جدول (2) عدد أشجار الزيتون والإنتاج في مناطق الساحل الليبي سنة 2000.

المنطقة	العدد	الإنتاج بالقطار
البطنان	10980	1131
درنة	965	188
القبة	3062	215
الجيل الأخضر	12961	334
المرج	25329	100669
الحزام الأخضر	13083	609
بنغازي	76594	5934

577	13747	أجدابيا
8778	223047	سرت
18308	117237	مصراته
105749	564948	المرقب
114348	581020	تاجوراء
117311	101541	طرابلس
99664	275852	الزاوية
134677	314759	صبراتة وصرمان
137825	899645	النقاط الخمس

المصدر: الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، التعداد الزراعي 2001،

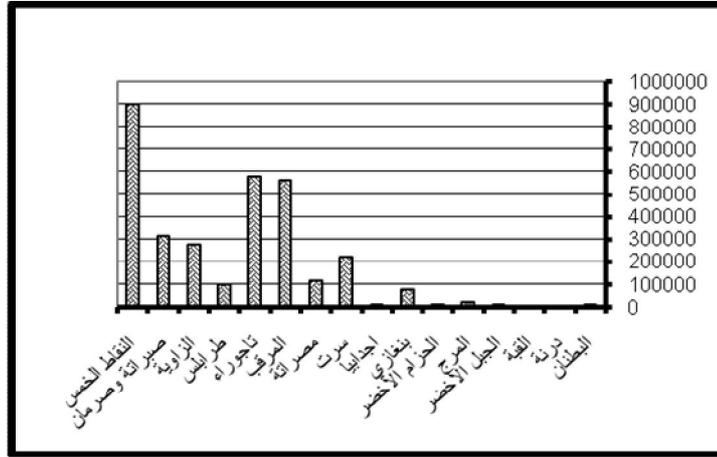
بيانات منشورة.

وعند التمعن في الجدول (3) والشكل (3) يتضح أن هناك تذبذب في الإنتاج من عام لآخر، كان أكثر إنتاجاً خلال هذه الفترة وصل إلى 275 ألف طن في سنة 1998، وبشكل عام فإن إنتاج الزيتون يسير نحو التناقص المضطرد بداية من سنة 1991، وعند مقارنة تطور الإنتاج بتطور عدد الأشجار يتضح أنهما يسيران في نفس الاتجاه، حيث يزيد الإنتاج مع زيادة عدد الأشجار ويقل الإنتاج بتناقص عدد الأشجار، هذا بالنسبة للاتجاه العام، أما بالنسبة لتذبذب الإنتاج من سنة لأخرى فيرجع إلى عدة عوامل أهمها المناخ وانتشار الأمراض والمعاناة \* وإن اختلاف الظروف المناخية من سنة لأخرى يؤثر في كمية الإنتاج وأخص بالذكر كميات الأمطار فهي تؤثر تأثيراً كبيراً على كمية الإنتاج نظراً لاعتماد معظم زراعة الزيتون على مياه الأمطار فيزداد الإنتاج ويصل أعلى حد له في السنوات التي تسقط فيها كميات أمطار وفيرة، في حين ينخفض الإنتاج إلى أدنى

\* المعاناة: هي صفة تتميز بها بعض أنواع الأشجار المثمرة كالزيتون وتعني أثمار الشجرة موسم وعدم أثمارها الموسم التالي.

## أثر المناخ على زراعة أشجار الزيتون بإقليم الساحل الليبي

حد له في السنوات قليلة المطر، كما تؤثر ظاهرة المقاومة وهي حمل الأشجار ثمارا كثيرة في سنة وقليلة أو قد لا تحمل في السنة التالية، سواء تلقت الأشجار كميات كافية من المطر أو لا ويمكن التغلب على هذه الظاهرة أو الحد منها بالعناية المناسبة بالأشجار وذلك بتقليم الأشجار في المواعيد المناسبة وعدم تأخير قطاف الزيتون، والعناية بتسميدها.



شكل (2) عدد أشجار الزيتون بمناطق الساحل الليبي في سنة 2000  
جدول (3) إنتاج الزيتون في ليبيا خلال الفترة (1986-2002).

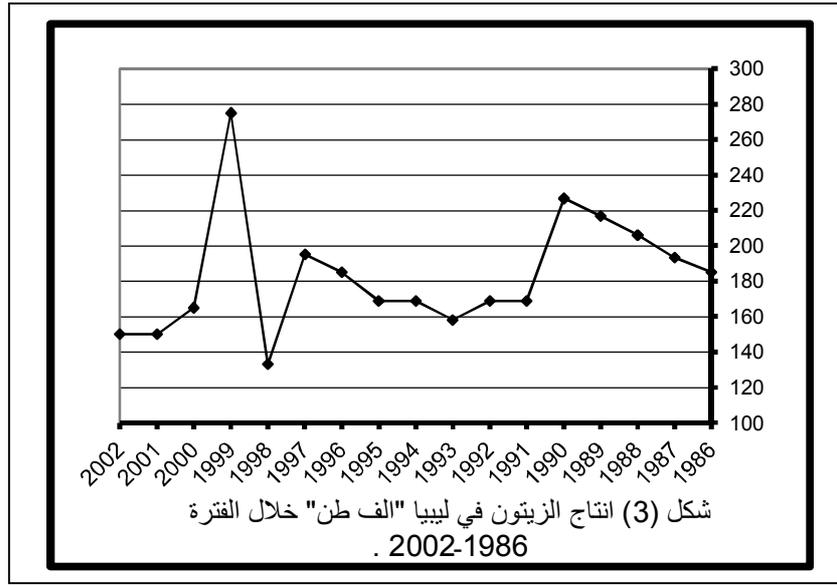
السنة	الإنتاج بالآلاف طن
1986	185.0
1987	193.3
1988	206.0
1989	216.7
1990	226.7
1991	168.8

د. مفيدة أبو عجيبة محمد بلق

168.8	1992
158.0	1993
168.8	1994
168.8	1995
185	1996
195.2	1997
133.0	1998
275	1999
165	2000
150	2001
150	2002

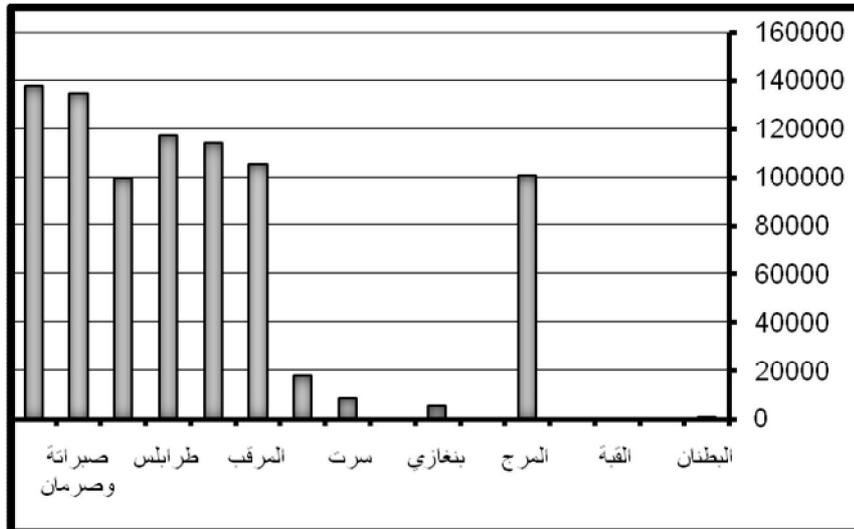
المصدر: الإدارة العامة للتخطيط الاقتصادي والاجتماعي، بيانات غير منشورة، 2003.

## أثر المناخ على زراعة أشجار الزيتون بإقليم الساحل الليبي



وبتتبع إنتاج الزيتون في ليبيا يتضح أن هناك تذبذب في الإنتاج يختلف من فترة إلى أخرى، ففي فترة الثمانينات أخذ الإنتاج في التزايد المستمر حتى بلغ 226 ألف طن سنة 1990، وفي فترة التسعينات يظهر شبه استقرار في الإنتاج مع زيادة قليلة، أما بالنسبة لإنتاج الزيتون على مستوى مناطق الساحل الليبي، كما هو مبين بالجدول (2) والشكل (4) فهو يتفاوت من منطقة إلى أخرى، حيث تعد منطقة النقاط الخمس أكثر مناطق الساحل إنتاجاً للزيتون سنة 2000، وقد بلغ الإنتاج بها حوالي 137825 قنطار وتأتي بعد ذلك منطقة صبراتة وصرمان، فيبلغ فيها إنتاج الزيتون خلال نفس السنة 134677 قنطار، وتعد المنطقة الغربية من الساحل أكثر مناطق الساحل إنتاجاً للزيتون وتليها المنطقة الوسطى ثم المنطقة الشرقية، وذلك لتركز انتشار أشجار الزيتون في المنطقة الغربية من الساحل نظراً لملائمة التربة من جهة والمناخ من جهة أخرى، وتعد منطقة المرج أكثر

المناطق الشرقية إنتاجا للزيتون حيث بلغ الإنتاج بها 100669 قنطار في حين لا تنتج درنة سوى 965 قنطار، والجبل الأخضر 334 قنطار. أما بالنسبة لإنتاجية شجرة الزيتون، فهي تزيد في المناطق المروية عنها في المناطق البعلية، حيث تتراوح الإنتاجية بين 8-25 كيلوجرام للشجرة في المناطق البعلية، في حين تتراوح الإنتاجية في المناطق المروية بين 50-90 كيلو جرام للشجرة، كما تتراوح نسبة الزيت بين 12-35% وذلك حسب الصنف ومدى العناية بالأشجار وموسم المطر(6). كما يؤثر عمر الشجرة في إنتاجها فأشجار الزيتون تبدأ بالإنتاج بعد 10-12 سنة من الغرس إذا كانت أصولها بذورا، وبعد 4-5 سنوات إذا كانت أصولها عقلا مجذره وتستمر في الإنتاج حتى تبلغ من العمر 200 سنة، ولكن أغزر إنتاج لها في الفترة من 15-50 سنة(7) ولذا يمكن القول بأن من أسباب انخفاض الإنتاج في بعض مناطق الساحل عمر الأشجار.



شكل (4) إنتاج الزيتون "قنطار" في مناطق الساحل الليبي سنة 2000

### أثر المناخ على أشجار الزيتون

يعتبر المناخ العامل البيئي الرئيسي الذي يؤثر في إنتاج أشجار الزيتون من خلال تأثيره على مراحل النمو الخضري والإزهار وكثافة ونضج الثمار ، وكذلك الإصابة بالأمراض، وأهم عناصر المناخ المؤثرة على أشجار الزيتون هي درجة الحرارة والضوء والرطوبة الجوية والأمطار والرياح، وفيما يلي شرح لتأثير هذه العناصر.

### 1- أثر الحرارة على أشجار الزيتون

تحتاج أشجار الزيتون إلى مناخ معتدل شتاءً وحار صيفاً وينطبق هذا على مناخ البحر المتوسط، وتنمو شجرة الزيتون ما بين خطي العرض 30-45 درجة شمالاً وجنوباً، ولكن بنسبة نجاح مختلفة بين هذه الخطوط(8)، ولشجرة الزيتون مدى من درجات الحرارة المثالية الذي تؤدي عنده وظائفها على الوجه الأمثل، إلا أن ذلك يختلف باختلاف مراحل نمو الأشجار، وتتميز مناطق زراعة الزيتون عموماً بمتوسط سنوي من درجات الحرارة يتراوح ما بين 15-20 درجة مئوية أما الدرجة المثلى لابتداء النمو هي 11-12 درجة مئوية، والحرارة العظمى يمكن أن ترتفع إلى 40 درجة مئوية دون إحداث أضرار، وتتأثر الأشجار بشكل كبير بانخفاض درجات الحرارة، فدرجة الحرارة الدنيا المطلقة يجب ألا تنخفض عن 5-7 درجات مئوية، إذ أنه تحت هذه الدرجات يمكن للصقيع أن يحدث أضرار واضحة بالأشجار، فالأوراق تموت عند درجة حرارة 14-17 مئوية، وتموت الشجرة عند درجة حرارة 19-20 مئوية(9)، وتختلف مقدرة أشجار الزيتون على مقاومة الحرارة المنخفضة باختلاف الصنف والعمر فالأشجار الكبيرة أكثر تحملاً لانخفاض الحرارة من الأشجار الصغيرة، كما تختلف درجة تأثر الأشجار بطول الفترة التي تنخفض فيها الحرارة وبحدة هذا الانخفاض، والرطوبة الجوية وسرعة الرياح وجفافها، ودرجة رطوبة التربة، حيث أن الأشجار المزروعة بالأراضي الرملية أكثر تأثراً بالانخفاض الحراري، كما تتباين أجزاء الشجرة الواحدة في تأثرها بالانخفاض الحراري، فتتأثر النموات الحديثة أكثر من غيرها

العدد السابع عشر \_\_\_\_\_ 270 \_\_\_\_\_ مجلة كلية الآداب

من أجزاء الشجرة الأخرى ، ورغم شدة حساسية الأزهار والعقد للانخفاض الحراري إلا أنها لا تتأثر به، نظرا لحدوث هذه المرحلة متأخره في شهر إبريل ومايو بعد انتهاء موجات البرد، ولذلك ينصح بعدم غرس الشتلات في تربة ذات درجة حرارة منخفضة لأن الغرس في بداية فصل الشتاء يعرضها لأضرار البرودة ، لذا فإن أفضل موعد للغرس هو نهاية فصل الشتاء وبداية فصل الربيع أي تبدأ عملية الغرس في النصف الثاني من فبراير وتستمر حتى نهاية شهر مارس.

وتدخل أشجار الزيتون في طور سكون نسبي إذا انخفضت الحرارة دون 12.8-10.9 درجة مئوية، وبذلك يدخل الزيتون في طور سكون نسبي في معظم مناطق الساحل الليبي في شهر يناير، وإن موسم ثمرة الزيتون طويل، وتحتاج فيه على الأقل من بداية التزهير حتى النضج حوالي ستة شهور، ويحتاج تكشف البراعم الزهرية في الزيتون إلى درجات حرارة منخفضة نوعا ما، وهو ما يحدث في ديسمبر ويناير وفبراير، حتى أن المحصول يتوقف على درجة البرودة التي تتعرض لها الأشجار في هذه الفترة، وبذلك فإن أشجار الزيتون تتطلب انخفاض درجة الحرارة عن 10 درجات مئوية في شهر يناير حتى يكون المحصول وفيراً وبالتالي فإن انخفاض معدل درجة حرارة شهر يناير بمناطق الساحل الليبي عن 14 درجة مئوية يناسب زراعة الزيتون وتعطي الأشجار محصولاً جيداً، وإن عدم توفر المتطلبات من درجات الحرارة المنخفضة لأشجار الزيتون لا يحدث أي تغيير أو تحول في البراعم الخضرية إلى الإزهار، كما إن عدد العناقيد الزهرية المتكونة على أشجار الزيتون يتناسب طردياً مع عدد ساعات البرودة السابقة للتزهير(10)، وتختلف أصناف الزيتون من حيث احتياجاتها من البرودة شتاء ويقدرها البعض ما بين 500-2000 ساعة من درجات الحرارة 7 مئوية أو أقل وما بين 400-600 ساعة من درجات الحرارة التي تقل عن 10 مئوية(11) وتحتاج أشجار الزيتون إلى حرارة أعلى من 20 درجة مئوية للإزهار(12) وتزهّر أشجار الزيتون في إقليم الساحل الليبي في الفترة من أواخر إبريل إلى

العدد السابع عشر \_\_\_\_\_ 271 \_\_\_\_\_ مجلة كلية الآداب

## أثر المناخ على زراعة أشجار الزيتون بإقليم الساحل الليبي

أوائل يونيو، وإن معدل درجة الحرارة بمناطق الساحل الليبي خلال هذه الفترة يزيد عن 20 درجة مئوية، وبذلك فإن درجات الحرارة المطلوبة لإتمام مرحلة التزهير في أشجار الزيتون متوفرة بشكل أمثل في مناطق الساحل الليبي. تقاوم أشجار الزيتون درجات الحرارة المرتفعة في فصل الصيف، وإن أفضل نمو لشجرة الزيتون يكون في المناطق التي ترتفع فيها الحرارة صيفاً إلى 37.7 درجة مئوية أو أكثر مع توفر الحرارة الملائمة في الفصول الأخرى (13) وعليه فإن معدل درجة حرارة فصل الصيف في مناطق الساحل الليبي يتراوح بين 24.5- 26.5 درجة مئوية، ورغم إن هذه المعدلات أقل من المطلوب إلا أن أشجار الزيتون في هذه المناطق تنمو نمواً جيداً وبالتالي فإن معدلات الحرارة خلال هذا الفصل مناسبة لنمو هذه الأشجار.

ويمكن لشجرة الزيتون أن تتحمل درجات الحرارة المرتفعة التي تتراوح بين 45-48 مئوية، ويمكنها تحمل درجة 50 مئوية إذا توفرت الرطوبة الكافية (14). وعليه فإن معدلات درجات الحرارة العظمى لأحر شهور السنة (أغسطس) بمناطق الساحل الليبي تتراوح بين 28-35 درجة مئوية، وهي بذلك تبقى أقل بكثير من درجة الحرارة الضارة بأشجار الزيتون، ويساعد التركيب المورفولوجي والتشريحي والفسولوجي لأوراق الزيتون على تحمل درجات الحرارة المرتفعة، وذلك بالحد من فقد المياه بالنتح، فتتقل الثغور عند ارتفاع درجة الحرارة عن 35 مئوية، ويساعد على ذلك صغر حجم الثغور ووجودها غائرة بين الزغب الذي يغطي السطح السفلي للورقة (15) ويؤدي ارتفاع الحرارة في مرحلة التزهير وعقد الثمار إلى تساقط نسبة كبيرة منها وخاصة إذا كانت الحرارة المرتفعة يرافقها انخفاض في الرطوبة الجوية أو رياح جافة كما يحدث عند هبوب رياح القبلي، كما يسبب ارتفاع الحرارة في المراحل المتأخرة من نمو الثمار نقصاً في حجمها وانكماشها، ولذلك ينصح بتوفير المياه بالتربة خلال هذه المراحل لتفادي هذه المشاكل.

أما بالنسبة لدرجات الحرارة المتجمعة اللازمة لنمو أشجار الزيتون فهي تتراوح بين 3500-3600 درجة مئوية للأصناف المتأخرة، وتمثل درجة 10 مئوية صفر النمو لأشجار الزيتون، وتحتاج شجرة الزيتون إلى 300 درجة مئوية لتجديد النمو في الربيع وإلى 230 درجة مئوية لبدء تفتح البراعم الزهرية، وإلى 829 درجة مئوية لبدء الأزهار، وإلى 3896 درجة مئوية لنضج الثمار (16)، وبذلك فإن متطلبات أشجار الزيتون من الحرارة المتجمعة خلال مراحل نموه المختلفة تتفق مع التوزيعات الحرارية في مناطق الساحل الليبي حيث إن درجات الحرارة المتجمعة خلال مرحلة الأزهار ونضج الثمار تبلغ في زوارة وسرت وبنغازي 3269، 3411، 3274 درجة مئوية على الترتيب، وتلائم هذه الدرجات احتياجات أشجار الزيتون من الحرارة المتجمعة.

## 2- أثر الضوء على أشجار الزيتون:

شجرة الزيتون من الأشجار المحبة للضوء بدرجة كبيرة، فعند توفر قدر كافي من الأشعة الشمسية تنضج الثمار في وقت واحد وبشكل مبكر، ويؤدي نقص الضوء اللازم لأشجار الزيتون إلى تأخير نضج الثمار، وبالتالي فإن الثمار المتكونة على الفروع الخارجية للشجرة تنضج قبل الثمار المتكونة على الفروع الداخلية في نفس الشجرة والتي تصلها كمية من الضوء أقل، كما يؤثر نقص الضوء على تكوين الكربوهيدرات وعلى التزهير، ولذلك ينصح بزراعة الأشجار على مسافات مناسبة وعدم تزارحها، كما ينصح بتقليم الأشجار لتحسين النظام الضوئي للأوراق، للحصول على زيت من النوعية الممتازة، ويراعى في المناطق شديدة الكثافة الضوئية أن يكون التقليم خفيفاً.

وتبلغ المعدلات الشهرية لعدد ساعات سطوع الشمس خلال مرحلة الإزهار ونضج ثمار الزيتون بمناطق الساحل الليبي ما بين 6-12.5 ساعة، وهي معدلات كافية لتوفير الضوء اللازم لإتمام عملية التزهير والنضج، وبالتالي الحصول على إنتاج جيد.

### 3- أثر الرطوبة الجوية على أشجار الزيتون:

تؤثر الرطوبة الجوية على زراعة أشجار الزيتون، حيث أن الرطوبة المرتفعة لا تناسب زراعة الزيتون، ويفضل دائما عدم زراعتها في المناطق عالية الرطوبة، لأن ارتفاع الرطوبة يجعل الأشجار عرضة للإصابة بكثير من الأمراض الفطرية والبكتيرية، سواء المجموع الخضري أو الثمار، كما يسبب ارتفاع الرطوبة الجوية أثناء فترة التزهير في سقوط الأزهار وتقليل العقد، في حين أن الرطوبة الجوية المنخفضة تزيد من عملية العقد، وبالتالي يزيد المحصول، ولذلك لا تزرع أشجار الزيتون قريبا من شاطئ البحر، ويفضل أن تبعد مزارع الزيتون عن ساحل البحر بحوالي 10 كيلومترات (17).

وتبلغ المعدلات الشهرية للرطوبة النسبية خلال مرحلة الإزهار ونضج ثمار الزيتون بمناطق الساحل الليبي ما بين 50-77% ، وهي معدلات لا تضر كثيرا أشجار الزيتون فهي تعطي إنتاجاً جيداً.

### 4- أثر الأمطار على أشجار الزيتون:

تعتمد زراعة الزيتون في إقليم الساحل الليبي على مياه الأمطار اعتمادا كبيرا، إذ تتركز زراعته في مناطق يتراوح معدل أمطارها السنوي ما بين 300-400 ملم كما في المناطق الشرقية من الساحل، وتنجح زراعة الزيتون أيضا في مناطق يتراوح معدل أمطارها السنوية بين 250-300ملم كما هو الحال في المنطقة الوسطى والمنطقة الغربية من الساحل، وفي حالة زراعة الزيتون في المناطق التي يقل معدل أمطارها السنوية عن 250ملم يتطلب نجاح زراعتها في هذه الحالة الاستعانة بالري التكميلي ويتوقف نجاح الزراعة المطرية للزيتون فضلا عن كمية الأمطار وتوزيعها على نوعية التربة ومقدرتها على تخزين مياه الأمطار والاحتفاظ بها لإمداد الأشجار بحاجتها من المياه أثناء موسم النمو في فصل الصيف.

وتعد زراعة الزيتون أحد الزراعات التي تجود وتتجح في المزارع المطرية أو الشبه جافة، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل تؤهل هذه الشجرة للنمو وتحمل

الظروف القاسية، وأول هذه العوامل طبيعة نمو وانتشار جذور هذه الأشجار حيث يتركز نشاط ونمو الجذور حتى العام الثالث والرابع من الزراعة في التعمق والنمو رأسيا في باطن الأرض لأعماق تتراوح من 6-8 متر، وتتفرع هذه الجذور لتشكل مجموعة من الجذور العرضية تمتد لمسافات بعيدة تصل إلى 10-20 مترا من الجذع الرئيسي، وهذا الانتشار لجذور الشجرة يمكنها من الاستفادة من مياه الأمطار بأكبر قدر ممكن، أما العامل الثاني فهو يكمن في الشكل المورفولوجي والتركيبة التشريحي لورقة الزيتون والذي يعطيها قدرة على تحمل الجفاف وذلك لانخفاض معدل نتح الأوراق خلال فترات الجفاف وهذا يقلل من الاحتياجات المائية للشجرة (18).

ولا يقتصر نجاح زراعة الزيتون على كمية المطر السنوية بل يتطلب حسن توزيعها على مدار السنة، فأمطار فصل الخريف المبكرة تفيد أشجار الزيتون في نفس السنة والسنة التالية، فهي تؤدي إلى زيادة حجم الثمار وارتفاع نسبة الزيت بها، وأما فائدتها لمحصول العام التالي فراجع إلى النمو الجيد لأغصان الربيع والصيف التي ستحمل ثماراً في العام التالي، وتبلغ معدلات أمطار فصل الخريف في زوارة، طرابلس مصراتة، سرت، أجدابيا، بنغازي، درنة، طبرق 99، 113، 97، 61، 26، 58، 28 76 ملم على الترتيب، وبذلك فإن كميات الأمطار توفر الحد الأدنى اللازم لنمو أشجار الزيتون خلال هذا الفصل في بعض مناطق الساحل كما في زوارة ومصراته ودرنة وفي مناطق أخرى مثل طرابلس توفر الأمطار كمية المياه المناسبة لنمو أشجار الزيتون خلال هذا الفصل، وفي الوقت نفسه لا توفر الأمطار الساقطة الحد الأدنى من المياه اللازمة لنمو أشجار الزيتون في مناطق أخرى مثل طبرق واجدابيا وبنغازي، وبذلك لا بد من توفير مياه الري لنجاح زراعة أشجار الزيتون في مثل هذه المناطق، كما تعد أمطار فصل الشتاء ذات أهمية كبيرة لأشجار الزيتون فهي التي تكون المخزون الأساسي لرتوبة التربة، كما تقرر أمطار شهر فبراير جودة الموسم، وتقلم الأشجار تبعاً لذلك فيكون التقليم جائراً إذا كانت الأمطار غير كافية ومتوسّطاً في السنوات الكافية العدد السابع عشر 275 مجلة كلية الآداب

## أثر المناخ على زراعة أشجار الزيتون بإقليم الساحل الليبي

وخفيفاً في السنوات الرطبة، وتبلغ معدلات أمطار فصل الشتاء في زوارة طرابلس مصراته، سرت، أجدابيا، بنغازي، درنة، طبرق 151، 152، 156، 95، 99، 169، 148، 86 ملم على التوالي، وبذلك فإن الأمطار توفر الحد الأدنى من المياه اللازمة لنمو أشجار الزيتون خلال هذا الفصل في بعض المناطق مثل زوارة وطرابلس ومصراته وبنغازي ودرنة، وفي مناطق أخرى مثل طبرق وسرت وابدابيا لا تكفي كميات الأمطار حاجة أشجار الزيتون، وبالتالي يتطلب ذلك الري التكميلي لضمان نجاح زراعة أشجار الزيتون في مثل هذه المناطق ولأمطار الربيع أهميتها أيضاً في حياة أشجار الزيتون لتزامن سقوطها مع مرحلة الإزهار وعقد الثمار، حيث تساعد أمطار شهر مارس على التزهير، وتقلل أمطار إبريل من خطر رياح القبلي الحارة الجافة التي تزيد من حاجة الأشجار للماء (19)، وتبلغ معدلات أمطار فصل الربيع في زوارة، طرابلس مصراته سرت، اجدابيا، بنغازي، درنة، طبرق 37، 48، 34، 21، 16، 35، 38 16 ملم على التوالي، وبذلك فإن كميات الأمطار الساقطة على جميع مناطق الساحل الليبي غير كافية لنمو أشجار الزيتون نمواً مثالياً خلال هذا الفصل، وهي لا تغطي إلا الحد الأدنى من احتياجات الأشجار، ولكي تنمو أشجار الزيتون نمواً جيداً وتعطي إنتاجاً وفيراً، ينصح بإضافة مياه الري.

وعلى الرغم من قدرة تحمل أشجار الزيتون للجفاف، إلا أنها قد تتضرر به ويتوقف مقدار الضرر على طول الفترة وعلى موعد حدوثها، وهناك فترتين حرجتين لنقص الرطوبة الأرضية، ويجب أن تؤخذ بعين الاعتبار عند زراعة الزيتون تحت النظام البعلّي، والفترة الحرجة الأولى هي الفترة التي تسبق التزهير والعقد، حيث تزداد حاجة الشجرة للماء، إلا أن هذه الفترة أقل خطورة من الثانية في المزارع المطرية لأنها تتزامن مع موسم سقوط الأمطار الشتوية باستثناء سنوات الجفاف التي يقل أو ينعدم فيها المطر خلال تلك الفترة، ويؤدي نقص الماء خلال هذه الفترة إلى سقوط الأزهار والعقد أما الفترة الحرجة الثانية وهي فترة تخشب أو تصلب نواة الثمرة، حيث تزداد الاحتياجات المائية خلالها، ويؤدي نقص

الرطوبة الأرضية خلال هذه الفترة إلى انخفاض المحصول ورداءة نوعيته (20). وتعد هذه الفترة من أهم المشاكل التي تواجه الزراعة المطرية للزيتون في إقليم الساحل لأنها تقع خلال شهر أغسطس وسبتمبر حيث ينعدم سقوط الأمطار وتشتد حرارة الجو، فتبلغ معدلات درجة الحرارة بمناطق الساحل الليبي ما بين 25-28 درجة مئوية.

تتعرض أشجار الزيتون إلى الظم أو العطش الشديد إذا لم ترو أو تسقط عليها أمطار كافية لفترة طويلة، ويظهر تأثير الظم على المجموع الخضري للشجرة ويكون بشكل اصفرار واضح أو احمرار وذلك حسب شدة الظم ويؤدي ذلك إلى جفاف الأوراق واحترق أجزاء من حوافها أو قممها، وبالتالي سقوطها وتبدأ الأفرع الصغيرة في الجفاف وتكون هشّة سهلة الكسر، وإذا استمر الظم مدة طويلة تجف نسبة كبيرة من الأغصان، خاصة تلك التي تعاني من إصابات حشرية أو فطرية، وتصبح الثمار صغيرة ومتجاعة مما يؤدي إلى تساقطها، ويؤثر ذلك على المحصول، كما يؤثر الظم على الموسم اللاحق، حيث تتكون نموات حديثة صغيرة وضعيفة، ويظهر موت لقمم الأغصان، وهذا يلاحظ كثيرا في الزراعات البعلية بمناطق الساحل الليبي.

##### 5- أثر الرياح على أشجار الزيتون:

تؤثر الرياح على أشجار الزيتون فيقل إنتاجها إذا ما كانت عرضة للرياح القوية وإن كان من المعروف أن أشجار الزيتون تعد من الأشجار المقاومة للرياح وتتسبب الرياح في انحناء الأشجار المزروعة حديثاً، مما يؤدي إلى صعوبة تربيتها وتوزيع الأفرع بصورة متوازنة في الجهات المختلفة، كما تسبب الرياح الباردة في حدوث الصقيع وما له من أضرار على الأشجار. أما الرياح الحارة الجافة فلها تأثيرها أيضا على أشجار الزيتون فعند هبوب هذا النوع من الرياح في فصل الصيف والخريف تؤثر تأثيرا كبيرا على أشجار الزيتون وخاصة إذا كانت هذه الأشجار قد تعرضت للجفاف قبل هبوبها، فتؤدي إلى إصابة الثمار باللفحة وتجف وتنكمش الثمار وتتساقط نسبة كبيرة من الثمار وتنكسر بعض الأغصان

## أثر المناخ على زراعة أشجار الزيتون بإقليم الساحل الليبي

وتصل الخسارة في بعض السنوات إلى أكثر من 10%. وأكثر الأشجار تعرضاً لهذه الخسائر هي الأشجار العالية والأشجار المفتوحة الوسط، وأكثر المناطق التي يزداد بها خطر هذه الرياح هي المناطق البعلية المنخفضة الأمطار ذات التربة الخفيفة، حيث تعمل الرياح على جرف التربة وتكشف جذور الأشجار، إضافة إلى ما تحمله الرياح من أتربة ورمال يتسبب في خدش وجرح الثمار والأوراق، وإن الثمار المتساقطة بفعل الرياح في بداية فصل الخريف أو قبله لا تصلح للتسويق وتتخفف فيها نسبة الزيت ولا تصلح إلا علفاً للحيوانات، كما تؤثر الرياح الشديدة على المظهر العام للأشجار، حيث تختلف الأشجار المحمية عن الأشجار المكشوفة في مظهرها العام فتكون الأشجار المكشوفة أقل في نموها الخضري من الأشجار المحمية وذات أوراق مصفرة وخشنة الملمس وأقل لمعانا مقارنة بالأشجار المحمية، ولتفادي أضرار الرياح على أشجار الزيتون ينصح بزراعة مصدات للرياح أو قد تزرع أشجار الزيتون متقاربة من بعضها نوعاً لتقليل أثر الرياح الشديدة على هذه الأشجار، ويجب مع ذلك ملاحظة الأضرار التي تترتب على الزراعة الكثيفة ونقص التهوية والإضاءة بين الأشجار وأثرها على التزهير والإثمار، ورغم هذه التأثيرات السلبية للرياح على أشجار الزيتون، إلا إن لها تأثيرات إيجابية عندما تكون الرياح ذات سرعة متوسطة، حيث تقوم بعملية التلقيح خلال فترة الإزهار، وتخفيف الحمل خلال الإثمار لكي تعطي الأشجار إنتاجاً جيداً.

وتبلغ المعدلات الشهرية لسرعة الرياح خلال فترة الإزهار ونضج ثمار الزيتون بمناطق الساحل الليبي ما بين 3-15 عقدة، وهي سرعات متوسطة لا تؤثر كثيراً عليها، وعندما تهب الرياح الشديدة في بعض السنوات تضعف إنتاجها وتكسرهما، وتعد رياح القبلي من أشد الرياح المؤثر تأثيراً سلبياً على أشجار الزيتون.

وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات التي تقلل من الآثار السلبية للمناخ على أشجار الزيتون وهي:

### أولاً:- النتائج:

- يقع الزيتون على رأس الأشجار المثمرة المزروعة في الإقليم ويمثل 64% من مساحة الأشجار المثمرة.
- يتذبذب إنتاج الزيتون من سنة إلى أخرى وذلك لاختلاف الظروف المناخية وخاصة الأمطار، ويصل الإنتاج إلى أعلى حد له في السنوات التي تسقط فيها أمطار وفيرة.
- تزيد إنتاجية شجرة الزيتون في المناطق المروية عنها في المناطق البعلية.
- إن احتياجات الزيتون من الحرارة والرطوبة تتلاءم مع ما هو سائد في منطقة الدراسة.
- إن المعدلات الشهرية لعدد ساعات سطوع الشمس كافية لتوفير الضوء اللازم لإتمام عملية التزهير والنضج لمحصول الزيتون.
- تعتمد زراعة الزيتون بمنطقة الدراسة على مياه الأمطار مع الاستعانة بالري التكميلي.
- لا تؤثر الرياح المتوسطة السرعة على أشجار الزيتون خلال فترة الأزهار والنضج.

### ثانياً: التوصيات:

- التوسع في إنشاء محطات الأرصاد الجوية.
- القضاء على مشكلة توقف محطات الأرصاد عن العمل.
- الاهتمام بقياس درجة حرارة التربة على مستويات مختلفة لأهمية هذه المعلومات في الدراسات الزراعية.
- التوسع في زراعة أشجار الزيتون لملائمتها للظروف البيئية وخاصة نقص المياه.
- إعادة تشجير البساتين كبيرة السن ذات العائد الاقتصادي الضعيف والعناية بها دون إهمالها.

الهوامش:

- 1\_ محمد على سعيد، دراسات عن مرض العقد الدرنية على الزيتون والرتم والدفلة (رسالة ماجستير) جامعة الفاتح، مركز البحوث الزراعية، وحدة بحوث الوقاية، طرابلس، 1987، ص.1
- 2\_ سالم منصور عبد الصادق، دراسة الصفات الطبيعية والمورفولوجية لأصناف الزيتون النامية بمنطقتي مسلاته وترهونة (رسالة ماجستير) جامعة الفاتح، كلية الزراعة، قسم البستنة، طرابلس، 2003، ص.2
- 3\_ سارة منيمة، الأشجار المثمرة في لبنان: دراسة في الجغرافيا الاقتصادية (رسالة ماجستير) جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، القاهرة، 1973، ص.396
- 4\_ محمود موسى أبو عرقوب، الزيتون، المكتبة الأكاديمية، 1998، ص.69
- 5\_ منيرة ظافر بك درنة، مشاكل زراعة العنب في الجماهيرية الليبية، مركز البحوث الزراعية، ليبيا، 2002، غير منشور.
- 6\_ المرجع السابق.
- 7\_ إبراهيم موسى محمد الزقراطي، أثر المناخ على الزراعة في الضفة الشرقية للأردن (رسالة ماجستير) جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، القاهرة، 1978، ص.204
- 8\_ محمد منير محمد، وآخرون، فاكهة المناطق الصحراوية، جامعة القاهرة، القاهرة، 1992، ص.36
- 9\_ بشار جعفر، الزيتون، دار المعرفة، دمشق، 1993، ص.42
- 10\_ محمود موسى بو عرقوب، 1998، مرجع سابق، ص.68
- 11\_ محمد منير محمد، وآخرون، 1992، مرجع سابق، ص.40
- 12\_ إبراهيم موسى محمد، 1978، مرجع سابق، ص.191
- 13\_ المرجع السابق، ص.191

- 14\_ منصور نصر على اللوح، أثر المناخ على الزراعة في الضفة الغربية: دراسة في الجغرافيا (رسالة ماجستير) جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، قسم الجغرافيا، القاهرة، 1993، ص.165
- 15\_ محمد منير محمد، وآخرون، 1992، مرجع سابق، ص.38
- 16\_ منصور نصر على اللوح، 1993، مرجع سابق، ص.165
- 17\_ محمد منير محمد، وآخرون، 1992، مرجع سابق، ص.44
- 18\_ محمد أسامة سالم، وآخرون، الزراعة المطرية والتنمية بالصحاري الساحلية، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1992، ص.277
- 19\_ إبراهيم موسي محمد، 1978، مرجع سابق، ص.194
- 20\_ محمد أسامة سالم، وآخرون، 1992، مرجع سابق، ص.280.

## دور شبكات النقل البري في التنمية السياحية بإقليم سهل الجفارة

د. مصطفى أحمد الفرجاني  
قسم الجغرافيا  
كلية الآداب زواره - جامعة الزاوية

### مقدمة

أصبحت التنمية السياحية من الموضوعات المهمة المطروحة في الآونة الأخيرة وذلك بغية النهوض بمستوى البلاد حضارياً واقتصادياً من خلال التعريف بالمعالم الحضارية بها ، ولا شك أن لذلك ما يبرره من وجوه متعددة ، أبرزها أن المواطن الليبي ظل محروماً من الخدمات السياحية ، ولم يجد الاهتمام الذي يتناسب مع وجود الإمكانيات الهائلة والمعدات الأساسية التي تجعل من التنمية السياحية مزدهرة خاصة في وجود النفط كثرة أساسية للبلاد وقد دفع هذا الأمر الى عدم الاهتمام المأمول بالتنمية السياحية بالمدن الساحلية لإقليم سهل الجفارة .

ولما كانت شبكات النقل تسعى إلى النهوض بالسياحة عامة سواء أكانت داخلية أم خارجية ، فكان من البديهي أن التنمية السياحية تحظى بالاهتمام والأولوية نظراً لما تمثله من أهمية للاقتصاد الوطني .

وفي إطار الاهتمام بالتنمية السياحية يأتي هذا البحث، ليسلط الضوء على دور شبكات النقل في التنمية السياحية بمنطقة سهل الجفارة (دراسة ميدانية) ويأمل الباحث أن يسهم هذا البحث في النهوض بالتنمية السياحية بالإقليم خاصة والبلاد عامة وأن يكون حلقة من سلسلة متتابعة من البحوث والدراسات التي اهتمت بشبكة النقل في بلادنا وبالتنمية السياحية .

وعلى الرغم أن السياحة بليبيا حديثة العهد، إلا إنها ظاهرة اجتماعية وإنسانية منذ قديم الزمان . فمنذ القدم عاش الانسان في حركة مستمرة بين التنقل و الترحال بحثاً عن أمنه واستقراره أو سعياً للحصول على قوت يومه يبحث عن الكأ والعشب والماء طالباً التحرر من قيود بيئته و متطلعاً إلى التعلم و الترحال واكتساب المعرفة، فتحوّلت هذه الظاهرة إلى حركة ثقافية

واجتماعية وسياحية غايتها الترويج عن النفس و ممارسة مختلف الأنشطة،وبذلك اكتسبت هذه الظاهرة مفهوماً جديداً و تطورت حتى أصبحت علماً له نظرياته ومقوماته ومجالاته، و أسسه وقواعده التي يقوم عليها كأى علم آخر.

وقد أصبحت السياحة صناعة مركبة من الصناعات الحديثة التي عرفتها دول سياحية كان لها السبق فى هذا الجانب وحقت فيها تقدماً كبيراً مثل أسبانيا، وسويسرا، و ايطاليا، و بريطانيا وغيرها من الدول المتحضرة لذلك أصبحت للسياحة دور هام، له أبعاد كبيرة وعديدة فى حياة الأمم والشعوب سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وبدأت تتحدى كثيراً من المشكلات التي تواجهها،ونظراً لاهميتها فقد أنشئت من أجلها المنظمات الدولية والإقليمية والمراكز المتخصصة التي ترفع شؤونها و تهتم بتطورها بغية الارتقاء بها وتنشيطها وتطويرها حتى تكون وسيلة من وسائل الإيرادات المالية ووسيلة لنقل ثقافة وحضارة الدول، ناهيك عن كونها وسيلة ترفيهية وعنصر من عناصر الثقافة لذلك لم تعد السياحة فى يومنا هذا مجرد نشاط ترفيهي، بل صناعة لها أبعادها وأهدافها فى المساهمة فى الدخل القومي والتنمية الاقتصادية .

بيد أن الدراسات الجغرافية التي تناولت السياحة كمنشأ اقتصادي لا زالت فى طور الحداثة والتجديد وليس أدل على ذلك تعدد التعريفات لمصطلح السياحة،فمن الباحثين من يرى السياحة نوع من العلاقات والظواهر الناجمة عن السفر والرحلات والإقامة المؤقتة للأفراد، بغرض قضاء وقت الفراغ بصورة ممتعة، أو لأغراض أخرى مختلفة كالاستجمام والاسترخاء، أو لزيارة المواقع الأثرية، والمناطق التاريخية والحضارية ذات الجذب السياحي والتعرف على نمط من أنماط الحياة المختلفة فى مناطق أخرى، أو التعرف على جماعات بشرية تختلف فى أسلوب ونمط حياتها . وهناك من الباحثين من اوجز مفهوم السياحة فى أنها كل العمليات التي تتعلق بدخول واقامة وانتشار الاجانب داخل وخارج منطقة معينة فى اى دولة (1).

### أهداف البحث:

- يسعى الباحث من خلال هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:
- 1- الوقوف على واقع الجهود التي تبذل وإيجاد آليات لتعزيزها بمدن الإقليم ذات الجذب السياحي لتحقيق أهداف التنمية السياحية .
  - 2 –الإشارة الى دور شبكات النقل بالإقليم في إنجاح برامج التنمية السياحية في الإقليم .
  - 3- الوقوف على طبيعة المعوقات التي تواجه أو تحد من فعالية المقومات السياحية بالإقليم في إنجاح البرامج السياحية وتحقيق أهدافها .
  - 4 – لفت انتباه صانعي القرار بالدولة إلى ما يصل إليه البحث من نتائج . ويقدمه الباحث من اقتراحات للنهوض بصناعة السياحة في الإقليم محل الدراسة.

### أهمية البحث:

- وتتمثل أهمية الدراسة في الآتي:
- 1- حاجة المجتمع الليبي لمثل هذه الدراسات العلمية للنهوض بقطاع السياحة وتسلط الضوء على المعوقات والعراقيل التي تعترض النهوض به، حتى يكون رافداً من روافد اقتصاد الدولة
  - 2 - إظهار أهمية شبكات النقل، ومحاولة إسهام هذه الدراسة بما يفيد لإبراز إمكانات السياحة على المستويين المحلي والدولي.
  - 3 - الإسهام في دعم عملية التنمية السياحية في منطقة الدراسة خاصة من خلال النتائج والتوصيات والمقترحات التي يعرضها الباحث
  - 4 - وضع خطة مستقبلية للسياحة، وتحديد المرافق السياحية والمرافق العامة اللازمة لحجم السياحة المتوقعة

### منهج البحث:

تفرض طبيعة موضوع هذا البحث ، وتحقيقاً لأكبر قدر من الفائدة والوصول إلى نتائج دقيقة استُخدم أكثر من منهج، لذلك استخدم الباحث المنهج الموضوعي المتمثل في دراسة الظاهرة السياحية في إقليم سهل الجفارة وكذلك المنهج الإقليمي في تحليل التوزيع الجغرافي للمنشآت السياحية في الإقليم

وتتبع مدى ارتباط ذلك بكل من ملامح البيئة الطبيعية، والظواهر البشرية والاجتماعية، وأنماط السياحة، وأثر الظروف الجغرافية في ذلك، ونتائج النشاط السياحي في الإقليم كما تطلب هذا الموضوع استخدام عدد من الأساليب مثل: الأسلوب الوصفي والتحليل والكمي وقد تم تجميع البيانات والمعلومات الخاصة بالدراسة عن

طريق مجموعة من الوسائل التي يوفر كل منها جانباً مهماً يدعم أركان البحث وفقاً للأسلوب العلمي وما تقتضيه مناهج البحث الجغرافي .

#### أسباب اختيار موضوع الدراسة:

إن حداثة عملية السياحة من الأسباب التي دفعت الباحث إلى اختياره، والخوض في سماته من منظور جغرافي بالرغم من العقبات والمشكلات، ونقص الإمكانيات، فمن نظر الباحث لم ينل هذا الموضوع في بلادنا الاهتمام المرجو والمأمول من الكتابات يتوافق مع أهميته، مع تقدير الباحث لكل الجهود التي بذلت من كل الباحثين والدارسين والخبراء في هذا الإطار، ومن قناعة الباحث توافر المقومات سياحية بليبيا خاصة لو وضعت لها الدولة كافة الإمكانيات حتى يكون النشاط السياحي وسيلة ورافداً من الدخل العام للدولة، وهناك أسباب أخرى دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع للدراسة يمكن إيجازها في النقاط التالية:

- 1 - الاهتمام بهذا النوع من الدراسات الذي من شأنه أن يساهم مساهمة فاعلة في عملية تخطيط التنمية السياحية .
- 2 - يعد قطاع السياحة في رأى الباحث أحد القطاعات الهامة، التي تساهم في مواجهة الأعباء الاقتصادية المتزايدة .
- 3- لشبكة الطرق في إقليم سهل الجفارة دور واضح في التنمية السياحية ويرى الباحث ضرورة توجيه الأنظار اليه ومعالجة المشكلات والمعوقات التي تواجهه، اضافة الى توضيح الدور الذي تقوم به شبكات النقل البري في اتجاه النمو السياحي بالإقليم.

### الموقع الجغرافيا لإقليم الدراسة:

تقع منطقة سهل الجفارة في الجزء الشمالي الغربي من ليبيا، وتعد من أكثر الأقاليم كثافة للسكان، حيث تضم حوالي (40 %) من مجموع سكان البلاد . وقد اكتسبت المنطقة خاصة في مدنها الساحلية أهمية كبيرة متمثلة في موقعها في شمال غرب البلاد مما يجعلها تمثل منطقة سياحية هامة، كما تربط شبكة طرق النقل البري بالمناطق السياحية في الجنوب الليبي امتداداً نحو مدن درج وغدامس وغات مروراً بالمدن السياحية الجبلية مثل نالوت ويفرن وجادو، وهناك العديد من الأنشطة التي تعتمد عليها السياحة، متمثلة في النقل والصناعات التقليدية والخدمات المختلفة والتي لها الدور البارز والحيوي في حجم وكثافة الحركة السياحية ونموها بالإقليم .

ويعد عامل النقل سبباً من أسباب قيام صناعة السياحة وازدهارها ونتيجة لها في الوقت نفسه، فبواسطة الطريق يتم توفير متطلبات أنشطة السياحة والترويج في المكان المقصود<sup>(2)</sup>. كما يعتبر النقل ركناً أساسياً من أركان السياحة، فلا يكتب لأي مشروع سياحي النجاح بدون توفر عنصر النقل فلا سياحة بدون نقل<sup>(3)</sup>.

ومعنى ذلك ان لوجود طرق النقل المختلفة اهمية كبيرة في إنجاح التنمية السياحية، وجلب السواح للمنطقة السياحية والعكس صحيح، حيث ان صعوبة النقل والمواصلات يدفعان السائح إلى الإحجام عن السفر إلى مثل هذه المناطق، وابدالها بمواقع سياحية اخرى، قد تكون أقل أهمية للسائح من الأماكن التي يرغبها<sup>(4)</sup>.

وقد انعكس هذا على شبكات النقل البري بالمنطقة من حيث تطورها وربط مدنها وقراها مع بعضها البعض، لتسهيل حركة النقل السياحي من داخل الإقليم وخارجه. ويهدف الباحث إلى دراسة شبكات النقل البري بالمنطقة وأثرها في التوزيع الجغرافي للمراكز العمرانية من حيث توزيع المناطق السياحية ومدى ارتباط توزيعها بتلك الشبكة من الطرق، وتضم منطقة سهل الجفارة عدداً كبيراً من المراكز السياحية ما بين مدن أثرية وأسواق شعبية

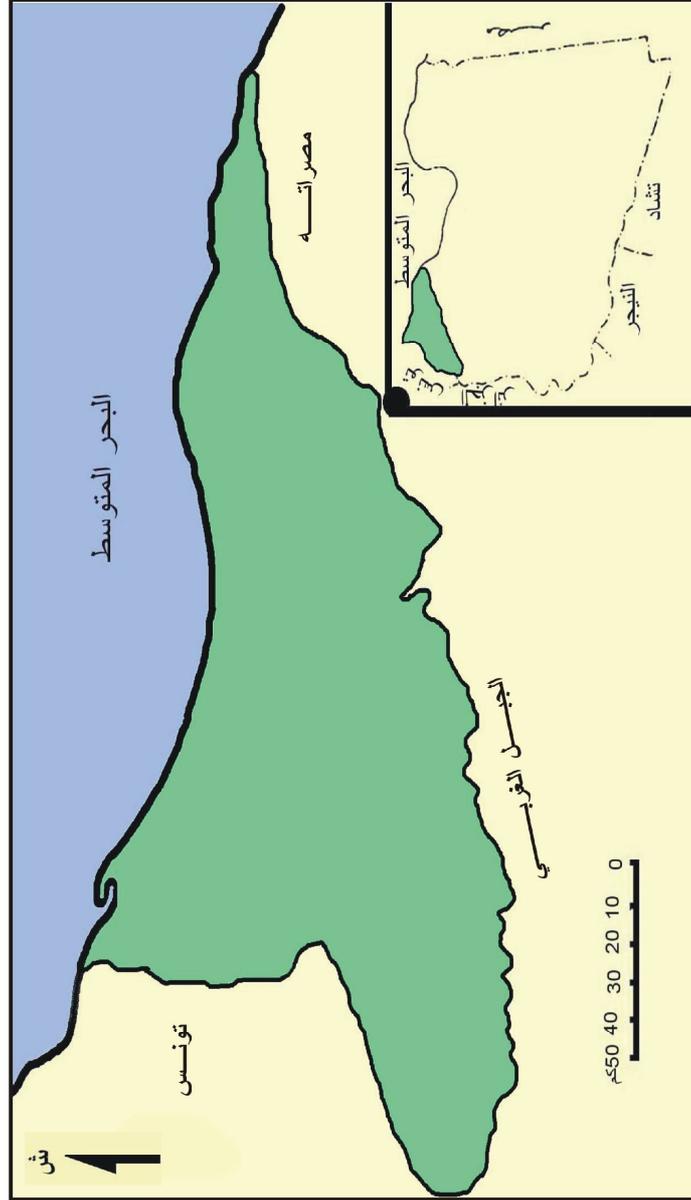
ومناظر طبيعية تمثل مراكز سياحية في عدد من المدن بدءاً من الخمس شرقاً حتى زوارة غرباً مروراً بكل من طرابلس وجنزور والزاوية وصبراتة. وتعود أهمية شبكة طرق النقل البري بمنطقة سهل الجفارة إلى أهمية الموقع الجغرافي، فهو يعد مؤثراً مع الظروف المناخية ونظم معيشة السكان ويختلف الموقع الجغرافي والعلاقات المكانية للإقليم من مدينة إلى أخرى فتتمتع بعض المدن بموقع ممتاز يجعل اتصالها بالأقاليم المجاورة سهلاً وميسوراً، بينما يكون البعض الآخر في شبه عزله، بسبب قلة الخدمات وانخفاض معدل النمو العمراني لها.

ومن زاوية أخرى تهدف دراسة الموقع الجغرافي إلى تحديد خصائص وإمكانات الإقليم وما تنعكس عليه خطط التنمية السياحية في إحداث حركة سياحية بداخله وما يترتب عليها من معرفة حجم النقل مما يسهم في نمو الحركة السياحية بالإقليم.

فالموقع الجغرافي له تأثيرات متعددة في صناعة السياحة فهو يتحكم في طول النهار وقصره، وهذه الشخصية المكانية لها تأثير على نوع الحركة السياحية وطبيعتها، لذلك نجد السياحة الشتوية والسياحة الصيفية والسياحة الدائمة وتتنوع وتتباين من وقت لآخر ومن إقليم إلى إقليم<sup>(5)</sup>.

ومن المظاهر والميزات التي يتمتع بها الإقليم هو موقع مدينة طرابلس حيث تصبح عقده نقلية هامة لجميع طرق وخطوط النقل البري بالإقليم، فهي تطل على البحر المتوسط ويتمركز بها أهم مرفق سياحي في الإقليم وهي المدينة القديمة وبالعودة إلى التاريخ فان طرابلس أسسها الفينيقيون في السنة السادسة قبل الميلاد و تقع حالياً تحت مدينة طرابلس القديمة ، ويعد قوس ماركوس أوريليوس أهم المعالم البارزة لتلك المدينة التي تمثل أهم المدن التاريخية القديمة على الساحل الليبي ويرجع تاريخ المدينة القديمة بطرابلس إلى العهد العثماني وهي بأسوارها و قلعتها و السوق و الأحياء التقليدية و المساجد القديمة و الكنائس و المعابد تمثل أهم المعالم السياحية بالمنطقة، والى جانب المقومات السياحية في المدينة القديمة توجد متاحف السراي الحمراء التي تضم نفائس أثرية ذات قيمة تاريخية وسياحية قيمة .

خريطة (1)  
الموقع الجغرافي لإقليم سهل الجفارة



المصدر: عمل الباحث، استناداً إلى الأطلس الوطني، ص 33.

### واقع الحركة السياحية في منطقة سهل الجفارة ومستقبلها:

على الرغم من توفر المقومات السياحية الطبيعية والبشرية المتعددة، إلا أن صناعة السياحة في ليبيا لا تزال تعاني من مشاكل أساسية تعيق تطورها على المستويين الدولي والداخلي. لذلك فإن صناعة السياحة لا تزال دون المستوى المطلوب الذي يجعلها تسهم بدور طليعي في النهضة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الليبي.<sup>(6)</sup>

إن حركة السياحة في ليبيا قد عانت من عدة مشكلات داخلية وخارجية. أسهمت في تخلف هذا القطاع، مما كان له الأثر السلبي على إسهامه في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الليبي. وقد تمثلت المشكلات في عدة مجالات: منها: إهمال الدولة لتنمية وتطوير هذا القطاع مدة طويلة، مما ترتب عليه انخفاض الوعي السياحي على المستويين الرسمي والشعبي، بسبب عدم وجود مؤسسات وكوادر بشرية ذات خبرة قادرة على تيسير وإدارة هذا القطاع وترسيخه والاستفادة منه، كما تمثلت في انخفاض مستوى الخدمات السياحية التي تعد من أهم العناصر التي تعتمد عليها صناعة السياحة، حيث تؤدي دوراً هاماً في تمكين السائحين من الاستمتاع برحلاتهم، وتطيل من مدة إقامتهم. فقد تبين من خلال الملاحظة والمشاهدة بأن مستوى الخدمات سواء في مرافق الإيواء، أو وسائل الاتصال أو وسائل التسلية والترفيه أو الخدمات الصحية قد تراوحت في الغالب ما بين المنخفض والمتوسط. كما تبين كذلك نقص في بعض أساسيات الحياة المدنية مثل عدم توفر صحف ومجلات يومية تصدر باللغات الأجنبية. كما اتضح تخلف وسائل النقل السياحية وعدم إيفائها بمتطلبات السائحين سواء أكان ذلك من حيث الراحة، أو الانتظام في مواعيد محددة. هذا بجانب سوء الاتصالات السلكية واللاسلكية محلياً ودولياً التي تقف حجر عثرة أمام أي إنجاز لشركات السياحة لتعمل بكفاءة و يضاف إلى هذه المشكلات مشكلة التعقيدات الإدارية وصعوبة الحصول على تأشيرات دخول للبلاد من ناحية، ومشكلات الانتظار على الحدود غير المجهزة بوسائل الراحة لفترات طويلة. يضاف إلى ذلك الإهمال الواضح الذي يشوب المزارات السياحية والمتاحف التاريخية وعدم تجهيزها بوسائل الراحة اللازمة

أو بالكثيبات والخرائط السياحية، هذا بجانب قلة المرشدين السياحيين المتخصصين.

إن الوضعية السياحية القائمة لا تتناسب مع توفر المقومات السياحية المختلفة والهامة في البلاد، ولا تتناسب مع الأهمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية المتنامية لقطاع السياحة دولياً، لذلك فإن هذا الوضع يتطلب رسم خطط مدروسة واستراتيجيات مقننة مبنية على واقع المقومات السياحية تؤمن تنمية هذا القطاع بالطرق السليمة والمناسبة التي تضمن المحافظة على المقومات السياحية بالإقليم والحصول على أكبر قدر ممكن من الفوائد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، التي تقلل من الآثار السلبية الناجمة عن التنمية السياحية.

وقد تبين من خلال دراسة الطلب السياحي الداخلي، أن حركة السياحة الداخلية تعاني من مشاكل مشابهة لتلك التي تعاني منها السياحة الدولية باستثناء بعض الخصائص التي تنسم بها حركة السياحة الداخلية. ومن بين هذه المشاكل عدم وجود هيئات عامة متخصصة بإدارة وتنمية وتطوير حركة السياحة الداخلية، وتطوير الحس والذوق السياحي بين أفراد المجتمع. كما اتضح أيضاً أن الخدمات السياحية الخاصة بالطلب السياحي الداخلي قليلة وتظهر دون المستوى المطلوب والمرضي في أغلب الحالات. كما أن الخدمات السياحية لا تلبى رغبات الشرائح الاقتصادية المختلفة، مما أدى إلى حرمان قطاع كبير من المجتمع والمتمثل في فئات الشباب من الإسهام في حركة السياحة الداخلية. أضف إلى ذلك انخفاض مساهمة المرأة في حركة السياحة الداخلية بسبب قلة مشاركتها في قوة العمل وبسبب تأثير العقلية المحافظة والسائدة في البلاد.

#### - تطور شبكات النقل البري بإقليم سهل جفارة من 1990 إلى 2010:

تشكل شبكة الطرق بمنطقة سهل الجفارة الوسيلة الأساسية والوحيدة للنقل البري داخل الإقليم كما تعد هذه الشبكة وسيلة رئيسة لربط الإقليم بمراكز العمران المجاورة في البلاد وان مجموع أطوال شبكة الطرق بمنطقة الدراسة بلغ حوالى (18620) كم في عام 2007 وتقسّم أجزاء هذه الشبكة حسب نوع

الطريق التي تخدم حركة النقل لتربط بين المدن والقرى المختلفة وتمر خارج الإقليم ويكون السير عليها سريعاً ويقصد بها طرق السرعات العالية والمسافات الطويلة ويتضمن هذا النوع الطريق الساحلي الذي يبلغ طوله بمنطقة الدراسة حوالي 290 كم من مدينة الخمس حتى الحدود التونسية غرباً مروراً بكل من طرابلس والزاوية وصرمان وصبرا ته وزواره وبواسطته يتم نقل الأشخاص والسلع من إقليم إلي آخر، ويربط المراكز العمرانية ذات الكثافة السكانية وكذلك المراكز السياحية الرئيسية الواقعة بالمدن الساحلية . ويمكن تصنيف شبكة الطرق بالإقليم كما يلي.

#### أ- طرق رئيسية:

وتشمل الطرق التي تربط بين مدن الإقليم والتي تمر بداخلها أو تربط مدينة بقرية أخرى وقد تمر خارج المدن وهي طرق من الدرجة الأولى موزعه علي المدن حسب الجدول رقم (1) يصل طولها حوالي (8948) كم ومن حيث الاتساع والعرض تتراوح عرض تلك الطرق ما بين ( 60 و 80 متراً) وتمثلها الطرق ذات الاتجاهين التي لا يوجد بها تقاطعات إلا عن طريق الكباري العلوية التي تساعد على انسياب حركة النقل في سرعة وأمان<sup>(7)</sup>. ويطلق عليها أحياناً اسم (الطرق الشريانية) وهي مصممة بشكل دقيق لتخدم كثافة النمو العمراني وهي منطلقة من المراكز الكبرى للنشاطات العمرانية بما فيها المناطق التجارية والإدارية والثقافية والترفيهية ومن أهم الطرق لهذا النوع طريق طرابلس ترهونة وطرابلس غريان، الزاوية يفرن وطريق زواره نالوت.

#### ب- طرق فرعية:

هي تلك الطرق التي تتفرع من الطرق السريعة، أو الرئيسية لربط المدن الساحلية بمراكز العمران الداخلية للإقليم بطول (3980) كم من المجموع الكلي لأطوال الطرق بالإقليم. ومهما يكن من أمر، فإن هذه الطرق تختلف في الأهمية والغرض، فالطرق الفرعية الهامة تربط غالباً عدداً من المناطق الزراعية بالطرق الرئيسية أو السريعة كطريق الزهراء الذي يتفرع من الطريق الساحلي عند الكيلومتر (27) غرب طرابلس، وهناك طرق أخرى

أقل أهمية لأنها تربط مراكز سكانية أصغر ويختلف حجم المراكز العمرانية التي تربطها الطرق الفرعية من منطقة إلي أخرى، فنجدها في سهل الجفارة تربط عدد من المدن والقرى الداخلية وهي شبكة من الطرق المتشابكة مع بعضها وبأطوال مختلفة وإن أطوال الطرق القديم منها والحديث بمنطقة الدراسة لا يتوافق مع تطور وسائل النقل البري فنجد أن مؤشر حجم المركبات مرتفع، ففي عام 2010 كان أطوال الطرق يصل الى 18620 كم بالمقابل كان عدد السيارات المستعملة والتي تسير على الطرقات بالإقليم حوالي (1.347.765) مركبة ومن خلال ذلك يتبين أن عدد المركبات كان ( 72 ) مركبة لكل كيلو متر من الطرق المعبدة سواء كانت طرق رئيسة أو فرعية، ويعطى هذا المؤشر مدى حجم حركة الازدحام والكثافة المرورية على شبكة الطرق ويرجع ذلك إلى الاستيراد المستمر وبدون ضوابط سواء كان هذا الاستيراد من قبل الدولة أو من قبل المواطن وعلى حسابه الخاص والذي لايتماشى مع تطور ونمو شبكة طرق النقل البري بمنطقة سهل الجفارة

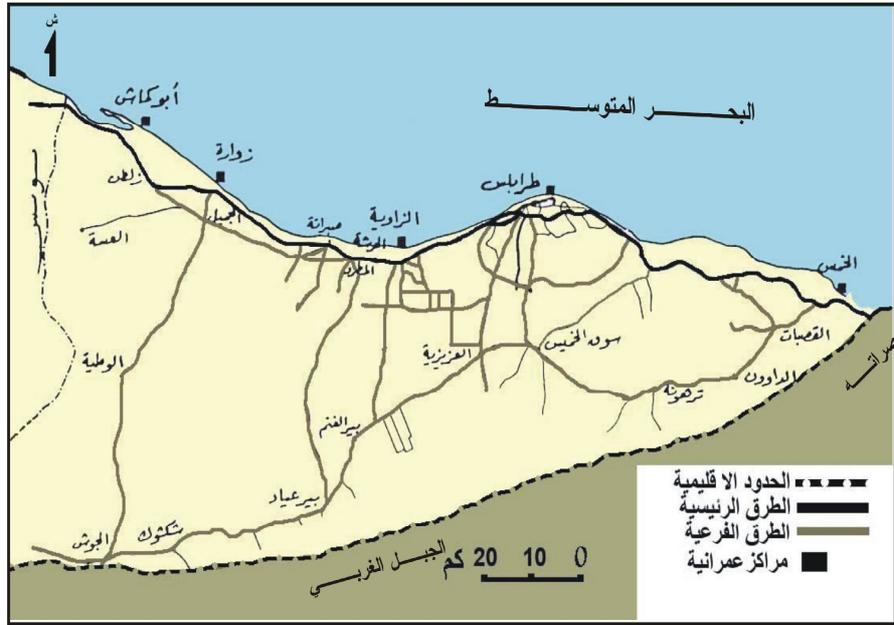
#### جدول ( 1 ) متوسط حركة المرور اليومي على طرق منطقة سهل الجفارة

2010

الطول	القدرة الاجمالية في اليوم	العرض	نوع الطريق	القدرة الاجمالية في الساعة	الطريق
43	108600	90-70	رئيسي	9050	طرابلس، الزاوية
120	87500	90-70	رئيسي	5833	طرابلس، الخمس
42	78000	80-60	رئيسي	4333	طرابلس العزيزية
53	43200	12-8	فرعي	2400	الزاوية، بئر الغنم
136	36000	12-8	فرعي	2000	زواردة، الجوش
185	67800	12-8	فرعي	3766	العزيزية، تيجي
75	69000	90-70	رئيسي	4800	الزاوية، زواردة
91	73200	80-60	رئيسي	4066	طرابلس، ترهونة
26	114000	90-70	رئيسي	6333	طرابلس، المطار
21	32000	12-8	فرعي	1600	جنزور، السوانى

المصدر: جمع البيانات من خلال البحث الميداني للباحث .

## خريطة رقم (2) شبكات النقل البري باقليم سهل الجفارة لسنة 2010



المصدر: عمل الباحث، استناداً إلى الأطلس الوطني.

أما أكثر الطرق كثافة في حركة النقل بمنطقة سهل الجفارة فهو الطريق السريع والذي نفذ في سنة 1982 وهو يربط جنزور تاجوراء بطول 45 كم وهو من طرق الدرجة الأولى السريعة ويخترق مدينة طرابلس من الغرب إلى الشرق وتصل حجم الكثافة إلى (120000) مركبة في اليوم الواحد، وهو يمتد شرقاً إلى القره بولي وغرباً إلى الزاوية وهذه الأرقام مسجلة من خلال الدراسة الميدانية للباحث فأتضح بأن الزيادة تراوحت بين معدل الزيادة في كثافة الحركة على الطرق الرئيسية أعلى من حركة الطرق الفرعية بالإقليم.

**جدول ( 2 ) تصنيف شبكة الطرق بمراكز العمران بمنطقة سهل الجفارة  
2007**

الطرق الفرعية		الطرق الرئيسية		توزيع الطرق حسب المراكز الفرعية
%	الطول كم	%	الطول كم	
20.6	1100	12.5	950	زوارة
16.3	870	21.8	1650	الزاوية
17.8	950	31.9	2410	طرابلس
8.6	460	4.5	340	العزيفية
14.0	750	16.5	1250	الخمسة
31.1	700	8.6	650	صدراتة
9.3	500	3.9	400	صرمان
% 100	5330	100 %	7550	المجموع

المصدر: أمانة النقل والمواصلات، مصلحة الطرق والجسور، طرابلس  
2007.

**من الجدول السابق نستنتج الملاحظات الآتية:**

- (1) إن أعلى نسبة من الطرق المرصوفة من الدرجة الأولى تتركز في وسط الإقليم وبالتحديد عند مخارج مركز الإقليم وهي مدينة طرابلس ويرجع ذلك لأن المدينة تمثل حلقة وصل ونقطة اتصال مع باقي مدن وقري الإقليم شرقاً وغرباً وجنوباً وهي تأخذ شكل الطرق الطولية والعرضية وتخترق بعض المراكز العمرانية بالإقليم.
- (2) ارتفاع مؤشر طرق الدرجة الثانية في المنطقة الوسطي (طرابلس) ويرجع السبب في ذلك إلى اتساع مساحة المنطقة مما أدى إلى وجود شبكة من الطرق تربط المدينة بظهيرها وهو ما تميز به من حيث الأهمية الاقتصادية .

(3) يعد شرق الإقليم من أقل المعدلات في شبكات الطرق الثلاثة الأولى والثانية ومرد ذلك، لأنها تمثل أقل المناطق مساحة وسكان على مستوى إقليم سهل الجفارة فهي لا تتعدى الكثير من المدن والقرى وأهمها مدينة الخمس وقصرا لأخيار وغنيمة وسوق الخميس وهي مناطق صناعية وسياحية تنتشر بها الطرق الفرعية باستثناء الطريق الساحلي الذي يخترقها متجهاً شرقاً وغرباً.

(4) يتميز غرب سهل الجفارة بارتفاع وتزايد طرق الدرجة الثانية ويرجع سبب ذلك إلى ظهور بعض المراكز العمرانية ذات الكثافة السكانية العالية واتساع الرقعة الجغرافية فهي تمتد من الزاوية حتى رأس أجدير عند الحدود التونسية مروراً بصرمان وصبراتة والعجيلات وزواره مما استوجب وجود نوع من طرق الدرجة الثانية لربط تلك المدن مع بعضها البعض وكذلك ربطها مع ظهيرها، والتي تمثل مناطق زراعية ذات اتساع شاسع مما استوجب وجود الطرق الفرعية.

(5) من خلال الجدول رقم (2) يتضح أن أكثر الطرق انتشاراً في إقليم سهل الجفارة تمثل طرق الدرجة الثانية وذلك لما لها من أهمية في ربط مدن ومراكز العمران الرئيسية الممتدة على الساحل بالمدن الداخلية ابتداءً من الخمس شرقاً حتى رأس أجدير غرباً وإلى الجوش وتيجي في الجنوب الغربي والعزيزية وبئر الغنم من ناحية الجنوب.

لقد كانت بداية امتداد شبكة طرق النقل بالإقليم تنطلق من المنتصف وبالتحديد من طرابلس ثم توالت شبكة الطرق المرصوفة وتفرعه من طرابلس العاصمة ثم أخذت كل الاتجاهات لربط مراكز العمران الحضري والريفي بالإقليم مع بعضه البعض شرقاً وغرباً وجنوباً .

#### **دور شبكات النقل في النمو والتطور السياحي بالإقليم:**

إن منطقة سهل الجفارة تتحلى بعدد من المزايا الطبيعية على طول ساحل البحر المتوسط، إذ تتمتع بالشمس الساطعة والهواء المعتدل على مدار السنة هذا بالإضافة إلى شواطئها الجميلة والتي تشكل مصائف جذابة ومناظر جميلة وكل ذلك يوفر للسائح ظروفاً مواتية للسياحة وتتميز البلاد بتراتها التاريخية

الهائل في الآثار الرومانية والإغريقية والبيزنطية وفن العمارة الإسلامية وهي غالباً تجذب أنظار السياح الأجانب وذلك لما تمتاز به من فن إسلامي جميل<sup>(8)</sup> وللسياحة الداخلية المحلية في الوقت الحاضر أثر اقتصادي على تنشيط الحركة بين إقليم سهل الجفارة والأقاليم المجاورة بما لها من نتائج هامة هناك تأثير متبادل بين شبكات طرق النقل وتوزيع مراكز السياحة بالإقليم فقد أدى توزيع شبكات طرق النقل البري إلى إعادة توزيع السكان وإلى تزايد أهمية مراكز السياحة في تعدد وظائفها واتساع نطاق خدماتها كما هو الحال في طرابلس والخمس وصبراتة، وهناك بعض المراكز العمرانية يتزايد حجم سكانها واتساع خدماتها، وتتعدد وظائفها حيث ازدهرت اقتصادياً وذلك استجابة لمتطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالإقليم في ظل النمو والتطور العمراني والتي لم تكن لتكتمل مقدماتها دون وجود شبكة نقل قادرة على ربط بين قطاعات الإنتاج المختلفة وأيضاً مع مناطق الاستهلاك<sup>(9)</sup>.

وكما هو معلوم فإن للسياحة متطلبات عامة تتمحور في أربعة ضوابط هي: النقل والإيواء والإعاشة والتسلية، وأمام العوامل التي تؤثر في السياحة يمكن إجمالها في النقل والمواصلات، ودخل الفرد، والثقافة، ودرجة التحضر والموقع الجغرافي والبيئة وتوافر المعالم السياحية، والتغير في العادات السياحية، وانتقال الإنسان ونقل أمتعته وما يحمله من مكان إلى آخر يعد ذا فاعلية قديمة قدم التاريخ، فالإنسان القديم تنقل من مكان إلى آخر سعياً وراء الغذاء وإرضاءً لطموحه وحب الاستطلاع والتعرف إلى المحيط الذي يعيش فيه، والإنسان المعاصر المتحضر المدرك المثقف الطموح الذي يملك الطاقات والإمكانات يتنقل على نطاق واسع سعياً وراء كثير من الأغراض والأهداف والفاعليات أهمها السياحة، وإذا لم تكن طرق النقل ووسائل المواصلات بحد ذاتها هدفاً أو غاية، أو وسيلة لغاية أو لهدف معين، فقد بات من المؤكد أن يخدم النقل والمواصلات الهدف المنشود بالشكل الأمثل ولكي تخدم طرق ووسائل النقل والمواصلات الأغراض السياحية بالشكل الأمثل يجب أن تتوافر فيها الشروط التالية:

### 1- الراحة

يأمل السائح بالدرجة الأولى راحة الجسم وراحة البال، لذلك يجب التوفر في وسائل النقل المقاعد المريحة مع التهوية ودرجات الحرارة المناسبة وتوفير الخدمات من حمامات وتقديم الوجبات والمشروبات الجيدة وتوفير استراحات على الطريق مع إمكانية التمتع بالمناظر المتتالية الخلابة خلال السفر<sup>(10)</sup>.

### 2- الأمان

إن تطبيق مستوى جيد من مستلزمات الأمان للأشخاص وتأمين الأمتعة ضد الضياع والتلف، من الأمور التي تشجع استعمال وسائل النقل للأغراض السياحية والترويحية فيجب ان تكون وسائل النقل امنة والسائقين على درجة عالية من الثقة وحسن التصرف واليقظة .

### 3 - السعة

يجب أن تنهياً طاقات النقل للأشخاص والأمتعة مع ما يتلاءم ومقدار الطلب، على ان تتميز وسيلة النقل بالمرونة بما يتناسب وساعات النهار خلال يوم واحد، كذلك بالنسبة لمقدار الطلب خلال فصول السنة والأعياد والإجازات .

### 4- التردد

إن تخصيص أوقات مختلفة ومتعددة ومتكررة في اليوم الواحد في الحافلات والمركبات العامة لانطلاقها بين مدينتين أو دولتين يعطى السائح مجالاً لاختيار الوقت المناسب لسفره كما يخفف من طول الانتظار .

### 5 - الانتظام

إن الالتزام بمواعيد السفر يبعث الثقة في نفس المسافرين ويمكن السياح من استغلال أوقاتهم بشكل أفضل ويوفر الاستغلال الأفضل للوقت بما يؤدي إلى التخطيط للسياحة بشكل أمثل ويعطى انطباعاً جيداً للسائح عن الدولة .

### 6 - الشمول

قد تتضمن الرحلة السياحية أكثر من أداة ووسيلة من أدوات ووسائل النقل فقد تتكامل مع بعضها خدمة للسائح مثل تكامل النقل بالسيارات مع النقل

البحري والجوي يعنى إذا توافرت لعمليات السياحة طرق أفضل ووسائل نقل جيدة فإن مردودها المنشود يكون قد حقق جزءاً هاماً من الاهداف المرجوة (11).

### النتائج:

تعاني السياحة في ليبيا بشكل عام ومنطقة الدراسة بشكل خاص من مفارقات واضحة بالرغم من تعدد مقومات الجذب، وبالرغم من أن ليبيا عضو مؤسس في منظمة السياحة العالمية (w.t.o) منذ عام 1975 فان البلاد لا تزال غائبة عن خارطة السياحة الدولية وتعاني من وجود عراقيل ومعوقات كان من الممكن تلافيتها، وهي بحاجة إلى مزيد من الرعاية والدعم المادي والقانوني لرفع مستوى الكفاءة، وأهم النتائج التي وصل إليها الباحث هي:

- 1- تواضع الإنفاق العام على قطاع السياحة مقارنة بالقطاعات الأخرى . فترتب على هذا انخفاض ملحوظ في الطاقة الإيوائية للمرافق السياحية كما ونوعاً.
- 2- التعدي على بعض المقومات السياحية خاصة البيئية (كالأشجار والغابات) وغياب الصيانة والترميم للمرافق الأساسية المختلفة
- 3 -عدم وجود الكوادر المتخصصة في القطاع السياحي.
- 4 -ضعف العلاقات الوظيفية بين القطاع السياحي وبقية القطاعات الأخرى(كالنقل والصناعة والخدمات الأخرى).
- 5 -القيود المفروضة على صرف العملات الأجنبية .
- 6 -عدم وجود وسائل المواصلات الحديثة والمتطورة وخاصة البحرية منها وانعدام شبكة السكة الحديد بالبلاد التي تربط بين مناطق الإقليم.
- 7 -نقص الدعاية اللازمة لمناطق الجذب السياحي المنتشرة في الإقليم خاصة المناطق التاريخية وعدم الاستفادة من وسائل الاعلام المختلفة في الترويج للسياحة خاصة في المواسم السياحية .

### المقترحات والتوصيات:

- وفي هذا السياق يقترح الباحث بعض المقترحات والتوصيات التي تهدف إلى النهوض بقطاع السياحة من أهمها
- 1- تشجيع القطاع العام والخاص بالدخول في الاستثمارات السياحية
  - 2- ضرورة فتح مؤسسات مصرفية أو أماكن للصرف لتبديل العملة بالمنافذ والفنادق السياحية وذلك وفق ضوابط يضعها مصرف ليبيا المركزي على أن تعمل هذه المؤسسات طوال اليوم .
  - 3- إصدار سعر مناسب للإقامة بالفنادق للسياح بحيث تكون أسعاراً مناسبة تساعد على جلب السياح للبلاد.
  - 4- ضرورة الاهتمام بالتنوع والتثقيف السياحي للمواطنين بإعداد برامج إعلامية وتثقيفية في الإذاعة المرئية والمسموعة وتخصيص موضوعات في المناهج الدراسية ليتعلم التلاميذ والطلاب كل مايتعلق بهذا الجانب المهم من جوانب الحركة الاقتصادية للدولة وهو السياحة .
  - 5- الإكثار من تنظيم المهرجانات والمعارض السياحية وخاصة في مناطق الجذب السياحي واختيار المواعيد المناسبة لهذه المهرجانات مع مراعاة فترة قدوم السياح إلى البلاد وأيضاً تكثيف البرامج السياحية في العطلات الدراسية بالنسبة للسياحة الداخلية.
  - 6- وضع ضوابط لعمل الشرطة السياحية بما يخدم على نجاح السياحة في البلاد
  - 7- ضرورة إصدار تشريعات وقوانين مقننة ومدروسة وطويلة الامد لتطوير القطاع السياحي .
  - 8 – تخصيص ميزانية خاصة للنهوض بقطاع السياحة ومعالجة القصور والمعوقات التي تعاني منها .
  - 9 – ضرورة توفير الأمن الأمان لأن غياب هذا العامل يجعل من الصعب النهوض بقطاع السياحة .

**المراجع:**

1. - صلاح الدين عبد الوهاب، السياحة الدولية، دار الهناء للطباعة، 1992 القاهرة، ص 22، 23
2. محمد خميس زوكه، صناعة السياحة من المنظور الجغرافي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1997 ص 200
3. ماهر عبد العزيز توفيق، صناعة السياحة، دار زهوان للنشر والتوزيع، الاردن، 1996 ص 105
4. محمد عبد الله قصوده، السياحة في شمال غرب الجماهيرية، منشورات جامعة الفاتح 2007 ص 250
5. محمد خميس زوكه، صناعة السياحة من المنظور الجغرافي، مصدر سابق ص 103
6. - سعيد صفى الدين الطيب، دراسات في جغرافية ليبيا السياحية، دار الكتب الوطنية، 2005، بنغازى ص 261
7. حسن سيد حسن، شبكة الطرق البرية، سلطنة عمان، 1970-1990، دراسة في جغرافية النقل، المجلة الجغرافية المصرية، العدد السادس، القاهرة 1992، ص 149.
8. - مصطفى احمد على، شبكات النقل واثرها على النمو العمرانى بإقليم سهل الجفارة، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 2009 ص 58
9. - صلاح الدين الشامي، استراليا أضواء على التعمير و النقل و الاستقلال الاقتصادي مكتبة الانخلو المصرية، القاهرة 1964 ص 125
10. - فاروق كامل عز الدين، جغرافية السياحة، أسس ومناهج وتطبيقات، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ص 212
11. - كمال عبد القادر ولي: أثر المواصلات على السياحة في الوطن العربي في المواصلات، مركز دراسات الوحدة العربية، بغداد 1990 ص 353، 357

## المرأة الليبية نحو مشاركة مثمرة في عملية التنمية

د. محمد عبد السلام همومه  
قسم علم الاجتماع  
كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

### مقدمة:

المرأة هي عماد المجتمع ونصفه، وهذا يقتضي الاهتمام بها وتنمية وتطوير قدراتها للرفع من مستوى أدائها ومشاركتها في عمليات التنمية من خلال ما تقوم به من ادوار متعددة ومتنوعة اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية، والمجتمعات التي تنتهج أسلوب التنمية الشاملة تعمل جاهدة على إعداد المرأة للمشاركة في كافة مناحي الحياة، وتمكينها وتحقيق استقلاليتها وإزالة الفروقات بينها وبين الرجل في التعليم والعمل وسائر أوجه النشاط الاجتماعي.

وكل ذلك وغيره يحتاج إلى التعرف على أوضاع المرأة الليبية في المجتمع ودراستها من خلال الإجابة على عدداً من التساؤلات تتمثل في الآتي:  
- هل للمرأة الليبية مكانة في الثقافة الليبية مثلما لغيرها من النساء في المجتمعات الأخرى؟ وما هو واقع تلك المكانة؟

- هل للمرأة دور فعال من شأنه النهوض بتحقيق التنمية في المجتمع المعاصر على اعتبار إنها تمثل نصفه الآخر؟

- هل انتقل هذا الدور من الفكر النظري إلى التطبيق العملي على أرض الواقع؟

### ونهدف من خلال هذا البحث إلى:

- التعرف على واقع المرأة الليبية وذلك من خلال استقراء الإحصاءات المتعلقة بذلك.

- التعرف على مدى مساهمة المرأة الليبية في قوة العمل ومجالات مساهمتها. ولتحقيق أهداف البحث والإجابة عن تساؤلاته اعتمدنا المنهج التحليلي الذي نحاول من خلاله طرح العديد من الأفكار والإحصاءات المتعلقة بالمرأة ودورها في التنمية وتحليلها والتعليق عليها كلما أمكن ذلك.

أولاً : لمحة عن واقع المرأة الليبية قبل الاستقلال

تري الأدبيات المهمة بدراسة المرأة أن المرأة الليبية حُضيت بمكانة هامة عبر مراحل التاريخ المختلفة، ففي الماضي أوكل إليها مسئوليات كثيرة تمثلت في القيام بأعمال البيت والأسرة معاً، فهي خير من تقوم بتأمين حاجات الأسرة من الطعام والشراب والكساء وتربية وتعليم الأطفال، وتشارك الرجل في بعض الأعمال الزراعية والرعية<sup>(1)</sup>. ولكن رغم كل الأدوار التي تقوم بها المرأة إلا أن الثقافة الليبية السائدة تتسم بأنها في الماضي ثقافة تقليدية تحكمها العادات والتقاليد، وغرس فيها الاستعمار روح التخلف والتبعية، وانعكس ذلك على واقع المرأة ووجودها في المجتمع، هذه الصورة فيها الكثير من الذل والانتقاص من مكانة المرأة، وهذا جعلها تواجه نوعاً من التمييز النوعي أو الجنساني، فهي تحتل مكانة أقل من الرجل وغير متساوية معه اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً، وبقيت مبعدة عن ميدان الإنتاج والمساهمة في خدمة وتقديم مجتمعتها طوال سنوات الاستعمار.

لقد عملت آليات التنشئة الاجتماعية في المجتمع الليبي التقليدي على تكريس وجود الفوارق بين الرجل والمرأة، وأن الرجل دائماً هو الوصي على المرأة، وإنها تابعة له سواء كان ذلك قبل زواجها أو بعده، وهذا يتفق مع مقاله (رالف لنتون R-Linton) إن تقسيم المراكز والأدوار بالنسبة للجنس إنما هو القاعدة الأساسية في النظم الاجتماعية، وتحاول معظم المجتمعات تفسير ذلك بالرجوع إلى اختلافات فسيولوجية بين الجنسين وأدوارهما المختلفة، ومع ذلك فإن الدراسة المقارنة للمراكز بين الرجل والمرأة أوضحت كيف أن الثقافة هي التي تقرر الفاعلية بين الجنسين<sup>(2)</sup>.

وعلى الرغم مما ترتب على ذلك الوضع الذي تعيشه المرأة الليبية في المجتمع التقليدي من سلبيات إلا أن حياتها شهدت الكثير من الإيجابيات تظهر من خلال ما يوفره المجتمع ومؤسساته المختلفة في العائلة والقبيلة وقوة العمل من حماية للمرأة والحفاظ عليها واحترام وجودها كعنصر أساسي في وجود وبناء الأسرة، أما اقتصادياً فمظاهر الفروق بين الرجل والمرأة في المجتمع التقليدي تمثلت في تقسيم العمل بينهما، فلكل جنس أعمال تتفق ودوره التقليدي المعروف، فالرجل يعمل خارج البيت وهو المسؤول على تزويد الأسرة بما

يلزمها من احتياجات سواء كان ذلك في الريف أو الحضر على حدٍ سواء، أما المرأة فهي تعمل داخل البيت لتأمين احتياجات أفراد الأسرة في غالب الأحيان ورغم ذلك فالأعمال الملقاة على عاتق المرأة كثيرة ومتعددة، إذ تجمع في الكثير من الأحيان بين العمل داخل البيت وخارجه سواء كان ذلك في المجتمع الريفي التقليدي أو في المجتمع الحضري (رغم صغر المجتمع الحضري اللبني ذلك الوقت)، ففي المجتمع الريفي التقليدي كانت المرأة تعمل من مطلع الشمس حتى مغيبها وأحياناً إلى ما بعد ذلك فهي كانت تتعهد بكل أعمال البيت من إعداد للطعام وأعمال النظافة وتربية الأطفال، كما تساعد زوجها في بعض الأعمال خارج البيت خاصة في المواسم التي تحتاج إلى أيدي عاملة كثيرة في مواسم الزرع والحصاد ورعي الحيوانات ونحوهما، إضافة إلى القيام بأعمال بعض الصناعات من صناعة الملابس والفرش والأغطية اللازمة للأسرة، وصناعة الأغذية مثل صناعة الجبن والسمن وطحن الحبوب إلى غير ذلك من الصناعات التقليدية التي تحتاجها الأسرة والتي لا سبيل إلى توفيرها أو الحصول عليها إلا داخل الأسرة<sup>(3)</sup>.

إن العمل في الريف مشترك وجمعي بين الرجل والمرأة، وتضطلع في كثير من الأحيان المرأة بما يقوم به الرجل وليس هناك تخصص واضح بمعنى أن الفرد رجلاً كان أم امرأة لا يوقف نشاطه على ناحية واحدة فالكل يشارك في هذا النشاط أو ذلك<sup>(4)</sup>.

يتبين من ذلك أن المجتمع التقليدي في الماضي رسم صورة محددة للمرأة فهي دائماً أقل مكانة ودرجة من الرجل وغير متساوية معه اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً إضافة إلى ذلك أن كل العوامل والظروف المحيطة بالمجتمع اللبني ذلك الوقت كانت تقليدية، وكان ذلك أحد العوامل الأساسية التي أسهمت في تخلف الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في المجتمع، وبالتالي جمود حركة التغيير الاجتماعي، وانحسار دور المرأة ومشاركتها في عمليات التنمية في حدود الدور التقليدي الذي تقوم به والمتمثل في القيام بأعمال البيت وتربية الأطفال.

كانت ليبيا في بداية النصف الأول من القرن العشرين مستعمرة إيطالية يتجسد فيها التخلف بكل أشكاله، ولم يحاول المستعمر أن يغير شيء يتعلق بالثقافة الليبية بل زاد الاستعمار من تخلف المرأة وتدنى مكانتها في المجتمع إذ لا يوجد دوراً واضحاً لها يدل على مساهمتها الفاعلة في قوى العمل، فقد كان هدف المستعمر زيادة تأكيد وغرس أسس التخلف بين الناس، وفي مقابل ذلك زاد تمسكهم بالثقافة الليبية التقليدية التي لا تؤكد مبدأ تمكين المرأة من العمل خارج البيت بالمعنى الحديث للعمل إلا في حدود مساعدة الزوج خاصة في المجتمع الريفي.

### ثانياً : واقع المرأة الليبية بعد الاستقلال

مع بداية الاستقلال شهد المجتمع الليبي تحولات سريعة من خلال برامج تنموية وخطط متتابعة للتنمية في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وتمثل إطاراً للعملية الاجتماعية في المجتمع وبذلك انعكست تحولات الواقع الاجتماعي على أوضاع المرأة وأكدت أنها تعيش تحولاً اجتماعياً سينقلها من حالة المجتمع التقليدي الواضح في معاييرها وقيمه إلى حالة المجتمع الحديث الغير واضح في أحكام قيمه الاجتماعية حول المرأة. وحتى وقت قريب كان الرجل (الأب أو الزوج أو الأخ) يرفض خروج المرأة للعمل، ثم أصبح بفعل عملية التغيير الاجتماعي التي شهدتها المجتمع وانتشار التعليم بين مختلف الفئات العمرية من الجنسين رجالاً ونساءً يقبل الرجل خروج المرأة للعمل خارج البيت ولكن بشرط يحدد من خلاله الرجل نوع النشاط الذي ينبغي أن تشارك فيه المرأة، فقد قبل دخولها العمل في مجالات محددة كالتعليم والصحة والسكرتريا، وهكذا بدأت ملامح التغيير والتبدل تظهر وبدأ النموذج التقليدي للثقافة يتراجع ليحل محله نموذج جديد يشجع المرأة على الخروج ومشاركتها للرجل مختلف النشاطات الاقتصادية وبدأ عالم المرأة الجديد يبني ذاته ويصعب على الرجال أو كبار السن التحكم فيه، فهو يبني بعيداً عن النموذج التقليدي، وبعيد إلى حد كبير عن نسق القيم التقليدية التي تنتمي إلى الماضي أكثر من انتمائها إلى الحاضر والمستقبل، كما أسهمت الدولة في تقنين ذلك التحول من خلال وضع تشريعات تؤكد من خلالها حق المرأة في العمل ومساواتها بالرجل في الحقوق والواجبات والدخل

العدد السابع عشر 304 مجلة كلية الآداب

إلا فيما يتعلق بطبيعة وخصوصية المرأة، فقد خص قانون العمل رقم (58) لسنة 1970 المرأة بتسهيلات كثيرة تشجعها على العمل والإسهام في الإنتاج المادي والفكري، كما احتفظ بالحقوق المقررة للمرأة العاملة طبقاً لقانون الضمان الاجتماعي رقم (53) لسنة 1957 وتتلخص أهم الأحكام المنظمة لعمل المرأة في هذه التشريعات في المساواة بين الرجل والمرأة في مزاوله الأعمال باستثناء المحظور منها بقصد حمايتها، و جاء هذا في نص المادة (95) من القانون المذكور، كما أشارت المادة (96) منه بأنه لا يجوز تشغيل النساء أكثر من (48) ساعة في الأسبوع بما في ذلك ساعات العمل الإضافية وإعطاء الحق للمرأة في التوفيق بين أداء العمل خارج البيت وحق الأمومة ورعايتها لأسرتها وما يترتب عليه من عوائد اجتماعية واقتصادية للمجتمع<sup>(5)</sup>.

ولزيادة التوضيح لدور المرأة ومدى إسهامها في عملية التنمية يمكن دراسة مؤشر عمل المرأة لتوضيح العلاقة بين التنمية وتغير دور المرأة في المجتمع الليبي هذا المؤشر يعد من بين أكثر المؤشرات المركبة متعددة الأبعاد لقياس مستوى التغير الاجتماعي والتنمية في المجتمع في أدبيات التنمية وانعكاس ذلك على واقع المرأة في المجتمع.

#### أ- إسهام المرأة الليبية في قوة العمل :

يعد عمل المرأة من بين المؤشرات التي تدل على مدى إسهامها في التنمية كما يُعد متغير العمل من العوامل التي تؤثر في تغيير وضع المرأة في الأسرة والمجتمع، فقد كانت بدايات دخول المرأة للعمل في وظائف هامشية أو أعمال بسيطة كالعمل في بعض المؤسسات الخدمية والإنتاجية، ثم استطاعت الدخول إلى الوظائف المختلفة بعد حصولها على مؤهلات تعليمية متوسطة أو عالية وبذلك أصبحت مشاركة المرأة واقعاً ملموساً، ويلاقي مبدأ عملها خارج البيت قبولاً واسعاً مما انعكس على حركة التنمية الشاملة ايجابيا في مختلف الأوساط الاجتماعية للمجتمع الليبي.

وعلى الرغم من قلة الدراسات الاجتماعية العلمية حول المرأة ومدى إسهامها في النشاطات الاقتصادية والقوى العاملة إلا أن البيانات الإحصائية المتوفرة عن القوى العاملة في المجتمع الليبي تبين أن مشاركة المرأة في

## المرأة الليبية نحو مشاركة مثمرة في عملية التنمية

الاقتصاد خارج البيت كانت ضعيفة خلال عقد الخمسينيات من القرن الماضي، ففي إحصاء السكان 1964 سجلت مشاركة المرأة في الاقتصاد الليبي حوالي (4.15%) من حجم القوى العاملة في المجتمع الليبي، ثم وصلت بعد حوالي عشر سنوات (سنة 1973) إلى حوالي (6.9%)، وازدادت تسارعاً ملحوظاً وتضاعفت النسبة خلال العقود التالية، فقد بلغ معدل مشاركة المرأة في الاقتصاد الليبي في إحصاء السكان لعام 1984 حوالي (11%)<sup>(6)</sup>. واستمرت هذه النسبة في الارتفاع حتى وصلت في تعداد السكان 1995 إلى (15.65%)<sup>(7)</sup>. وفي تعداد السكان الأخير 2006 سجلت مشاركة المرأة أكثر من ربع حجم العمالة الليبية وكانت أكثر من (26.44%)<sup>(8)</sup> من حجم القوى العاملة في المجتمع.

لقد كان نمو هذه المعدلات أعلى بكثير من معدل نمو النساء في سن العمل (15 سنة فأكثر) بالنظر إلى احتساب نسبة النساء العاملات إلى مجموع قوى العمل (ذكور وإناث) حيث يتبين المعدل في تعداد السكان 2006 حوالي (28.49%) بعد أن كان لا يتجاوز هذا المعدل حوالي (18.7%) في تعداد السكان 1995، والجدول رقم (1) يوضح معدلات مشاركة المرأة الليبية في النشاط الاقتصادي وفق نتائج التعدادات السكانية (نسب مئوية).

### جدول رقم (1)

يبين نسبة مشاركة المرأة الليبية في النشاط الاقتصادي وفق نتائج تعدادات سكانية مختلفة

السنوات	1964	1973	1984	1995	2006
المشاركة في النشاط الاقتصادي	4.15	6.9	11.12	15.65	26.44
النشاطات الاقتصادية لمجموع الإناث في سنة العمل	4.15	6.9	11.12	15.65	26.44

المصدر: مبني على بيانات وردت في نتائج تعدادات السكان وتقرير التنمية البشرية 2006 المرأة في ليبيا.

التقرير الوطني الأول لحالة السكان في ليبيا 2010.

إن معدل مشاركة المرأة في النشاط الاقتصادي مازال غير مكافئ لحجم ونسبة النساء إلى الرجال في المجتمع ولا تتناسب مع حجمها في البنية الديموغرافية<sup>(9)</sup>، وكذلك إلى حجم التأهيل الذي تحصلت عليه المرأة، وهذا يظهر واضحاً من خلال معدلات الالتحاق المدرسي الذي يظهر تساوي النسب بين الجنسين ذكوراً وإناثاً تقريباً في مختلف مراحل التعليم. ويعود انخفاض معدل إسهام المرأة في النشاط الاقتصادي إلى عدة أسباب لعل من بينها الحالة الزوجية، فقد أورد تقرير التنمية البشرية الليبي لعام 1999 إن نسبة كبيرة من النساء المتزوجات وبمستويات تعليمية مختلفة يضطرون إلى ترك العمل بعد الزواج والرضوخ لرغبة الزوج في التفرغ لشؤون البيت وأعماله بحجة عدم توفر قطاعات العمل المؤنثة كقطاع التعليم على سبيل المثال. وقد بيّن تقرير استقصاء ميداني عن (أوضاع المرأة الليبية في الأسرة والمجتمع) أنّ يوجد إهدار لقوة العمل النسائية بسبب الحالة الزوجية ووجد أنّ حوالي (60%) من عينة البحث على استعداد لترك العمل من أجل إطاعة الزوج والوقوف عند رغبته، وهذا يدل على أن التقاليد وقواعد العرف مازلت تتحكم في وجود فوارق بين الجنسين، وأن الرجل هو صاحب القرار في اختيار العمل للمرأة من عدمه. وقد يتأثر معدل إسهام المرأة الليبية في النشاط الاقتصادي في أحد الأبعاد بالاتجاه المتصاعد للالتحاق المدرسي للفتيات بمستويات التعليم الجامعي دون اتباع سياسة اختيار التعليم المناسبة مما جعل غالبية الإناث في فئات العمر (15-24 سنة) خارج قوة العمل<sup>(10)</sup>. رغم أن هذه الفئة تصنف من الفئات النشطة اقتصادياً إلا أن إسهامها مازال ضعيفاً جداً في الاقتصاد، ويتضح ذلك من خلال تحليل الكيفية التي توزعت بها النساء الليبيات حسب الحالة العملية خلال سنوات مختلفة كما هو مبين بالجدول رقم (2).

جدول رقم (2)

يبين تطور مستويات واتجاهات استخدام المرأة حسب الحالة العملية

السنوات الحالة العملية	1964	1973	1984	1995	2003
عاملات في القطاع العام	%40.07	%48.03	%98.05	%97.11	%98.29
يعملن لحسابهن	%13.17	%4.89	%0.82	%2.10	%1.45
يعملن لدى الأسرة	%46.76	%47.15	%1.13	%0.79	%0.26
المجموع	%100	%100	%100	%100	%100

المصدر: تقرير التنمية البشرية - المرأة في ليبيا، 2006، ص71.

يتبين من الجدول رقم(2) أن القوى العاملة النسائية التي التحقت بالقطاع العام خلال الخمسينات والستينات من القرن الماضي كانت بسيطة بالمقارنة مع حجم القوى العاملة آنذاك، ومع ذلك كانت نسبة النساء العاملات في القطاع العام حوالي (40%) من عدد جميع العاملات. وخلال تلك الفترة كان العمل مختصراً على النشاط الاقتصادي داخل الأسرة في الغالب، وفي تعداد السكان لعام 1973 وصلت نسبة العاملات في القطاع العام إلى حوالي (48%)، في المقابل تكاد تتساوى معها نسبة من يعملن لدى الأسرة حيث سجلت نسبتهم حوالي ( 47 % )، بينما تضاعفت النسبة خلال العشر سنوات التالية حتى وصلت في تعداد السكان 1984 إلى حوالي (98%)، وتناقصت نسبة من يعملن لدى الأسرة الى مايزيد عن ( 1 % ) واستمرت هذه النسبة من القوى العاملة النسائية على هذا الحال تقريباً خلال السنوات التي أعقبت ذلك التعداد وحتى الآن داخل الجهاز الإداري والمؤسسات الاقتصادية المملوكة للمجتمع، وفي مقابل ذلك حدث العكس في نسبة العاملات لحسابهن الخاص، فقد تجاوزت نسبتهن عام 1964 (13%) وانخفضت في عام 1973 إلى حوالي (5%) تم ازدياد انخفاضاً ما دون الثلث في سنة 2003 حيث سجلت ما دون (1.5%) وتفسير هذا التراجع في تقديري يعود إلى المرحلة التي مر بها المجتمع الليبي خلال عقد الثمانينيات من اضطراب في الوضع الإقتصادي للمجتمع الليبي وما نجم عن ذلك من قرارات بشأن التأمين وتحويل جميع أشكال العمالة إلى عمالة تابعة للدولة.

ورغم أن التشريعات والقوانين الليبية فى ظاهرها لا تفرق بين الجنسين (ذكوراً وإناثاً) فى اختيار النشاط الاقتصادي إلا أن الواقع والتقاليد وقواعد العرف الاجتماعي أوجدت تلك الفروق ومازالت تحتضن البعض منها، كما أن المرأة نفسها مازالت غير قادرة على أخذ حقوقها كاملة ولا يوجد لديها الثقة الكاملة فى نفسها حتى تمتلك ذلك. فى الدراسة المسحية التي قام بها أعضاء فريق تقرير التنمية البشرية لسنة (2006) تبين أن حوالي (85%) من أفراد العينة اللاتي يعنهن تفضيل موقع عمل المستقبل أجابوا بأن الحصول على وظيفة حكومية عادية أمراً مهماً جداً بينما نسبة (75%) على العكس من ذلك كما أن حوالي (82%) اخترن صفة غير مهم فى شغل وظيفه فى القطاع الخاص<sup>(11)</sup> والعمل فى قطاع الخدمات الاجتماعية وهذا يعطى دلالة على أن العمل المفضل لدى المرأة الليبية هو العمل الإداري التابع للقطاع العام، وتبرير ذلك أن العمل الحكومي أكثر استقراراً من حيث الدخل وأقل ساعات عمل فى اليوم، وهذا ما يتلاءم وطبيعة المرأة وظروفها الاجتماعية التي تحتم عليها القيام بأعمال البيت والأسرة وفقاً للثقافة السائدة فى المجتمع.

#### ب. مجالات المرأة فى القوى العاملة:

يعد خروج المرأة الليبية للعمل ظاهرة حديثة نسبياً، فقد كانت البدايات الأولى لخروجها للعمل فى وظائف هامشية أو أعمال دنيا ومحدودة كالعامل منتج فى بعض المؤسسات الخدمية والإنتاجية، ومع تحسن وضعها التعليمي زادت قدرتها على المساهمة فى مجالات العمل المختلفة، وبفعل عملية التغيير الاجتماعي التي يشهدها المجتمع الليبي المعاصر اختفت الكثير من العوائق الاجتماعية والثقافية والقانونية التي كانت تقف عائقاً فى طريق المرأة وتمنع مساهماتها فى قوة العمل، فقد منحت التشريعات الليبية الحق للمرأة فى تولى الوظائف العامة فى الدولة، وهذا فتح الباب أمامها للمساهمة فى مجالات مختلفة ومتعددة، كما حدث تغيير وتبدل فى المهن والوظائف التي تشغلها المرأة المعاصرة فخلال العقود القليلة الماضية كان عمل المرأة خاصة خلال الخمسينات من القرن الماضي متركز فى قطاع الزراعة والغابات والصيد الذي استحوذ على حوالي (80%) من إجمالي النساء العاملات وخلال

### المرأة الليبية نحو مشاركة مثمرة في عملية التنمية

السنوات التالية لذلك سجل انسحاب سريع شبه كامل للمرأة من هذا الميدان فقد انخفضت تلك النسبة خلال عشر سنوات إلى حوالي (3%) من النساء العاملات.<sup>(12)</sup> وهذا لا يدل على حدوث تغير مفاجئ في اتجاهات المجتمع نحو دور المرأة فحسب ولكن في مدى مشاركتها في قوة العمل واختيارها للنشاط الإقتصادي الذي يتوافق معها ومع التحولات التي حدثت في المجتمع وانعكس ذلك على النشاطات الاقتصادية اليدوية التقليدية والعزوف عنها والاتجاه نحو المهن الحديثة وهذا التغير أثر في اختيار المرأة للمهن المعاصرة، فقد استحوذ مجال الخدمات العامة خلال العقود التالية لذلك على النصيب الأكبر من النساء العاملات، حيث قدرت نسبتهم بحوالي (80%) من النساء العاملات.

لقد أصبحت نسبة مساهمة المرأة في الحصول على المهن العلمية والإدارية وتولي المسؤوليات الفنية والتنفيذية أحد المؤشرات التي تستخدم في قياس درجة تمكين المرأة، وهذا يمكن توضيحه في الجدول رقم (3).

#### الجدول رقم (3)

يبين معدلات مساهمة المرأة في الأنشطة الاقتصادية

أقسام النشاط الاقتصادي	عدد الإناث المشتغلات	% الإناث من إجمالي المشتغلات
القياديون ومدراء الأعمال	647	0.17
المشتغلون بالمهن العلمية والفنية ومن ينتمي إليهم من العلماء	262278	67.44
الفنيون ومساعدو أصحاب المهن العلمية	30726	7.90
الموظفون الإداريون والكتابة	54653	14.05
العاملون بالخدمات والعاملون بالبيع والشراء	3925	1.01
العاملون بالزراعة والعاملون بتربية الحيوانات والغابات والصيد	18492	4.76
العاملون في الحرف ومن ينتمي إليهم	1096	0.28
العاملون في تجميع المعدات والآلات	858	0.22
المهن الأولية	12485	3.21
غير المصنفين حسب المهنة	3741	0.96
المجموع	388901	100.0

المصدر: تعداد السكان العام لسنة 2006، من الجدول رقم (27) ص 64.

### التقرير الوطني الأول لحالة السكان في ليبيا 2010.

يبين الجدول رقم(3) إن إسهام المرأة في الأنشطة الاقتصادية تتركز في المهن العلمية والفنية. إذ بلغت نسبة مشاركتها (67.44%) وارتفعت هذه النسبة على ما كانت عليه في السابق، فقد كانت مساهمة المرأة في المهن العلمية والفنية سنة 1973 حوالي (18%) فقط، وازدادت حتى وصلت (33%) سنة 1984 وتعكس هذه النسب مدى التغير في اتجاه المرأة نحو تفضيل مثل هذه المهن وعزوفها عن المهن التقليدية التي كانت تتولها في السابق.

لكن رغم النتائج الايجابية التي تحققت في زيادة مساهمة المرأة في النشاط الاقتصادي إلا أن توزعها على القطاعات الإنمائية المختلفة غير متكافئ، فهي تتركز في القطاعات الخدمية والإدارية أكثر من غيرها وخاصة التعليم والصحة والإدارة العامة، وقد بلغت نسبة العاملات في هذه القطاعات (87.5%) من مجموع قوة العمل الليبية، وهذا يظهر حقيقة حدوث حراك وظيفي للمرأة، إلا أن هذا الحراك الوظيفي يبقى مضطرباً ولم يحقق مشاركة فعلية للمرأة في النشاطات الاقتصادية الأخرى بالشكل المطلوب، فعلى سبيل المثال لا الحصر تدني مستوى مشاركة المرأة في النشاط الزراعي إلى ما دون (5%)، وفي الصناعة إلى حوالي (1%)، وفي التجارة حوالي (1%) خلال العشرية الأخيرة من القرن الماضي كما هو موضح في الجدول السابق.

يتفق هذا التفضيل لمشاركة المرأة الليبية في النشاطات مع نتائج بعض الدراسات التي أجريت في المجتمع الليبي حول عمل المرأة، ففي دراسة حول اكتساب المكانة المهنية للمرأة الليبية العاملة<sup>(13)</sup>، أوضحت النتائج أن مشاركة النساء في العمل بدأ يتجه نحو الزيادة خاصة خلال السنوات الأخيرة، وهذا يرجع إلى ارتفاع المستوى التعليمي، ووجود ارتباط إيجابي بين التعليم ومكانة المرأة المهنية، بمعنى أن التعليم يشكل عاملاً مهماً في التنبؤ بمكانة المرأة المهنية في ليبيا. وفي دراسة أخرى حول المرأة العاملة في المجتمع الليبي المعاصر<sup>(14)</sup> بينت أن خروج المرأة للعمل يتسم عادة بالحدائثة، وكان سبباً في زيادة اقتحام المرأة لجميع ميادين العمل وأنواع المهن المختلفة، وهذا يعود إلى

التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي يشهدها المجتمع الليبي، وكان التدريس من بين أكثر المجالات التي تحبها المرأة وتتجه إليها.

وفي دراسة أخرى بعنوان العمل النسوي ومجالاته المختلفة أجريت على عينة من المتزوجات بمدينة طرابلس تبين أن (53%) من الأزواج الليبيين يرغبون في أن تكون زوجاتهم ربات بيوت فقط، ولا يفضلون خروجهن للعمل خارج البيت بينما كانت نسبة الأزواج الذين يفضلون أن تكون زوجاتهم تعمل خارج البيت (47%) وكانت الأعمال المرغوبة لديهم تتركز في بعض الوظائف العلمية كالتدريس والإدارة العامة، كما أوضحت نتائج الدراسة انخفاض نسبة العاملات بعد الزواج، حيث قدرت نسبة النساء العاملات حوالي (33%) من العينة البالغ عددها (210) زوجة<sup>(15)</sup>.

إن اتجاه المجتمع والنساء نحو تفضيل بعض المهن مثل مهنة التدريس والمهن الأخرى المشابهة لها للمرأة يعزى إلى ما يحيط بالمجتمع من مؤثرات اجتماعية وثقافية مازال لها تأثيرها على توجيه المرأة واختيارها لممارسة حقها في العمل والاتجاه نحو تفضيل أعمال تناسب طبيعتها الاجتماعية والبيولوجية، وما يحقق لها التوازن بين المهام المنزلية والعمل خارج البيت وهذا بدوره انعكس على تباين معدلات إسهام المرأة في النشاطات الاقتصادية المختلفة، ويضاف إلى ذلك فرص التدريب المتاحة للمرأة والوعي الذاتي بدورها في تحقيق التنمية، ولكن توجد العديد من العراقيل والصعوبات التي تقف دون مشاركة المرأة الفعلية والكاملة في سوق العمل يمكن إيجازها في الآتي :-

- 1- العادات والتقاليد الشائعة في المجتمع الليبي وخاصة في الريف، ومثل هذه العادات تضع حواجز أمام عمل المرأة خارج البيت في كل القطاعات خاصة تلك الأعمال التي يكون فيها أسلوب العمل مختلطاً بين الرجل والنساء.
- 2- رغبة المرأة الليبية في العمل الواقع بالقرب من مسكنها نظراً لكثرة التزاماتها الأسرية والاجتماعية، ونظراً لعدم توفر نظام مواصلات داخل المدن وخارجها.

3- طبيعة المرأة كأنتى وظروفها الأسرية، فالمرأة الليبية بمجرد زواجها تصبح أما لعدد من الأطفال، وهذا يلقي على المرأة كأم مسؤوليات كثيرة تجاه بيتها وأولادها، مما يتعذر عليها نتيجة لذلك التوفيق بين مهام البيت والأسرة خاصة وأنه لا توجد أعداد كافية من دور الحضانة في مواقع العمل وفي المناطق السكنية.

4- تركيز أجهزة الرقابة والمتابعة على ضبط الدخل والانصراف للموظف أو المنتج وكثيراً ما تتعرض المرأة العاملة إلى عقوبات الخصم من المرتب لتأخيرها في الحضور والانصراف مبكراً بسبب الاطمئنان على ابنائها وهذا ينجم عنه مردود سلبي في الإخلاص للعمل.

5- تتأثر المرأة كثيراً بتنقلات الأسرة لدوافع السكن أو الزواج أو الطلاق مما ينتج عنه انتقال المرأة إلى سكن بعيد عن موقع العمل، وعندما تلجأ إلى الحصول على الإجازات المتكررة أو الطويلة أو المرضية أو الإجازات بدون مرتب غالباً ما تقوم جهة العمل بفصل المرأة العاملة أو تطبيق ما يعرف في الإدارة الليبية بالانقطاع عن العمل والنتيجة في كل الظروف هي ترك العمل.

6- إجازة الحمل والوضع الممنوحة للمرأة العاملة بموجب المادة (25) من قانون الضمان الاجتماعي لسنة 1981 لا تتناسب وطبيعة مهنة التدريس فالمدرس أو المدرسة لا يجوز لها ترك التلاميذ فترة طويلة من العام الدراسي ويُعدُّ هذا أحد أسباب زيادة عدد المدرسات الاحتياط بقطاع التعليم، بل وكثيراً ما يكون ذلك دافعاً قوياً للمدرسة لترك عملها في التعليم، إذ من الصعب عليها بعد قضاء إجازة طويلة العودة إلى العمل، فهناك الكثير من الإجراءات الإدارية المملة والطويلة التي تفضل المرأة تجاهلها وترك العمل والبقاء في البيت.

7- نصت بعض تشريعات العمل الليبية على إعفاء المرأة من المناوبة الليلية وهذا لا يتفق وطبيعة بعض المهن مثل الصحة والشرطة ومراكز رعاية المعاقين وهذا يجعل بعض مؤسسات العمل مثل الصحة الالتجاء إلى العمالة النسائية الأجنبية بدلاً من العمالة الليبية.

8- نظرة بعض الأزواج وأولياء الأمور إلى عمل المرأة على أنه ثانوي خاصة إذا كانت الأسرة ميسورة اقتصادياً، إضافة إلى ذلك فإن بعض الأزواج وأولياء الأمور يقيم عمل المرأة بمعايير مادية بحثه، ومتى تحسنت أوضاع الأسرة الاقتصادية ينبغي عليها ترك العمل والبقاء في البيت<sup>(16)</sup>.

### ثالثاً : المرأة والمجتمع بين التقليدية والحداثة:

تشارك المرأة الليبية في العمل بعد أن تغيرت صورتها وواقعها من المجتمع التقليدي القديم إلى مجتمع الحداثة، فقد حدث التغيير والتنمية وشمل كل جوانب الحياة في المجتمع بما في ذلك المرأة وصورتها في المجتمع بفعل العديد من العوامل والمؤثرات، ولعل أبرز تلك العوامل والمؤثرات هو إعلان استقلال البلاد وتحررها اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً، وأعقبت هذه المرحلة مرحلة أخرى زادت من سرعة التغيير وحدته وشموليته لكافة مكونات المجتمع وجوانبه، هذه المرحلة تمثلت في اكتشاف النفط وتصديره بكميات كبيرة، وقفز بذلك مستوى الدخل القومي والفردي وبدأ الأفراد يتجهون نحو الإقبال على التعليم ذكوراً وإناثاً والاتجاه نحو العمل الحديث، وبذلك تغير دور المرأة ومكانتها وأصبحت تحتل مكانة مساوية للرجل في الحقوق والواجبات ويسرت لها سبل المشاركة في الميادين الإنتاجية والخدمية التي تتلاءم مع مقوماتها الجسمية والنفسية، وتحقيق النمو الاقتصادي والاجتماعي، وجاءت هذه الأدوار الايجابية للمرأة استجابة لتغير أسس بناء المجتمع وعلاقات الرجل بالمرأة في المجتمع الليبي، ومن بين العوامل التي أسهمت في تغير صورة المرأة النمطية أيضاً سياسات التعليم وارتفاع قيمته بين أبناء المجتمع وإتاحة الفرص المتساوية بين الذكور والاناث للحصول على أعلى الدرجات العلمية وكان لهذا التوسع الدور الأكبر في زيادة تأهيل المرأة علمياً وفنياً وإعدادها للإسهام في تنمية المجتمع والدخول إلى سوق العمل والمشاركة فيه بصورة أكثر إيجابية باتجاه تحسين أوضاعها وتمكينها اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وقانونياً للمساهمة في الحياة الاقتصادية للمجتمع.

لقد تضافرت كل العوامل السابقة وغيرها لإحداث عمليات تغير اجتماعي وتنمية مما دفع بالمرأة للمشاركة الاقتصادية ودخولها مجالات عمل حديثة لم

تعهدتها في السابق، مثل التجارة والاستثمارات وأعمال المصارف والعمل السياسي والقضاء وغيرها من الأعمال، إلى جانب ذلك خلقت المرأة فرص عمل جديدة تتعلق بالبيت والمعيشة وبعض الحرف والمهن الأخرى الهامشية وهي ذات طابع اجتماعي ولكنها خارج الاقتصاد الرسمي إضافة إلى كل ذلك فإن المرأة تقوم بكثير من الأعمال بدون مردود نقدي في إطار الأسرة، هذا العمل تحكمه العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية.

ولكن رغم كل ما تقوم به المرأة اللببية في المجتمع المعاصر وما حققته من نجاحات على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي إلا أنها ما زالت تواجه الكثير من العقبات والتحديات الثقافية والاجتماعية التي تعيق مشاركتها في العمل وأهم هذه العقبات ما يلي:-

1— صعوبات وعقبات ناتجة عن شخصية المرأة ذاتها وترددها في كثير من مواقف الحياة والعمل، فهي في كثير من الأحيان تنصرف وكأنها غير واثقة من نفسها وحقها في العمل وفرصة المتكافئة مع الرجل.

2— صعوبات ناتجة عن البناء المؤسسي في المجتمع الليبي وخاصة مؤسسات سوق العمل، ورغبتها في توظيف غير النساء بحجج وأسباب كثيرة تعود في الظاهر لظروف المرأة الشخصية، ولكنها في الحقيقة تعكس مواقف الرجال الاجتماعية والثقافية تجاه المرأة، والتي ترى أن الرجل انسب واقدر من المرأة للعمل في المؤسسة وخاصة في الوظائف العليا والفنية.

3— صعوبات ناتجة عن تفسيرات خاطئة لدور ومكانة المرأة في المجتمع ولكن بالنظر إلى هذه التفسيرات تعد مرجعيات ثقافية محبطة، فهي تنتشر في المجتمع وتتحكم في كثير من القضايا الاجتماعية من بينها عمل المرأة.

4— صعوبات ناتجة عن تفسيرات ثقافية محددة لدور المرأة ومكانتها وتتناقض هذه التفسيرات مع العصر والحداثة، فيهرب الجميع إلى الماضي ويجد فيه الراحة والتفسير المناسب<sup>(17)</sup>.

هذه العقبات والتحديات التي تواجه المرأة اللببية جاءت نتيجة لمرحلة التحول من الحياة التقليدية للمجتمع إلى الحياة الحديثة والمعاصرة، وهي أيضاً إفرزات لتحول اجتماعي عميق في حياة المرأة اللببية لم تعرفه من قبل وإنما

جاء بفعل التنمية والانتقال السريع من مجتمع لا يعرف مشاركة للمرأة خارج البيت إلا في حدود الحقل أو المزرعة أو المرعى إلى مجتمع تقدمي معاصر يسعى إلى بناء مستقبه من خلال مشاركة الرجل والمرأة معا وتكافؤ الفرص بينهما والقضاء على النظرة القاهرة للمرأة وتحقيق التنمية والتقدم من خلال وضع الخطط التنموية الشاملة والدفع بالمرأة للمشاركة الكاملة في النشاط الاقتصادي والتنمية بمعناها الشامل، وليس بمعناها المحدود المتمثل في سوق العمل فقط.

### الخاتمة :

مما سبق نستخلص عدداً من النقاط :

- 1- إن المرأة لها دور كبير في التنمية، وأصبحت أكثر وعياً بذاتها وتبحث لنفسها عن فرص التقدم في العديد من المجالات، وقد وصلت إلى ذلك بعدما أصبح الرجل يتفهم دورها في المجتمع ويعترف بكفاءتها، وهذا ما أدى إلى شعورها بالثقة في نفسها وبدأت تخطو خطوات حثيثة لإثبات ذاتها من خلال البرامج التي تسعى إليها.
  - 2 - إن المرأة لها دور مساند للرجل ومكمل لجهوده، وهي مدرسة تعد الأجيال وتربي النشء وترسم لهم خطوات تنموية واعية وحقيقية، وتساهم في بناء المجتمع وتوازنه، وهذا يتطلب وضع المرأة في مكانها الحقيقي الذي جعلت فيه متممة لما نقص من الرجل.
  - 3- هناك عوامل أساسية تعوق قيام المرأة بنشاطاتها التنموية، منها الأسرة والبيئة الاجتماعية، فالمجتمع بقيمه وعاداته لا ينظر إلي المرأة بعين الرضاء حينما تشارك في العمل خارج البيت.
  - 4- المرأة تشكل نصف المجتمع عليه يجب تحويلها إلي قوي منتجة لان الدراسات أثبتت وجود اتجاهات ايجابية بخصوص دور المرأة الجديد ومشاركتها في النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وأكدت علي المشاركة الفعالة للمرأة في صنع التحولات الاقتصادية والاجتماعية.
- التوصيات

- 1 - ضرورة الاستفادة من المرأة في عملية التنمية بشكل أكثر ايجابية، خاصة وأن عملية التنمية تعتمد على جهود الأفراد، وإذا كانت المرأة نصف المجتمع فلا بد لها أن تشارك في مجالات التنمية لتحقيق سعادة المجتمع.
- 2 - العمل على نشر ثقافة المساواة وتكافؤ الفرص في العمل بين الرجل والمرأة على أوسع نطاق وبمختلف الوسائل وبالأخص عبر وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية ودور الثقافة وبرامج التعليم.
- 3 - تعديل صورة المرأة السلبية وإتاحة الفرصة أمامها لتتمتع بحقوقها وبدورها الحقيقي في المجتمع وإقناعها بقدرتها على القيام بأي مسؤولية وبأهمية مشاركتها في عمليات التنمية داخل المجتمع.

هوامش البحث :

- (1) الهيئة العامة للمعلومات، تقرير التنمية البشرية 2006 – المرأة في ليبيا: المساواة مع الاختلاف، ص.ص 15-16.
- (2) فاروق مصطفى إسماعيل، التغيير والتنمية في المجتمع الصحراوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص 98.
- (3) على الحوات، المرأة والتنمية والعمل في ليبيا – بناء مجتمع جديد، الجامعة المغاربية، طرابلس، الطبعة الأولى، 2006، ص.ص 32-38.
- (4) لوجلي صالح الزوي، البادية الليبية – الحاضر والمستقبل دراسة ميدانية شاملة لأوضاع البادية الليبية، جامعة قار يونس، بنغازي، الطبعة الأولى، 1998، ص 119.
- (5) الهيئة العامة للمعلومات، تقرير التنمية البشرية 2006، مرجع سابق، ص.ص 66-68.
- (6) الهيئة العامة للمعلومات، تقرير التنمية البشرية 2006، مرجع سابق، ص.ص 66-68.
- (7) الهيئة العامة للمعلومات نتائج تعداد السكان 1995، ص 58.
- (8) الهيئة العامة للمعلومات نتائج تعداد السكان 2006، ص 60.
- (9) مجلس التطوير الإقتصادي، مكتب الدراسات والسياسات السكانية، التقرير الوطني الأول لحالة السكان في ليبيا 2010، ص 127.
- (10) الهيئة العامة للمعلومات، تقرير التنمية البشرية الليبي، 1999، ص 139.
- (11) نفس المرجع السابق، ص 72.
- (12) نتائج تعداد السكان 2006، مرجع سابق، ص. ص 63 — 67.

- (13) للمزيد انظر : محمد الطبولي، اكتساب المكانة المهنية للمرأة العاملة - دراسة ميدانية للمرأة العاملة في مدينة بنغازي، مجلة البحوث الاقتصادية، المجلد الثالث عشر، العدد الأول والثاني، الهيئة القومية للبحث العلمي، بنغازي، 2002.
- (14) للمزيد انظر : زينب زهري، المرأة العاملة في المجتمع العربي الليبي المعاصر، جامعة قار يونس، بنغازي، 1988 .
- (15) مفيدة الزقوزي، العمل النسوي ومجالاته المختلفة، دراسة قدمت إلى ندوة المرأة والتدريب المهني، طرابلس، ليبيا 17-20 أكتوبر 1992، المركز الوطني للتدريب باللجنة الشعبية العامة للتكوين والتدريب، ص15.
- (16) على الحوات، دراسات في التنمية الاجتماعية، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، الطبعة الأولى، 1994، ص34-35.
- (17) على الحوات، المرأة والتنمية والعمل في ليبيا، مرجع سابق، صص224-232.

## التصوير الرقمي الأبيض والأسود: أهميته الاتصالية والجمالية

أ. عبد الناصر سالم الشريدي  
قسم الإعلام  
كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

### المقدمة

نحن نعيش الآن في عالم تتخلله الصور بشكل خاطف وسريع وتهيمن عليه حيث تملأ الصور الصحف والمجلات والكتب والملابس ولوحات الإعلانات وشاشات التلفزيون والسينما والكمبيوتر والانترنت والتليفونات الخلوية "المحمولة" بشكل لم يحدث من قبل في تاريخ البشرية العامة.

لقد أصبح المجتمع الإنساني مجتمعاً تقوم الصور بالوساطة خلاله، في الأنشطة الإنسانية كافة حتى أن الحياة المعاصرة لا يمكن تصورها من دون أننا نعيش بالفعل في عصر الصورة "كما قال ابل جانس سنة 1926" ونعيش في حضارة الصورة كما قال الناقد الفرنسي "رولان بارت"<sup>(1)</sup>.

وقد يتساءل المرء لماذا نقوم بالتصوير بالأبيض والأسود، ونستطيع الإجابة بأن التصوير بالأبيض والأسود مستمر في كونه عالم السحر والجادبية والتشويق بطريقة أكثر تطور كما نشاهده الآن.

أن الألوان شئٌ جميل وجزءٌ من حياتنا اليومية ولكن إذا كانت الألوان قوية يمكن لا نركز على موضوع الصورة بل نركز على قوة الألوان، ولكن تملك الصورة بالأبيض والأسود سحراً لا يقاوم، ليس فقط لأنها تذكرنا بالماضي ولكن لأنها تعطي وضوحاً أكثر وأهمية أكبر للموضوع بغض النظر على وجود الألوان<sup>(2)</sup>.

وبما إن الفرد يعيش ضمن ثقافة الصورة بطريقة اعتيادية، فإن أنواع الصور التي يتلقاها الفرد تفرز لديه مشاعر وردود فعل مختلفة تتراوح بين الدهشة أو الحزن أو التعجب وقد تمتد هذه إلى أحاسيس الانبساط أو التأمل إلى الغضب وخلافه من أحاسيس أخرى قد تتباين من فرد إلى آخر<sup>(3)</sup>.

ويتناول الباحث في هذا البحث الصورة الرقمية بالأبيض والأسود وأهميتها الاتصالية والجمالية، حيث ينتمي هذا البحث إلى البحوث النظرية المكتبية التي تعتمد على المصادر والمراجع المتخصصة في جمع المعلومات لسبر غور

مشكلة أو ظاهرة معينة<sup>(4)</sup>، ويهدف هذا البحث إلى التعرف على الصورة الرقمية وكيفية الحصول على الصورة بالأبيض والأسود.

#### أولاً: مشكلة البحث:

إن تحديد مشكلة البحث يسهل على الباحث دراستها ويوفر عليه كثير من الجهد والوقت، لذلك فإن هذه الخطوة من الخطوات المهمة في البحث العلمي التي لا يمكن بدونها أن يكون هناك بحث أصلاً<sup>(5)</sup>، وتتمثل مشكلة البحث في معرفة الدور الذي تؤديه الصورة الفوتوغرافية الرقمية بالأبيض والأسود في الجوانب الاتصالية والجمالية.

#### ثانياً: أهمية البحث:

تكمن أهمية أي بحث علمي فيما سيقدم من إضافات جديد في المجال العلمي الذي يسعى الباحث لدراسته، ولذلك فإن أهمية هذا البحث تكمن في الآتي:-

- 1- التعرف بالتصوير الرقمي وخصائصه.
- 2- معرفة الصورة الفوتوغرافية بالأبيض والأسود وخصائصها.
- 3- معرفة الجوانب الاتصالية والجمالية في الصورة الفوتوغرافية بالأبيض والأسود.

#### ثالثاً: أهداف البحث:

لأي بحث علمي هناك عدد من الأهداف التي يسعى لتحقيقها والوصول إليها نتيجة لدراسة مشكلة البحث، ويهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:-

- 1- التعرف على واقع التصوير الرقمي بأنواعه المختلفة.
- 2- معرفة الجوانب الاتصالية التي تؤديها الصورة بالأبيض والأسود.
- 3- معرفة الجوانب الجمالية التي تقوم بها الصورة بالأبيض والأسود.

#### رابعاً: تساؤلات البحث:

تسهم التساؤلات في دراسة مشكلة البحث وقد حدّد الباحث تساؤل رئيسي للبحث وهو:-

ما الدور الذي تقوم به الصورة الفوتوغرافية بالأبيض والأسود من الناحية الاتصالية والجمالية؟

#### خامساً: منهج البحث:

ينتمي هذا البحث إلى فئة البحوث الوصفية حيث استخدم الباحث المنهج الوصفي الذي يستهدف دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف أو مجموعة من الناس أو مجموعة من الأحداث أو مجموعة من الأوضاع وذلك بهدف الحصول على معلومات كافية ودقيقة عنها دون الدخول في أسبابها أو التحكم فيها<sup>(6)</sup>، ولتغطية الجانب النظري للدراسة رجع الباحث إلى المكتبات للإطلاع على الأدبيات المتعلقة بموضوع البحث من كتب ودوريات، إضافة إلى البحوث وملخصات الرسائل العلمية المتعلقة بالتصوير ومناهج البحث العلمي.

#### سادساً: تحديد مصطلحات البحث:

عادة ما يستخدم في البحث كلمات أو عبارات أو مصطلحات يحاول الباحث توضيحها حتى يسهل للدارس فهمها<sup>(7)</sup>، وفي الدراسات الإعلامية تزداد الحاجة إلى شرح وتحديد المصطلحات التي يستخدمها الباحثون في أبحاثهم ودراساتهم نظراً لأن معظمها مستمدة من لغة الحياة العملية<sup>(8)</sup> والمصطلحات هي:

#### 1- التصوير الفوتوغرافي: التصوير يعني الرسم بالضوء من خلال آلة

التصوير وهي (الكاميرا) وكلمة فوتوغرافي بالإنجليزية هي: (Photography) وهي كلمة مشتقة من اليونانية، وتعني الرسم أو الكتابة بالضوء، وهناك التصوير التقليدي والتصوير الرقمي الذي يعتمد على التقنية المتطورة ويمتاز بالسرعة والدقة الفائقة، ولعل التعبير العربي الأكثر ملاءمة يكون (التصوير الشمسي) أو التصوير الضوئي لأن الضوء يُعدُّ أحد العنصرين الأساسيين في صناعة الصورة.

#### 2- التصوير الرقمي: هو شكل من أشكال التصوير الضوئي التي تستخدم

التكنولوجيا الرقمية (Digital photography) لمعالجة الصور دون المعالجة الكيميائية، والصور الرقمية يمكن معالجتها، تخزينها مشاركتها كما يمكن طباعتها. ولا يُعدُّ بديلاً عن التصوير الفلمي التقليدي حيث إنها تقنية مختلفة تماماً وله علم مستقل آخر ويمتاز التصوير الرقمي بقلّة الكلفة

- عن الفيلمي بكثير بالإضافة إلي سرعة الأحداث وسرعه التأكد من سلامه وجوده الصورة قبل الطبع<sup>(9)</sup>.
- 3- **المصور الفوتوغرافي:** هو الشخص الذي يقوم بعملية التصوير عبر آلة التصوير (الكاميرا).
- 4- **آلة التصوير (الكاميرا):** وهي الآلة التي يستخدمها المصور في التقاط صورته من خلالها وتسمى (الكاميرا) ولها العديد من الأنواع البدائية والمتطورة.
- 5- **القائم بالاتصال:** وهو المرسل في عملية الاتصال وهنا هو المصور الذي يقوم بالتقاط الصور عبر آلة التصوير (الكاميرا).
- 6- **الصورة الملونة:** وهي الصورة التي تحتوي على العديد من الألوان.
- 7- **الصورة بالأبيض والأسود:** وهي الصورة التي تحتوي على لونين فقط وهما اللون الأبيض والأسود.

#### سابعاً: التصوير الضوئي (التصوير الفوتوغرافي):

هو عملية إنتاج صور بواسطة التأثيرات ضوئية؛ فالأشعة المنعكسة من المنظر تكون خيالياً داخل مادة حساسة للضوء، ثم تعالج هذه المادة بعد ذلك، فينتج عنها صورة تمثل المنظر، ويسمى التصوير الضوئي أيضاً التصوير الفوتوغرافي وكلمة فوتوغرافي ضوئي مشتقة من اليونانية، وتعني الرسم أو الكتابة بالضوء، لذلك فالتصوير الضوئي أساساً هو رسم صورة بالأشعة الضوئية، تلتقط الصور باستخدام آلات تصوير تعمل إلى حد بعيد بالأسلوب نفسه عمل (العين البشرية)، فآلة التصوير كالعين تستقبل الأشعة الضوئية المنعكسة من المنظر وتجمعها في بؤرة باستخدام نظام من العدسات وتكون آلة التصوير خيالياً يسجل على الفيلم، ونتيجة لذلك فإن هذا الخيال الذي يمكننا أن نجعله ثابتاً يمكن أيضاً مشاهدته بواسطة عدد غير محدود من الأفراد<sup>(10)</sup>.

### ثامناً: التصوير الرقمي:

إن التطور الهائل في التقنية الحاسوبية والتقدم الكبير في مجال التسجيل الرقمي للصور ساعد على ظهور الأجهزة التي تسمح بالحصول على الصور دون معالجة كيميائية، والتصوير الرقمي ظاهرة حديثة لا تشترط القطيعة الكاملة مع الأساليب التقليدية القديمة بل تتسجم معها في أحيان كثيرة وتكون الغاية من الجمع بين القديم والجديد الحصول على الجودة الأمثل مع خفض التكلفة(11).

وقد أثارت بعض المزايا التي يوفرها التصوير الرقمي والتي منها ثبات جودة الصورة بغض النظر عن طول فترة التخزين وعدد مرات النسخ وإمكانية المعالجة بالحاسوب، أثارت اهتمام العديد من المصورين الهواة والمحترفين وجذبتهم إلى هذا العالم الجديد عالم التصوير الرقمي، حيث يستطيع أي إنسان القيام بالتصوير الفونوغرافي باستخدام الكاميرا الرقمية بسهولة استخدامها.

### تاسعاً: الصورة بالأبيض والأسود:

قد يتساءل بعضنا لماذا نصور بالأبيض والأسود والأبيض ما دمنا نستطيع التصوير بالألوان؟ الجواب إنك عندما تفقد نعمة الألوان وتصاب بعمى الألوان عندها ستكون مضطراً للتصوير بالرمادي، وإليك طريقة التي تؤدي إلى العمى بالألوان، تأخذ ملعقتين من السكر وملعقة من الملح وملعقة من زيت القطن وتضعهم في نصف لتر من الماء ثم تذيبهم جيداً و تضعهم في قرح معتم وتعرضه أمام الشمس دون تحريك لمدة ثلاثة أيام ثم تصب المحلول في قرح شفاف وتنتظر من خلاله إلى الشمس، عندها يقوم المحلول بحرق الخلايا الحساسة للألوان في شبكية العين، حسناً الآن إذا صدقت ما اختلقته سابقاً يستحسن بك أن تدرس الفيزياء قبل التصوير(12).

الحقيقة أنّ التصوير (الرمادي) أو التصوير بالأبيض والأسود والأبيض شغل زمن ما يقارب النصف قرن قبل اكتشاف التصوير بالألوان، وبالرغم من اكتشاف التصوير بالألوان إلا أنه لا يزال التصوير بالرمادي يشغل المصورين حتى يومنا هذا، وذلك لما تمتلكه من خصائص وصفات خاصة تميزها في الجانبين الصحفي والفني(13).

ففي الجانب الصحفي الصور الرمادية أكثر حيادية ومهنية من الصورة الملونة، وذلك لأن الأطوال الموجبة للألوان تؤثر على العين وربما تبعد العين عن الهدف الرئيسي خصوصاً عند استخدام عدسة واسعة، فلذلك الصور الرمادية تنقل الحدث بكل تفاصيله دون الانحياز ويشاهد الناس الحدث وليس الألوان، ورغم أن أغلب الصحف أصبحت تُصدر بالألوان على الأقل الصفحة الأولى والأخيرة، إلا أن التصوير بالأسود والأبيض أكثر تأثيراً في هذا المجال (14).

أما في الجانب الفني فهذا النوع من التصوير مذاق خاص فكثيراً ما يلجأ المصورون للتصوير بهذا النوع لإظهار المعاناة، أو إظهار تقاسيم كبار السن والمميز في هذه النوع من التصوير أنك تتحكم في جمالية الصورة من خلال ثلاثة أشياء وهي الحدة وكمية الضوء وعمق الميدان، فكلما ازدادت الحدة في الصورة أصبح تأثيرها قاسياً من ناحية المعاناة، وكلما أصبحت ناعمة كان تأثيرها لطيفاً ودافئاً.

#### عاشراً: الوقت المفضل لتصوير الأبيض والأسود:

إن أفضل توقيت للتصوير بالأسود والأبيض هو الجو الغائم، أحيانا تجد تدمر بعض المصورين من الجو الغائم لأنهم لا يستطيعون الحصول على صورها مشبعة بالألوان، إن لم تنجح في الحصول على الألوان استغنى عنها نهائياً وبدأ التصوير بالرمادي، إن للجو الغائم ظلال جميلة جداً وناعمة وأنا أحب تصوير الأشخاص في الأجواء الغائمة، وهذا لا يعني أن التصوير بالرمادي في الجو المشمس غير مجدي بالعكس إن للشمس مذاق مختلف وجميل أيضاً شرط إظهار الظلال والأضواء في الصورة.

#### الحادي عشر: استخدام الصورة في الأبيض والأسود:

الصورة بالأسود والأبيض هي مناسبة لمعظم المناسبات والظروف، والصور أحادية اللون ممتازة في تصوير إحساس أو تجربة تاريخيه في لقطه واحده، فإنها تميل لتعبير على العمق وتعطينا الفرصة لمراقبة كائن أو شخص بشكل كبير مع تأثيرات الإضاءة والرسومات وبالتالي يمكن إن تستخدم أيضاً للصور المجردة.

ونحاول أن نستعرض بعض الاستخدامات للصور بالأبيض والأسود والتي منها:

### 1- الصور الإخبارية (الاتصالية):

يمكن القول إن ظاهرة انتشار فوتوغرافيا الأبيض والأسود أدت إضافة نوعية إلي عملية الاتصال بشكل عام باعتبارها كعمل فني ووسيلة اتصال وبالتالي إلي تنوع الصور وتعدد استخداماتها والتي يمكن إن نعددها وهي:

#### أ. الصور كعنصر من عناصر بناء الصفحة:

تُعد الصورة من الناحية الإخراجية عنصراً مهماً ثقيلًا يتعاون مع العناصر الأخرى كالعناوين والألوان لبناء صفحة متوازنة ومنتظمة في أبعادها ومحددة لمراكز الأهمية فيها.

#### ب. الصور كعنصر من عناصر إبراز الخبر والتأكيد على أهميته:

تلعب الصورة دوراً كبيراً في تأكيد وإبراز الخبر لما تقدمه من وصف دقيق في لغة بصرية واضحة لواقعة أو حدث وبذلك أصبح وجود الصورة بجانب الخبر أمراً لا يغيب على صفحات الصحف، فالخبر المصور يزداد أهمية عن الأخبار الأخرى من حيث الإبراز.

#### ج. الصور كخبر في حد ذاته:

احتلت مركزاً مرموقاً في الصحف السيارة حيث بلغت أوج استخداماتها فيما يسمى "بالنحرير المصور" وهو فن يقوم على التوازن بين الصورة والتعليق المكتوب، بحيث يصعب الاستغناء عن أحدهما، ويقوم به في عالم هذه المهنة ما يسمى "بالمحرر المصور" الذي يقوم في كثير من الأحيان بأعمال بديلة لكلمة مكتوبة، بل إن كيان بعض الصحف والمجلات يعتمد اعتماداً كبيراً على الصورة.<sup>(15)</sup>

#### د. الصور كعنصر من عناصر الإقناع:

تستخدم الصورة في عملية الإقناع وخاصة في الدول النامية التي ترتفع فيها نسبة الأمية وتتبع صفحاتها سياسات إعلامية موجهة، حيث تأتي الصورة لتؤكد ما ورد في الكلام المكتوب المصاحبة له<sup>(16)</sup>.

## 2- الصور الوثائقية:

لأسباب تاريخية يرتبط هذا النوع من الصور بالأسود و الأبيض وربما يعزى ذلك إلي إن العالم شهد أحداثا وتحولات كبرى كالحروب مع بداية التوسع في التصوير الذي كانت بداياته بالأبيض والأسود، إضافة إلى الاعتقاد بان تصوير الإحداث بالأبيض والأسود يعطيها أبعاداً تعزز من مصداقيتها وواقعيتها وتوضح أهمية الصورة في هذا الجانب لخدمة إحدى وظائف الصحافة الحديثة وهي "التوثيق" حيث إن القيمة الوثائقية للصورة الضوئية تكمن في قدرتها على عزل لحظة من الزمن وتسجيلها في حياذ كامل.<sup>(17)</sup>

## 3- الصور الدعائية أو الإعلانية:

مع التوسع التجاري والإعلامي الذي يشهده عالم الأعمال ومع ما صاحب ذلك من زخم في عالم التسويق، ومع ما تمثله الألوان من أهمية في الدعاية، فقد تم العودة لاستخدامات الأبيض والأسود لإكساب الصورة الدعاية أبعاداً أخرى تثيرها كعنصر جذب متمثلة في الظلال والأحجام والأشكال والخطوط والتباينات.<sup>(18)</sup>

## 4- الصور الفنية (الجمالية):

إن فن الأبيض والأسود أصبح واقعا يقوم على أساسه إبداع كثير من المصورين، تعزى أهمية هذا النوع من الصور إلى ارتفاع مستوى التذوق لهذا النوع من الفن الذي أسهم فيه الاشتغال الجاد لبعض المصورين بالانتقال بهذا النوع من التصوير إلى أفاق جمالية أرحب تخرجه من إطار التسجيلية وانتشار فوتوغرافيا الأبيض والأسود أسهمت فيه كذلك المعارض التي تعلي من شأنه كنوع من أنواع الفنون مقرونا باستقبال جاد من النقاد.<sup>(19)</sup>

وللصورة الأبيض والأسود قيمتها الجمالية من حيث هي عمل فني يستوقف النظر ويبعث البهجة في نفس المتلقي، إن جمال التصوير في هذا النوع من التصوير يظهر جلياً في تصوير الفقر، التسول، البنائيات المتهاككة، أطفال الشوارع، الأحياء الضيقة والقديمة، المرض، الأشجار الجافة، الحرف القديمة بقع الضوء، الأطفال الصغار جداً، الزهور البيضاء، المعادن اللامعة، الأشياء أو الأشخاص المتباينين باللون، المنتجات التجارية... وغيرها من المواضيع.

### الثاني عشر: العناصر الفنية للصورة بالأبيض والأسود:

وحتى تتحقق النظرة الفنية للمصور الفوتوغرافي، فإن الرؤية بالأبيض والأسود تتطلب الاهتمام ببعض العناصر التي تساعد في تكوين صورة مؤثرة والتي منها:-

#### 1. الملمس:

له علاقة بالخواص السطحية للمادة المصورة فقد يكون ناعماً أو خشناً، معتماً أو مشعاً، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال مدى انعكاس أو امتصاص الضوء الساقط على المادة، واللون عبر خصائصه اللونية كافة ودرجات تشبعه وكذلك الإعتام والشفافية وما بينهما وصولاً لحجم الحبيبات السطحية للمادة ومدى تقاربها أو تباعدها ومدى انتظامها (20).

#### 2. الخطوط:

من خلال تتبع مسارات الخطوط بين أجزاء الصورة، فإن أهميتها تكمن في توجيه الرؤية عند المشاهد من نواحي الأماكن موضع الاهتمام كما أنها عنصر هام لإضفاء الإحساس بالحركة والتوتر على الصورة (21).

#### 3. التباين:

تكتسب الصورة أهميتها حيث تبين بعض الأجزاء بينما تختفي الأخرى ويلعب توزيع الإضاءة على أجزاء الصورة دوره المؤثر في خلق التباين. ولهذا السبب فإن هارولد ديفيز (2010) يقول ان التفكير بالأبيض والأسود يعني التفكير بعنصر التباين، ولذلك كما يجب الاهتمام بالإضاءة وتقليل أو زيادة التعريض حسب الحاجة (22).

#### 4. الشكل:

يكن الأساس في تشكيل الصورة في هذين العنصرين وهما عنصران بصريان مهمان لتكوين الصورة فمن خلال الشكل والعلاقة بين الأشكال يتكون موضوع الصورة وهو الهيئة التي تكون عليها الصورة التي يستطيع المصور بمهارته الفنية إن يعطي الإحساس بالبعد الثالث على موضوع الصورة مما يضيف عمقا عليها بواسطة الخطوط والظلال (23).

## 5. الظلال الرمادية:

إن الظلال مرتبطة دائماً بالإضاءة ولذلك فإنها تؤثر على موضوع الصورة من حيث نوع ومصدر وتوزيع واتجاه الإضاءة للموضوع المصور، وبالتالي فإن خلق الظلال يعتمد على هذه العوامل وعلى الخصائص الطبيعية للأجسام المصورة، ولذلك فإن الإضاءة والظلال تمد العمل الفني ثنائي الأبعاد بالعمق الفراغي لإعطاء الإحساس بالبعد الثالث (24).

## 6. الإيقاع:

بالرغم من بعض التماثل بين الموسيقى والتصوير فإننا هنا نستعرض الجانب الإيقاعي في موسيقى الصورة، فالإحساس الإيقاعي هنا يتأتى من خلال النمط الذي يكون على صورة أشكال أو خطوط أو تباينات ضوئية تتكرر أو تتدرج أو تتنوع لإعطاء بنية للصورة وإفراح المجال للمشاهد لتكوين انطباع معين عن ذلك الشكل أو الهيئة (25).

وعلى أهمية العناصر الأنفة الذكر فإن الإضاءة هي الأساس التي يعتمد عليها المصور لصناعة الصورة، ولذلك نستطيع القول بأن الإضاءة أساس الصورة لأنها تبرز العناصر الفنية للصورة بكافة تنوعاتها.

**الثالث عشر: الخطوات الأساسية لتحويل الصورة الرقمية إلي الأبيض والأسود:**

وتتم هذه الخطوات باستخدام بعض برامج معالجة الصور الأكثر انتشاراً في كافة أنحاء العالم والتي تتضمن (26).

### 1- لحظة الالتقاط: - هناك أمرين لابد من التركيز عليهما هنا وهما:-

أ. إنه من المناسب الالتقاط دائماً بالألوان ومن ثم التحويل إلى الأبيض والأسود في مرحلة المعالجة.

ب. هو أن صورة الأبيض والأسود تبدأ لحظة الالتقاط وليس عند المعالجة الصورة الأبيض والأسود الممتازة تولد مثل جميع الصور بدراسة العنصر ومواصفاته بما فيها الصورة الملونة، ولكن باختلاف مهم حيث أن التحويل إلى الأبيض والأسود يتم في المرحلة التالية عندما نكون أمام الكمبيوتر، لأن في موقع التصوير لن تكون لدينا النتيجة النهائية للصورة نظراً لأننا سنلتقط

الصورة بالألوان، كما يمكن تقرير ما إذا كانت الصورة الملونة التي نراقبها على الشاشة LCD لآلة التصوير في النهاية ستكون صورة ممتازة للأبيض والأسود، ويمكن أن نمتلك الخبرة والخيال الواسع للنظر بالأبيض والأسود فقط من خلال التجارب والتحويلات الكثيرة التي نقوم بها لتتعلم كيفية النظر بالأبيض والأسود (27).

إن الميزة الأساسية عند القيام بالتحويل من الألوان إلى الأبيض والأسود لحظة معالجة الصورة مقارنة بلحظة العرض، هو أن في المرحلة الثانية يمكن استعمال العديد من البرامج والكثير من التقنيات التي تساعد في الحصول على نتائج أفضل.

## 2- العنصر الجيد للأبيض والأسود:

إن العناصر المناسبة لتصوير الموضوعات في الأبيض والأسود تكمن في كلمة واحدة وهي البساطة فالصور التي تلتقط يجب أن تثير الاهتمام والإحساس الشكلي للمتفرج والذي يجب أن يكون نظره موجهاً إلى قراءة الصورة بداية من العنصر الرئيسي ومن ثم أتباع التاريخ الكامل في الصورة والتوصل إلى العناصر الثانوية والإيقاع، وبالطبع فإن الصورة بالأبيض والأسود ليس لديها ألوان، ولذلك يجب التركيز على كل المواصفات الأخرى للعنصر للحصول على قراءة متكاملة للصورة (28).

## الرابع عشر: أشكال الصور الأبيض والأسود:-

1- العناصر والأشكال: تبين الصورة في الشكل رقم (1) شكل عنصرها وهو احد العناصر التي تجذبنا أكثر وتحفزنا في قراءتها، بالذات إذا كان هذا العنصر مألوفاً (29).



الشكل رقم (1)

## 2- التطريز والهندسة:-

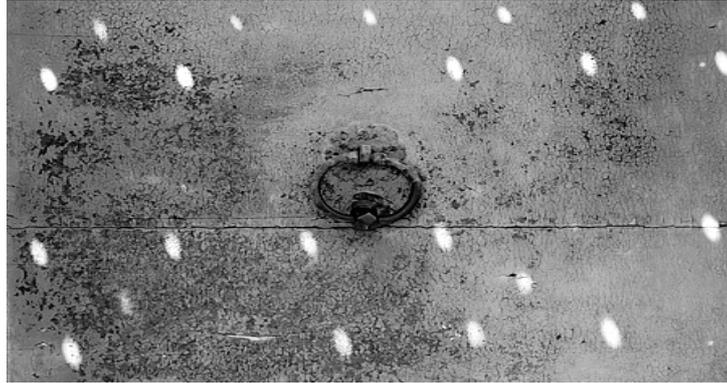
الشكل رقم (2) يبين إن أي عنصر ابيض واسود يمكن أن يصبح مهماً لو يظهر التفاصيل الموجودة على الأسطح مثل الحجر والبلاط والسيراميك والأنسجة<sup>(30)</sup>.



الشكل رقم (2)

## 3-العناصر متكررة: -

الشكل رقم (3) يبين التكرار لعنصر ما في الصورة مثل الأضواء والإشكال يشكل عنصر جذب للنظر<sup>(31)</sup>.



الشكل رقم (3)

التصوير الرقمي الأبيض والأسود: أهميته الاتصالية والجمالية

#### 4- الأضواء والظلال: -

الشكل رقم (4) يبين استخدام مناطق للضوء والظلال المنتشرة والتي يمكن أن تحدد شكل ونوعية العنصر<sup>(32)</sup>.



الشكل رقم (4)

#### 5- الخطوط والمنحنيات: -

الشكل رقم (5) يظهر العناصر في خطوط مستقيمة أو منحنية توجه العين للمنظر وتعطى الشعور لثلاثية الأبعاد<sup>(33)</sup>.



الشكل رقم (5)

## 6- تباين الإضاءة والألوان:

الشكل رقم (6) يبين تباين الإضاءة والألوان من خلال اللقطات الثلاثة سواء كان التباين لضوء أو التباين في الألوان يمكن أن يصبح تباين ذات أنماط مختلفة من الرمادي في الصورة النهائية بفضل تقنيات التحويل<sup>(34)</sup>.



الشكل رقم (6)

**خامس عشر: النقاط الحرجة أثناء عملية التحويل للأبيض والأسود الرقمي:**  
إن أحد العناصر الأكثر أهمية هو طبيعة الصورة نفسها، لأن عقل الإنسان تعود على مشاهدة الأشياء بدرجات مختلفة من التوازن بين الغامق والفاتح في عناصر الصورة المتعددة، إذا كان التحويل في الصورة غير متوازن يمكن أن يجعل الصورة غير طبيعية، ويبين الشكل رقم (7) مثلاً على ذلك حيث يجب الانتباه عندما تقوم بتحويل وجوه الأشخاص لعدم ظهور الشفتين بلون افتح من لون البشرة<sup>(35)</sup>.



تحويل طبيعي



تحويل غير طبيعي

الشكل رقم (7)

وعندما تقوم بتحويل الصورة من الألوان إلى الأبيض والأسود يجب الانتباه لمناطق الإضاءة العالية والظلال العميقة بالأخص عند استخدام المنحنيات والمستويات في برنامج معالجة الصور في العادة يجب البحث على درجة عالية من الوضوح في الصورة كما في الشكل رقم (8) مع المحافظة على عدم أخفاء التفاصيل الصغيرة في المناطق الفاتحة والمناطق الغامقة في الصورة (36).



الشكل رقم (8)

الشكل رقم (9) نلاحظ الصورة الموجودة في الجانب الأيسر، تم تحويل الصورة مع تشبيح بسيط ويمكن مشاهدة هذا الجزء من السماء، بينما نلاحظ في الصورة في الجانب الأيمن توجد نفس الصورة تم العمل عليها بشكل أكبر في البرنامج ونرى المنظر نفسه من السماء مع ظهور تشوهات " في على هيئة Rumor " حبيبات في الصورة (37).



الجانب الأيسر



الجانب الأيمن

### الشكل رقم (9)

#### السادس عشر: طباعة صورة الأبيض والأسود:

عند طباعة صور الأبيض والأسود عن طريق أي طباعة أو في احد معامل التحميص يجب معرفة هذه التقنية لأنه يمكن أن تسبب بعض المشاكل عندما نبحث على طباعة المناطق الغامقة بجانب الأسود المستوى الرقمي أو "O" في هذه الحالة تستخدم الطباعة أقصى كمية من الحبر الأسود والمناطق الفاتحة القريبة من اللون الأبيض في هذه الحالة النتيجة في الطباعة غياب الحبر أي بالورق فقط، لذلك يجب إن تعملوا لساعات للحفاظ على التفاصيل لدرجات قصوى، هكذا تصبح النتيجة النهائية صورة اسود و ابيض، كما يجب اكتساب خبرة في الطباعة للحصول على الصورة المثالية (38).

### الخلاصة:

#### خلص هذا البحث للنتائج التالية:-

- 1- على الرغم من دخول الصورة الملونة وكثرة استخدامها، إلا إن الصورة بالأبيض والأسود مازالت لها مكانة عريقة في عالم التصوير ومازالت لها الاستخدامات نفسها التي لدي الصورة الملونة.
- 2- إن جاذبية الصورة بالأبيض والأسود مازالت تميزها عن غيرها من الصور.
- 3- إن التصوير بالأبيض والأسود هو فن عريق ويكفي أن نقول إن ذاكرة العالم مازالت تحتفظ بكل الأحداث الماضية من حروب واختراعات وتنافس رياضي وغيره من النشاطات والأحداث بالصورة بالأبيض والأسود.
- 4- إن قلة أو انعدام آلات التصوير بالأبيض والأسود لم يمنع من الاستفادة من الصورة بالأبيض والأسود من خلال تحويل الصورة الملونة إلى الأبيض والأسود.
- 5- إن كثيراً من الصحف لا تزال تطبع صفحاتها بالأبيض والأسود، أي إن صورة الأبيض والأسود تؤدي دوراً اتصالياً بارزاً.
- 6- إن الصور الأبيض والأسود ما تزال لديها جمال أخاذ يتجسد في صور الطبيعة، الأرض، السماء، الشمس، القمر، والماء، البحر، الأشخاص، وأشياء كثيرة جميلة، وهو ما يؤكد بان الصورة بالأبيض والأسود ما تزال لها قوة اتصالية وجمالية لم تلغها الصورة بالألوان.

### الهوامش والمراجع:

1. د.شاكر عبد الحميد، عصر الصورة الايجابيات والسلبيات،سلسلة عالم المعرفة، الكويت،العدد 311، يناير 2005،ص75.
2. إبراهيم الفضيلات ، التصوير الضوئي التقليدي والرقمي ، عمان، 2003، ص 262.
- 3-شريف درويش اللبان، تكنولوجيا النشر الصحفي الاتجاهات الحديثة، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2001، ص60-61.
- 4- مصطفى عمر التير، مقدمة في مبادئ وأسس البحث الاجتماعي، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، الطبعة الثالثة،1995، ص91-92.
- 5- عبد الله عامر الهمالي، أسلوب البحث الاجتماعي وتقنياته، منشورات جامعة قاريونس ط3 2003 ص.89
- 6- سمير محمد حسين، بحوث الإعلام: الأسس والمبادئ ، ط1، عالم الكتب، القاهرة 1976 ص123.
- 7- سليمان عاشور الزبيدي، مناهج البحث العلمي، ط1، المكتبة الجامعة للنشر والتوزيع، ليبيا 1998 ص74.
- 8- السيد أحمد مصطفى عمر، إعداد المقترحات الأولية لمشروعات البحوث مع نموذج للتطبيق، منشورات جامعة قاريونس بنغازي 1992 ص33.
- 9- عبد العزيز سعيد الصويغي، فن صناعة الصحافة: ماضيه وحاضره ومستقبله، ط1، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1984، ص.57
- 10- شريف درويش اللبان، مرجع سابق، ص60-61.
- 11- نبيل دعيق، فن التصوير الفوتوغرافي والفيديو، ط1، منشورات مؤسسة غاندي للثقافة والفنون، فلسطين، 1990، ص 54.
- 12- المرجع السابق، ص54-55.
- 13-محمد عبد الحميد، السيد بهنسي، تأثيرات الصورة الصحفية (النظرية والتطبيق)، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1984، ص60-61.

- 14- كمال عبد الباسط الوحيشي، أسس الإخراج الصحفي: دراسة تطبيقية على الصفحات الأولى في الصحف الليبية 1969-1973، ط1، منشورات جامعة قاريونس، 1999، ص188-189.
- 15- المرجع السابق، ص390-393.
- 16- المرجع السابق، ص395.
- 17- المرجع السابق، ص393.
- 18- محمد عبد الحميد، السيد بهنسي، مرجع سابق، ص76.
- 19- كمال عبد الباسط الوحيشي، مرجع سابق، ص396.
- 20- رياض عبد الفتاح، التكوين في الفنون التشكيلية، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1995، ص57.
- 21- المرجع السابق، ص58-59.
- 22- Davis, Harold (2010) Creative black&white: Digital photography tips&techniques, Indianapolis, Indiana: Wiley Publishing P.79.
- 23- رياض عبد الفتاح، مرجع سابق، ص75-76.
- 24- Davis, Harold (ديفيس، هارولد)، مرجع سابق، ص83.
- 25- محمد نبهان سويلم، التصوير والحياة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1984، ص63.
- 26- Barthes, Roland (1977) 'The Photographic Message' (1961) in Image Music Text, edited by Stephen Heath. London: Fontana, pp. 15-31.
- 27-TIM GREY, SEGRETI DELLA FOTOGRAFIA DIGITALE, 2008, p70.
- 28- Peterson, Bryan (2009). Understanding photography- Field guide. New York: Watson- Guptil, P104.

29- تصوير الباحث.

30- تصوير الباحث.

31- تصوير الباحث.

32- تصوير الباحث.

33- Barthes, Roland (1977) 'The Photographic Message' (1961) in Image Music Text, edited by Stephen Heath. London: Fontana, pp. 34.

34- تصوير الباحث.

35-TIM GREY,SEGRETI DELLA FOTOGRAFIA  
DIGITALE,2008,p56.

36 -MICHAEL FREEMAN, L'OCCHIO DEL  
FOTOGRAFO,2011,P.93.

37- Peterson, Bryan (2009).Understanding  
photography- Field  
guide. New York: Watson- Guptil. P96.

38- JOHN BATDORFF- FOTOGRAFIA DIGITALE IN  
BIANCO E NERO,2012.p.55.

## الكشف والتعرف على الموهبين ودور الأسرة في رعايتهم

د.سعاد مصطفى فرحات  
قسم التربية وعلم النفس  
كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

### ملخص البحث

ملكة من الملكات التي اختص بها الله سبحانه وتعالى بعضاً من عباده وهذه الموهبة إذا ماتم اكتشافها في وقت مبكر من مؤسسات التربية التي من ضمنها الأسرة وتعدتها بالعناية والرعاية فإنها سوف تصقل ويصبح لها تأثير كبير في المجتمع وإذا أهملت سوف تكون من الطاقات المهدورة بالمجتمع. ورعاية الأسرة واكتشافها لابنها الموهوب أمر في غاية الأهمية، فأول هيئة تنظيمية يبدأ فيها الطفل هي الأسرة حيث تلعب الدور الأهم في اكتشاف الموهبين من أبنائها والأخذ بيدهم وتقديم وسائل الرعاية اللازمة لتنمية قدراتهم ومواهبهم

من هنا جاءت هذه الورقة البحثية لتسلط الضوء على أهمية دور الأسرة في اكتشاف ورعاية الموهبين من خلال العناوين التالية :  
المقدمة.

أولاً- تعريف الموهبة والموهوبين.

ثانياً- خصائص الموهوبين.

ثالثاً- الحاجات النفسية للموهوبين.

رابعاً- المعوقات التي تواجه الموهوبين.

خامساً- عملية الكشف عن الموهوبين.

سادساً- دور الأسرة ومسؤولياتها في تنمية الطفل الموهوب واكتشافه.

سابعاً- خصائص البيئة الأسرية للأطفال الموهوبين.

ثامناً- توصيات وتوجيهات للأسرة لمساعدتها في القيام بدورها حيال ابنها الموهوب.

## المقدمة:

يعدُّ الموهوبون من الطاقات البشرية التي تحتاج إلى رعاية ودعم لكي يتمكنوا من تطوير قدراتهم المعرفية والإبداعية بشكل كامل، فقد أصبح الاهتمام بالموهوبين ضرورة يفرضها التقدم العلمي والتكنولوجي، حيث أنه من المعروف أن هذه الفئة إذا لم تتوافر لها الرعاية الكافية التي توجهها الوجه الصحيحة فإن مواهبها تخبو وتنطفئ تدريجياً حتى يصل صاحبها إلى مستوى الفرد العادي.

ومن هنا جاء دور الأسرة قبل دور المؤسسات التربوية الأخرى خاصة وأن الموهوبين يُعدّون الثروة الحقيقية للمجتمع وبالتالي فإن رعاية الأسرة واكتشافها لابنها الموهوب أمر في غاية الأهمية، فإن سارت هذه الرعاية في الطريق الصحيح ستكون نتائجها مثمرة، وإن سارت عكس ذلك فستكون عواقبها مؤسفة.

فالأسرة هي البيئة الأولى التي ينشأ فيها الطفل، وهي بدورها تقدم له مختلف أنواع الرعاية لأنها البيئة الطبيعية التي يمارس فيها الفرد حياته ولها دور هام في اكتشاف الموهوبين من أبنائها وتقديم وسائل الرعاية اللازمة لهم لتنمية قدراتهم وإمكانياتهم ومواهبهم ومقابلة متطلبات حاجاتهم، غير إنها تعجز أحيانا عن القيام بدورها كاملا وذلك بسبب عوامل نقص الخبرة أو قلة التدريب أو تعرض طفلها لعوامل الحرمان المتنوعة بشكل مباشر أو غير مباشر.

ويذكر البعض أنه كلما تمّ التعرف على الطفل الموهوب في وقت مبكر كلما تمكن الأخصائيون من إعداد وتوفير الخبرات التعليمية الملائمة لتحقيق أقصى قدر ممكن من النمو لهذا الطفل، ومن ثمّ يصبح التعرف المبكر هو مفتاح التوصل إلى اكتشاف المدى الواسع من الطاقات البشرية المتاحة في أي مجتمع من المجتمعات<sup>(1)</sup>.

وبالتالي فإن دور الأسرة في تنمية الموهبة والإبداع يمثل تحدياً آخر يواجه أسر الموهوبين من أجل توفير البيئة الصحيحة لتنمية الموهبة، فقد تبين في إحدى الدراسات أن الأم هي أول من يكتشف أن طفلها موهوب، والأسرة

## الكشف والتعرف على الموهبين ودور الأسرة في رعايتهم

إذا لم تقم بتشجيع الطفل وتوفير المناخ الملائم له في البيت، فإن الموهبة قد تبقى كامنة<sup>(2)</sup>.

وفيما يلي سنعرض تعريف الموهبة والموهوبين وخصائصهم والمعوقات التي تواجههم والكشف عنهم ودور الأسرة في تنمية الموهبة لديهم:

### أولاً- تعريف الموهبة والموهوبين:

هناك صعوبة في تحديد وتعريف بعض المصطلحات المتعلقة بمفهوم الموهبة، لأنها كثيرة ويسودها الخلط، وعدم الوضوح في استخدامها، ويعود ذلك إلى تعدد مكوناتها، ومع ذلك سنقدم بعض التعريفات التي تقاربت حولها وجهات النظر وهي المصطلحات الآتية:

#### العبقرية:

وهي قوة فكرية فطرية من نمط رفيع كالتالي تعزى إلى من يعدون أعظم المشتغلين في أي فرع من فروع الفن، أو التأمل أو التطبيق، فهي طاقة فطرية، وغير عادية، وذات علاقة بالإبداع التخيلي، وتختلف عن الموهبة.

#### الموهبة:

تُعرّف بأنها سمات معقدة تؤهل الفرد للإنجاز المرتفع في بعض المهارات والوظائف، والموهوب هو الفرد الذي يملك استعداداً فطرياً وتصقله البيئة الملائمة، لذا تظهر الموهبة في الغالب في مجال محدد مثل الموسيقى أو الشعر أو الرسم... وغيرها.

#### الإبداع:

وهو إنتاج الجديد النادر المختلف المفيد فكراً أو عملاً، وهو بذلك يعتمد على الإنجاز الملموس<sup>(3)</sup>.

#### الذكاء:

هو القدرة الكلية العامة على القيام بفعل مقصود، والتفكير بشكل عقلائي، والتفاعل مع البيئة بكفاية. فالذكاء قدرات الفرد في عدة مجالات كالقدرات العالية في المفردات والأرقام، والمفاهيم وحل المشكلات، والقدرة على الاستفادة من الخبرات، وتعلم المعلومات الجديدة.

### التميز :

الموهوبون أو المتميزون كما يعرفهم مكتب التربية الأمريكي : بأنهم الذين يتم الكشف عنهم من قبل أشخاص مهنيين ومتخصصين، وهم الذين تكون لديهم قدرات واضحة ومقدرة على الإنجاز المرتفع.

### التفوق التحصيلي :

يشير إلى التحصيل العالي، والإنجاز المدرسي المرتفع. فالتحصيل الجيد قد يعد مؤشرا على الذكاء، ويعرف المتفوق تحصيليا بأنه الطالب الذي يرتفع في إنجازته، أو تحصيله الدراسي بمقدار ملحوظ فوق الأكثرية، أو المتوسطين من أقرانه<sup>(4)</sup>.

وإذا استعرضنا التطور التاريخي لمفهوم الموهبة والتفوق، لوجدنا أنه يمكن التمييز بين أربع مراحل متداخلة- إلى حد ما - ولا تزال تلقي بظلالها بصورة أو بأخرى على الاتجاهات السائدة في الدوائر الأكاديمية والمؤسسات التربوية التي تقدم خدمات للطلبة الموهوبين في دول مختلفة، وتضم هذه المراحل ما يلي:

- مرحلة ارتباط الموهبة والتفوق بالعبقرية كقوة خارقة خارج حدود سيطرة الإنسان.

- مرحلة ارتباط الموهبة والتفوق بالأداء المتميز في ميدان من الميادين التي يقدرها المجتمع في الحضارات المختلفة كالفروسية والشعر والخطابة.

- مرحلة ارتباط الموهبة والتفوق والعبقرية بنسبة الذكاء المرتفعة كما تقيسها اختبارات الذكاء الفردية، وقد بدأت هذه المرحلة عمليا مع ظهور اختبار (ستانفورد بينيه) في العقد الثاني من القرن الماضي.

- مرحلة اتساع مفهوم الموهبة والتفوق ليشمل الأداء العقلي المتميز والاستعداد أو القدرة على الأداء المتميز في المجالات العقلية والأكاديمية والفنية والإبداعية والقيادية<sup>(5)</sup>.

وقد تبلور هذا الاتجاه خلال الثلث الأخير من القرن الماضي مع ظهور أول تعريف معتمد من وزارة التربية الأمريكية عام 1972، وينص على ما يأتي:

"الأطفال الموهوبون والمتفوقون هم أولئك الأطفال الذين يقدمون دليلاً على اقتدارهم على الأداء المرتفع في مجالات القدرة العقلية العامة والتفكير الإبداعي، والقدرة القيادية، والاستعداد الأكاديمي الخاص والفنون البصرية والأدائية، ويحتاجون خدمات وأنشطة لا تقدمها المدرسة عادة وذلك من أجل التطوير الكامل لمثل هذه الاستعدادات أو القابليات"<sup>(6)</sup>.

وعلى الرغم من أن هذا التعريف حدد خمسة مجالات للموهبة والتفوق شأنه في ذلك شأن العديد من التعريفات التربوية التي تلقى قبولاً واسعاً من الناحية النظرية، إلا إن التعريف التقليدي للموهبة والتفوق هو في واقع الأمر تعريف سيكومتري إجرائي مبني على استخدام محك الذكاء العام المرتفع كما تقيسه اختبارات الذكاء الفردية. هكذا فعل تيرمان Terman في دراسته المعروفة التي اتخذ فيها نسبة الذكاء (140) حداً فاصلاً للموهبة والتفوق وسار على نهجه عدد من الباحثين والمربين في دراسات وبرامج كثيرة مع الفارق في تحديد نقطة القطع التي وضعوها كحد فاصل بين الموهوب وغير الموهوب.

#### ثانياً- خصائص الموهوبين :-

في ضوء التعريفات السابقة، وما توارث في التراث التربوي والنفسي أنه يمكن أن نستنتج جملة من الخصائص والسمات التي يتميز بها الموهوبون:

- 1- التفوق العقلي : يتسم الموهوبون بالقدرة العقلية العالية فالموهوب يتربع على قمة السلم الهرمي في استجاباته على اختبارات الذكاء، وكذلك في اختبارات التفكير الابتكاري.
- 2- القدرة على أداء الأعمال بكفاءة عالية، وذلك بما يمتلكه من مهارات متميزة تنبئ بتحقيق انجازات عظيمة مستقبلاً وبما يمتلكه من طاقة حيوية هائلة يسخرها للسيطرة على الأشياء.

3- القدرة العالية على الفهم والإدراك في تصور العلاقات بمختلف مستوياتها كالعلاقات الزمانية والمكانية والمجردة بين الأشياء والأفكار والوقائع ويظهرون مرونة في التفكير في إنتاج البدائل الجديدة والحلول التي تتصف بالجدية والأصالة والحدائثة، فالموهوبون يتعلمون عن طريق الاكتشاف ويرفضون أساليب الحفظ والتقليد.

4- ولعل من أهم خصائص الموهوبين أيضاً تميزهم بالاستقلالية والثقة بالنفس إلى درجة المخاطرة والمغامرة في القيام بالمهام الصعبة وفي تناول الأشياء وتجريبها، وتلعب دافعية الموهوب المتزايدة دوراً في رغبته في التعلم وفي الاكتشاف والفضول المعرفي فهو كثير الأسئلة والتساؤل مما يسبب الإزعاج والقلق لوالديه ومعلميه في أحيان كثيرة.

5- الحساسية للمشكلات والمواقف : إذ أن الموهوب المبدع أكثر حساسية للمشكلات الاجتماعية والمواقف التعليمية، فهو غالباً ما يميل إلى اكتشاف التناقض في المواقف، ويظهر العناصر المفقودة في حل المشكلة<sup>(7)</sup>.

**مما سبق نستنتج** أن الموهوبين يتميزون بخصائص عامة تجعلهم مختلفين عن أقرانهم من الأطفال غير الموهوبين أو غير المتفوقين ومع الاعتراف بوجود تلك الخصائص العامة سواء من الناحية الجسمية أو العقلية أو الاجتماعية أو السلوكية، إلا أن أي طفل موهوب أو متفوق ليس بالضرورة أن تكون لديه مثل هذه الخصائص، كما أشار "القيوتي" فكما أن الأطفال الموهوبين والمتفوقين ينحرفون عن المتوسط بالاتجاه الإيجابي في مجموعة من الخصائص عن أقرانهم العاديين، إلا أن هناك انحرافات عن المتوسط بين مجموعة الموهوبين والمتفوقين التي ينتمي إليها أي طفل موهوب أو متفوق<sup>(8)</sup>.

ونظراً لأهمية هذه الخصائص والمميزات لدى الموهوبين المبدعين فقد كانت الأساس التي اعتمد عليها العلماء في بناء اختبارات التفكير الإبداعي التي تؤكد جميعاً على قياس السمات الأساسية الثلاث وهي : الأصالة والمرونة والطلاقة.

- أهمية معرفة خصائص الموهوبين بالنسبة للأسرة: إن وعي الأسرة ومعرفتها بخصائص طفلها الموهوب يساهم في الاتي:

- تطوير قدراتها على ملاحظة هذه الخصائص والتعامل معها بإيجابية.
- ملاحظة خصائص الموهبة لدى الطفل، ورصدها بهدف تنميتها وتطويرها، وتجنب الممارسات الخاطئة التي قد تعيق تألقها.
- تعزيز خصائص الموهبة لدى الطفل من خلال توفير المصادر، وإثراء البيئة المحيطة الداعمة لمجالات التميز لديه، والعمل على توجيهه إلى النشاطات الملائمة.
- ترشيح الطفل للبرامج التعليمية الخاصة بالموهبين، والتعاون مع المؤسسة التعليمية في تربية الطفل وتنشئته وتوجيه طاقاته<sup>(9)</sup>.

### ثالثاً- الحاجات النفسية للموهبين :

إن مساعدة الموهبين على استمرار تفوقهم ونمو عوامل إبداعهم في إثراء مجتمعاتهم يكون من خلال :

#### أ\_ توفير الحماية والأمان للموهوب :

لتوفير الحماية والأمان للموهوب يجب أن تكون من عدة جوانب تبدأ من الأسرة ثم المدرسة ثم المجتمع.

فالأسرة عليها أن توفر لابنها الموهوب أقصى أمور الحماية لان جهل الآباء للحاجات النفسية للموهبين ينمي لهم الفشل وهذا بدوره ما يؤدي إلى الكراهية اتجاه المواقف التي يرتبطون بها.

أما المدرسة فان عدم تفهم المعلمين لحاجات الموهبين يجعلهم يصابون بالإحباط نتيجة الضغط الذي يواجهه الموهوب من المعلم تارة والسخر من زملائه تارة أخرى هذا ما يجعله محتاجاً إلى المساندة والتشجيع لتفهم حاجاته.

ويأتي هنا دور المجتمع فعليه أن لا يعامل الموهبين من أبنائه بقسوة خاصة إذا كانوا من صغار السن بدعوى من التربية والتهديب لتوفير نوع من المعايير اللازمة لعمليات الضبط الاجتماعي.

#### ب \_ مساعدة الموهوب في التعبير عن أفكاره ودعمها :

كثيراً ما يشعر الموهوب برغبته في الاكتشاف وممارسة النشاط الإبداعي عندما يقوم باختيار أفكاره. فهو هنا يشعر بحاجة إلى محادثة غيره ومناقشة تلك الأفكار والنتائج لأنه هنا يحتاج إلى من يحترم أفكاره ويقدرها.

فيجب مساعدته في التعبير عن أفكاره بحرية والتفكير بشكل مستقل في كثير من أمورهِ، وهذه المساعدة تؤدي به وبأفكاره أن تكون موضوع التجريب وإدخال التعديلات عليها وإعادة تشكيلها للوصول إلى أفضل الحلول الممكنة.

### ج \_ مساعدة الموهوب في فهم طبيعته:

إن نظرات المجتمع للموهوب تختلف عن نظراتهم إلى أي شخص آخر نتيجة ما يقومون به، حيث أن شخصية الموهوب تتميز بدرجة عالية من الحساسية والقدرة على التحدي ومقاومة عوامل الاضطراب التي يمر بها. وهذا يؤدي به إلى ردود أفعال الآخرين اتجاهاً مما يجعله يمر بأوقات عصيبة وحرارة في حياته تجعله يشعر بالحاجة إلى من يقدره ويقدر عوامل اختلافه وعدم تشابهه مع الآخرين لمساعدته في مواصلة طريقه في الموهبة والإبداع<sup>(10)</sup>.

وهنا يمكن لنا أن نلخص الحاجات التي يحتاجها الموهوب بمايلي:

1. وعي الأسرة بالحاجات النفسية والعاطفية والاجتماعية للطلاب الموهوبين.

2. اختيار المناهج المناسبة لنمو مواهبهم نظراً لعدم كفاية المناهج الدراسية العادية. وعدم استجابة المناخ المدرسي العام الذي يغلب عليه طابع الفتور وعدم المبالاة تجاه الطلاب الموهوبين.

3. سد الفجوة بين مستوى النمو العقلي والعاطفي للطلاب الموهوبين حيث يتقدم النمو العقلي بسرعة أكبر من النمو العاطفي.

4. تعويض الوقت الضائع لهم بالمدرسة فيما يعود عليهم بالمنفعة، لأن ضياع ما يقارب 50% من وقت المدرسة دون فائدة تذكر بالنسبة للطلاب الذين تبلغ نسبة ذكائهم 140 فأكثر.

### رابعاً-المعوقات التي تواجه الموهوبين:

إذا أردنا أن نستقصي المشكلات والعقبات التي تواجه فئة الموهوبين وتعرض مظاهر نموهم الطبيعي، وتكون سبباً في إحباطهم وفشلهم أحياناً أو تعثر موهبتهم وإبداعاتهم وتأخرها أحياناً أخرى، فيمكن إرجاعها إلى المصادر التالية التي يتفاعل معها الموهوب وتشكل شخصيته وهي :-

## 1- مشكلات ذاتية شخصية تتعلق بالموهوب نفسه :-

أ- قد يعاني الطفل الموهوب من مشكلات نفسية تؤدي به إلى سوء التوافق النفسي والاجتماعي، فالموهوب كما أشرنا يتميز بدافعية عالية نحو التعلم ولديه رغبة في البحث والاستطلاع واستكشاف المعرفة، فهو يفكر في كل ما يجري من حوله، فإذا ما مر الطفل بخبرات مؤلمة وبخاصة في مراحل حياته الأولى أو أخفقت البيئة في إشباع حاجاته، فقد يصاب بالإحباط والفشل وينتابه القلق والتوتر، وتتحوّل حياته إلى صراعات نفسية داخلية تدمر ذاته وتقتل الإبداع لديه، فإما القبول بهذا الواقع الذي لا يتوافق مع ذاته وتطلعاته أو التخلي عن تلك الأنشطة الإبداعية، ويحدث ذلك في جميع المراحل العمرية للطفل، وفي كل الأحوال تكون الخسارة فادحة للفرد المبدع وللمجتمع بكامله يفقده مثل هذه المساهمات الفردية والإنجازات الجادة مستقبلاً.

ب- يختار الموهوبون من التلاميذ والطلاب أحياناً مسارات من الدراسة أو أنواع من المهن غير مألوفة لدى الأسرة أو تتعارض مع رغبات الأباء أو يشعرون بأنها لا تتناسب مع مكانتهم الاجتماعية، مما يدفع بالأباء إلى الوقوف في وجه أبنائهم ومنعهم من الالتحاق بذلك النوع من الدراسة أو المهنة، مما يؤدي بهؤلاء الموهوبين إلى التراجع والتقهقر ومن ثم الإحباط والفشل.

## 2- مشكلات تتعلق بالبيئة المنزلية :-

أ- يواجه الأطفال الموهوبين بعض المشكلات أو العقبات التي يكون مصدرها المباشر الأباء أو الأخوة أو الأخوات، ولعل أهمها عدم اكتراث الأسرة بمواهب الطفل العقلية أو الفنية فتتجاهل نشاطاته، بل تكرهه أحياناً على عدم ممارسته لها، ولا توفر له الإمكانيات المادية والمعنوية مهما كانت بسيطة، وهكذا قد تعمل الأسرة على وأد الموهبة في مهدها، فالأطفال الموهوبون غالباً ما ينسحبون ويتخلون عن مواهبهم وممارسة هواياتهم في حالات الفشل المتكرر، وبخاصة في المراحل الأولى، وكذلك في حالات الشعور بالخوف والتهديد من قبل أهلهم وذويهم، وقد يرجع ذلك إلى أن الموهبين يتسمون بالعواطف الجياشة من ناحية والحساسية الاجتماعية من ناحية أخرى.

ب- قد تتبع الأسرة أساليب خاطئة في عمليات التربية والتنشئة الاجتماعية فلا تتقبل الطفل ومواهبه، وتنظر إليه على أنه مشاكس وجالب للمشاكل وتطلق عليه ألفاظاً وعبارات لا يقبلها أو تسخر منه ومن طموحاته، وفي المقابل هناك أنماطاً أخرى من التنشئة الاجتماعية الخاطئة أيضاً، كأن تبالغ الأسرة في إطلاق عبارات الشكر والثناء على ابنها وتمنحه من العطف والتدليل أكثر من اللازم، مما قد يؤدي به إلى الغرور والشعور بالاستعلاء والتكبر، كما أن التفرقة في معاملة الأولاد يؤدي إلى الكراهية الشديدة بينهم، والشعور بالإحباط وعدم وجود حالة من الهدوء والأمن النفسي، والخوف من فقدان حب الوالدين.. وهذا يُعدّ معوق خطير يقف أمام إظهار الطفل الموهوب لطاقته وقدراته الكامنة، كذلك عدم فهم الوالدين لطبيعة الطفل الموهوب، فالطفل الذكي يتذمر من القيود والقوانين والأوامر الصارمة ويعتونها عائقاً تحول دون انطلاقه.. لهذا يجب توفير قدر من المرونة والحرية في تحركات الطفل وأفعاله لكي يستطيع التنفيس عن انفعالاته وأفكاره، فالطفل الموهوب ذو قدرات عالية، وقد يقوم بالتخريب لا حباً في التخريب وإنما لأن طبيعة تحب الاستطلاع والتجريب.. لذلك يجب إبعاد المثيرات المؤذية عنه، مع إيجاد بديل ليمارس نشاطه ويجري تجاربه في مكان مخصص للعبه ومكتشفاته.

ج- ومن الأخطاء التي يقع فيها الآباء أيضاً أنهم يوجهون أطفالهم ويلقنهم مفاهيم خاطئة وقوالب جامدة في التفكير كالقول بأن حل هذه المشكلة أو تلك لا تتم إلا بطريقة واحدة فقط، وهي كما يدركونها هم وتعودوا عليها، وما عداها من الحلول والبدائل فهي خاطئة، وهذا بطبيعة الحال يقتل روح الإبداع لدى الأطفال الذين يمكنهم اكتشاف حلولاً وبدائل أخرى جديدة، وغير مألوفة لدى الكبار وأولياء الأمور، وفي هذا الصدد يشير بليزر وسيويروت، 1990، Blazer & Siewert إلى أنه يمكن إحباط كل الوظائف الذهنية (لدى الموهوبين) من خلال المنازل غير اللائقة لحياتهم<sup>(11)</sup>.

### 3- مشكلات وصعوبات تتعلق بالبيئة المدرسية :-

تحتوي البيئة المدرسية على متغيرات متعددة ووسائط متنوعة تلعب دوراً مهماً في تنمية الإبداع وصقل الموهبة لدى الأطفال أذ ما تم استغلالها لصالح

الطفل، وفي المقابل يمكن أن تكون مصدراً لإثارة المشكلات لدى الموهوب فتعرقل نموه وتحد من مواهبه وإبداعاته ولعل من أهم تلك المشكلات ما يلي:-  
أ- تثار الكثير من المشكلات في الفصل الدراسي بين الموهبين والمعلمين بسبب إن الموهوبين كثيراً ما يبحثون عن فرديتهم الخاصة التي تميزهم عن أندادهم في الفصل، فقد يكثر من الأسئلة حول القضايا والموضوعات التي يدرسونها أو حول الأفكار والحلول التي يطرحونها لمعالجة المشكلات أو أنهم يطرحون حلولاً وبراهين مختلفة غير مألوفة لدى المعلمين أو يسألون أسئلة صعبة ومعقدة، فيضيق المعلمون والمدراء بهم ذرعاً فيلجأون إلى قمعهم أو الاستهزاء بأفكارهم وآرائهم وقد يصفونهم بالمشاكسين والمتخلفين وإنهم يثيرون الفوضى في الفصل الدراسي، وقد نشرت إحدى الصحف الأمريكية عام 1992 (جريدة بروفدنس) Providence وثيقة مفادها: إن أباء الأطفال الموهوبين في إحدى المدن قد احتجوا على الطريقة التي يعامل بها أطفالهم الموهوبين و المبدعين في المدارس، وقد قدم هذا الاحتجاج إلى مجلس المدينة من طرف السكرتيرة لجمعية الأطفال الموهوبين والمبتكرين تتهم فيها المدارس العامة بوضع الطلاب المبتكرين في الفصول الدراسية نفسها للمتخلفين عقلياً وبسبب المشاكل السلوكية التي تحدث بينهم فإنهم يعاملون معاملة المتخلفين عقلياً. وهكذا يصنف الموهوبون والمبدعون ويوضعون مع فئة المتخلفين عقلياً في أكثر الدول حضارة وتقدماً، فكيف يكون حال الموهوبين في الدول النامية والمتخلفة إذن<sup>(12)</sup>.

ب- لما كان الأطفال الموهوبين لا يميلون إلى الحفظ والتلقين، بل ينتجون أساليب في التعلم مثل التعلم الأكتشافي والبحث عن المعلومات والحقائق بأنفسهم، أي باستخدام أسلوب التعلم الذاتي، كما أنهم يعتمدون على أنماط التفكير القائمة على الملاحظة والاستنتاج والتحليل والتقويم، أي تلك المستويات العليا في التفكير، فإنهم كثيراً ما يشعرون بالملل والضيق عندما يستخدم المعلمون طرائق تقليدية في التدريس تقوم على أساليب التلقين والتفكير النمطي، كما أن المناخ المدرسي التقليدي وقلة الإمكانيات المدرسية وعدم توفر الأنشطة المدرسية المتنوعة كالأنشطة الرياضية والموسيقية والفنية وبرامج

الرحلات والزيارات، كل ذلك يبعث على السأم والملل لدى الأطفال والتلاميذ الموهوبين ويعوق نموهم الطبيعي الحر.

#### خامساً- عملية الكشف عن الموهوبين:

يعد اكتشاف الموهوبين الخطوة الأولى في طريق رعايتهم، وإطلاق طاقاتهم، بيد أن النجاح لهذا المشروع أو البرنامج يتوقف على دقة عملية الكشف وسلامة الإجراءات التي اتبعت.

وقد عرّف البعض اكتشاف الموهوبين بأنّها، " العملية التي تستخدم عدداً من الطرق والوسائل والأدوات في التعرف على الطلاب الموهوبين، وفيها المقاييس والاختبارات، والملاحظة، والتقدير.

وتستمد أهمية الكشف عن الموهوبين من كونها عملية يبنى عليها ما بعدها من فرص الرعاية والاهتمام وبالتالي فإنّ إلحاق طالب غير موهوب بفئة الموهوبين (القبول الزائف) وحرمان آخر موهوب من فرصة الرعاية والاهتمام هما من الأخطاء الكبيرة التي يمكن أن يقع فيها أو في أحدهما القائمون على تنفيذ عملية الكشف.

ولقد تطورت عملية الكشف عن الموهوبين خلال العقود الأخيرة فالمجتمعات القديمة كانت تعتمد على المعايير الذاتية المبنية على الملاحظة والحدس لتفسير ظاهرة الموهبة والكشف عن الموهوبين، والعرب قديماً اشتهروا بالفراسة وتمييز النابغين عن غيرهم، حيث كان عامل الوراثة، ونقاء الأصل من المؤشرات البارزة في تشخيص هؤلاء النابغين.

ثمّ تواردت بعد ذلك الأفكار والآراء في اكتشاف الموهوبين عبر العصور المتعاقبة وأورد الفلاسفة والمربون والسياسيون الطرق التي يمكن بها اكتشاف الموهوبين.

وعلى الرغم من ظهور الاتجاهات الحديثة وتنوع الطرق والوسائل في الكشف عن الموهوبين إلا أنّ التعرف على حالات الأطفال الموهوبين ليس أمراً سهلاً وميسراً بالنسبة لعدد كبير من هؤلاء الأطفال، على أنّ هذه الطرق أو الوسائل يمكن أن ينظر إليها كمؤشرات ومنبئات عن إمكانية وجود الموهبة وليست محكاً أو معياراً أكيداً لتحقيق الموهبة وإثبات وجودها، "فالمحك

الحقيقي والمعياري الأكيد لتحقيق الموهبة هو الإنتاج والأداء"، حيث عرف البعض المحكّ بأنه: "مستوى الأداء الذي يصل إليه الفرد في مجال تقدره الجماعة"، أما المؤشر والمنبئ فهو يوجه إلى إمكانية وجود موهبة وإمكانية تحققها في المستقبل فيما لو توفرت الظروف والشروط الملائمة<sup>(13)</sup>.

فالموهبة لا تتحقق غالباً في الأداء والإنتاج إلا في مرحلة الرشد عندما يكتمل النضج ويتم استثمار الخبرات التعليمية التي تمت في المراحل العمرية السابقة، بخلاف مرحلة الطفولة والمراهقة التي تظل الموهبة بها كقدرات واستعدادات تعبّر عن نفسها ببعض الخصائص عليه فإنّ طرق ووسائل الكشف والتعرف التي تستخدم مع الأطفال والمراهقين لا تزيد عن كونها مؤشرات ومنبئات بإمكان وجود الموهبة وإمكانية تحققها في المستقبل.

ومن هنا يمكن التفريق بين الموهوب الذي أنتج إنتاجاً مرموقاً أو حصل تحصيلاً فائقاً في مجال له قيمته بالنسبة للمجتمع وبين من له طاقة (أو استعداد) على التفوق وهو ذلك الفرد الذي لم ينتج بعد أو يحصل تحصيلاً فائقاً، غير أنّ له من الطاقة العقلية والاستعداد ما قد يمكنه من الوصول إلى هذا المستوى إن أحسنت رعايته.

من هنا تبدو ضرورة وأهمية استخدام طرق ووسائل الكشف عن الأطفال الذين يحتمل أن تتوافر لديهم الاستعدادات والقدرات غير العادية بهدف رعاية هذه القدرات وحمايتها من الضياع والاضمحلال.

ويذكر بعض المربين أنّه "كلما تمّ التعرف على الطفل الموهوب في وقت مبكر كلما تمكن الأخصائيون من إعداد وتوفير الخبرات التعليمية الملائمة لتحقيق أقصى قدر ممكن من النمو لهذا الطفل، ومن ثمّ يصبح التعرف المبكر هو مفتاح التوصل إلى اكتشاف المدى الواسع من الطاقات البشرية المتاحة في أي مجتمع من المجتمعات"، ويحدد آخرون الوقت المناسب لاكتشاف الموهبة بمرحلة الروضة<sup>(14)</sup>.

غير أنّ هناك حقيقة علمية يذكرها البعض وهي: "أنّه لا يوجد أداة أو أسلوب أو طريقة من طرق الكشف عن الموهوبين يمكن الاعتماد عليها لوحدها في الكشف عن جميع مظاهر الموهبة، ولعلّ الأمر يتحقق بشكل أفضل

دائماً إذا ما تمّ الجمع بين الأساليب جميعها أو بمعنى آخر الكشف المتعدد المعايير"، ويؤيد ذلك كثير من التربويين بقولهم: "أنه ليس هناك ثمة اختبار أو مقياس يستطيع الكشف أو الدلالة تماماً على القدرات العقلية عند الأطفال ممّا حمل البعض للقول بأنه "لا توجد طريقة فعّالة للكشف عن الموهوبين"<sup>(15)</sup>.

وعلى الرغم من أهمية الاختبارات، فإنّ هناك من لا يؤمن بفائدتها ويذكر بأنها لا تنبأ إلا بالقليل من المواهب، قد أثبتت الدراسات التي أجريت في أواخر السبعينيات ومطلع الثمانينيات ضعف الاختبارات المعتمدة في الكشف عن الموهوبين، وخاصة اختبارات الذكاء التي أگدت كثير من التجارب أيضاً أنّ مستوى الذكاء عند الفرد لا تعكسه علامة اختبار الذكاء حيث أنّ كثيراً ممّن حصلوا على درجة ذكاء منخفضة قد شقوا طريقهم نحو الشهرة في هذا العالم وكثير ممّن حصلوا على درجة ذكاء عالية لم يقدموا شيئاً يذكر<sup>(16)</sup>.

هذه النتائج جعلت الكثير من المهتمين بالكشف عن الموهوبين أن ينادي "بالحد من حرفية استخدام الاختبارات، ويدعو لاستخدام طرق متعددة ومتنوعة لاختيار الطلبة، واعتماد الطرق غير التقليدية والمجدية في الكشف عن القدرات العقلية المختلفة، والبحث عن أشكال التميز التي لا تكشف عنها الاختبارات<sup>(17)</sup>.

ويرى بعض العلماء أن إجراءات الكشف عن المتميزين والموهوبين تتلخص في خمسة مجالات تتمثل في :

- (1) تحديد أهداف البرنامج وفئة الموهوبين المستهدفة.
- (2) إجراءات الترشيح.
- (3) إجراءات القياس.
- (4) القدرات الفردية.
- (5) التأكد من صدق عملية الكشف.

في حين يؤكد البعض أنّ عملية الكشف ينبغي أن تمر بمرحلتين :  
(الأولى) مرحلة الترشيح والتصنيف: وهي المرحلة التي يتم فيها ترشيح الطلبة الذين يظهرون استعداداً للتفوق والموهبة أو هم فعلاً موهبين ويكون ذلك من قبل أولياء الأمور والمعلمين.  
(الثانية) مرحلة الاختبارات والمقاييس: تهدف هذه المرحلة إلى جمع المزيد من البيانات الموضوعية التي تقدمها نتائج الاختبارات المتاحة للقائمين على برنامج تعليم الموهبين والمتفوقين من أجل مساعدتهم في اتخاذ قرارات يمكن تبريرها، وأيضاً تعمل على تقليص عدد الطلبة الذين تمّ ترشيحهم في المرحلة الأولى بنسبة معينة تختلف من برنامج إلى آخر<sup>(18)</sup>.  
كما أعدت بعض الدراسات برنامجاً للكشف عن الموهبين يتضمن الطرق الأساسية التالية:

- (1) تقديرات المدرسين.
  - (2) التفوق في التحصيل الدراسي.
  - (3) التفوق في تحصيل مادة العلوم.
  - (4) التفوق في تحصيل مادة الرياضيات.
  - (5) مقياس القدرات العقلية.
  - (6) مقياس تورنس للتفكير الإبداعي.
  - (7) مقياس وكسر لذكاء الأطفال المعدل.
- ويقسم آخرون هذه الطرق والوسائل المتعددة في الكشف عن الموهبين إلى قسمين :

- (1) الطرق الذاتية (اللاختبارية) ومن أهمها :
  - السيرة الشخصية (الذاتية).
  - التقارير.
  - الملاحظة.
  - الترشيحات.
  - دراسة الحالة.

- (2) الطرق الموضوعية (الاختبارية) ومن أهمها :
- اختبارات الذكاء العام (الفردية - الجماعية).
  - اختبارات القدرات الخاصة.
  - اختبارات التحصيل الدراسي.
  - اختبارات الشخصية.
  - القدرة على التفكير الابتكاري<sup>(19)</sup>.

مما سبق نستنتج على الرغم من تعدد أساليب الكشف وتنوع مدارسها، إلا أنه هناك عدة أمور شبه متفق عليها بين الباحثين في هذا المجال منها : أن تستند إجراءات الكشف إلى أفضل الأبحاث العالمية والتوصيات المتوافرة والمساواة والعدالة بحيث تكفل الإجراءات إلى عدم استثناء أي شخص والتعددية، بمعنى تبني أكثر تعريفات الموهبة قبولاً، والشمولية بحيث يتم تحديد أكبر عدد ممكن من الطلبة الموهوبين وخدمتهم، وأن تشمل على عدد كبير من أدوات الكشف<sup>(20)</sup>.

#### سادساً- دور الأسرة ومسئولياتها في تنمية الطفل الموهوب واكتشافه:

تلعب الأسرة دوراً مهماً في تنمية قدرات الطفل فهي الخلية الاجتماعية الأولى التي ينمو فيها الطفل وتتحقق فيها مطالبه الجسمية والنفسية والاجتماعية، كما أنها تمثل الإطار الأساسي للتفاعل الاجتماعي، حيث يبدأ صور هذا التفاعل من علاقة الطفل بوالديه وأخوته، ثم تتسع دائرة هذه العلاقات الاجتماعية لتشمل جماعات أخرى كالأطفال في الروضة والشارع والمدرسة، ويتعلم الطفل أنماطاً من السلوك كاللغة وتكوين الصداقات والعادات وحب الاستطلاع وممارسة الاستقلال الشخصي كما يتكون لديه مفهوم الذات والضمير وعملية الاتصال بالآخرين، وفي هذا الإطار التفاعلي بين الطفل وهذه الجماعات ينبغي على الأسرة أن تمارس دورها كاملاً في تنمية قدرات الطفل ومواهبه ومنها على الخصوص :

- توفير المناخ الأسري المناسب للنمو النفسي والاجتماعي للطفل بعيداً عن مظاهر التسلط والقيود والعقوبات البدنية الشديدة، وترك الحرية للطفل للتعبير

عن آرائه دون خوف أو رهبة، فذلك يمنح الطفل شعوراً بالأمان الذي هو في أمس الحاجة إليه لتنمية قدراته الإبداعية.

- تنمية قدرة الطفل على تقصي الأشياء ودفعه للبحث عنها والإجابة عن تساؤلاته، ومشاركته في الحوار والحديث وكذلك الإصغاء إليه بعناية وتوجيهه إلى مصادر الحصول على المعلومات، وتشجيع الطفل على حب الاستطلاع والتعرف على العالم من حوله بنفسه، وذلك لتكوين انطباعات خاصة به وخبرات ذاتية، فذلك ينمي لديه القدرة على استيعاب وفهم هذا العالم على نحو مميز وهذا أحد مقومات الإبداع.

- الاختيار الجيد للعب للطفل بحيث تكون مناسبة لعمره وذات قيمة تربوية وتثير اهتمامه، وتحفزه على النشاط والمثابرة وأن لا تمثل خطورة عليه<sup>(21)</sup>.

#### - دور الأسرة في الكشف عن الموهوب :

إن أهم مشكلة تواجه الأسرة للكشف عن أبناءها الموهبين هي قلة المعلومات التي تمتلكها عن طبيعة طفلها وخصائصه وأساليب الكشف عنه. إلا أننا نستطيع أن نلخص دور الأسرة في الكشف عن أبناءها الموهبين بعدة خطوات هي :

أولاً / التعاون مع المدرسة عن طريق عقد اللقاءات مع أخصائي الموهبين والمعلم بالمدرسة لا عطائهم المعلومات الكافية عن طفله الموهوب.

ثانياً / عقد لقاءات مع أخصائي الموهبين بالمدرسة لا عطائه المعلومات اللازمة عن سلوك الطفل والتعرف على أساليب التعامل الصحيح معه.

ثالثاً/ الدعم الفني والمادي من المجتمع سواء كان من جامعات او مؤسسات او معاهد تدريبية لرعاية الموهبين وتقديم العون لهم.

#### سابعاً-خصائص البيئة الأسرية للأطفال الموهبين :

اثبتت الدراسات التي عملت على كثيرا من الموهبين ان هناك ملامح مشتركة بينهم من خلال بيئتهم الأسرية ويمكننا تلخيص ذلك من حيث:

### أولا / حجم الأسرة :

إن الطفل الموهوب عندما يعيش في أسرة حجمها صغير نسبياً فإن الاهتمام به يكون أكثر فالوقت الذي يقضيه الوالدان معه اكبر مما يساهم في إظهار موهبته وكذلك تستطيع ان توفر له الدعم المادي والمعنوي بشكل أفضل. وهناك عددا من الدراسات عملت لمعرفة حجم أسرة الموهوب، ففي دراسة تيرمان ا (Terman 1925) على عينة قوامها حوالي (1000) من الموهوبين بينت أن 60 % من أفراد عينته كانوا ينتمون إلى أسر عدد أفرادها اثنان، وبينت دراسة بينبو وستانلي (Benbow & Stanley 1998) التي أجريت على (900) طفل موهوب في الرياضيات أن عدد الأطفال في هذه الأسر كان حوالي ثلاثة أطفال<sup>(22)</sup>.

### ثانيا / ترتيب الطفل في الأسرة :

تبين العديد من الدراسات السابقة أن الطفل الموهوب يحتل الترتيب الأول أو قد يكون الطفل الوحيد، أو قد يتمتع بمكانة خاصة في الأسرة، منها دراسة جروس (Gross 1993) على عينة تتكون من (40) طفلا موهوبا من أستراليا تبين أن حوالي 72 % من الأطفال الموهوبين كان ترتيبهم الأول في الأسرة، وأن 2% منهم أطفال وحيدون، كذلك دراسة أخرى أجراها سيلفرمانوكيرنر (Silverman & Kearny 1989) على 23 طفلا موهوبا بلغ مستوى ذكائهم فوق (170) درجة تبين أن 60 % من أفراد العينة كان ترتيبهم الأول و الوحيد في أسرهم<sup>(23)</sup>.

ويمكن تفسير ذلك بأن هذا النوع من الأطفال يلاقون معاملة خاصة في الأسرة، إذ يتم تشجيعهم على الاستقلالية ولعب دور قيادي في الأسرة منذ الصغر، وبسبب احتكاكهم بالوالدين وتفاعلهم الدائم معهما يكونون أقدر من باقي الإخوة على اكتساب اللغة بشكل مبكر، مما يساهم في تنمية ذكائهم وإظهار قدراتهم الكامنة.

### ثالثا/ عمر الوالدين :

بينت العديد من الدراسات أن أعمار الآباء والأمهات للأطفال الموهوبين كانت كبيرة نسبياً، أي في أواخر العشرين أو أوائل الثلاثين، مثل دراسة فان

(تاسلباسكا) أن معظم أعمار أمهات الأطفال الموهوبين في عينته كان في أواخر العشرين ومعظم أعمار الآباء كان في أوائل الثلاثين، وكذلك دراسة جروس على العينة الأسترالية تبين أن متوسط أعمار الأمهات كان 28 سنة وثلاثة أشهر، ومتوسط أعمار الآباء كان 28 سنة و11 شهرا.

ويمكن تلخيص ذلك إلى أن الأبوين في هذا العمر يكونان أكثر نضجا من الناحية العاطفية وأكثر استقرارا من الناحية المادية مما ينعكس إيجابا على تنمية الموهبة الكامنة لدى طفليهما<sup>(24)</sup>.

#### رابعاً/ المستوى التعليمي والمهني للأبوين :

بينت معظم الدراسات أن المستوى التعليمي لإباء الأطفال الموهوبين أفضل من المستوى التعليمي لإباء الأطفال العاديين، وأن نسبة لا يستهان بها منهم قد أتموا المرحلة الجامعية.

ويبدو أن تربية الموهبة توجد حتى لدى الأسر التي تعيش في ظروف معيشية سيئة إذا ما توافر فيها الدعم المعنوي الكافي لأبنائها، وشعرت بالتقدير للعلم والعمل وإذا وجد على الأقل شخص راشد في البيت يوفر التشجيع والتوجيه للطفل الموهوب.

كما تشير بعض الدراسات إلى أن الأطفال الذين يعيشون في بيئة أسرية ثرية ثقافياً (توافر الكتب والمجلات والألعاب والرحلات، والتواصل اللفظي مع الأبوين، وان كانت إمكانياتها المادية متواضعة، كانوا أميل إلى امتلاك القدرة على حل المشكلات والمهارات، العقلية العالية، وأكثر قدرة على الاستفادة من الخبرات والإمكانيات التعليمية الجيدة في المدرسة من الأطفال الذين ينتمون إلى بيئة فقيرة ثقافياً، وبالنسبة للمستوى المهني لآباء الموهوبين تبين الدراسات في هذا الصدد أن معظمهم كانوا يحتلون مراكز مهنية وإدارية إذ بينت دراسة (تيرمان) أن 29% من أفراد عينته كانوا من المهنيين، بينما بينت دراسة (فان تاسلباسكا) أن معظم آباء أفراد عينته من الأطفال الموهوبين كانوا من المهنيين، وأن 20% منهم كانوا من رجال الأعمال، و15% معلمات و8% ممرضات.

أما دراسة جروس على العينة الأسترالية فلقد بينت أن 25% كانوا من الأطباء أو المرتبطين بالطب، وأن 14% منهم كانوا تربويين، و25% كانوا يحتلون مراكز إدارية. أما الأمهات فحوالي 64% كن عاملات في مراكز مهنية متنوعة (25).

يتضح جلياً من هذه الدراسات أن المستوى التعليمي والمهني للأبوين يؤثر بصورة إيجابية على تنمية الموهبة لدى الطفل لأن الأبوين المتعلمين اللذين يتمتعان بمراكز مهنية يكونان أقدر على توفير البيئة الميسرة لتنمية الموهبة والمناخ التربوي والنفسي الملائم لإطلاق طاقته الإبداعية.

#### خامساً/ العلاقات الأسرية :

تشير معظم الدراسات حول العلاقات الأسرية والموهبة إلى أن أسر الطفل الموهوب تتمتع بتوافق أسري جيد، وأن نسبة الطلاق منخفضة، و جدير بالذكر أن هناك أطفالاً موهوبين لم يحققوا نجاحاً في الحياة المدرسية على الرغم من تشابه خصائص حياتهم الأسرية مع الأطفال الموهوبين الناجحين، وذلك لأنهم اختلفوا عنهم في العلاقات الأسرية بين الوالدين، حيث تميزت العلاقات الأسرية للموهوبين الناجحين بالتفاهم والحب والسعادة الزوجية، بينما اتسمت العلاقات بين الأبوين لدى الأطفال الموهوبين الفاشلين بالخلاف والمشاجرة والانفصال وكذلك العلاقة بين الأبوين والأبناء (26).

#### سادساً/ أساليب التنشئة الأسرية :

تبين العديد من الدراسات أن أساليب التنشئة الأسرية تلعب دوراً كبيراً في تنمية الموهبة والإبداع لدى الأطفال. ومن الدراسات في هذا المجال دراسة (آن رو) التي قامت بدراسة على ثلاث مجموعات من العلماء المبدعين فوجدت أن أهم عوامل البيئة الأسرية المشجعة للإنجاز العالي هي توافر الحرية وتضاؤل العقاب والتشجيع المستمر الذي يستخدمه الآباء مع أبنائهم.

وتشير معظم الدراسات في هذا المجال إلى أهمية توافر العناصر الآتية في البيئة الأسرية المساعدة للموهبة :

- 1- ممارسة الأساليب الأسرية السوية في تنشئة الأبناء أي البعد عن التسلط أو القسوة، والتذبذب في المعاملة، والمفاضلة بين الأبناء، والتدليل الزائد والحماية المفرطة، وغيرها من الأساليب غير السوية.
- 2- تشجيع الاختلاف البناء، و تقبل أوجه القصور.
- 3- تشجيع الهوايات لدى الأبناء، وتوافر جو من القبول والأمان وعدم الإكراه.
- 4- إتاحة الفرصة للاستقلالية والاعتماد على النفس، والاتجاه الديمقراطي والإيجابي نحو الأبناء.
- 5- الانفتاح على الخبرات، التنوع في الخبرات.
- 6- تعويد الطفل على التعامل مع الفشل والإحباط<sup>(27)</sup>.

ثامناً- توصيات وتوجيهات للأسرة لمساعدتها في القيام بدورها حيال ابنها الموهوب وهي:

1. أن تتعرف الأسرة على أبنائها بصفة عامة والموهوبين منهم بصفة خاصة من خلال متابعتهم دون التمييز بين ابن وآخر، ويساعدها في ذلك إتاحة الفرصة لملاحظة أبنائها عن قرب لفترات طويلة خلال مراحل نموهم المتعددة فللموهوبين سمات عقلية وصفات ذات طابع معروف تميزهم عن غيرهم من باقي الأطفال العاديين في أعمارهم، منها :
  - أ- أن الأطفال الموهوبين أكثر اعتماداً على الابتكار والإنشاء في أعمالهم العقلية وأكثر دقة وإنجاز للعمل وأكثر ميلاً للتعامل مع الأمور المعنوية عنه من الأمور المادية.
  - ب- إن ميول الطفل الموهوب تكون أكثر تنوعاً و أوسع مجالاً مع تمتعه بنفاذ البصيرة في النظر إلى الأمور.
  - ج- يلاحظ على الطفل الموهوب سهولة التعلم مع ارتفاع مستوى الأداء لديه وتميز تفكيره بالمنطق وحسن فهم المعاني.

د- يتميز الطفل الموهوب بالقدرة على الكلام مع حسن استخدام ما لديه من حصيلة لغوية منذ سن مبكر وكثرة أسئلته التي تحمل أكثر من معنى وإحاحه في معرفة الإجابة على جميع أسئلته ورغبته في الحوار والنقاش.

هـ - يظهر الطفل الموهوب شغفا بالإطلاع على الكتب والمراجع، كما يفضل قضاء أوقات طويلة في متابعة قراءتها.

و- يميل الطفل الموهوب إلى ألعاب الحل والتركيب والى اختراع وسائل طريقة اللعب بها.

ز- يتميز الطفل الموهوب بالقدرة على التركيز الشديد على الموضوعات التي بين يديه لفترات أطول بكثير مما يستطيع أقرانه ممن هم في فئته العمرية.

ح- يتميز الطفل الموهوب بصفات وجدانية من الصفات المرغوبة اجتماعيا فهو أكثر تعاوناً وطاعة وتقبلاً للتوجيهات.

2. على الأسرة أن تعمل على ملاحظة الطفل بشكل منتظم، وان تقوم بطريقة موضوعية وغير متحيزة حتى يمكن اكتشاف مواهبه الحقيقية والتعرف عليها في سن مبكرة لأن الفشل في ذلك يؤدي بالأسرة إلى الوقوع في خطأين هما:

أ- المبالغة من الآباء في تقدير مواهب أبنائهم بدافع من حاجاتهم النفسية والشخصية أو الرغبة منهم في التباهي والتفاخر بأبنائهم مما يوقع الأبناء في مشاكل متعددة بسبب إلحاح الآباء على ضرورة تحقيق مستويات للتحصيل والتفكير العقلي أعلى بكثير مما يقدر عليه أبناءهم.

ب- يشعر الموهوبون في قرارة أنفسهم بعدم تفهم آباءهم لهم وتجاهل مواهبهم وقدراتهم بسبب سوء التقدير وانعدام الفهم أو بسبب الانشغال بالمصالح الخاصة أو بسبب الجهل في تطوير القدرات مما يدفع إلى الشعور بفشل الموهوب.

3- على الأسرة أن تقدر مستوى ابنها الموهوب، ومساعدته علي طرح أفكاره وأسئلته وذلك حتى لا يتخوف من التعبير عن أفكاره أو يتردد في الإعلان عنها، وعادة ما تؤدي الأسئلة المطروحة من قبل الأطفال الموهوبين إلى

## الكشف والتعرف على الموهبين ودور الأسرة في رعايتهم

الشعور بحالة من الرضا والاطمئنان بعد أن يكونوا قد عرفوا صحة إجاباتهم وهي بذلك تدل بشكل واضح على الرغبة في التعلم والتدريب وارتفاع الدافع إلى التحصيل لديهم.

4- البعد عن الدوافع الشخصية لأسرة الموهوب في الاهتمام به لتحقيق ما يردونه.

5- تشجيع الأسرة لابنها الموهوب على الإطلاع وإتاحة الفرصة أمامه للتعرف على مستجدات العصر.

6- تهيئة وتوفير الإمكانيات المناسبة التي يحتاج إليها الموهوب من أسرته.

7- على الأسرة أن تعامل الطفل الموهوب باتزان فلا يصبح موضوع سخرية لهم كما يجب ألا تنقص الأسرة من شأن موهبته أو تسيء استغلالها أو تهملها ومن جهة أخرى يجب على الأسرة ألا تبالغ في توجيه عبارات الإطراء والاستحسان الزائد عن الحد مما قد يؤدي إلى الغرور والشعور بالاستعلاء والتكبر.

8- على الأسرة أن تنظر إلى الطفل الموهوب نظرة شاملة فلا يتم التركيز على القدرات العقلية أو المواهب الابتكارية والإبداعية المتميزة فقط، وكما على الأسرة أن تعرف بأن على الطفل الموهوب أن يمارس أساليب الحياة العادية الطبيعية مثل غيره ممن هم في فئته العمرية.

9- توجيه الأسرة إلى طرق إرشاد أبناءها الموهبين وذلك عن طريق عمل المحاضرات والندوات وعرض الأفلام التعليمية لا عطاءهم الأساليب الصحيحة في المعاملة.

10- توجيه مراكز خدمة المجتمع ومراكز رعاية الموهبين بالتوعية للأسرة في معاملة الموهبين من أبناءها.

11- البعد عن اللامبالاة التي تبديها بعض الأسر بسبب انشغالهم وعدم الاهتمام وأبناءها الموهبين مما يؤدي بهم إلى الشعور بالإحباط.

الهوامش:

- (1) صبحي تيسير وآخرون، مقدمة في الموهبة والإبداع، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1992م، ص14.
- (2) مجدي عبدالكريم حبيب، تنمية الإبداع في مراحل الطفولة المختلفة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2000، ص62.
- (3) الكسندروروشكا، الإبداع العام والخاص، ترجمة غسان عبدالحى، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة، 1989، ص20.
- (4) رمضان محمد القذافي، رعاية الموهوبين والمبدعين، الاسكندارية، المكتب الجامعي الحديث، 1996، ص30.
- (5) فتحي جروان، الموهبة والتفوق والإبداع، عمان، الأردن، دار الفكر للطباعة والنشر، 2004، ص 55.
- (6) المرجع السابق، ص 55.
- (7) فتحي مصطفى الزيات، الأسس البيولوجية والنفسية للنشاط العقلي المعرفي، القاهرة: دار النشر للجامعات، 1998، ص 82.
- (8) يوسف والسرطاوي القريوتي، المدخل إلى التربية الخاصة، ط2، دبي، دار القلم، 2001، ص 27.
- (9) خليل ميخائيل معوض، دور الأسرة في اكتشاف ورعاية الموهوبين، مجلة الثقافة نفسية، العدد الحادي والعشرون، بيروت، دار النهضة العربية، 1995، ص 61.
- (10) عبدالله محمد الحمادي، دور المناهج في تنمية التفكير الابتكاري لدى

- تلاميذ المرحلة الإعدادية بدولة قطر، بحث منشور في مجلة : التربية المعاصرة، العدد 34، السنة 11، 1994، ص 33.
- (11) أمين القريطي : " المتفوقون عقلياً مشكلاتهم في البيئة الأسرية والمدرسية " في (رسالة الخليج العربي) ، مكتب التربية العربي لدول الخليج، السنة التاسعة، العدد ، المملكة العربية السعودية، الرياض، 149هـ، ص37.
- (12) سعاد مصطفى فرحات، أساليب تنشئة الوالدين ومستواهما التعليمي وعلاقته بالمشاكل النفسية، الزاوية - ليبيا، منشورات جامعة السابع من ابريل، 2010، ص64.
- (13) صبحي تيسير وآخرون، مرجع سابق، ص 25.
- (14) سميحة كرم، فاطمة الباكر، مدى وعي الأمهات بتنمية القدرات الإبتكارية لدى طفل ما قبل المدرسة، بحث منشور في أعمال الندوة عن دور المدرسة والأسرة والمجتمع في تنمية الابتكار (الجزء الثاني) ، المنعقد في كلية التربية بجامعة قطر في الفترة ما بين 25-28 مارس، 1996، ص44.
- (15) عبد الرحمن سيد سليمان، المتفوقين عقلياً، خصائصهم - اكتشافهم - تربيتهم - مشكلاتهم، (القاهرة : مكتبة الزهراء الشرق) ، 2004، ص 24.
- (16) ناديا هايل السرور، مدخل إلى تربية المتميزين والموهوبين، دار الفكر، الأردن، عمان، 1418هـ، ص 113.
- (17) المرجع السابق، ص 114.

- (18) فاروق الروسان، أساليب القياس والتشخيص في التربية الخاصة، (عمان : دار الفكر) ، 1999، ص19.
- (19) مجدي عبدالكريم حبيب، تنمية الإبداع في مراحل الطفولة المختلفة، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، 2000، ص 32.
- (20) جاري ديفيد، وريم سلفيا، تعليم الموهوبين والمتفوقين، الطبعة الانجليزية الرابعة، ترجمة : عطوف ياسين، دمشق، المركز العربي للتعريب والترجمة والنشر، 2001، ص 69.
- (21) عادل عز الدين الأشول، خصائص الأطفال الموهوبين والكشف عنهم، دراسة مقدمة في فعاليات المؤتمر الإقليمي الأول للموهوبين والمتفوقين، المنعقد بجامعة الإمارات في الفترة من 16-19 مايو 1998 م، ص 37.
- (22) زكريا الشر بيني ؛ ويسرية صادق، أطفال عند القمة الموهبة والتفوق العقلي والإبداع، القاهرة، دار الفكر العربي، 2002، ص 26.
- (23) أحلام عبدالغفار، الرعاية التربوية للمتفوقين دراسيا، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2003، ص48.
- (24) المرجع السابق، ص 53.
- (25) عبدالمطلب القريوطي، الموهوبون والمتفوقون خصائصهم واكتشافهم ورعايتهم، القاهرة، دار الفكر العربي، 2005، ص 43.
- (26) احمد السيد محمود إسماعيل، دراسة لبعض أساليب التنشئة الوالدية المسؤولة عن رفع مستوى الطموح، مجلة علم النفس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، السنة الرابعة، العدد الثالث عشر، 1990 ، ص 55.
- (27) سعاد مصطفى فرحات، مرجع سابق، ص 52.
- العدد السابع عشر ————— 365 ————— مجلة كلية الآداب

## الدور الاقتصادي للنخيل في واحات الجنوب الليبي خلال القرن التاسع عشر

د. المختار عثمان العفيف

قسم التاريخ

كلية الآداب الزاوية - جامعة الزاوية

### - المقدمة

تعد شجرة نخيل التمر جوهرة الصحراء التي تميزت بها الحياة النباتية في واحاتنا، فكانت بمثابة جزر خضراء وزينة الحياة في المناطق التي تمتد من غدامس غربا إلى الكفرة شرقا ، فالنخلة شجرة مباركة ورد ذكرها في القرآن الكريم وفي أحاديث السنة النبوية الشريفة، وقد قيل فيها قديما وحديثا أقوالا تمجدها ذلك لأنها كانت بمنزلة الأم الحنون التي احتضنت الإنسان في الماضي والحاضر ، وكانت خير الرفيق لسكان الساحل والبادية والواحات في سنوات الجذب والخير.

تأتي أهمية النخلة لقيمتها الاقتصادية ، وهي الغذاء والدواء والمسكن ، وهي التي لا يجد صاحبها العناية الكبير للاهتمام بها حتى تنضج ثمارها التي تستهلك مباشرة ، وعند الحاجة يمكن تخزينها بسهولة ولمدة طويلة فضلا عن الاستفادة منها بطرق أكثر جدوة اقتصادية.

وتتركز هذه الدراسة على فزان التي تشكل هضبة واسعة مترامية الأطراف تتبع من الناحية الجغرافية الصحراء الكبرى تخترقها مجموعة من الأودية الجافة، وفيها توجد سلسلة من الواحات العامرة الغنية بمياه الشرب والزراعة ، ويقدر عددها من 101- 300 واحة تقريبا ما بين قرية ومدينة ، وتنتشر في أودية منخفض الجفرة والبوانيس وسبها والشاطئ والآجال والحفرة وحكمة وتنزفت وغيرها (1).

وفي هذه الدراسة سنتعرف على الدور التاريخي الذي قامت به النخلة من حيث مساهمتها في اقتصاديات واحات الجنوب الليبي خلال القرن التاسع عشر يوم كانت بلادنا تعتمد على الزراعة والتجارة وخاضعة للنفوذ العثماني المباشر 1835 – 1912 .

- أولاً: فوائد التمر والصناعات الغذائية القائمة عليه.

تتخذ التمور أصنافاً عدة، فمن حيث الحجم نجد منها الصغير والمتوسط والكبير، أما الشكل فمنها الاسطواني أو تكون مدببة في أحد طرفيها فتأخذ الشكل الكروي، كذلك لحمتها فهي إما أن تكون صلبة أو جافة أو شبه جافة بين الرطب والبلح أو تكون رطبة لينة، أما ألوانه فمنها البني والخضراء والصفراء والحمراء والسوداء، ومهما اختلفت أحجام التمور وأشكالها وألوانها وبيئتها التي تنمو فيها فإن التمور لها فائدة جمة وعظيمة وقد عرفها الإنسان منذ القدم فهي الغذاء والدواء وعلف الدواب، فالتمر بشكل عام يعتبر غذاء متكامل، وذلك لاحتوائه على كميات من عناصر الأملاح المعدنية المختلفة والمواد السكرية والبروتينات والفيتامينات التي تحتويها التمور ولكن بنسب متفاوتة حسب أصنافها ومناطق تواجدها.<sup>(2)</sup>

إن خاصية التمر قد وجدت للنخيل حركة اقتصادية واجتماعية وهي التعلق بالأرض لأن إنتاج النخلة من التمور يُعد غذاءً كاملاً خلافاً للثمار الأخرى<sup>(3)</sup> فهو يؤكل طازجاً ولا يحتاج إلى تحويلات صناعية وفائدته عظيمة سهلة الهضم والامتصاص بسرعة فائقة لهذا ينصح الصائم عند الإفطار بتناول تمرات منه مع قليل من الماء فبذلك لا يشعر الصائم بالملل والتعب ويزول عنه الإجهاد ويصبح نشيطاً وذلك بفضل محتويات مكونات التمر ونظراً لفائدة التمر الغذائية وسهولة حمله وشرائه وتخزينه مدة طويلة وبقائه طازجاً أيضاً لهذا يقال عن التمر " زاد المسافر والمجاهد والناسك المتعب " لأن تناول حبات من التمر تسد رمق الجوع فترة أطول ، وقال عنه ابن قيم الجوزية بأنه " فاكهة وغذاء ودواء وشراب وحلوى " ، ويقول بلكراف عن النخيل أيضاً " أنها خبز البلاد ومادة الحياة وعماد التجارة " .<sup>(4)</sup>

أما بالنسبة للدواب خاصة التي تستعمل في الأعمال الزراعية مثل الحرث وجلب الماء من الآبار بواسطة الدلاء فإنها تصاب بالإرهاق والهزال من كثرة الحركة وجر الأحمال وبالتالي لا تستطيع أن تقوم بواجبها اليومي لكن في واحات الجنوب الليبي يقوم الجبّاد بإطعامها حفناً من تمر الخضراوي التي

اشتهرت به بعض واحات فزان حتى وقتنا الحاضر، بذلك تنهض الدواب وتعاود نشاطها من جديد ربما في الحال كما يقال ! .  
ومن فوائد التمر أيضا أنها تساعد جسم الإنسان على النمو وتحافظ على سلامته من الأمراض وتناول التمر أيضا يساعد على عملية الولادة عند الحوامل ويقال أن التمر يحمي الجسم من بعض الأمراض الخبيثة ففي التمر كل ما يحتاجه جسم الإنسان وعند تناوله يعطيه القوة والعافية وان التمر كذلك يحمي الجسم من السموم، وفي الماضي جرت العادة عند حفظ الأكل المتبقي في المساء إلى عند صباح يوم الغد أن تقوم ربة البيت بوضع تمرات على غطاء الوعاء الذي به الطعام الطازج فيقيه من الحشرات مثل العناكب والعقارب التي تسبب في تسممه.

على الرغم من أن فوائد التمر كثيرة في حياة الإنسان يوم أن كان المصدر الفعلي لغذاء سكان الصحراء إلا أنه يسبب بعض الأضرار الطفيفة وبالتحديد تسوس الأسنان وخرابها لذلك يقول عبد القادر جامي " ترى الأسنان الطاحنة في عموم الفرانبيين تقريبا مفقودة " (5)  
أما الصناعات القائمة على التمور هي:  
**1- صناعة عسل التمر (عصير التمر):**

إن مادة العسل هي عبارة عن سائل سكري يستخرج من التمر الطري خاصة تمر الخضراي بعد عصره بطرق تقليدية، ولون العصير يتبع عادة صنف التمر المستخدم. وإذا تمت إزالة الشوائب عنه يصبح أبيض اللون تقريبا له نكهة ممتازة، وإذا ترك وتخمّر فيصبح مسكراً ويحرم شربه. (6)

## 2- صناعة رب التمر:

تقوم بهذه العملية النسوة ولا تحتاج إلى خبرة عالية، ويكون ذلك بأخذ كمية مناسبة من التمر الجاف وبعد إزالة النوى منه ينظف جيدا ويغسل بالماء، مرات عديدة بعدها يوضع في مرجل أو قدر على نار هادئة ويبقى لفترة طويلة حتى يصبح التمر قوامه سائلا يميل إلى السواد ثم يترك حتى يبرد بعدئذ تتم تصفيته بواسطة الليف أو الغربال لإزالة الشوائب عنه عندها يكون السائل نظيفا تماما ويحمل رائحة طعم السكر المحروق، وبعدها يتم تخزينه في أوعية فخارية أو

زجاجية إن وجدت ثم يخزن الناتج في أماكن باردة أو يباع في الأسواق المحلية، ويستهلك الرب عادة في المناسبات الاجتماعية والدينية أو في موسم الشتاء أو عند قدوم ضيف مفاجئ إلى الديار ففي الحين يصنع من الدقيق العصيدة ثم يضاف إليها الرب وزيت الزيتون.

### 3- صناعة خل التمر:

وهي تخمر السكريات الموجودة بالتمور فتتكون الكحول بواسطة تأكسد الكحول بمادة تسمى أم الخل أو سود البلاطين اللذين لهما القدرة على أخذ الأكسجين من المحيط الخارجي وإعطائه ثانية إلى الكحول فيتكون الخل.<sup>(7)</sup>

### 4- صناعة التكرة:

التكرة هي عبارة عن معجنات من التمر لها شكل كروي صغير الحجم تصنع من صنف تمر التاليس أو التاسفرت المخلوط بدقيق السويقة والكمون وتقدم هذه الأكلة من التمر في المناسبات والمهرجانات الشعبية ، كما تقدم للضيوف كنوع من الحلوى وتحفظ (التكرة) في أوعية من الجلد أو الفخار أو السعف، ونظرا لسهولة حملها وقيمتها الغذائية الجيدة تكون زاد المسافرين وتجار القوافل الصحراوية.

### 5- صناعة العجوة (العجين):

تعتبر العجوة المصنوعة من التمر من الوجبات الغذائية الخفيفة التي تقدم في كل الأوقات أو المناسبات مع اللبن أو بدونه، وتصنع العجوة بطريقة تقليدية يتم بواسطتها تخزين كميات كبيرة من التمور لمدة طويلة قد تستمر عام، وتبدأ أولا بتجفيف التمر بفعل حرارة الشمس ثم يجرى تنظيفه جيدا من الشوائب وأحيانا ينزع منه النوى أو يترك في الثمار، وإذا كانت كميات التمور كثيرة توضع على حصير نظيف وتضغط وطئا بالأقدام النظيفة مباشرة حتى تصبح التمور عجينة متجانسة ثم تترك بعض الوقت معرضة للشمس لتجف ويضاف إليها أحيانا قليلا من الزعتر أو الإكليل بعدها تكتسب في أوعية مختلفة في شكل قطع دائرية مختلفة الأحجام لتقدم كهدايا أو تستهلك واحدة بعد الأخرى، كما يتم تخزين الكميات المعجونة والمحفوظة في تلك الأوعية في حجرة المؤونة لمدة طويلة حيث تستهلك عند الحاجة أو يباع بعضها في الأسواق الشعبية.

ويؤخذ على هذه الطريقة التقليدية لصناعة التمر المعجن هو عدم ضمانته سلامتها من التلوث ولو بكمية قليلة من الغبار أو الأتربة وغيرها من الشوائب الأخرى، ولكن في نفس الوقت أن هذه الطريقة تساعد على حفظ التمور سليمة حيث لا تترك مجالاً للهواء بداخله الذي يسبب في فساده، ومن ناحية أخرى بفعل ضغط التمور بعد هرسها لا تأخذ حيزاً من الأوعية والأواني عند التخزين. (8) وفي هذا الشأن يقول الشاعر الشعبي :

ما أطيب عجينك حال في لزيار والله اللي محطوط في برسيل (9)

#### 6- الدفين .

هو عبارة عن شراب من تمر النخيل المنقوع في الماء، مضاف إليه الحليب المنزوع القشدة مع قليل من الزعتر أو الإكليل، ويستعمل شراب الدفين في فصل الشتاء، أما دفين الحلبة وهو عبارة عن تمر الخضراي - الذي يوجد بكثرة في واحات الجفرة - المنقوع في الحلبة وشرابه يستعمل في شهر رمضان على وجه الخصوص. (10)

#### 7- عصير البلح .

يعد عصير البلح الذي يفوق في مذاقه نكهة طعم العسل، وطريقة إعداده يتمثل في وضع صنف من التمر الممتاز كالخضراي مثلاً في وعاء نظيفاً يضاف إليه كمية مناسبة من الماء بعدها يوضع عليه غطاء ، ويبقى العصير لمدة ليلة واحدة فيصبح بعدها جاهزاً للشراب. (11)

#### - ثالثاً: نوى التمر.

يُعد نوى التمر في الماضي من مخلفات النخيل الثمينة في بلاد فزان فقد تطلب الأدب عدم رميها أو إلقائها في أي مكان، وإنما تجمع في وعاء خاص لأن أنوية التمر يستفاد منها في صناعة العلف وفي إعادة زراعتها التي ربما ينتج بعضها أصنافاً جيدة كما يستخدم النوى في أغراض أخرى.

ففي مجال العلف، وهي طريقة تقليدية تقوم بها النسوة، ويستخدم لذلك وعاء صغير الحجم ليكسر فيه النوى مصنوع من الحجارة الصلبة على شكل دائري وبداخله تجويف بسيط يتسع لحفنة من النوى الذي سيجرى تكسيره، وحرصاً على عدم انزلاق حبات النوى المهشمة من داخله كانت توضع فوقه حلقة

مفتولة من القماش تسمح بدخول اليد الممسكة بقطعة من الحجر الصلب لتكسير حبات النوى.

و في هذا الشأن يقول جيمس ريتشاردسن "يمثل تحطيم نوى التمر عملاً للفقراء من أبناء مدينة غات لأنهم يحصلون من ورائه على قطعة من الخبز تماماً كما يفعل الذين يعملون في تهشيم الصخور على الطرق العامة في بلاده، ذلك أن أبناء غات الذين يقومون بهذا العمل إنما يوفرون جزءاً هاماً من العلف لكل من الضأن والإبل مقابل (بنسان في اليوم) هي كل مصدر رزقهم" (12)

هكذا كان نوى التمر المهشم يشكل جزءاً من غذاء الأغنام والماعز لزيادة حليبها وأحياناً يتم غلى الأنوية وقتاً طويلاً حتى تصبح لينة وتقدم علفاً للحيوان وقت الحاجة خصوصاً في موسم الجفاف، وفي هذا الشأن يقول الشاعر الشعبي:

وكالي النوى للهزيمة كاكيفة إن كان وجداته خير مالتعشبية  
نواه بعد تفصيص حب تماره يندق علفة مالهاش مثيل (13)

أما بالنسبة للبدو فيقومون بتعليف الإبل مباشرة من نوى التمر خاصة عندما تستخدم في نقل الأمتعة عبر الصحراء حيث تكفيها مدة طويلة وأثناء السير لا تخرج عن الطريق لأكل العشب ظناً منها أن بطنها مليئة وهي صائمة على فراغ .

أما الصناعات القائمة على نوى التمر فهي متعددة نذكر منها الآتي :

- يصنع من النوى نوعاً من الفحم يستخدم في تصنيع الحلي.
- يستخدم النوى كوقود في أفران تبيض النحاس.
- يستعمل النوى في الأغراض الطبية كتحضير بعض الأدوية والاكحال.
- يستعمل النوى قديماً كغذاء للإنسان بعد نقعه في الماء عدة أيام حتى يلين ثم بعد ذلك يغلي مع الحليب ويؤكل.
- كان النوى في الماضي يطحن جيداً ثم يؤخذ المسحوق الناتج ليقدم عوضاً عن القهوة ويضاف إليه عصير التمر النظيفة ليحل محل السكر وينتج ذلك شراباً ليس أقل نكهة من القهوة التي نشربها اليوم. (14)

#### - رابعاً : تسويق التمور.

إن مسألة بيع التمور في واحات الجنوب الليبي لم تكن واضحة المعالم في الماضي لأن عملية البيع يتحكم فيها الطلب، ومن ناحية أخرى عامل المواصلات، وكما نعلم أن فزان والواحات الشرقية وغدامس في الغرب تمتد لمسافات بعيدة قد تصل إلى مسيرة 12 يوماً سيراً على الأقدام إلى أقرب تجمع سكاني في الشمال وذلك عبر طرق القوافل المعهودة ذلك الحين. ومن المعلوم أيضاً أن عملية تسويق التمور تساهم في تشجيع الفلاحين وحثهم على زيادة وتحسين إنتاجهم من الأشجار والمزروعات .<sup>(15)</sup>

عندما يحين موسم جني التمور في واحات الجنوب في أواخر شهر أغسطس أولاً يستقطع من المنتوج خلال العهد العثماني الثاني ضريبة الميري المفروضة على كل نخلة منتجة والباقي يقسم على حسب العقود المتفق عليها بين صاحب المزرعة والوَّبار أو الجبَّاد ، بعد ذلك يتم التصرف في التمور إما ببيع بعضها أو مقايضتها في الأسواق بالزيت و الحبوب و الصوف والسمن أو حتى بالحيوانات مقابل التمور الفائضة عن الحاجة أما الباقي من التمور فيتم تخزينها وهي ما يكفي العائلة طيلة السنة .

وتختلف تمور فزان من حيث الجودة والأسعار، وفي هذا الشأن يقول ليون "تعتبر تمور سوكنة من أجود تمور الشمال الإفريقي، ولهذا فهي تباع في طرابلس بأسعار طيبة " <sup>(16)</sup> ويشير ليون أيضاً في أثناء رحلته من طرابلس إلى فزان فيقول : "وفي تجرهي ترتفع أسعار المؤن الغذائية التي يشتد عليها طلب التجار كالذرة والقافولي والشعير عكس التمر الذي يباع حمولة حمل منه بأقل من دولار واحد أو ما يوازي ثمن كيلو من الذرة " ويمتدح تجرهي بأنها تنتج كميات وفيرة من التمر الممتاز. <sup>(17)</sup>

أما هانس فيشر في رحلته عبر الصحراء الكبرى فيقول : "إن القطرون اشتهرت بإنتاج التمور ولهذا تصل إلى المكان قوافل ضخمة من الشمال لشراء التمر " <sup>(18)</sup>

في الواقع أن تمور الجنوب الليبي تنضج مبكرة قبل تمور الساحل وأن أسعار التمور في فزان في موسم جنيه كانت رخيصة، ولهذا فإن جلب التمور

إلى أسواق طرابلس يحتاج إلى زيادة في التكاليف حين تضاف إليه أسعار نقله على ظهور الإبل فعلى سبيل المثال تصل أجرة نقل 968 كيل تمر فزاني من سوكنة إلى قضاء غريان على ظهور 44 بعيراً 3344 قرش تركي لكل بعير أربعة مجيدي ، وذلك حسبما أفادت به إحدى الوثائق بتاريخ 15 تشرين الثاني 1327 (19) ، ومن ناحية أخرى تتعرض القافلة إلى مخاطر هجمات اللصوص أو قطاع الطرق، كما أن هناك بعض أصناف التمور تكون سريعة التلف والإصابة بسبب ارتفاع نسبة الرطوبة فيها مما يؤدي إلى انخفاض الجودة التسويقية لها، لهذا يكتفي بيع التمور في المزارع للمستهلك أو في الأسواق القريبة منها حيث يأتي بعض التجار من طرابلس ومصراتة وبني وليد لشراء التمور من هناك.

#### - خامساً: فوائد الجمار .

الجمار هو اللب الموجود برأس النخلة ومنه يتكون الليف والجريد والثمار والذكار، ويتم الحصول على الجمار بعد قطع الجريد وإزالة الألياف المحيطة برأس النخلة، وإذا قطعت النخلة من أجل الحصول على الجمار لا تعاود إنتاج التمور أو الذكار مرة أخرى، لهذا يحرص الفلاحون في العادة على قطع بعض الفسائل من النخلة الغير صالحة للغرس وتسمى الراكوب أو اللاصيقة ويستحسن إزالتها في فصل الشتاء، أما النخيل فيقطع بسبب كبره وقلة إنتاجه أو عدم جودة ثماره أو بسبب سقوطه بفعل العواصف الشديدة أو لمرض يصيب جذعها أو نتيجة للمجاعة التي تصيب أهالي البلد، لهذا تقطع النخلة ويؤكل الجمار وهو أبيض اللون ومغذي تماماً ولذيذ الطعم مثل قصب السكر. (20)

أما الطبقة المحيطة بالجمار فتعرف بالفكريس (الفنكور) وهو صلب نوعاً ما، ويفضل الأطفال والرجال والنساء أكله طرياً أو يقطع ويترك حتى يجف تماماً ثم يدق إلى أن يتحول إلى دقيق ناعم ويستعمل في إعداد بعض الأكلات الشعبية، ويزداد الطلب عليه كثيراً في سنوات القحط والمجاعات، ومن ذلك يشير البعض أنه في سنة 1917 المعروفة بعام (الشر) حيث ألت المجاعة الشديدة بالبلاد وذهبت بأرواح العشرات من أهالي فزان، وتوجه أغلب السكان هناك إلى قطع عدد كبير من أشجار النخيل للحصول على الفكريس الذي

يستخدم بصورة جيدة أو رديئة في الأكل وذلك للتقليل من حدة جوع الجائعين.<sup>(21)</sup>

وقد تزامن مع تلك المجاعة روجع السيد أحمد الشريف من الجهات الشرقية من ليبيا أثناء محاربه للإنجليز هناك، لكنهم لحقوا به في سيوة ودارت معركة بينهم في 8 فبراير 1917 دامت 20 ساعة وكسر جيش أحمد الشريف والتجأ إلى الجغبوب لكن ابن عمه السيد إدريس لم يأذن له بالبقاء هناك فسافر إلى جالو عبر الطريق الصحراوي ومات كثير من إخوانه في هذه الصحراء جوعاً وعطشاً، ولم يتوقف الشريف في جالو وأوجلة أثناء الخلاف مع السيد إدريس فسافر إلى سوكنة ومعه ثلاثة آلاف<sup>(22)</sup>، وفي أثناء ذلك كانت البلاد تعاني من مجاعة فلم يجدوا أمامهم إلا النخيل الذي يوجد بكثرة في ضواحي سوكنة، فقام (عسكر سيدك) أي عسكر أحمد الشريف بقطع النخيل لاقبي وجمار وفكريس واستقروا هناك بضعة أشهر حتى انفرجت عنهم الأزمة.

هكذا كانت النخلة بمثابة الأم الحنون التي تدبر حياة الفزانين وتجدد في وقت الأزمات والمجاعات بالثمار واللاقبي والجمار والفكريس وحتى نخاع الألياف كان ينزع على امتداد جذع رأس النخلة تقريبا فيطحن إلى دقيق لين (فرينة) ثم تطهى تلك الكمية وحدها أو تخلط مع قليل من دقيق الشعير.<sup>(23)</sup>

#### - سادساً: اللاقبي .

هو عبارة عن عصارة لبنية شفافة لذينة الطعم بسبب احتوائها على مادة السكر الطبيعية وتشرب طازجة، وصفة استخراجها من النخيل هو أن يقوم أحد العمال أو الفلاحين الذين لديهم خبرة في قطع النخيل عن طريق نزع الجريد من رأس النخلة بواسطة أداة حادة تشبه السكين وتعرف بـ(الحجامة) وبواسطتها يقطع كل الجريد حتى الوصول إلى لب النخلة (الجمار)، و يحاط برأس النخلة حوض مع ترك طور من الجريد أسفله لتغذية النخلة، بعد ذلك يبدأ الجمار ينز سائلاً شفافاً مذاقه حلو كالعسل، وينسكب ذلك السائل في جرة معلقة بالحوض وهي متوسطة الحجم تسع لعشر لترات تقريبا يتجمع فيه النسغ عن طريق مجرى صغير بالحوض وتبدأ عملية قطع النخلة في الصباح الباكر، وفي كل مساء يصعد العامل إلى رأس النخلة بواسطة (الوصلة) الرقاية لإحضار الجرة

المملوءة باللاقيبي، ويتم شربه طازجاً أو يقدم خلال السهرات الليلية مع العائلة أو الأصدقاء و في مناسبات الأفراح أو يباع اللاقيبي في السوق عند الصباح أو في المساء عند إنزاله من النخلة ، وإذا ترك السائل خلال 2-3 ساعات أثناء النهار يتخمر ويصبح مسكراً وله رائحة كريهة ويحرم شربه ويكون قليله من كثير حرام لما له من تأثير سلبي على عقل الإنسان أثناء السكر .

ويستفاد من اللاقيبي باستثناء شرابه طازجا ،هو عندما يغلى مع زبدة الغنم فيعطى شراب لذيذ ومغذى ،أما عندما يخلط اللاقيبي مع منقوع التمر فيعطى نفس القيمة،ومن هنا تؤخذ عدة محاذير بخصوص تناول شراب اللاقيبي فنجده يتخمر بمجرد إضافة إليه التمر أو دقيق (الفرينة) أو الخميرة أو يترك ساعات في الشمس فيصبح خمرا ويذهب بعقل الإنسان ،ولهذا حرم ديننا الحنيف تناوله بتاتا ، أما غير ذلك فقد حرص الجبادون على تناول كميات من شراب اللاقيبي باعتباره منعشا ومنشطا ومغذيا ويعتقد الجبادون أنه بدون تناول التمر وشرب اللاقيبي لتكون لديهم قوة كافية لعملهم الصيفي وسط بساتينهم ، ومتى أراد العامل أو الجباد الحصول على لاقبي مرة أخرى ما عليه سوى نزع قشرة رقيقة من الجمارة بواسطة الحجامة فتعطى كمية من اللاقيبي خلال اليوم ،وتتكرر هذه العملية لعدة أيام حتى تكاد الجمارة أن تفقد حجمها وبالتالي يصعب نمو الجريد من جديد إلا إذا وجدت العناية الكافية بها.

إن أفضل فصول السنة للحصول على اللاقيبي هو في فصل الربيع لأن النخلة لها قوة الدفع لإخراج الاغاريض مذكرة أو مؤنثة، وعند قطعها يتم الحصول على شراب وفير، وتعطى النخلة المقطوعة لاقبي ما يعادل 7 إلى 10 لترات في اليوم وتستمر في العطاء خلال شهر أو لمدة أربعين يوماً، وقد تستمر إلى أكثر من ذلك بالنسبة للذين يحافظون على قطع نخيلهم بعمل شق صغير في جمار النخلة، ويكتفون بالحصول على 3 إلى 6 لترات في اليوم. (24)

ويحظر أيضا أن تقطع النخلة أكثر من مرة للحصول على اللاقيبي، لأن عمليات القطع تقلص حجم جذع النخلة مما يجعلها تكون سريعة الإنكسار بفعل العواصف أو الحمولة الزائدة من الثمار، أما إذا وجدت النخلة المقطوعة لاقبي العناية الكافية من حيث السماد والرى فإنها بعد مرور أكثر من سنتين أو ثلاث

تكون جاهزة للقطع مرة أخرى للحصول على اللاقبي، وإذا تركت فإنها تعاود إنتاج الثمار أو الذكار.<sup>(25)</sup> وفي أثناء العهد العثماني الثاني حرصت الدولة على الحد من عملية قطع النخيل لاقبي بل فرضت ضريبة على كل نخلة تقطع لاقبي بمقدار 150 قرشا ثلاثون منها لصالح مدرسة الفنون والصنائع، ويقول الاقتراح الذي قدمه الوالي محمد حافظ باشا وصدق عليه مجلس إدارة الولاية بأن سبب هذه الضريبة الباهظة هو المحافظة على النخيل، والتقليل من المسكرات لارتفاع ثمنها، ويرجع تاريخ هذه الوثيقة إلى 24 ذي الحجة 1319.<sup>(26)</sup>

أما القيمة الاقتصادية لي الاقبي فيشير أحد المهتمين بدراسة نخيل فزان في النصف الأول من القرن العشرين بأن النخلة يمكنها أن تعطي لاقبي خلال 3 شهور وأن اللتر الواحد يباع بـ 5 فرنك فرنسي، ويقول أن العملية كانت مربحة بالنسبة للفقراء باعتبارها مصدر دخل لهم، وبذلك يقومون بشراء النخيل القديم أي المسن الغير قادر على الإنتاج أو النخل المجهول الثمار ليجنوا منها أرباحا، ويبلغ ثمن كل شجرة واحدة حوالي 300 إلى 400 فرنك، وبالتالي يأخذوا منها الحد الأقصى من النسغ، وعندما تموت الشجرة يقطعونها إلى ركائز أو أجزاء لتستغل في عمليات البناء بمقابل إذا أرادوا بيعها بطبيعة الحال.<sup>(27)</sup>

#### - سابعا: الصناعات التقليدية القائمة على أجزاء النخلة.

هي تلك الصناعات اليدوية الصغرى التي يتوارثها الآباء عن الأجداد، وفي نفس الوقت كانت تمثل جزءا مهما من تراث المنطقة حيث كانت تشكل مصدر لدخل المشتغلين بها إلا أن عامل العادات والتقاليد وثقافة المجتمع كانت من الدوافع للتمسك بها عبر الأجيال، لهذا اشتهرت عدة مدن وقرى في الجنوب الليبي بصناعة متخصصة تكاد لا تظاهيها منطقة أخرى من البلاد وصارت تنسب إليها تلك الشهرة مثل غدامس وغات وزويلة والقطرون ومرزق وسبها وأوباري سوكنة وهون وودان وجالو وأوجله والكفرة وغيرها، لأن الأنشطة الحرفية اليدوية تساهم بقدر كبير في توفير متطلبات الحياة العامة في مجال الزراعة والصيد والنقل والبناء والصناعة خاصة أن ليبيا كانت تعتمد على

الزراعة والتجارة وبعض الحرف اليدوية قبيل اكتشاف النفط واستغلاله في أواخر الستينيات من القرن العشرين. (28)

إنطلاقاً من تلك المقومات فإن واحات الجنوب الليبي قد زخرت بوجود أشجار النخيل بكثافة حيث ساهمت في دعم الحياة الاقتصادية بشكل فعال، فعن أهمية النخيل يقول عبد القادر جامي " إن هذه الشجرة المباركة التي هي زينة الصحراء تؤدي واجباً مدنياً مهماً في حياة فزان الاجتماعية، فضلاً عن ثمارها لا يوجد فيها قسم لا يصلح لشيء من جنوعها تصنع الأعمدة والقناطر ومن خشبها يصنع ما يصنع من الأخشاب في البلاد الأخرى كالأبواب والشبابيك ومن أغصانها زيادة عن استعمالها كحطب تقام بها الأكواخ والحواجز في الأجنة والبساتين، ومن سعفها الزناجيل والسلال والمراوح ومن ليفها الحبال". (29)

هكذا كانت النخلة ومازالت لها فوائد جمة، إذ كان لكل جزء منها له فائدة عظيمة، ثمارها وليفها وساقها وسعفها وجريدها فضلاً عن الفوائد الأخرى التي تستخرج من ثمارها وأجزائها بالصناعات التقليدية، وقد أشاد بذلك مجموعة من شعراء فزان بقصائد تناولت أهمية النخلة واستعمالات كل جزء من أجزاء النخلة وقيمة ثمرها. (30)

## - فوائد أجزاء النخلة.

### 1- الجذع (الساق):

جذع النخلة طويل قد يصل طوله من 20 إلى 30 متراً تقريباً، ويتميز بالمتانة والسمك والقوة في مواجهة الرياح العاتية وفي رفع حمولة ثمار النخلة مهما كانت كمياتها.

استعمل جذع النخلة في واحات الجنوب الليبي في إقامة هياكل الآبار بكل أنواعها: الصواعد الطويلة والقواطع ماعدا البكرات فهي ليست من خشب النخيل، لهذا يقطع جذع النخلة طولياً إلى أنصاف وأرباعاً ويستعمل كاملاً وذلك حسب متطلبات هيكل البئر، كما يصنع من الجذع الأحواض لإستقبال الماء من الدلاء والقنوات أو السواقي التي تنقل الماء من مكان إلى آخر، ويقوم العامل أو الجباد بواسطة الفأس بتفريغ الجذع عن طريق الحفر عمودياً ويجعله على شكل

حوض يطلق عليه في فزان اسم (الفياق) والقنوات الأخرى (الفحل) وهي القناة الرئيسية التي يتم عن طريقها توزيع مياه الري إلى الأحواض أو الجداول أو إلى الأشجار.

يصنع من الجذع أيضا أحواض طويلة يطلق عليها (القرمد) يقدم فيها العلف إلى الحيوان، أما (الكرو) فيحفر عموديا ويصل طوله من 60 - 80 سم، ويتم استعماله في حفظ التمور أو الصورقو (نوع من الذرة) ، وتستخدم جذوع النخيل في الحفاظ على الآبار من الإنهيار والردم بعد أن يقسم طوليا إلى أجزاء تستعمل كمساند لتطوى وتبطن بها جوف الآبار.

وفي مجال الزراعة يستخدم جذع النخلة في تسوية وتمهيد الأرض بعد الحرث أو التعزيق، ويطلق على تلك القطعة اسم (الزنقول) وهي عبارة عن جذع نخلة صغيرة يبلغ طولها من 70 - 80 سم له حلقتان في طرفيه تثبت فيهما الحبال المصنوعة من الليف وبواسطتهما يجرها الحمار، وفي وسط (الزنقول) تثبت بها عصا مناسبة تمسك بها يد الفلاح لتوجيهها أثناء سحبها على الأرض.<sup>(31)</sup>

أما في مجال البناء والعمارة فكان لجذع النخلة دورا مهما في أسقف المباني بعد أن يقطع الجذع طوليا إلى أجزاء حسب الطلب ثم تصنف بحيث تكون أطرافها مرتكزة على جدارين طولاً أو عرضاً لتسقيف حجرات المبنى، ثم يوضع فوقها عصى جريد النخيل كفراش يساعد على تماسك السقف بواسطة الربط بحبال الليف ثم توضع فوقها طبقة من المونة المخلوطة بالجير لتمنع تسرب مياه الأمطار إلى داخل المبنى، وفي بعض مناطق الجنوب الليبي مثل سوكنة ومرزق كانت المنازل بهما طابق ثان ولهما بعض الشرفات.

وعند الإنتهاء من عملية البناء تصنع لحجراتها ومداخلها أبواب مصنوعة من جذوع النخيل بطريقة فنية، وهي أن تقسم الجذوع إلى أنصاف طولية تعرف ب (الددن)، وبعد أن يتم إزالة الشوائب منها تشد إلى بعضها البعض بواسطة حبال الليف وبعوارض جانبية من جذوع النخيل فيعطيها تماسكا وقوة وتصنع لها أقفالا خشبية، ثم يقوم بعض أصحاب تلك المنازل الذين لهم دراية فنية بتزيينها بزخارف نباتية وبعض الكتابات وذلك عن طريق حرق الخشب .

## 2- الجريد:

هو عبارة عن عصى يتراوح طولها من 3- 5 أمتار لها قاعدة مثلثة الشكل تكون ملتحمة بجذع النخلة عند الرأس في أطوار متناسقة، وتنتهي كل جريدة بأشواك حادة، ويوجد على أطرافها السعف الذى يشبه الريش، ويتم إزالة الجريد من النخلة عند الضرورة لأن ذلك يؤثر على تأخير إنتاج النخلة ربما لسنوات عدة.

يستعمل الجريد لعدة أغراض منها في مجال بناء المنازل والمساجد والزرائب حيث إن في الماضي كانت له استعمالات كثيرة ففي البيت لتحميل الأغراض عندما يثبت جزءا منها في الجدران، وبها يتوكأ الشيوخ والعجائز والراعاة، ويستعمل الجريد كوقود، لكن أكثر استعمال له حتى اليوم فى تسييح المزارع لحمايتها من الرياح وزحف الرمال، وهذا السياج (الصفاقة) يمنع الإنسان أو الحيوان من اختراقه والتعدى على المزروعات، وفي الماضي كانت عصى الجريد تستخدم في عمل أطواق الدلاء وفي منع حبال الآبار من الخروج عن الحرارة، كذلك الأطفال يصنعون منها أقفاصا وفخاخا للطيور وفي بعض ألعابهم كالمبارزة بالعصى أو في الدفاع عن النفس، وحتى الفقيه او معلم الصبيان في الكتاتيب يحمل دائما في يده عصا طويلة يستخدمها لتأديب الصبية فضلا عن استعمالها في (الفلقة) لتأديبهم أيضا وحثهم على الحفظ. لهذا يقولون : " العصى لمن عصى " و " العصى من الجنة " .

ويصنع من العصى الأسرة والكراسي والشبابيك والمناضد والمغارف وتستعمل أيضا كحمالة لنعش الموتى، وفي مقابض السكاكين والمناجل والمراوح، كما تستخدم العصى في المسدى (المكوك) الذي يستعمل في صناعة الجرود او في صناعة النسيج والحصر.

أما السعف فهو يعد من الأجزاء المهمة في النخلة حيث يستخدم في أغراض شتى خاصة في الواحات وحتى في مناطق الساحل الليبي – في المناطق التي ينمو بها النخيل- فكان يستعمل في الماضي كوقود عندما يجب الخروج ليلا عند شدة الظلام، وكمكانس لإزالة الأتربة والأوساخ من السقوف والجدران ويقدم السعف إذا كان أخضرا أو جافا كعلف للحيوان.<sup>(32)</sup>

أما أكثر استخدام للسعف في واحات الجنوب الليبي كان في تبطين أسقف الأبنية بواسطة استعمال طبقة من مونة الجير، وفي البيوت العادية التي توجد بها ساحات مكشوفة (الكاودي) تغطى بالسعف لتوفير الظل المناسب والتهوية الجيدة للمنزل.

وتشكل الزرائب والأكواخ سكن مهم في الواحات فهي أما أن تكون رئيسية أو ثانوية بالقرب من المنازل أو تكون ملاصقة لها، وذلك عندما لا يملك الرجل الوسائل لبناء بيت كامل فيكتفي ببناء غرفتين رئيسيتين واحدة للنوم والأخرى يحفظ فيها المؤونة والباقي من الغرف تصنع من ركائز جذوع النخيل والجريد وفي الخلف تخصص حظيرة للحيوانات، وفي أغلب الأحيان تبنى قرى كاملة من جذوع النخيل والجريد كما هو الحال في واحة القطرون في أقصى الجنوب أما في السواني أو المزارع فتبنى الزرائب وتأخذ الشكل المستطيل أو شبه نصف دائري تكون مأوى لأسرة الفلاح أو الجباد لحراسة البستان وفي أثناء جمع المحصول من الزرع أو ثمار النخيل . (33)

أما الصناعات القائمة على سعف النخيل فهي متنوعة فيؤخذ السعف من الجريد الطرى الذى يميل لونه إلى الإصفرار، وتقوم النسوة بأغلب الصناعات السعفية ، وتبدأ العملية أولاً بنقع السعف في الماء لفترة مناسبة ثم يصنع منه صفائر أو جدائل وتصبغ بالألوان الزاهية، وذلك حسب الشكل المراد تصنيعه لتضفى عليها جمالا، وتصنع منها عمائر مختلفة الأشكال والاحجام، وتستخدم في حفظ أدوات الزينة ويستعملها الأطفال في تجميع الهدايا من النقود في مناسبة الختان كذلك يحفظ فيها الأطفال الهدايا مثل الكعك والحلوى فى المناسبات. أما السلال فتأخذ عدة أشكال مختلفة الأحجام والأغراض منها فى الأستعمال لحفظ التمور والحبوب، ويصنع من السعف أيضا القفاف منها الكبيرة والصغيرة وتعرف الأخيرة باسم (القدقود) وتستعمل في جمع التمور أثناء موسم الجني، وفي نقل الحبوب وتحويل التراب من مكان إلى آخر لغرض تمهيد الأرض للزراعة.

ومن الصناعات المشهورة والقائمة على سعف النخيل الأطباق<sup>(34)</sup> المختلفة والتي تزين بألوان زاهية ، وتستعمل في تغطية أواني الطعام وفيها تقدم الفاكهة

أو الخبز، كما تستخدم الأطباق الكبيرة الحجم في صيد الطيور، كما يصنع من السعف قبعات لحماية رأس الفلاح من حرارة الصيف أثناء القيام بالأعمال الزراعية في البساتين، وفي الماضي كانت تستخدم الأوعية المصنوعة من السعف لاغتراف الماء من البئر بواسطة الشادوف، كما تستخدم الأوعية لجلب الماء من البئر وتحمل فوق رؤوس النساء وتعرف بـ (الكراز) ، وهناك وعاء آخر يعرف بالحكمة ويستعمل كوعاء للشرب وسميت بحكمة لأنها محكمة الإغلاق لا يقع فيها الذباب، أما الكاريس فيصنع أيضا من السعف ويستخدم في تبريد مياه الشرب وكمصافات للبن. كما يصنع من السعف أدوات أخرى مثل الميونة والعمدة والتاكلوة.

ويستخدم السعف أيضا في صناعة الحصر والمفارش والمراوح والمكانس والمذبات لطرد الحشرات والذباب كما يصنع من السعف ألعاب الأطفال مثل الأساور والعقود والتيجان التي تنزين بها البنات في كثير من المناسبات الاجتماعية<sup>(35)</sup>.

### 3- الليف :

يستخدم الليف الطري في صناعة الحبال بمختلف أحجامها، فالحبال الرفيعة تستخدم في حياكة الدلاء وفي صناعة الحصران والمفارش، وتستخدم أيضا في نسج الأكياس المعروفة بـ (الغرارة) التي تستعمل في تعبئة الحبوب والتمور. أما الحبال السمكية التي تتركب من ثلاث حبال مفتولة فتستخدم في ربط الجريد على أسقف المباني، وبها تثبت الركائز وتعرف بحبال (الحمول) وبواستطها تربط الأمتعة على ظهور الإبل، وتستخدم لرفع الدلاء من الآبار بواسطة الدواب وكان يطلق عليه حبل (الغرغاز) أو الرشا أو الحميل.

إن استعمالات الليف كثيرة فمنه تصنع حبال الفخاخ والشباك التي تستخدم في نقل الحطب والتبن والحشائش على ظهور الحمير، وفي السودان تصنع منه أسرة مشدودة بحبال من الليف يطلق عليها اسم (العنقريب)، كما يصنع من الليف أيضا الغرابيل والمكانس والنشاشة التي تستعمل لإزاحة الدقيق من فوق الرحي.

أما الليف الخشن فيستخدم في تنظيم عملية الري لتقوية انحناءات السواقي فتوضع مجموعة منها هناك فتحافظ عليها من أن يجرفها تيار الماء، ويستخدم الليف كذلك في إضرار النار بسهولة في الحطب ومن الليف أيضا تصنع برادع للحمير وحوايا للإبل وكرات يلعب بها الأطفال، وفي حشو الوسائد والمراتب، وفي تنظيف أواني الطهي وكمصفي لعصير اللاقبي عندما يسكب من الجرة.<sup>(36)</sup>

#### 4- الأشواك:

تستعمل أشواك جريد النخيل، وهي حادة وقوية في آلة النسيج اليدوية لتبعد الخيوط من اللحمة خلال عملية النسيج، وتكون الأشواك على طاولة الأغنياء لتنظيف الأسنان بعد الأكل، وتستخدم الأشواك أيضا في صناعة الفخاخ التي تعرف بـ (الحبالة)، وهي عبارة عن حلقة شبيهة دائرية مفتولة من اجزاء سيقان العذوق، وتثبت في الحلقة أشواك قوية وحادة التي تنزع عادة من نخيل الخضراي وتتجمع رؤوسها نحو مركز الدائرة، وتستخدم الحبالة في صيد الغزلان ، ويقوم الصيادون بنصبها في مكان تواجدها ، وتثبت تلك الحلقة نحو وتد بواسطة حبل بعد أن تموه جيدا فإذا وقف الغزال عليها تمسك بساقه ولا يستطيع الخلاص منها حتى يأتي صاحبها للامساك به وفي هذا الشأن يقول أحد الشعراء: وشوكه يشد الريم بيكتيفه--- حتى الغزال اللي صعب تجيبه<sup>(37)</sup>

#### 5- الكرناف (الكرب):

يستخدم الكرب كحطب للتدفئة وطهي الطعام وبواسطته يستعمل كمضرب لغسل الصوف، ومنه يصنع حذاء خفيف يعرف بـ(القباب) ومن الكرناف أيضا يصنع المغارف، ويستعمله الأطفال كعصا طويلة لضرب وقذف الكرة نحو الهدف.

ومن مخلفات النخيل يمكن أن يبدع الفنانيين في تشكيل تحف ونحت ورسم لوحات فنية رائعة، ومن ذلك شاهدت في المهرجان السياحي بغات في نهاية ديسمبر 2007 أحد الشباب الفنانيين من مدينة هون يعرض لوحاته وهي عبارة عن وجوه آدمية مثيرة للدهشة حفرت بالنار على العديد من قطع الكرناف.

## 6- العذوق (العراجين):

تستعمل العذوق بعد نزع الثمار منها كوقود أو لصنع المكناس، وإذا كانت طرية تستعمل كعلف للدواب، أما سيقان العذوق فتستخدم في بعض تصنيعها كسوار تتزين به البنات ويعرف بـ (التوكة).

### - ثامنا : الزراعة تحت النخيل :

إن الزراعة تحت النخيل، قد تقتصر على مساحات محدودة لصعوبة توفير مياه الري باستمرار على الرغم من أن النخلة ليست مثل الأشجار الأخرى التي تضر بالمزروعات، لذلك يكتفى المزارعون في الواحات الصحراوية بزرع الخضروات والحبوب والحناء لسد الحاجة، وفي هذا الشأن يشير الرحالة رولفس إلى أن الأهالي يزرعون خضارا مثل البصل والثوم والفاصوليا، واللفت والطماطم والياميا والملوخية والبادنجان، والسلق ويزرعون أيضا تحت أشجار النخيل شيئا من الحبوب من قمح وشعير وذريرة بيضاء ويقول رولفس أنها لا تكفي استهلاك السكان. (38)

إن الزراعة تحت النخيل، قد تقتصر على مساحات محدودة لصعوبة توفير مياه الري باستمرار على الرغم من أن النخلة ليست مثل الأشجار الأخرى التي تضر بالمزروعات، لذلك يكتفى المزارعون في الواحات الصحراوية بزرع الخضروات والحبوب والحناء لسد الحاجة، وفي هذا الشأن يشير الرحالة رولفس إلى أن الأهالي يزرعون خضارا مثل البصل والثوم والفاصوليا، واللفت والطماطم والياميا والملوخية والبادنجان، والسلق ويزرعون أيضا تحت أشجار النخيل شيئا من الحبوب من قمح وشعير وذريرة بيضاء ويقول رولفس أنها لا تكفي استهلاك السكان. (38)

### - تاسعا: دور النخيل في الموارد المالية للدولة:

نظرا لأهمية النخيل كمورد اقتصادي لانتشاره بكثافة في ولاية طرابلس الغرب من الساحل شمالا حتى فزان جنوبا، ومن غدامس غربا إلى الكفرة شرقا بالإضافة إلى واحات جالو وأوجلة ومرادة الواقعة شرق الأطراف الشمالية من إقليم فزان، لهذا تعد النخلة مصدرا حقيقيا لتوفير الغذاء للسكان والعلف للدواب ومورد للدخل الرئيسي للولاية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

وبذلك يأتي في المرتبة الأولى للدخل من وجهة النظر المحلية، وتعطى شجرة النخيل الواحدة في السنة من 80 - 100 كيلو جرام تمر تقريبا (39)، لهذا حرصت الدولة العثمانية بحث السلطات المحلية في بعض المناطق بغرس فسائل النخيل حيث تم غرس ألف فسيلة التي جلبت من مصراتة وفزان وذلك حسب الوثيقة المؤرخة في 3 يناير 1893. (40)

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تمور فزان كانت من أجود التمور الليبية إضافة إلى أنها كانت تنضج مبكرا قبل تمور الساحل حيث كانت تصدر إلى الخارج بكميات كبيرة إلى كل من مصر والدولة العثمانية ومالطا (41)، ويذكر محمد ناجي بأن مقدار الصادرات من التمور حوالي 10.000 كنتال من التمر مقابل القيمة 120.000 فرنك تقريبا، ويبلغ دخل الولاية من نوى البلح - الذي يصدر إلى إيطاليا بواقع 60 فرنك (للطنونلاتة) الواحدة في العام الواحد 15000 فرنك ويذكر أيضا أن في غات يوجد 49 نوعا من النخيل، ويقدر قيمة محصول النخلة الواحدة بحوالي 14 - 15 فرنك. (42)

ويذكر ناجي أيضا بأن قيمة التمور بلغت من جملة الصادرات الليبية خلال أربع سنوات 1899-1902، هي 12.000 فرنك في سنة 1899 و 145.000 فرنك في سنة 1900 و 15.000 فرنك في سنة 1901 و 120.000 فرنك في سنة 1902. (43)

أما على الصعيد الداخلي فقد جرت العادة أن تباع أعشار التمور في بعض الواحات إلى الأقضية التي لا تتوفر بها تمور النخيل وبالأخص فقد أشارت إحدى الوثائق، وهي عبارة عن قرار بشأن تسعير التمور نظرا لكثرت الطلب عليها، فمن ذلك "قد صارت تسليم وارسال التسعمائة وثمانية وستون كيل تمر فزاني عن كل أربعة أكيال فزاني مجيدى من صندوق مال سوكنة إلى قضاء غريان بمعيت محمد مفتاح الجماعى وبيان لذلك حرر التصديق في 1 تشرين الثانى 1327 "وأعطى له سند مالي بثلاثة آلاف وثلاثمائة وأربعة وأربعون قرش عن أجره نقلية أربعة وأربعون بعيرا عن كل بعير أربعة مجيدى، لتوصيل الكمية المذكورة إلى قضاء غريان، وحرر التصديق عليها في 15 تشرين الثانى 1327. (44)

وفي خلال العهد العثماني الثاني كانت ضريبة العشر – أي عشر المحصول – تفرض على المحاصيل الرئيسية في البلاد كالقمح والشعير والزيتون والتمور من وجهة نظر مالية تعد من أهم مصادر الدخل للحكومة في الولاية، فهي تأتي في المرتبة الثانية، وتقوم السلطات المحلية بإلزام الأهالي بإحضارها لتودع في مخازن الحكومة ثم تقوم السلطات العثمانية عن طريق المزاد العلني ببيع المخزون من التمور إلى المشتريين مقابل دفع الثمن إما دفعة واحدة أو على أقساط<sup>(45)</sup>، ثم قامت الدولة العثمانية بإتباع نظام الإلتزام في الولايات لكل المحاصيل الزراعية التي يتوجب فيها عشر المحصول، ويوكل ذلك الأمر إلى ملتزم بعد تخريصه وتحديد قيمة ثمنه يسدد إلى خزينة الولاية إما دفعة واحدة أو على شكل دفعات متتالية، وعندما يحين موسم جني التمور يقوم الملتزم بأخذ كميات التمر من الفلاحين التي سدد ثمنها للدولة، وفي هذا الشأن تشير إحدى الوثائق المؤرخة في 12 جماد الثاني 1275 هـ / 1858 م بخصوص إلتزام الحاج محمد السنوسي الغزالي تمور الميري لسنة 1274 مالية بفزان وكان قدر المتسلم له 633 قفيز عن 5064 كيلة استنبولية وذلك استقطاع التمور المخصصة للإبل التي تحمل بريد فزان،<sup>(46)</sup> أما عن حاصلات نخيل الميري في سنة 1279 مالية / 1863 م في فزان فقد بلغت 3853 كيلة استنبولية ونصف الكيلة وهذه الكمية قدر ثمنها بمبلغ 6870 قرشا تركيا.<sup>(47)</sup>

وعن إلتزام حاصلات نخيل الميري بملحقات لواء فزان لسنة 1279 هـ والتي تضم كل من مرزق وسوكنة وسمنو ووادي شرقي وغربي ووادي عتبة والحفرة والقطرون وغدوة، ولقد صار النداء على تمور الميري بالدلالة في المجلس بحضور جملة التجار ووجوه الأهالي ثم صار النداء عليه أيضا في الأسواق مدة ثمانية أيام ثم بات قرار المزايدة 36870 قرشا تركيا مقابل 3753 كيلة ونصف واستقطع من ذلك أجرة دلالية عن كل قرش بارة واحدة بقيمة تسعمائة واثنين وأربعين قرشا غير ربع صار الباقي 35948 قرشا تركيا وربع بذلك حررت المضبطة وقدمت من قائمقام فزان إلى والي طرابلس بتاريخ 11 ربيع الثاني 1280 هـ.<sup>(48)</sup> وعن إلتزام تمور الميري أيضا تشير إحدى الوثائق

بشأن تصديق أجرة مأمورين لتخريف أشجار التمر بقضاء سوكنة ، فكانت ألفين وأربعمائة وستة وسبعون قرش مقابل ضريبة العشر التي قدرت بخمسمائة وعشرون كيل تمر فزاني وسبعة صيعان، وسلمت إلى صندوق مال القضاء المذكور، وجرى التصديق من مجلس إدارة القضاء بتاريخ 8 تشرين الثاني 1327. (49) وتستمر عملية فرض الضرائب على أشجار النخيل بإعتباره أهم منتج زراعي بالنسبة للأشجار، فقد أشارت إحدى الوثائق بشأن الأعشار المفروضة على حاصلات نخيل الميري بفزان في ست سنوات من 1294- 1299 سنة مالية بلغت قيمته 944 291 قرشا تركيا ، كذلك فى الوثيقة بيان مجموع الضرائب على الأشخاص والأغنام والأشجار بفزان لسنة 1315 مالية / 1899 فبلغت قيمة الضريبة على أشجار النخيل 214174 قرشا تركيا ، وتشير الوثيقة نفسها إلى أن الضرائب المفروضة على النخيل كانت تصاعديّة وفقا لأنواعه . (50)

#### الخاتمة.

أسهمت النخلة منذ القدم فى اقتصاد واحات فزان وغيرها من الواحات الصحراوية الأخرى ، حيث كان السكان يبيعون أو يقيضون التمر ومنتجات النخلة ب مواد غذائية و منتجات حيوانية وأشياء أخرى ، وفى فترة الدراسة أسهمت النخلة كذلك بتوفير الغذاء والعلف والمسكن، فضلا عن الاستفادة من ثمار النخلة وإجزائها بالطرق التقليدية التي كانت معروفة فى الماضى حيث كانت النخلة تمثل الركيزة الأساسية فى حياة سكان فزان فى سنوات الخصب والجذب ، لذلك أصبحت النخلة جزءا من حياتهم حتى قيل فى المثل الشعبى (الفزاني ولد النخلة) .

إن وجود خطر التصحر يخلق أزمات إقتصادية ومجاعات إنسانية ، وللحد من تلك الأزمات ومواجهة خطر التصحر، هو المحافظة على النخيل بكل الوسائل المتاحة ، وإقامة المشاريع الزراعية لإكثار أصناف أشجار النخيل فى الواحات الليبية على نطاق واسع لأن تلك المشاريع تسهم فى إقامة صناعات متطورة على منتجات النخيل، وذلك دعما للاقتصاد الوطنى

د. المختار عثمان العفيف

ومن ناحية أخرى تلبية متطلبات السياحة الصحراوية ، فضلا عن توفير الغطاء النباتي لتلك المناطق الصحراوية .

### المصادر والمراجع :

1. المرجع نفسه، ص256-257، 533-534.
2. شيباني بن بلغيث، "النحلة" مجلة تراث الشعب ، طرابلس، ع 1-2 (2003)، ص91-92.
3. عبدالله عبد الرزاق السعيد ، الرطب والنخلة ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص151.
4. عبدالقادر جامي، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى ،ترجمة محمد الأسطى ،دار الفرجاني، طرابلس، 1973، ص88.
5. فتحي حسين أحمد ،نخلة التمر... شجرة الحياة ،ج2،الدار العربية، القاهرة، 2005، ص252-253.
6. المرجع نفسه، ص345.
7. فتحي ، مرجع سابق ،ص275،السعيد،مرجع سابق ص348.
8. محمد سعيد محمد ،دراسات التراث الشعبي،وزارة الثقافة والمجتمع المدني ،طرابلس، 2013، ص201 .
9. المختار عثمان العفيف ،مدينة سوكنة خلال العهد العثماني الثاني ،المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية ،طرابلس ،2012، ص190 .
10. المرجع نفسه والصفحة .
11. جيمس ريتشاردسن ،ترحال في الصحراء ،ترجمة الهادي مصطفى أبولقمة ،جامعة قاريونس،بنغازي، 1993، ص436 .
12. محمد سعيد ،مرجع سابق، ص200-201 .
13. سهام يوسف علي ،عبدالله أبراهم " معوقات تسويق التمور في جنوب الجماهيرية الليبية " مجلة جامعة سبها ،ع3 (2010)، ص107 .
14. جون فرانسيس ليون ،من طرابلس إلى فزان ،ترجمة مصطفى جودة ،الدار العربية للكتاب ،ليبيا-تونس، 1967، ص58 .

15. ج.ف. لا يون، مدخل إلى الصحراء، جامعة قاريونس، بنغازي، 1993، ص 131-132. وتجدد الإشارة هنا إلى أن الرحلتين في هامش 16-17 هما لمؤلف واحد.
16. هانس فيشر، عبر الصحراء الكبرى، ترجمة الطيب الزبير الطيب، دار الفرجاني، طرابلس، 2009، ص 146.
17. مكتبة الغزالي بسوكنة، وثيقة بشأن نقل كمية من التمر من سوكنة إلى قضاء غريان بتاريخ 15 تشرين الثاني 1327.
18. السعيد، مرجع سابق، ص 350.
19. الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ط3، دار الفتح، بيروت، 1973، ص 266.
20. فتحي، مرجع سابق، ص 318، السعيد، مرجع سابق، ص 347.
21. سوكنة، مرجع سابق، ص 191.
22. الصناعات الصغرى والتقليدية، المركز العربي لأبحاث الصحراء مرزق، 1992، ص 41 وما بعدها.
23. جامي، مصدر سابق، ص 87-88.
24. محمد سعيد، مرجع سابق، ص 200-203.
- السعيد، مرجع سابق، ص 340، فضل أبراهيم الأجواد براك القديمة، المركز العربي لأبحاث الصحراء، مرزق، 1992، ص 23-26.
25. محمد سعيد، مرجع سابق، ص 218 وما بعدها.
26. محمد سعيد، مرجع سابق، ص 224 وما بعدها.
27. فتحي، مرجع سابق، ص 315-316، سوكنة، مرجع سابق، ص 199-200، السعيد، ص 341.
28. محمد سعيد، مرجع سابق، ص 200.
29. محمد ناجي، طرابلس الغرب، ترجمة أكمل الدين إحسان، مكتبة دار الفكر، طرابلس، 1973، ص 30.
30. محمد امحمد الطوير، تاريخ الزراعة في ليبيا أثناء الحكم العثماني، دار الجماهيرية، مصراتة، 1991، ص

31. المرجع نفسه ،ص36 .
32. ناجي ،مصدر سابق،ص31 .
33. المصدر نفسه ، ص56 .
34. الصالحين حبريل الخفيفي ،النظام الضريبي في ولاية طرابلس الغرب 1835-1911، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،طرابلس، 2000
35. الأوضاع الاقتصادية في إقليم فزان ، مرجع سابق ،ص 253-254 .
36. الصفحة نفسها .

## Le rôle du verbe modal dans l'enseignement de FLE

أ. مريم عبد الحميد البشت  
قسم اللغة الفرنسية  
كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

### دور أفعال الصيغة في تعليم اللغة الفرنسية

يتناول هذا البحث دراسة الأفعال الدالة على الصيغة في تعليم اللغة الفرنسية، من قبل الطلاب في جامعة الزاوية ويعتمد العنصر الأساسي في هذه الدراسة على تحليل مجموعة من الأمثلة التي قام بإعدادها طلبة قسم اللغة الفرنسية بكلية الآداب بالزاوية .

إن الاختلاف اللغوي بين اللغة العربية و اللغة الفرنسية قد خلق صعوبات كثيرة، بالنسبة لمتعلمي اللغة الفرنسية، وذلك بأن الأفعال الدالة على الصيغة في اللغة الفرنسية تختلف كلياً على نظيرتها في اللغة العربية، رغم وجود بعض التشابه بينهما والتطابق في معظم الجوانب بالنسبة للأفعال في اللغة الفرنسية إلا أن بعضها لا يدخل ضمن إطار أفعال الصيغة.

---

## **Le rôle du verbe modal dans l'enseignement de FLE introduction**

Les verbes modaux occupent une place primordiale dans la grammaire française. Malgré cette importance, les grammairiens ne consacrent pas assez de temps à faire d'études approfondies sur ce sujet.

L'objectif de cette étude est d'examiner d'une manière analytique une partie de ce que les grammairiens ont déjà démontré et les résultats qu'ils avaient obtenus. Notre travail est basé sur un corpus qui comprend des exemples pris par les étudiants qui avaient la liberté de rédiger des sujets de leur choix dans lesquels ils utilisent les verbes modaux.

Les raisons qui nous ont enthousiasmé à réaliser de telle étude sont les suivantes: premièrement, nous avons remarqué la difficulté de l'emploi des verbes modaux par les étudiants non francophones (dans les universités libyennes). Deuxièmement, les études sur ce sujet sont modestes.

En examinant les méthodes d'enseignement de la langue française, on peut facilement remarquer que les verbes modaux occupent une place remarquable, non seulement dans son usage écrit, mais aussi dans son apprentissage en tant que langue orale. La plupart d'études ne s'intéressent qu'à

l'analyse de deux verbes modaux (*devoir* et *pouvoir*) qui ont une fréquence assez importante dans la langue française.

**L'objectif de la recherche:**

Cette étude vise à observer les comportements syntaxiques des auxiliaires modaux selon l'usage de la langue française moderne, et de mettre en exergue les particularités de l'emploi de certaines tournures utilisées.

**Exemples :**

Il s'agira également d'analyser le corpus qui fait par les étudiants et, d'autre part, la manière dont les verbes modaux sont présentés dans les manuels d'enseignement du français dans les universités libyennes et comment les méthodes d'enseignement de F.L.E. ont abordé ce problème.

Les auxiliaires modaux ont déjà fait couler beaucoup d'encre, sans parler des recherches dans d'autres langues que le français. En effet, l'auxiliarité et la modalité ne concernent pas que le français, et que le processus d'auxiliarisation -plus généralement de grammaticalisation- et les notions modales, très probablement, sont universelles. Notre étude portera sur les usages des « auxiliaires modaux » du français moderne, principalement *devoir*, *pouvoir*, *commencer à*, *finir de*, *être en train de*, *aller*, *paraître*, *sembler*, *risquer de*, *venir de*, *continuer*, *cesser de* et *avoir*

*faillir*, qui apparaissent comme les auxiliaires modaux typiques du français.<sup>1</sup>

**La problématique:**

Les étudiants, dont la langue maternelle et autre que le français, peuvent rencontrer des difficultés dans l'usage des verbes modaux. Cette difficulté vient du fait que les auxiliaires de certaines langues, telle que l'arabe, ne sont pas employés de la même manière qu'en français.

Les grammairiens et les linguistes traitent le statut grammatical de certains verbes, tels que *devoir* et *pouvoir* plus que les autres verbes. Aussi, on remarque que les auxiliaires modaux ne sont pas considérés, de la même manière, comme dans le cas d'auxiliaires *être* et *avoir*. Il est à mentionner ici que la majorité des grammairiens considère les verbes modaux comme des semi-auxiliaires.

Aussi, on peut facilement remarquer que la construction auxiliaire + infinitif est bien parallèle à celle d'auxiliaires *avoir/être* + participe passé. Les questions qui se posent ici sont nombreuses, mais les plus importantes, auxquelles nous essayons de trouver de réponses dans cette étude, sont les suivantes: Quelles sont les particularités des verbes modaux en français et la façon de distinguer les auxiliaires des modaux? Comment les étudiants du

F.L.E. peuvent-ils distinguer leur emploi? Pourquoi certains verbes ont-ils des emplois modaux alors que d'autres n'en ont pas?

Malgré les similarités morphologiques et syntaxiques de certains verbes modaux, tels que *devoir*, *pouvoir*, *vouloir* et *savoir*, quelques uns d'entre eux ne sont pas considérés comme des verbes modaux.

### **Le rôle du modal dans la phrase orale et écrite**

Le verbe modal constitue un élément dont le locuteur se sert pour le sens d'un verbe plus approprié aux circonstances d'une communication, comme le montre l'exemples : «A l'époque, la RDA n'avait, que six ans d'existence, et le Comité international olympique *venait de l'intégrer* provisoirement à la condition qu'elle concourût au sien d'une équipe commune avec sa sœur ennemie, la RFA». (Télé Obs. CINÉ –N° 2342 DU 24 AU 30 SEPTEMBRE 2009. P56) «Au-delà des spécificités de la «consultation» corse, qui *semble transcender* les positions politiques, un référendum affronte ceux qui acceptent et ceux qui rejettent la proposition d'une communauté territoriale unique».

(Le français dans le monde –N°329  
SEPTEMBER – OCTOBER 2003.P19)

«Mais si, dans un contrat de vente, on *peut parler* d'égalité –et encore...-, dans un contrat de travail, l'employeur est nettement «plus égal» que l'autre».

(Le français dans le monde –N345 MAI-JUIN 2006. P16)

On remarque ici que les verbes modaux venait, semble et peut sont rajoutés aux verbes intégrer, transcender et parler dans une deuxième formulation, tout comme on varie le temps ou le mode verbal pour mieux accorder le sens du verbe avec ce qui est signifié par l'auteur. Cette caractéristique du verbe modal a été très tôt signalée par les linguistes. Louis Meigr a fait cette remarque en 1550 dont sont *Traité de la grammaire française* : « Au regard de ces dérivatifs latins comme le fréquentatif, le méditatif et désiratif latin, français n'en a pas (que je sache) en cette signification. Et quant à l'inchoatif, nous le voyons par le verbe « commencer », comme « je commence à avoir faim ». Et le méditatif latin en « rio » par les verbes de désir, comme parturio, « je désire », « je veux enfanter ». Et quand au fréquentatif nous ne voyons par l'adverbe « souvent » et ses semblables, comme « je le hante, ou vois souvent ».<sup>2</sup>

Même si les verbes modaux peuvent paraître dans la construction du sens, ils ne constituent pas néanmoins un phénomène purement sémantique. Si on regarde de près leur emploi dans la construction d'une phrase, on s'aperçoit qu'on peut se poser

<sup>2</sup> - *Les verbes modaux du français*, p.7.

maintes questions sur leur emploi effectif. Dans une phrase le verbe modal apparaît en général sous forme conjuguée en accord avec le sujet de la phrase; pourtant la présence d'un sujet et d'un verbe modal conjugué en accord avec celui-là ne produira pas une phrase grammaticale. C'est-à-dire en français, quand on dit, *elle peut*, cette phrase n'a aucun sens. Pour que la signification de la phrase soit complète, il faut ajouter un autre verbe. Ex: elle peut conduire la voiture. Si on enlève les verbes qui suivent les verbes modaux, dans les exemples cités ci-dessus, on voit que les verbes modaux en tant qu'uniques éléments verbaux ne suffiraient pas à faire une phrase :

- \*La femme *peut* comme l'homme.
- \* La télévision *commence* sur la mentalité de gens.
- \* Nous *pouvons* le bonheur quand nous avançons dans la vie.

Si on analyse les phrases précédentes, on peut remarquer que le manque d'utilisation des modaux dans la classe influence négative sur la construction des phrases contenant des verbes modaux. Comme le première exemple l'étudiant veut dire (la femme peut travailler /être comme l'homme.). Et dans le deuxième exemple (La télévision commence à influencer la mentalité de gens.) Et dans le troisième (Nous pouvons sentir le bonheur quand nous avançons dans la vie.) Mais dans les exemples suivants le sens est complet.

-La femme *doit aider* l'homme pour construire la société.

-La femme *peut équilibrer* entre son travail et sa maison.

-La femme *doit connaître* l'agenda du conjoint pour lui faire plus confiant.

-Elle *doit organiser* le temps entre la vie personnelle ; c'est-à-dire la femme comme une épouse qui fait le ménage, la cuisine, les besoins de ses enfants se son mari et la vie de son travail.

Ces verbes doivent donc nécessairement s'employer avec un autre verbe dans une structure qu'on pourrait appeler *une chaîne verbale*, un ensemble structuré de plusieurs verbes. Parfois, on constate que la phrase écrite n'est pas complète, portant le geste peut compléter le sens. Ex : quand on dit : je peux, n'a aucun sens. Mais en ayant une cigarette entre les doigts et en ayant un briquet appartenant à quelqu'un qui se trouve sur la même table que moi, je peux lui dire : je peux (en montrant du doit le briquet) dans ce cas, ma phrase est correcte. Mais elle signifie, est-ce que je peux emprunter votre briquet s'il vous plaît? Donc, l'emploi de ces formes dépend d'un contexte donné et elles apparaissent plutôt comme des formes raccourcies d'une forme complète avec un autre verbe).

### **L'emploi des modaux dans l'enseignement de FLE**

L'emploi des modaux dans l'enseignement de FLE est un élément primordial qui mérite d'être examiné pour en tenir des résultats qui permettent d'améliorer l'apprentissage de l'apprenant. Les différentes méthodes et le classement des ces modaux ne peuvent pas, à leur tour, être écartés de notre attention. Aussi, l'emploi des modaux par les étudiants est un autre point que nous allons examiner dans ce chapitre.

En parlant de la principale difficulté didactique en ce qui concerne l'utilisation des verbes modaux, l'on constate que les exercices structurels contextualisés, et selon ce que Henri Besse et Rémy Porquier mentionnent dans leur livre *Grammaires et didactique des langues*, " modifient souvent la structure qu'on cherche à réitérer en l'affectant de modalités, d'aspects; de valeurs, qui, pour ne pas être apparentes, ne la déterminent pas moins grammaticalement. On peut; certes; parvenir à trouver une série de contextes qui maintiennent relativement inchangée la structure sur laquelle porte l'exercice; mais ces contextes sont alors extrêmement voisins les uns des autres, et l'exercice structurel devient un quasi exercice de répétition.<sup>3</sup>

Il est à noter que le fait de demander aux étudiants d'écrire des productions relevant à l'oral, la variation ne porte que sur les verbes modaux.

Pour modifier un bon usage pédagogique des exercices il suffit, selon les auteurs de l'ouvrage *Grammaires et didactique des langues*, de tenir compte des trois précautions suivantes:

1. Expliciter aussi simplement que possible la structure sur laquelle porte l'exercice.
2. Contextualiser les exemples présentés.
3. Demander aux élèves et aux étudiants de produire de nouvelles phrases à partir de la structure déjà expliquée et sur laquelle ils ont travaillé.

Pour clarifier leur point de vue Henri Besse et Rémy Porquier continuent leur analyse en donnant plus de détails sur les trois points précédents. En ce qui concerne le premier point, ils voient que l'étudiant doit avoir une idée relativement précise. "Pour que l'exercice structural soit efficace, l'étudiant doit avoir conscience de ce qui est considéré comme pertinent dans les opérations qu'il est en train de faire."<sup>4</sup>

Le deuxième point est aussi examiné par les deux écrivains qui insistent sur le fait que "la contextualisation ne doit pas affecter la structure de

modalités ou d'aspects trop diversifiés, et doit être formulée en tenant compte des acquis des apprenants, et que les exercices structurels ne fonctionnent bien que si leur lexique; leur syntaxe et leur pragmatique de présentation sont bien connus.<sup>5</sup>

Quant au troisième point, il consiste à faire suivre l'exercice structurel d'une "exploitation", c'est-à-dire d'encourager les élèves à suivre les modèles expliqués pour produire de nouvelles structures grammaticales en tenant compte de l'utilisation des verbes modaux.

### **Les différentes méthodes et le classement des modaux**

Pour examiner le deuxième point concernant les différentes méthodes et le classement des modaux, nous devons avoir recours à certains livres tels que le livre de *Michèle Boularès et Jean-Louis Frérot*, intitulé *Grammaire progressive du français (niveau avancé)*. Dans cet ouvrage l'auteur aborde les verbes modaux d'une manière concise. Il cite quelques verbes modaux. Voyons quelques exemples de ce qu'il cite dans ce livre concernant le verbe « Pouvoir » au conditionnel présent qui est en général employé pour exprimer la suggestion :

'Tu pourrais l'emmener au cinéma ; il serait content'.

• « Devoir », « tu ferais mieux que de » + infinitif et « il vaudrait mieux » + infinitif ou « il vaudrait mieux que » + subjonctif sont employés pour exprimer le conseil :

- Vous **devriez passer** par Florence, c'est superbe !

• Il **peut exprimer** la probabilité avec « devoir » :

Son avion **devrait arriver** à 17 heures.

Ils ont quitté Paris à midi ; ils **devraient être** à Lyon vers 18 heures.

Sa lettre **aurait dû arriver** aujourd'hui. [Mais elle n'est pas arrivée.]<sup>6</sup>

Dans la *Grammaire progressive du français* on trouve d'autres exemples qui expriment l'action dans d'autres temps tels que le futur proche (« aller » au présent + infinitif) qui situe l'action après le moment où le locuteur parle en indiquant une continuité avec le présent.

Il est à noter que dans cet ouvrage, les auteurs insistent sur le fait que le futur indique une coupure avec le moment où le locuteur parle. Le futur proche indique l'action qui ne s'est pas produite mais qu'elle est sur le point de se produire :

-Je t'en reparlerai plus tard.

-Je vais te parler franchement, écoute-moi !<sup>7</sup>

Pour montrer le déroulement de l'action dont la durée est plus ou moins longue, on peut utiliser la forme

« Être en train de » + infinitif. Comme c'est le cas dans l'exemple suivant : -Ne me dérangez pas, je suis en train de travailler.

Notons ici que « Être en train de » ne peut pas être utilisé avec un verbe exprimant un sentiment, un comportement, ni avec des verbes comme vivre, habiter...

-Je n'aime pas la vie citadine, je préfère la campagne.

-Elle apprécie le jazz moderne.

-Il a l'impression que le temps passe très vite."<sup>8</sup>

Les verbes modaux ne sont pas loin de l'attention de J. Dubois. G. Jouannon. Il en examine une grande partie dans son ouvrage intitulé *Grammaire et Exercices de Français*. En parlant des auxiliaires de mode ou de temps, il indique que certains verbes sont employés comme auxiliaires pour apporter une nuance particulière de mode et de temps. Et pour appuyer son opinion, il cite les exemples suivants:<sup>9</sup>

	sens	auxiliaire	exemple
<b>MODE</b>	ordre possibilité souhait	aller devoir pouvoir	<b>Vous n'allez pas le dire à tout le monde. Le locataire doit être sorti. Puissiez-vous connaître enfin le repos !</b>

TEMPS	<p>passé très proche. Action qui se fait en ce moment. Futur proche. Futur.</p>	<p>venir de être en train de aller devoir</p>	<p>Notre voisin vient de faire sa promenade. Je suis en train d'examiner la question. Je vais lui parler. Je dois partir ce soir.</p>
-------	---	---	---

Le dernier ouvrage auquel nous avons pu avoir recours est le livre de Léon-Dufour dont le titre est *Grammaire du français (cours de civilisation française de la Sorbonne)*. Les semi –auxiliaires qui expriment le temps dans lequel se passe l'action, tel que le futur et le passé récent. La durée, le début de l'action, la fin d'une action, la probabilité, et l'obligation sont aussi examinées. Dans la suite nous citons certains exemples qui expriment les notions que nous venons de mentionner dans les lignes précédentes :

“ -Le bébé va s'endormir

-nos amis Petit doivent arriver à la gare de Lyon ce soir à 9heures

-Est-ce que Martine est là? Non, elle vient de sortir

-Les élèves étaient en train de relire leur dictée, quand la cloche a sonné la fin du cours.

-La pluie a enfin cessé de tomber.

-Le soleil est haut dans le ciel; il doit être environ midi

-La salle était pleine ; il pouvait y avoir 300 personnes.

-tout le monde doit respecter la loi.”<sup>10</sup>

Voyons un autre ouvrage dont le titre est *Grammaire expliquée du français*. Dans ce livre l’auteur analyse une partie d’auxiliaires modaux tels que *Devoir* et *Pouvoir*. Il note qu’en tant qu’auxiliaires, ces verbes sont toujours suivis de l’infinitif. Ils donnent au verbe une « couleur » modale. «Ils nous renseignent sur l’attitude, l’état d’esprit, l’intention de communication du locuteur.»<sup>11</sup>

Pour montrer l’obligation, la probabilité et la possibilité que peuvent exprimer ces verbes l’auteur cite les exemples suivants :

“-Tous les élèves doivent avoir un dictionnaire (=il faut qu’ils aient un dictionnaire)

Le verbe devoir dans ce sens peut être au passé, au présent et au futur.

-Éric n’est pas venu, il **doit être** malade (=il est probablement malade)

Ce sens de devoir n’accepte que le passé ou le présent. Si l’on veut exprimer une probabilité dans le futur, on utilise le conditionnel :

-Regarde, le ciel est tout noir. Il devrait pleuvoir avant ce soir (= il pleuvra probablement).

-Vous pouvez prendre le train de 16 h 25 ou celui de 17 h 03(il vous est possible de prendre....)

-Il peut nager 2000 mètres sans s'arrêter (il est résistant, il est capable de nager)"<sup>12</sup>

Il est à noter que la plupart d'ouvrages de méthode d'enseignement que nous avons consultés ne prêtent pas grande attention aux verbes modaux. La conjugaison des verbes et le point essentiel sur lequel ils sont concentrés.

### **L'emploi des modaux par les étudiants**

Dans la suite nous examinons l'emploi des modaux par les étudiants qui avaient la liberté de rédiger des sujets de leur choix dans lesquels ils utilisent les verbes modaux.<sup>13</sup>

### **Le corpus**

- 1- L'amitié est un moyen très important pour la conduite de chacun parce qu'il *ne peut pas vivre* sans les autres.
- 2- Des milliers bougies *peuvent être* éclairées à partie d'une seule bougie, et la vie d'un seul ne sera pas réduite.
- 3- La richesse, ce n'est jamais le bonheur, puisque l'argent *ne peut pas vous l'acheter*.
- 4- Le bonheur est un parfum que vous *ne pouvez pas verser* sur les autres sans faire quelques gouttes sur vous-mêmes.

- 5- La pollution *peut être* sous forme de bruit ou de toute autre matière dégradante dans l'environnement et nuit à la santé humaine.
- 6- On *peut affirmer*, donc que chaque métier est très important et nécessaire dans la société, c'est comme une chaîne très difficile de rejeter ou de séparer de l'autre.
- 7- On *peut affirmer* qu'on tombe amoureux et quand on tombe on se fait mal.
- 8- C'est une relation basée sur l'amour, c'est une chose embarrassante ; elle *peut être* la plus sensation étonnante dans le monde, ou bien elle *peut, vraiment, faire* mal.
- 9- Généralement, le problème n'est pas la recherche d'une amitié, parce que tous les gens *peuvent avoir* un ami, mais la question est comment peut-on garder notre ami.
- 10- Un vrai ami *doit se préoccuper* non seulement de ses propres intérêts individuels, mais ceux de l'autre aussi.
- 11- Chaque individu *doit avoir* un métier dans la vie.
- 12- Bien que la patience permette non seulement d'obier à la fatalité, mais elle nous rend plus optimiste parce que personne *ne peut changer* sa destinée.
- 13- Si l'on veut conclure, on *va dire* que sans patience, pas d'espoir, et sans espoir de vie
- 14- Si on ne croit en rien, on *ne peut pas avancer* et vivre normalement.

15-La femme qu'on trouve dans chaque famille et dans chaque maison *peut être* une mère, une sœur, une fille ou une épouse.

16- La violence *peut être* psychologique et verbale quand elle se manifeste sous la forme de pressions.

17- Aujourd'hui, pour une meilleure communication, nous *pouvons bénéficier* des facilités de l'e-mail, nous *pouvons bavarder* pendant des heures avec nos êtres chers.

18- Grasse à l'internet, vous *pouvez trouver* presque n'importe quel type de données sur presque n'importe quel genre de sujet que vous recherchez.

19- Aujourd'hui, il est presque nécessaire que les élèves *doivent utiliser* l'internet pour la recherche en vue de recueillir des ressources.

20-Les enseignants *ont commencé à donner* des tâches qui nécessitent des recherches sur l'internet.

20-Salles de chat sont très populaires car les utilisateurs *peuvent rencontrer* de nouveaux et de gens intéressants.

21- Quand les gens surfent sur le Web, il ya de nombreuses choses qui *peuvent être* trouvés.

22-Souvent, ces services ne sont pas disponibles hors ligne et *peut vous coûter* plus.

23-Il ya des milliers de sites pornographiques sur l'internet qui *peuvent être* trouvés facilement et peut être un facteur préjudiciable à laisser les enfants utiliser Internet.

24-L'internet est en effet une belle et étonnante en plus notre vie, elle *peut être* comme une sorte de lieu de rencontre mondiale où les gens de toutes les parties du monde *peuvent se réunir*.

25-Chaque métier est considéré une partie de la chaîne de la succession dans la vie ; c'est pour ce là on *va parler* de l'enchaînement des métiers.

26- Le bonheur est un moyen très important pour la conduite de chacun parce qu'il *ne peut pas vivre* sans les autres.

27-Tout homme est appelé à tout faire pour rendre son groupe en bonheur et en joie en leur offrant des services qui *peuvent les aider* à sortir de leur tristesse et de leur chagrin.

28-Nous *pouvons sentir* le bonheur en écoutant le bruit des oiseaux par la fenêtre, le sourire des enfants.

29- La pollution *ne cesse d'augmenter* si bien que notre planète est menacée, l'homme qui ne s'arrête jamais d'agresser la nature est le pire ennemi de la planète.

30-Les eaux usées qui ne sont pas traités correctement *peuvent être* une menace.

31-D'un point de vue législatif il *doit mettre* des normes et des lois réglementaires de nature à limiter les problèmes de cette pollution.

32-La pollution est devenue aujourd'hui un phénomène inquiétant qu'il *doit régler* le plus rapidement possible afin de sauver notre planète.

33-Ils espèrent qu'ils auront un meilleur avenir et qu'ils *vont avoir* un emploi mieux que le sien.

34-Et on ait sûr qu'il *va réussir* puisque la réussite est liée à l'espoir.

35-On *va prendre* quelques cas qu'on traite en vue de prouver l'importance de l'espoir dans la vie.

36-« Ni toi, ni moi nous *pouvons éviter* certains coups de la fatalité ».

37-Chaque personne espère réaliser ses objectifs, mais ce n'est pas suffisant, il *doit aussi travailler*, car l'espoir est la clé de la réussite.

38-La femme est l'ancêtre de la vie et la première cellule de la société qui on ne *peut jamais négliger*.

40-L'oubli *peut provoquer* un certain danger.

41-J'ai dit que cela m'était égal et que nous *pourrions le faire* si elle le voulait.

42-Elle s'est demandé alors si elle m'aimait et moi, je *ne pouvais rien savoir* sur ce point.

43-Toutes les souffrances *peuvent s'oublier* si la peine est partagée par des amis et que l'amitié la console.

44-Bonheur est le point de départ pour découvrir à l'homme le non sans de la vie qu'il *doit mener* au sein d'un groupe.

45-En, effet, nous *pouvons dire* que le bonheur est possible quand les besoins primaires de subsistance ne sont pas comblés.

46-La vie est le stade de tous les sentiments et de toutes les émotions de l'homme qui *doit mener* une vie

telle qu'elle est : le bonheur donne l'homme la force et le bon goût de la vie.

47-Et les philosophes disent que tout homme *doit vivre* en groupe afin de bien toucher un point de ce bonheur.

48-En fait, l'homme sage est celui qui essaie de rendre les autres plus heureux, par l'intermédiaire des médias, chacun de nous *pourrait avoir* un peu la parole et faire partager ses "bonnes idées" aux autres.

49-On *va parler* de la violence féminine qui devient très claire dans les sociétés modernes.

50- En effet la violence *ne doit pas être* pratiquée contre la femme.

51-Nous savons tous qu'il ya des femmes qui sont plus sévères que les hommes, agissent quelque fois cruellement et sans tendresse avec leur enfants et leur maris, par conséquence elles cherchent les problèmes sans cause puis, elles *commencent à les grandir* jusqu'on ne peut les résoudre que devant les tribunaux.

52-La femme *doit aider* l'homme pour construire la société.

53-La femme *peut équilibrer* entre son travail et sa maison.

54-La femme *doit connaître* l'agenda du conjoint pour lui faire plus confiant.

55-Elle *doit organiser* le temps entre la vie personnelle ; c'est-à-dire la femme comme une

épouse qui fait le ménage, la cuisine, les besoins de ses enfants se son mari et la vie de son travail.

56-On *peut traiter* la pollution par des moyens.

57-On *doit s'occuper* d'étudier des problèmes de l'arrosage qui a mauvais effets sur le cultivé.

58-On *peut considérer* la pollution comme l'une de catastrophe de cette époque.

59-Aussi, les déchets *doivent être* enterrées dans le Sahara où bien sont se débarrassés d'elle ou les infamants.

60-Toutes les rues *doivent être* pavanées et plantées.

61-On peut avoir un environnement sein, une belle nature et bonne santé.

62-D'abord, si on veut définir un égoïste, on *peut dire* que c'est celui qui rapporte tout à lui, qui ne réfléchit qu'à soi et qui ne considère que ses propres intérêts.

63-Mais quand on fait mal à autrui, on *ne peut récolter* qu'a de la haine.

64-D'année en année, le nombre d'accident *ne cesse d'augmenter* et le nombre de morts et de blessés se chiffre, hélas ! Par milliers.

65-On *ne peut pas sous-estimer* un métier par rapport à un autre, parce qu'ils s'exécutent différemment et sont tous d'une grande importance.

66-Les enfants ont leurs propres habits ainsi que les grands, et voila, c'est comme ça la vie ! On *doit s'habiller* élégamment et différemment de la tête

jusqu'aux pieds, en été comme en hiver selon la mode.

67-Un vrai ami *doit se préoccuper* non seulement de leurs propres intérêts individuels, mais sur les intérêts de l'autre aussi.

68-Les parents *ne doivent pas laisser* leurs garçons de conduire.

69-Pour eux, les dépenses en tabac *peuvent faire* la différence entre se nourrir de façon adéquate ou souffrir de malnutrition.

70-Par ailleurs, ces derniers *doivent utiliser* leurs maigres ressources sanitaires pour traiter les maladies causées par le tabac.

71-Les effets négatifs *peuvent être* abordés par le biais de programmes pour aider les pauvres à arrêter de fumer, ou pour subventionner un aliment généralement seulement par les pauvres.

72-Même si la hausse des taxes *peut nuire* à certains individus qui *ne peuvent pas s'arrêter* de fumer, le problème est bien souvent limité par l'existence d'autres produits de tabac moins chers.

73-Les appareils électriques, le multimédia et l'ordinateur sont des choses que nous *devons traiter* avec tous les jours.

74-Il *a commencé à écrire* ses devoirs.

75- Elle *a semblé comprendre* les explications du professeur.

76- Il *ne doit pas boire* les boissons alcooliques parce qu'ils ont un effet très grave sur la concentration et l'attention de l'homme.

78-Il *doit pendre* un repos après deux heures de conduire.

79- On remarque que le nombre des accidents *commence à augmenter* d'une manière très effrayante.

80-L'homme *doit cesser* de détruire les arbres de peur de se détruire lui-même.

81-On *peut dire* que la relation entre le livre et la télé est une relation complémentaire.

Dans ce qui suit nous allons examiner les différents comportements positionnels des verbes modaux que nous avons pu relever dans ce corpus.

***Les caractéristiques syntaxiques des différents verbes modaux et les différents types des verbes modaux :***

1- **Le verbe "pouvoir" (45)**

Le verbe à l'infinitif employé avec le modal varie selon le type d'exemple :

-Le verbe le plus fréquent est le verbe d'état "être" ; il est employé (7) fois.

-Le verbe vivre est employé (4) fois.

-Le verbe faire est employé (4) fois.

Le reste des verbes ne sont pas employés que une ou deux fois.

Le tableau suivant montre la fréquence de verbe pouvoir :

peut	vivre	peut	affirmer
peuvent	être	peut	être
peut	acheter	peut	faire
pouvez	verser	peuvent	avoir
peut	être	peut	changer
peut	avancer	peut	être
pouvons	bénéficier	pouvons	bavarder
pouvez	trouver	peuvent	raconter
peuvent	être	peut	couter
peuvent	être	peuvent	se réunir
peut	vivre	peut	vivre
peuvent	aider	pouvons	sentir
peuvent	être	pouvons	éviter
peut	négliger	peut	provoquer
peuvent	s'oublier	peut	équilibrer
peut	traiter	peut	considérer
peut	dire	peut	récolter
peut	sous-estimer	peuvent	faire
peuvent	être	peut	nuire
peuvent	s'arrêter	peut	dire
pourrions	faire	pouvais	savoir
pourrait	avoir	peut	vivre

## 2-Le verbe “devoir” (21)

Le verbe à l’infinitif est employé avec le modal varie selon le type d'exemple :

Les verbes ne sont pas employés qu'une ou deux fois.

Le tableau suivant montre la fréquence de verbe devoir :

doit	se préoccuper	doit	avoir
doivent	utiliser	doit	mettre
doit	travailler	doit	mener
doit	vivre	doit	être
doit	aider	doit	organiser
doit	connaître	doit	s'occuper
doivent	être	doit	s'habiller
doit	se préoccuper	doivent	laisser
doivent	utiliser	devons	traiter
doit	boire	doit	prendre

### 3-Le verbe "aller" (6)

Le verbe à l'infinitif est employé avec le modal varie selon le type d'exemple :

Les verbes ne sont pas employés qu'une ou deux fois.

va	parler	va	réussir
va	parler	va	prendre
va	dire	vont	avoir

### 4-Le verbe "commencer à" (4)

Le verbe à l'infinitif est employé avec le modal varie selon le type d'exemple :

Les verbes ne sont pas employés qu'une ou deux fois.

ont commencé à	donner	commence à	grandir
a commencé à	écrire	commence à	augmenter

Il est à mentionner ici qu'en utilisant les verbes modaux les étudiants n'arrivent pas toujours à les utiliser d'une manière correcte. Dans les lignes suivantes nous citons certains exemples de ces fautes grammaticales.

-\*La femme *peut* comme l'homme.

-\* La télévision *commence* sur la mentalité de gens.

-\* Nous *pouvons* le bonheur quand nous avançons dans la vie.

Si on analyse les phrases précédentes, on peut remarquer que le manque d'utilisation des modaux dans la classe influence négative sur la construction des phrases contenant des verbes modaux. Comme le première exemple l'étudiant veut dire (la femme peut travailler /être comme l'homme.). Et dans le deuxième exemple (La télévision commence à influencer la mentalité de gens.) Et dans le troisième (Nous pouvons sentir le bonheur quand nous avançons dans la vie.)

## Conclusion

Analyser un sujet de grammaire en langue étrangère surtout en français semble être un but que l'on ne peut pas atteindre facilement. Les particularités de la langue française, et la grande différence entre elle et la langue arabe – la langue maternelle de l'apprenant-, rendent un tel but d'analyse difficile à réaliser.

Entant donnée l'importance des problèmes des verbes modaux chez les apprenants libyens en général, et à l'université El Zawiya en particulier ; on trouve que l'apprenant libyen du français se trouve en face d'une multitude de problèmes tel que les problèmes: phonétique, syntaxique (la construction de la phrase), sémantique ...

Pour surmonter ces difficultés chez les apprenant on doit avoir recours à des exemples et d'exercices qui les aident à comprendre et pratiquer le français en classe et ailleurs.

En ce qui concerne les problèmes des verbes modaux, le sujet de cette étude, il est à souligner, à travers les analyses réalisées dans ce travail, que si les apprenants ne réussissent pas toujours à les utiliser d'une manière correcte c'est que l'occasion ne leur était pas offerte à les pratiquer. Aussi, le manque d'écrire et s'exprimer en français participe pleinement dans un tel échec. Pour améliorer le niveau de la langue français chez les apprenants et enrichir leur

vocabulaire l'enseignant peut choisir une méthode qui, en suivant ses différentes étapes, réalise ce but.

Ce travail est consacré à l'emploi des modaux dans l'enseignement de F.L.E. Les différentes méthodes et le classement des modaux occupent, à leur tour une place dans cet étude. Quand à l'emploi des verbes modaux par les étudiants ; il n'est pas à l'écarte de notre attention ; dans ce même ce travail nous avons choisi un corpus fait par les étudiants et nous l'avons analysé. Les résultats obtenus de l'analyse de ce corpus ne laissent pas de toute que le manque de la pratique de la langue français pose beaucoup de difficultés en ce qui concerne l'utilisation des verbes modaux.

Pour conclure ce travail et après avoir analysé le corpus fait par les étudiants, nous avons remarqué que les étudiants n'ont choisi que les six verbes suivants : pouvoir, devoir, aller, cesser de, sembler et commencer à. Il paraît que les étudiants qui ont rédigé les sujets dont nous avons obtenu le résultat précédent, ne savent que ces verbes. Nous pouvons dire qu'un tel manque d'utilisation d'autres verbes est lié au niveau linguistique de ces étudiants qui ne pratiquent la langue française que dans des cas limités. Aussi, l'influence de la langue arabe est très claire dans ce qu'ils écrivent.

Si nous ne réussissons pas en partie cette tâche, que les autres aient la réussite à leur côté et

أ. مريم عبد الحميد البشت

réalisent ce que nous n'avons pu faire pour arriver à son terme. Aussi devons-nous dire que l'on ne doit pas attendre de ce travail une étude complète concernant les verbes modaux. Aussi intéressante puisse-t-elle être, il serait impossible d'examiner dans cette étude toutes les écrits faits sur cette question.

## Notes et Références:

- 1- Exemples tirés du corpus.
- 2- Les linguistes et grammairiens arabes ne sont pas d'accord sur les verbes modaux en arabe. Pourtant, on est presque sûr que certains préfixes, tels que (سَّ، سوف) donnent la signification du verbe modal.
- 3 - Henri Besse et Rémy Porquier, *Grammaires et didactique des langues*, (Paris: Hatier, 1992), p.133.
- 4- Henri Besse et Rémy Porquier, *Grammaires et didactique des langues*, (Paris: Hatier, 1992), , p. 134.
- 5- Henri Besse et Rémy Porquier, *Grammaires et didactique des langues*, (Paris: Hatier, 1992), , p. 134.
- 6-Michèle Boularès et Jean-Louis Frérot, *Grammaire progressive du français (niveau avancé)*. (Paris: Clé International, 2005) P. 70
- 7-Ibid, P. 38.
- 8- Ibid, 52.
- 9- Jean. Dubois. G. Jouannon, *Grammaire et Exercices de Française*, (Paris: Larousse, 1965), p.158.
- , (Paris : Hachette, 1991), P. 20, 21.
- 10- M. Léon-Dufour, *Grammaire du français (cours de civilisation française de la Sorbonne*
- 11- Ibid, P. 21.
- 12- Ibid, p. 22.

أ. مريم عبد الحميد البشت

13- Les élèves ont passé trois semaines pour rédiger ce corpus. Il paraît qu'ils ont eu recours à différentes sources telles que les sites internet, les journaux et livres.

---

## The Challenges that English Writing Teachers Face in Teaching Writing at the University Level in Libya

Hameda Hussein Almrabett Suwaed

### Abstract

Teaching English writing in EFL contexts is most of the time described as a challenge. In the case of university writing teachers, the task is formidable in many cases. This paper investigates the challenges encountered by Alzawia university teachers in teaching English writing in three selected colleges. It attempts to answer the following questions: what are the challenges that writing teachers face? The findings of the study revealed teacher centred methods, unsystematic material are among the major problems that affect the way of teaching.

### 1. Introduction

Teaching English language in foreign language contexts is a challenging task because English is the subject of the study and the medium of instruction (Tsui 1995). When students listen to the teacher's instructions and explanations, express their ideas, answer questions, and write about different topics, they are not only learning about the language, but also using the language that they are learning. In situations

where the exposure to the English language is limited to a few hours in the classroom as is the case in most EFL classes including Libya the context of this study, the task of language teachers in general, and writing teachers in particular, is a challenging one (Griffiths 2008:244).

This is mainly because the courses of teacher education in Libya depend on theory rather than practice and the Libyan national universities do not provide pre-service or in-service training for university teachers. Hashweh (2005:279) states 'subject matter knowledge alone is not enough'.

Based on this, this study aims to investigate the challenges faced by university writing teachers in Libya, and tries to recommend feasible solutions.

## **2. Literature Review**

Among the factors most frequently cited making it difficult to teach English language skills, writing in particular, in EFL classes are: teachers' understandings, experience, and training, the influence of textbook, as well as large class size, and insufficient economic resources, (Muncia,2000:48) and (McKay1992:18).Those factors are reported by researchers working in different cultural contexts, including: China (Barkhuizan and Wette, 2008:372-87) and You (2004, 97-110), and Hungary (Medgyes and Ryan, 1996: 361-73)

In their research, Barkhuizen and Wette (2008: 372-87) used narrative frames to investigate the Chinese university teachers' experience. The teachers stated many different problems related to their teaching context such as students' large number, low proficiency and instrumental motivation. Also some teachers mentioned the effect of fixed syllabus and heavy workloads. Teachers work under pressure to complete the textbook and prepare students for exam. Correcting students' papers and lesson preparation are time consuming for teachers' out of class time. Teachers do not have time for extra reading or preparing activities, (Muncia, 2000:48).

University teachers are affected by the economic situation as well. Because of their low income, Chinese teachers; for example, work extra hours and as a result have no time for further training, (You, 2003:105). The possible lack of sufficiently economic rewards with regard to EFL writing teaching is exemplified in a research article on teaching EFL writing in Hungary (Medgyes and Ryan, 1996: 361-73). The researchers state that Hungarian university teachers are getting insufficient salaries to the extent that most of them consider their teaching at university as a part time job and work another job to get more money.

While admitting that all the above mentioned factors may have an important effect on the teachers' practice of teaching, this research aims to investigate the contextual factors that influence the university teachers in Libya.

### **3. Methodology**

#### **3.1 Participants**

The findings reported below are based on semi-structured interviews with 14 writing teachers working in three Libyan colleges. The participants' teaching experience varies from 2-27 years. The population of the study consists of 2 females and 12 males.

#### **3.2 Method of Data Collection**

##### **3.2.1 Semi structured interview**

Semi structured interviews have been selected because they are flexible for more follow up of responses (McDonough and McDonough 1997:183-84). This flexibility allowed for more questions and asking for clarifications based on the interviewee' answers.

##### **3.2.2 The Process of Data Collection**

The first step taken was to contact the heads of the English language departments in the three colleges, in order to get approval for conducting research. This initial phase required meeting the heads of departments and the staff members working in the departments where the study took place. These

---

contacts gave easy access to the information about the time table and facilitate the task. Writing teachers were approached for permission and clarification was given about the procedures. There were meetings with the participants before initiating data collection procedures in order to explain and clarify whatever they may ask about. Before collecting data I have explained research ethical issues such as the aims of the research and the issues explored.

### **3.3 Data analysis**

The interview data were analysed with reference to the research question mentioned above. During the analysis I looked for answers related to the challenges that influence teachers' classroom teaching practice as well as whether they are related to students' background and culture or to the higher education. Interview data were initially coded under the broad heading then gradually modified into sub-categories referring, for example, to different types of challenges that the teachers mentioned.

### **4. Findings**

The current teaching situation affects a teacher's teaching practice by imposing some constraints on what tasks the teacher may use (Borg 2006:284; Beach 1994:194). In what follows, an attempt will be made to answer the question raised in this study, to highlight the challenges of teaching English writing

and then to propose some recommendations that may be used in teaching writing.

#### 4.1. Difficulties in Higher Education

The interviewed teachers mentioned that they all face the following difficulties related to students' level, number and lack of materials.

a) Most of the interviewed writing teachers consider students' mixed and low level as the main difficulties that they face. This is due to the fact that this problem affects the teacher's choice of certain approaches and materials and even roles.

b. The large number of students (about 45 in each class) is another difficulty because it affects the classroom teaching practice. For example, one teacher mentioned that the class size affects his choice of activities such as group work because the class will be noisy.

i) *'if you want to apply any activity in the class, sometimes we are humbled by the number. So we cannot divide them into group, the class will be noisy'*

This is mainly because teachers like to control 'most of what is said and done in the class' (Johnson 1998: 16). In this case, interactive activities such as group work challenges the teaching tradition as they require teachers to reduce their control over the class.

c. The third difficulty is the lack of consistent materials. For university level in Libya, there is no established curriculum to follow in selecting the textbooks. Therefore, writing teachers select the books based on their experience of students and context. They might get suggestions from the head of the department or colleagues who recommend books that they used before.

*i) 'we do not have curricula. It is changeable and sometimes it depends on the teacher'*

This problem seems to affect the teaching practice as students sometimes study the same content such as letter writing every year. Also it makes the task difficult mainly for the teachers who teach third and fourth year. As sometimes they find themselves obliged to start from the types of sentences where as they are supposed to teach writing essays.

#### **4.2 Background Educational and Cultural Difficulties**

The interviewed teachers mentioned other difficulties that they think affect their way of teaching writing such as how writing is taught in secondary schools, lack of writing practice in either Arabic or English and the influence of L1.

a. The way of teaching writing in secondary school. Five of the interviewed teachers think that the way writing is taught in secondary schools is not helpful as

it is usually exam oriented and students do not practise writing. University teachers often are obliged to deal with those students as beginners although they studied English writing for three years in secondary school. This is due to the fact that they enter the university with lack of the basic skills in writing.

*i) 'the level of students they are very weak because they have not been taught writing in previous stages in primary or secondary school'.*

b) Lack of practice in Arabic language

The second difficulty that the teachers mentioned is related to teaching writing in Arabic language. Students often do not practise writing in both languages sufficiently. Even in Arabic language lessons, writing is taught mainly through focussing on micro level features and trying to apply the grammatical rules in writing correct sentences. In addition, Arabic writing teachers have the assumption that students are supposed to know how to write extended pieces of writing since Arabic is their first language. Thus less practice is given and usually they do not focus on style or organization.

*i) 'They have other difficulty as I said earlier they do not write in Arabic. Teachers usually do not ask them to write in Arabic'*

The less practice in writing is also related to the culture as it is not common in Libya to write letters or send

cards as a way of communicating with other people. This might also indicate that the way of teaching first language might influence teaching writing in English as teachers focus on micro skills and grammar.

Two teachers mentioned that students' first language which is Arabic affects the way they write in English as both languages have different structure. Those teachers are influenced by a behaviourist view which considers transfer as the cause of students' mistakes rather than the cognitive view that considers transfer as a resource that students draw upon in interlanguage development (Selinker 1972). According to Richards (1990:186) interlanguage is the language that SL students use in their process of learning another language. Students sometimes use their first language when they need to generate ideas and write about a given topic. Mclaughlin (1987:50) mentions that students tend to think in their first language because they lack the required information in the second language. In addition, this can be linked to students' previous learning experience in secondary school where teachers used grammar translation method and students used to translate the texts to Arabic. As a consequence students tend to think in Arabic and then translate their sentences into English.

*i) 'They think may be in Arabic and write in English'*

This leads to many mistakes such as word order and wrong collocations. For example, in Arabic the adjective follows the noun whereas in English it precedes the noun.

### **5. Concluding Remarks and Recommendations**

In this study, the challenges of teaching English writing at the university level in Libya were investigated. Part of these challenges is related to higher education like students' level and number. In addition, in contrast with basic and secondary education, there is no consistent syllabus to teach in the higher education. For the non Libyan teachers, they might have practical knowledge about designing courses but they lack the knowledge of context and learners to select appropriate materials. The other challenges that the teachers mentioned are related to students' background education and culture such as the lack of writing practice in Arabic and its interference in learning English.

On the basis of the findings from the empirical fieldwork and my experience in teaching English writing in Libya, I would recommend the following steps for the heads of departments and university teachers:

The use of a university graded syllabus which has clear learning outcomes, methods of presenting the content of the syllabus and criteria of assessing

students' writing are essential at the university level. These features are likely to influence the consistency of students' level and progress in writing.

Formal and informal forums of professional development to which all teachers have access should be provided to support teachers in their efforts to improve their teaching skills.

### References

- Barkhuizen, G. and Wette, R. (2008) 'Narrative Frames for investigating the Experience of Language Teachers. *System*. 36, 372-387.
- Beach, S. (1994) 'Teachers Theories and Classroom Practice: Beliefs, Knowledge or Context? *Reading Psychology: an International Practice*. 15:189-196.
- Borg, S. (2003) ' Teachers' Cognition in Language Teaching: A Review of Research on What Language Teachers Think, Know, Believe and Do'. *TESOL*. 36:81-109.
- Griffiths, C. (2008) lessons from good Language Learners. Cambridge: Cambridge University Press.
- Hashweh, M. (2005) 'Teachers Pedagogical Constructions: A Reconfiguration of Pedagogical Content Knowledge'. *Teachers and Teaching: Theory and Practice*. 11(3): 273-292.

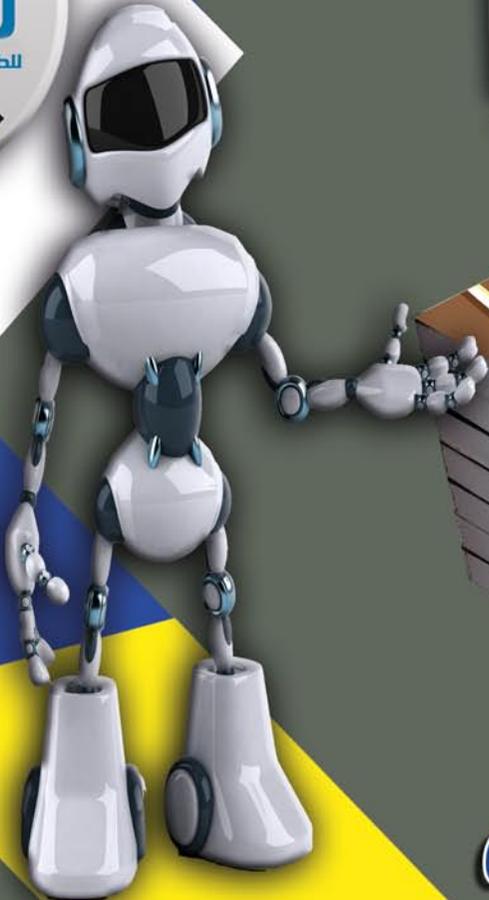
- Johnson, K. (1998) *Understanding Communication in Second Language Classrooms*. Cambridge: Cambridge University Press.
- McDonough, J. and McDonough, S. (1997) *Research Methods for English Language Teachers*. London: ARNOLD.
- McKay, S. (1992) *Teaching English Overseas: an Introduction*. Oxford: Oxford University Press.
- Mclaughlin, B. (1987) *Theories of Second Language Learning*. London: ARNOLD
- Medgyes, P. and Ryan, P. (1996) 'the Integration of Academic writing skills with other Curriculum Components in Teacher education'. *System*. 24(3), 361-373
- Munica, J. (2000). 'Using Writing Teacher Feedback in EFL Composition Classes'. *ELT Journal*. 54(1)47-53.
- Richards, J. (1990) *The Language Teaching Matrix*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Selinker, L. (1972) 'interlanguage'. *International Review of Applied Linguistics*. 10:209-31. In Ellis, R. (1997) *Second Language Acquisition*. Oxford: Oxford University Press.
- Tsui, A. (1995) *Introducing Classroom Interaction*. London: Penguin English.
- You, X. (2003) 'the Choice Made from no Choice': English Writing Instruction in a Chinese University'. *Journal of Second languagewriting*. 13(2)97-110.

---

حميدة حسين

# دار رؤية للطباعة والدعاية والإعلان VISION ADVERTISING COMPANY

## 2018



vision

0925031603

e-Mail: [sahelalhrarai@gmail.com](mailto:sahelalhrarai@gmail.com)